AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



027
T19f
v.2
c.1

الجمهورية اللبنانية

منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة

دار الكتب

خزائن الكتب العربية

في الخافقين

بقلم

الفيكنت فيليب دي طرازي

مؤسس دار الكتب اللبنانية

والعضو في عدة مجامع علمية شرقية وغربية

67733

المجلد الثاني

الباب الخامس

المكتبات النصرانية

يتضح من الابحاث السابقة ان خزائن الكتب الاسلامية تقسم قسمين : اولهما: خزائن كتب عامة اسستها الدول الاسلامية او ملوكها وامراؤها في مختلف البلدان. ثانيهما: خزائن كتب خاصة اقتناها اعلام المسلمين وادباؤهم واغنياؤهم او انشأتها جمعياتهم ومعاهدهم العلمية .

اما المسيحيون فكانت خزائن كتبهم خاصة لا عامة كما يتبين ذلك من ابحاثنا التالية . يُستثنى منها بعض مكاتب ولا سيما خزائن كتب الرها التي يرتقي عهدها الى ايام الدولة الابجرية قبل التاريخ المسيحي وبعده . لان نصارى الشرق لم تقم لهم بعد الفتح العربي دولة مستقلة توجه اهتمامها الى انشاء مكاتب عامة . لكنهم لشدة كلفهم بالعلم انصرفوا الى تأسيس مكاتب خاصة في كنائسهم ومدارسهم واديارهم وبيوتهم . ويعود اكثر الفضل في ذلك الى رؤساء الدين المسيحي لا سيما الى علماء الرهبان في الاديار . فان هؤلاء كانوا يقضون اغلب النهار والليل في نسخ المخطوطات ويتنافسون في كتابتها ويحرصون على صيانتها . وفي ما يلي نسرد اخبار طائفة من المكاتب المشار اليها على اختلاف الاعصار والامصار وهي :

الفصل الاول

خزائن الكتب في بلاد الجمهورية اللبنانية

اولا : مكتبات بيروت

اشتهرت هذه المدينة بمدرسة الحقوق التي أنشئت فيها على عهد دولة الرومان في اوائل القرن الثالث للميلاد . وظلت زاهرة الى العام ٥٥١ اذ اجتاحتها الزلازل فتركتها اثراً بعد عين . ولا ريب في ان هذه المدرسة الذائعة الصيت كانت تشتمل على خزائن كتب معتبرة تتناسب مع شهرتها العلمية . غير ان التاريخ سكت عن ذكرها . وفي عصرنا الحاضر قامت في بيروت مكاتب شتى تُعد من اغنى مكاتب الشرق بالثروة الادبية وهي :

١ ــ مكتبة مطرانية الروم الارثذكس

اقدم مكتبة نصرانية في بيروت اثبتها التاريخ الحديث هي بلا جدال خزانة كتب دار المطرانية الارثذكسية . فقد ذكر الاب لويس شيخو (١) نقلا عن مخطوط للمقدسي عبدالله طراد البيروتي ان البطريرك مكاريوس ابن الزعيم الحلبي شرطن(٢) الخوري فرح من (ايلات) في بلاد عكار مطرانا على بيروت ودعاه فيلبس . وجرى ذلك بتاريخ ١٣ تشرين الاول سنة ١٦٥١ ميلادية . ومن آثار هذا الاسقف انه انشأ في قلايته مكتبة عربية اصبحت بعد ذلك نواة لمكتبة المطرانية الارثذكسية في هذه المدينة .

---

(١) بيروت . تاريخها واثارها : صفحة ٨٢ (٢) شرطن : اي منح درجة من درجات الكهنوت

ومن خلفاء فيلبس في كرسي بيروت نذكر المطران اثناسيوس مخلع (+١٨١٣) الدمشقي الذي كان من علماء عصره فاقتنى مكتبة نفيسة (١) . وللعلامة المطران جراسيموس مسرة (١٩٠٢ – ١٩٣٦) فضل غزير في تعزيز المكتبة المذكورة وتنظيمها وانمائها . الا ان ورثته على ما بلغنا تصرفوا بعد وفاته في قسم منها ففقدت سابق زهوها .

٢ ــ مكتبة الجمعية السورية

كانت الجمعية السورية اول جمعية علمية منظمة انشئت في العصر الحديث بين الناطقين بالضاد . سعى في تأسيسها سنة ١٨٤٧ المرسلون الاميركيون في بيروت . وكان بين اعضائها نخبة من العلماء كالشيخ ناصيف اليازجي والمعلم بطرس البستاني والدكتور ميخائيل مشاقه وسليم دي نوفل وغيرهم ...

وقد نشرت مجلة الجمعية الاسيوية الالمانية (٢) كتابا بعث به اليها الدكتور عالي سميث رئيس الرسالات الاميركية في بيروت يتضمن خبر تأسيس الجمعية السورية . ثم دوّنت المجلة دستور الجمعية في ١٥ بنداً مع وصف المكتبة التي خُصت باعضاء تلك الجمعية . ويتلخص من ذلك ان المكتبة اشتملت حين ذاك على خمسمائة وستة عشر مخطوطاً عربياً وعلى احد عشر مخطوطاً تركياً ماعدا الكتب المطبوعة في شتى اللغات . وكانت مواضيعها تتناول الدين والفلسفة والبيان والشعر والطب والرياضيات والفلك والتاريخ واللغة الخ . وقد تبرع بها اعضاء الجمعية . غير انه ما مرت خمسة اعوام على تأسيس هذه الجمعية حتى انقطعت عن العمل .

٣ ــ مكتبة الجمعية المشرقية

انشأها ادباء الكاثوليك في بيروت اقتداء بالجمعية السورية التي نهض بها المرسلون

---

(١) الاداب العربية في القرن التاسع عشر : مجلد ١ صفحة ١١٤

(٢) ZDMG. II, 378 - 388

الاميركيون . وكان من اخص اعضائها : ابرهيم افندي نجار رئيس اطباء العساكر السلطانية . ومارون نقاش والشيخ حبيب اليازجي وحنا بك ابي صعب والشيخ طنوس الشدياق ورزق الله خضراء وغيرهم . وعقدت جلستها الاولى بتاريخ ١٧ كانون الثاني ١٨٥٠ في دير الاباء اليسوعيين فكانوا اكبر المساعدين على تأسيسها . وقد اتحفوها بكتب نافعة فضلاً عما تبرع به اعضاء الجمعية انفسهم من نوادر الاسفار التي تكوّنت منها خزانة عامرة .

اما امانة هذه المكتبة فقد أنيطت بالمرحوم درويش تيان(١) الذي كان في عصره من ارباب الحمية والسخاء . الا ان هذه الجمعية تلاشت بعد اعوام قليلة مرت على نشأتها . اما مكتبتها فقد تسلمها الآباء اليسوعيون صيانة لها من الضياع . ثم انتقلت منهم الى شركة مار منصور كما سيأتي بيانه .

٤ ــ الخزانة اليازجية

آل اليازجي أسرة علم وثقافة أنجبت خلال القرن التاسع عشر اعلاماً برّزوا في اللغة والشعر وفي سائر فنون الادب . وحسبنا ان نذكر من هذه الدوحة الشيخ ناصيف اليازجي (١٨٠٠–١٨٧١) واولاده الشيخ حبيب والشيخ ابرهيم والشيخ خليل وابنته الشاعرة وردة وحفيديه نجيب وامين الحداد . فانهم رفعوا ألوية اللغة العربية وخدموها علماً وعملاً بالتدريس والتأليف والتصوير والتمثيل والخط والحفر والصحافة والطباعة (٢)

واول من انشأ خزانة كتب من اليازجيين سليلهم عبدالله اليازجي المتطبب على مذهب ابن سينا . فان خزانته حوت مخطوطات في الطب والادب واللغة

---

(١) المشرق : مجلد ١٢ سنة ١٩٠٩ صفحة ٣٢ ـ ٤١

(٢) تراجم مشاهير الشرق : جزء ٢ ومجلة « الآثار » في زحلة : مجلد ٢ صفحة ١٧٨ فما بعد. وكتاب « المشايخ اليازجيون » لعيسى المعلوف

والتاريخ . ثم عززها وأغناها ابنه الشيخ ناصيف بما اضافه اليها بالشراء والاهداء والنسخ والاستنساخ . واشتهر هذا العلامة بصناعة الخط ايضاً فأتقنه كل الاتقان وكتب مجلدات جمة قيل عنها انها لو جُمعت كلها لوازنت محمول جملين (١) .

وقد نقل لنا بعض اصدقاء اليازجي وتلامذته كالدكتور لويس صابونجي (١٨٣٣-١٩٣١) والمعلم شاكر شقير (١٨٥٠ - ١٨٩٦) والشيخ الحوراني (١٨٤٤ - ١٩١٦) وغيرهم فقالوا ان عدد مخطوطات الخزانة اليازجية ناهز اربعمائة مجلد من نُخَب المؤلفات . الا ان تلك الثروة الكتابية تفرقت بين ابنائه وما تبقى من آثارها اتصل بحفيده الشيخ حبيب الذي اهداها الى مكتبة الآباء البولسيين في حريصا .

٥ ـ المكتبة الشرقية وسائر مكتبات اليسوعيين

في طليعة مكتبات بيروت مكتبة جامعة القديس يوسف التي سبق فأسسها الاباء اليسوعيون عام ١٨٤٨ في مدرستهم بغزير . ولما نقلوا هذه المدرسة الى بيروت عام ١٨٧٥ نقلوا معها تلك المكتبة وزادوا عليها كتباً كثيرة بتوالي الايام . وعلى اثر اقفال دير اليسوعيين عام ١٨٨١ في مدينة « وهران » بشمال افريقيا جلبوا كتبه برمتها وضموها الى مكتبتهم في بيروت . واستحضروا معها ساعته الكبرى ونصبوها في اعلى صدر كليتهم . وهي ساعة تاريخية دقت مؤذنة باستيلاء الحلفاء عام ١٨٥٥ على قلعة سباستوبول في اثناء حرب القرم .

أخذت هذه المكتبة بعد ذلك تنمو نمواً مستمراً حتى بلغ عدد مجلداتها الآن زهاء مائتي الف مجلد . وهي تتألف من فروع شتى موزعة على معاهد الكلية وهي: معهد اللاهوت ومعهد الفلسفة والطب والحقوق والهندسة والآداب واللغات الخ .

واهم تلك الفروع هي « المكتبة الشرقية » التي أنيطت ادارتها بالعلامة الاب

---

(١) تاريخ الصحافة العربية : جزء ١ صفحة ٨٨

لويس شيخو (١٨٥٩ – ١٩٢٧) . فاندفع بهمة شماء الى تعزيزها وترقيتها وخدمها خدماً جلى مدة خمسين سنة متوالية . ذلك انه جاب البلاد القريبة والبعيدة شرقاً وغرباً وحصّل لها من المخطوطات القديمة والحديثة والمطبوعات النادرة والمفيدة ما جعلها اعظم مكتبة شرقية بعد دار الكتب المصرية في القاهرة .

وانطوت « المكتبة الشرقية » على اربعين الف مجلد ونيّف تدور ابحاثها حول اللغات والعلوم الشرقية دون سواها . يضاف اليها زهاء اربعة آلاف مخطوط معظم مؤلفيها نصارى ومواضيعها نصرانية . ولعل مجموعة تلك المخطوطات تعد اكبر مجموعة عربية خطية من نوعها في العالم باسره .

وانصرف الاب لويس شيخو الى وضع فهرس خاص لمخطوطات المكتبة الشرقية باللغتين العربية والفرنسية . غير ان الاجل المحتوم عاجله قبل انجاز هذا المشروع . وقد عالج الاب فرديننـد توتل استئناف ما بـدأ به الاب لويس شيخو فنشر بعض ذلك الفهرس عام ١٩٣٠ في كتاب بلغت صفحاته ٤٦٠ صفحة

وغير خاف ان جنود الاتراك احتلوا « المكتبة الشرقية » مدة الحرب العظمى (١٩١٤ – ١٩١٨) وابعدوا الرهبان اليسوعيين عنها وعن ديرهم المعروف بجامعة القديس يوسف . فسطت عليها حينذاك بعض الايدي واستباحت شيئا من كنوزها المعتبرة ونهبت طائفة من كتبها الثمينة .

وفي ٢٥ اذار ١٩٣٧ احتفل اليسوعيون بوضع الحجر الاول في اساس بناية جديدة شيدوها للمكتبة الشرقية غربي كلّيتهم . وقد افرغوا قصارى الجهد لتكون البناية الحديثة متناسبة مع ما خلفه السلف في بلاد الشرق من كنوز العلم والادب . وجرى افتتـاح المكتبة رسمياً في ١٨ كانون الثاني ١٩٣٩ بحضور ارباب المناصب الدينية والمدنية واعيان العاصمة ورجال الفن من جميع المذاهب .

وحوت المكتبة الشرقية تحفاً نادرة لسنا نعرف لها نظيراً في سائر المكتبات . ومما لفت نظرنا فيها مخطوط اصله من صحراء السودان الغربية مكتوب بخط عربي

غريب الشكل يقرب من الخط الكوفي . ويمتاز هذا المخطوط عن غيره بانه مجلد باديم بشري .

٦ ــ مكتبة الجامعة الاميركية

على اثر تأسيس الجامعة الاميركية عام ١٨٦٦ في بيروت فكر رئيسها الاول الدكتور دانيال بلس ان يضم اليها مكتبة تفي بحاجة الاساتذة والطلبة . وعاونه في مهمته الدكاترة الافاضل كرنيليوس فنديك (١٨١٨ – ١٨٩٥) . ويوحنا ورتبات (١٨٢٧ – ١٩٠٨) وجورج بوست (١٨٣٨ – ١٩٠٩) الذين نفخوا في اللغة العربية روحاً مباركة ونفحوا ابناء الضاد بمؤلفات جمة جديرة بكل ثناء واعتبار .

اخذت هذه المكتبة تزداد اتساعاً وازدهاراً بجهود المتولين ادارتها حتى اصبحت من اعظم مكتبات هذه الأمصار . ولايقل الان عدد مجلداتها ومجلدات الفرع الطبي اللاحق بها عن تسعين الف مجلد . وفيها من المخطوطات العربية زهاء ثلاثة الاف مجلد حبس منها طائفة معتبرة الدكتور ميخائيل مشاقة (١٨٠٠-١٨٨٨) اللبناني(١) والعلامة نوفل نوفل (١٨١١ – ١٨٨٧) الطرابلسي (٢) . اما سائر المخطوطات فقد اشترتها ادارة المكتبة من مصادر شتى ولاسيما من الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف . فانها ابتاعت من خزانته زهاء خمسمائة مخطوط (٣) في اللغة العربية وحدها .

وتحتوي هذه المكتبة ايضاً على وثائق خطية قديمة وصكوك نادرة يناهز مجموعها احد عشر الف وثيقة . وهي تتضمن مواضيع خطيرة عن تاريخ الشرق الادنى وعن وقائعه الشهيرة واخبار رجاله في العصر الحديث . وقد تولى جمع تلك الوثائق والصكوك وضبط قراءتها ووضع فهارسها الدكتور اسد رستم احد اساتذة التاريخ

---

(١) مجلة الآثار في زحلة : مجلد ٣ سنة ١٩١٣ — ١٩١٤ صفحة ٤٣٧ (٢) تراجم مشاهير الشرق : لجرجي زيدان : جزء ٢ صفحة ١٥٣ — ١٥٤ (٣) مخطوطات الخزانة المعلوفية في الجامعة الاميركية : صفحة ١

الشرقي في الجامعة الاميركية المشار اليها . ثم نشر بالطبع طائفة منها في كتاب عنوانه « الاصول العربية لتاريخ سورية » في عهد محمد علي باشا راس الاسرة المالكة في مصر . وأصدر من هذا الكتاب خمسة اجزاء حتى اليوم .

ولما كانت هذه المكتبة الزاهرة في رقي متواصل فقد قررت ادارة الجامعة الاميركية ان تشيد لها صرحاً لائقاً بمقامها العلمي . فما كاد يذيع ذلك بين اصدقاء الجامعة وتلامذتها حتى أخذت تتوالى التبرعات من كل صوب تأييداً لهذا المشروع الكتابي . وفي طليعة اولئك المتبرعين اسرة العلامة نعمه يافث خريج هذه الجامعة فقد تبرعت بمبلغ مائتي الف ريال اميركي .

اما الطريقة المتبعة في تنسيق كتب مكتبة الجامعة فهي ذات الطريقة العشرية التي اعتمدناها في دار الكتب اللبنانية في بيروت . وتعميما لها بين الناطقين بالضاد وضعنا كتابنا المسمى « ارشاد الاعارب الى تنسيق الكتب في المكاتب » في زهاء اربعمائة صفحة ونشرناه عربياً وافرنسياً سنة ١٩٤٧ .

عدا المكتبة العامة ، ففي الجامعة ايضاً عدة مكتبات موزعة في فروعها ، فلمدرسة الكيمياء مكتبة ، ولمدرسة الصيدلية مكتبة ، ولمدرسة التمريض مكتبة الخ . واشهر هذه المكتبات الفرعية مكتبة مدرسة الطب . وقد عنيت عمدتها بتعزيز مكتبتها الخاصة فحشدت فيها منذ انتهاء الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ - ١٩١٨) اشهر المجلات الطبية الصادرة في الشرق والغرب . وتبذل ادارة هذه المكتبة الطبية جهودها لتدوين ما تحتويه تلك المجلات من المقالات والابحاث في فهرست ابجدي عام يسهل على الاساتذة والطلاب الوقوف على احدث ما ظهر في المجلات المذكورة من الاكتشافات والاختراعات الحديثة تنويراً لهم وتسهيلاً لاهدافهم العلمية .

٧ ــ مكتبة البطريركية السريانية

للبطريركية السريانية الانطاكية مكتبة ثمينة انشأها الحبر العلامة البطريرك اغناطيوس افرام الثاني (١٨٩٨ - ١٩٢٩) وانفق عليها مالا وافراً . وهي غنية

بما تحويه من الكتب النادرة والمعاجم اللغوية والموسوعات في شتى اللغات. وعلاوة على ذلك فقد احرز مئات من المخطوطات السريانية والعربية زين بها الخزانة البطريركية . وكانت تلك المؤلفات سلوته لدن فراغه من اعمال منصبه الرسولي . وناهيك انه لم يكن يدع القلم من يده الى آخر نسمة من حياته سواء اكان في مركزه ام مسافراً في البر والبحر . فكان يحمل اضبارته مشحونة بالكتب والقراطيس يطالع ويسود ويبيض اينما ذهب وحيثما حل. وما عدا مؤلفاته الجمة فقد خلف عشرات الدفاتر خطها بيده نقلا عن مخطوطات ثمينة طالعها اثناء رحلاته المتواترة الى دور الكتب في الفاتيكان وباريس ولندن وبرلين وفينا ومدريد والقسطنطينية وسائر بلاد المشرق (١) . ويترجح عندنا انه لو جمعت تلك الدفاتر لتألفت منها خزانة علمية ثمينة .

وبعد وفاته ظلت تلك المكتبة معززة بعناية خليفته الكردينال البطريرك اغناطيوس جبرائيل الاول الذي ابتنى لها معهداً فسيحاً يضمن نجاح مستقبلها . ثم اقتنى لها كثيراً من المطبوعات الحديثة واضاف اليها ما استحضره من خزائن الكرسي البطريركي في ماردين ومن بلاد اوروبا . ويبلغ عدد مجلداتها نيفاً وستة آلاف مجلد بينها نحو خمسمائة مخطوط في اللغتين العربية والسريانية .

واتحفها مؤلف هذا الكتاب بطائفة من الاسفار الثمينة التي عز وجودها في اهم الخزائن الشرقية . فطابت للبطريرك الذي وجه الى مهديها رسالة لطيفة استهلها بهذه العبارة : « اما بعد فهذه عارفة جديدة اضفتموها الى سالف عوارفكم العديدة. فاستوجبتم لاجلها عاطر الثناء وسجلتم لكم في قيود الطائفة العزيزة اطيب الذكر».

٨ ـ مكتبة مطرانية الروم الكاثوليك

انشأ المطران اغابيوس الرياشي (+ ١٨٧٨) في اواخر عهد مطرانيته الطويلة

---

(١) مجلة « الآثار الشرقية » في بيروت : مجلد ٤ سنة ١٩٢٩ عدد ٦ و٧ صفحة ٣٩

مدرسة في « عين القش » بقاطع المتن في لبنان . واعتنى بها اعتناء جزيلا فاقام لها اساتذة فضلاء كالشيخ ابرهيم اليازجي والمحامي نقولا بك توما واشباههما . ومن نوابغ خريجيها الدكتور بشاره زلزل (١٨٥١-١٩٠٥) صاحب المؤلفات الشهيرة.

وقد ضم المطران اغابيوس الى هذه المدرسة خزانة كتب حوت جميع مطبوعات بيروت ولبنان وزهاء مائة مخطوط من اهمها كتاب « الافصاح » لابن اسد . وفي السنة ١٨٧٥ أقفلت مدرسة عين القش فنقل مؤسسها خزانة الكتب الى كرسي مطرانيته ببيروت . غير ان وكلاء الوقف بعد وفاته تصرفوا في الخزانة فلم يبق منها اثر . وظلت الحال كذلك حتى قام السيد مكسيموس صائغ راعي الابرشية الحالي فابتنى عام ١٩٣٩ كرسياً لائقاً بالمطرانية وانشأ فيه مكتبة على طراز عصري جهزها بموسوعات ومعاجم وتصانيف عربية وافرنجية وافرة العدد . وهي مأثرة جديدة من جملة مآثره التي يُشكر عليها .

٩ ـ مكتبة معهد الحكمة المارونية

أنشئت هذه المكتبة مما خلفه مطارنة بيروت الموارنة منذ عهد راعيهم السيد طوبيا عون (١٨٤٤ ـ ١٨٧١) . وهو اول مطران ماروني سكن حاضرة بيروت وشاد فيها داراً اسقفية لاقامته . لان اسلافه من قبله كانوا يقيمون في جبل لبنان . ولما خلفه المطران يوسف الدبس (١٨٧٢ ـ ١٩٠٧) انشأ في السنة الثالثة لمطرانيته « مدرسة الحكمة » وجعلها مركزاً لسكناه . فصرف عنايته في تعزيز مكتبة المطرانية التي غلب عليها من ذلك الحين اسم « مكتبة مدرسة الحكمة » .

واشتملت هذه المكتبة على زهاء خمسة الاف مجلد مطبوع ومائتي مجلد مخطوط. ومن محتوياتها مجموعة « مين » في ثلاثمائة مجلد ومجموعة « البولنديين » ومؤلفات مار افرام وتصانيف علماء الموارنة وغيرها .

اننا استندنا في ما رويناه عن مكتبة معهد الحكمة الى افادات أمينها السابق الخوري اسطفان البشعلاني . وهو من هواة الكتب والمدققين في ابحاثهم التاريخية

عن لبنان ورجاله . وقد اقتنى في « صليما » مسقط رأسه خزانة تشتمل على طائفة غير قليلة من الكتب المطبوعة والمخطوطة . بينها وثائق ورسائل وصكوك يرتقي عهد اقدمها الى منتصف القرن السابع عشر . اخصها مجموعة كتابات ومذكرات يوسف بك كرم البطل اللبناني .

١٠ ـ الخزانة البستانية

انشأ المعلم بطرس البستاني (١٨١٩ ـ ١٨٨٣) مكتبة غنية بالمخطوطات والمطبوعات يستعين بها على وضع المصنفات الوافرة التي خدم بها اللغة العربية خدمة جلى . وكان اسمعيل باشا خديو مصر (١٨٦٣ ـ ١٨٧٩) اكبر مساعدٍ له في ذلك ادبياً ومادياً . فانه اصدر امراً الى حكومته ان تتحف البستاني بكل ما يحتاج اليه من الكتب لوضع موسوعته « دائرة المعارف » ولسائر مشاريعه العلمية .

وقد افادنا الشيخ عبدالله البستاني احد انسباء المعلم بطرس ان خزانته كانت تحتوي على اربعة آلاف مجلد ونيف بين مخطوط ومطبوع تبعثرت بعد وفاته ووفاة اولاده .

١١ ـ خزانة آل مدور

كان نخلة مدور (١٨٢٢ ـ ١٨٨٩) وانجاله واحفاده من اكبر عشاق الكتب وجماعيها والحريصين عليها . فانهم اقتنوا من نوادر المؤلفات ونفائس المجموعات خزانة قلّ نظيرها في الشرق الادنى . وفي هذه الاعوام اقتسم الورثة تلك الخزانة المعتبرة(١) ولكنه لم يبق عندهم شيء من مخطوطاتها . وكان نخلة مدور وجيهاً في قومه نصيراً للعلماء يحبهم ويجالسهم ويساعدهم في نشر مصنفاتهم . ولما طبع بنفقته

---

(١) تاريخ الصحافة العربية : جزء ١ صفحة ١١٥

كتاب « مجمع البحرين » للشيخ ناصيف اليازجي انشده الشيخ قصيدة رائعة افتتحها بقوله :

ملكت الفضل في شرعٍ وعرفِ فليس على كمالك بعضُ خلفِ
اذا عُدّت رجالُ العصر يوماً فانـــك واحدٌ بمقـــامِ ألفِ

١٢ ـ الخزانة الطرازية

ورث كاتب هذه السطور عن اجداده وعن ابيه خزانة مخطوطات ومطبوعات جديرة بالذكر . ثم اضاف اليها بتوالي الزمان طائفة صالحة من نفائس الاسفار استعان بها في ابحاثه ومطالعاته . ولم يضن على فريق من الادباء والاصدقاء بكثير من مجلداتها ليستفيدوا منها . بل دفعته رغبته في تعزيز العلوم الشرقية الى اهداء عدد وافر منها الى مكتبات شتى في لبنان وفلسطين والعراق واوروبا (١) .

واناف عدد ما اتحف به مكتبة الشرفة بلبنان على الفين وستمائة مجلد مطبوع ومائتين وعشرين مخطوطاً (٢) . زد على ذلك كله انه اهدى الى مكتبة ابنته جان دي طرّازي في باريس نحو مائتي مخطوط من ابدع المخطوطات العربية والفارسية والتركية .

واجتمع في الخزانة الطرازية على توالي السنين ثمانمائة وستون مخطوطاً عربياً . بينها عدد كبير من نوادر الكتب منها مصورة ومنها مجوّدة الخطوط وبعضها مدبج باقلام مؤلفيها واغلبها مجلد تجليداً نفيساً .

واشتملت ايضاً على « مجموعة صحافية شرقية » (٣) دخلت في حوزة الحكومة

---

(١) اسرة آل طرازي : للخوري اسحق ارملة : صفحة ١١٢
(٢) الطرفة في مخطوطات دير الشرفة المطبوع سنة ١٩٣٦
(٣) راجع مقدمة الجزء الرابع من تاريخ الصحافة العربية . وكتاب « اسرة آل طرازي » صفحة ١١٨ — ١٢٠

اللبنانية وعلى « مجموعة خطوط مشاهير الشرق » تعدّان فريدتين من نوعها .

ومن خرائد هذه الخزانة « قاموس الفيروزآبادي » مدبّج بصور انيقة وهو مخطوط لا قرين له . ومنها « شرح ديوان المتنبيء » تضمّن ابياتاً لا اثر لها في غيره من النسخ . ومنها مصحف قرآن طوله ٥٤ سنتمتراً بعرض ٤٠ سنتمتراً بديع الخط والتجليد . وهو قياس نادر لا نعرف له نظيراً الا في بعض كبريات دور الكتب .

١٣ ـ مكتبة خليل سركيس

كان خليل سركيس من اركان النهضة الحديثة في الطباعة والصحافة . ومن آثاره الطيبة « المطبعة الادبية » وجريدة « لسان الحال » اللتان تعملان في حقل الادب منذ نيف وسبعين سنة . وانشأ خليل سركيس في الوقت نفسه خزانة حفلت باهم ما انتجته المطابع العربية من الكتب في انحاء لبنان وسوريا ومصر واوروبا والاستانة . غير انها ذهبت فريسة النار بتاريخ ١٨ ايلول ١٨٩٥ في الحريق الهائل الذي التهم المطبعة الادبية (١) يوم كان مركزها في سوق اياس . وقد تجددت تلك المكتبة بهمة مؤسسها ثم انتقلت بعد وفاته الى نجله رامز سركيس الذي حرص عليها وعني بانمائها حرصه على مطبعة والده وجريدته المشار اليهما .

١٤ ـ مكتبة مدرسة اللاهوت الاميركية

أنشئت هذه المكتبة بعناية القس عالي سميث (+ ١٨٥٩) المرسَل الاميركي في بيروت . ذلك عندما باشر عام ١٨٣٧ ترجمة الكتاب المقدس الى اللغة العربية . وقد توفق الى جمع مكتبة ثمينة استعداداً لترجمة الكتاب المنوه به وطبعه (٢) .

وما كاد يظهر الكتاب المقدّس مطبوعاً حتى تأسست الجامعة الاميركية عام

---

(١) كتاب « يوبيل لسان الحال الذهبي » : صفحة ٩

(٢) مرشد الطالبين الى الكتاب المقدس الثمين : صفحة ٢٦ ـ ٢٧

١٨٦٦ وبعدها مدرسة اللاهوت . وكل منهما ينتمي الى المرسلين الاميركيين ببيروت. فرأى هؤلاء من الحكمة ان يقسموا مكتبتهم بين هذين المعهدين تعزيزاً لهما وتعميماً للمعارف في ديار الشرق . وبتوالي الايام أضيفت مكتبة المدرسة اللاهوتية البرسبتيرية في آثينا الى مكتبة مدرسة اللاهوت التي نحن بصددها . وتحتوي هذه الخزانة في يومنا على احد عشر الف مجلد في اللغة العربية وغيرها . اما عدد مخطوطاتها العربية فيبلغ مائتين وسبعة واربعين مجلداً .

١٥ ـ مكتبة الدكتور سامي حداد

لا نتعرّض للكتب المطبوعة المكنوزة في هذه الخزانة فانها باجمعها من خيار الكتب ونفائسها . اما المخطوطات فهي تزيد على المائتين وليس بينها الا ما هو مفيد وخليق بالاعتبار . ربع تلك المخطوطات يبحث في الطب ومن اهمها « شرح تشريح ابن سيناء » لابن النفيس مكتشف الدورة الدموية ثلاثمائة سنة قبلما اكتشفها اطباء الافرنج . ومنها « الكنّاش الفاخر » للرازي . ثم « ارجوزة ابن سينا » في الطب. ثم « شرح قانون ابن سينا » مزين بالرسوم والاشكال للامشاطي . ومنها مخطوطان قديمان مكتوبان بحروف سريانية كرشونية .

وما عدا الكتب الطبية فان خزانة الدكتور سامي حداد تنطوي على مخطوطات نادرة في شتى العلوم ولا سيما علم الفلك . نذكر منها « جامع المبادىء والغايات في علم الميقات » للمراكشي . وكتاب « البارع في احكام النجوم » للشيخ علي ابن ابي الرجال الشيباني . وكتاب « التذكرة » لنصير الدين الطوسي . وهذه الكتب الفلكية الثلاثة مزينة ايضاً بالرسوم والاشكال الهندسية . ومنها « كتاب الصلوات » لابن دكين يرتقي عهد كتابته الى نحو الف سنة . ومصحف ظاهري يرجع عهده الى نحو ثمانمائة سنة وهو تحفة اثرية ثمينة . وفيها نحو مائتي قطعة من رق الغزال مكتوبة بالخط الكوفي بين القرنين الثاني والثالث للهجرة .

١٦ ـ مكتبة الجمعية الخيرية الارثوذكسية

تكوّنت هذه المكتبة من مخطوطات ومطبوعات خلفها الارشمندريت غبريل جبارة الدمشقي . وكان غبريل كاثوليكياً فانحاز سنة ١٨٥٧ الى الارثودكسية على اثر شقاقٍ جرى في ملة الروم الكاثوليك بسبب اعلان الحساب الغريغوري بدلا من الحساب اليولي . وقد جُعل مركز هذه المكتبة في « مدرسة الثلاثة الاقمار » . وضُم اليها بتوالي الزمان كتب اخرى اهداها اهل المروّة والادب .

ولما انشئت الجمعية الخيرية الارثودكسية عام ١٨٦٨ استحوذت على تلك المكتبة وحافظت عليها . وفي السنة ١٩٢٧ اضيفت اليها مكتبة الياس اندراوس فياض الذي خدم تلك الجمعية كمسجلٍ وكاتبٍ مدة ثلاثين سنة فاستحق الثناء والرحمة .

ومن اثمن مخطوطات هذه المكتبة كتاب مصوّر موضوعه « الآلات المنغمة » قد نشرت مجلة المشرق بعض رسومه الملونة (١). وفيها ايضاً مخطوط حوى « مجموعة رسائل فلكية وحيلية ورياضية » مزدانة بأبدع الرسوم . وقد نُقلت عنه نسخة محفوظة في الخزانة المعلوفية بزحلة تحت الرقم ١٩٢٥

وممن تولى امانتها والمحافظة عليها الاستاذ جرجي نقولا باز احد اعضاء هذه الجمعية الخيرية وذلك في مدة لا تقل عن العشرين سنة

١٧ ـ الخزانة النخلية

انشأ رشيد بك نخله سنة ١٩٠٦ في « الباروك » مسقط رأسه خزانة تشتمل على بضعة آلاف من الكتب العربية قديمها وحديثها . وهي على اختلاف مواضيعها تغلب فيها كتب اللغة والادب والتاريخ والحقوق وغيرها . وبانتقاله الى بيروت بعد

---

(١) مجلة الآثار : مجلد ٣ سنة ١٩١٤ صفحة ٤٢٣

الحرب العظمى (١٩١٤ - ١٩١٨) نقل اليها مكتبته التي تبناها نجله الاستاذ امين نخله وزاد عليها حتى اصبحت من اهم المكتبات الخاصة .

وتتضمّن هذه الخزانة بعض مخطوطات نذكر منها كتاب « مجمع الاحزان » وهي قصائد عامية نُظمت في رثاء فخر الدين المعني الثاني امير لبنان المتوفى سنة ١٦٣٣ للميلاد .

١٨ - مكتبة جرجي نقولا باز

من هواة الكتب جرجي نقولا باز منشىء مجلة « الحسناء » والحامل بين ادباء عصرنا لقب « نصير المرأة » لما هو مشهور عنه من الغيرة على تعزيز شؤونها ورفع مستواها العلمي والاجتماعي . فانه انشأ خزانة في منزله تحوي اسفاراً عربية مختلفة المواضيع ولاسيما التاريخ والادب والاجتماع . ومن محتوياتها زهاء اربع مائة ترجمة لأشهر ادباء الشرق واديباته واعلام رجاله كتبها بقلمه او جمعها بهمته . ولديه اغنى مجموعة من المجلات النسائية العديدة والكتب التي لا تبحث الا عن المرأة . غير ان اكثرها باقٍ بلا تجليد وبعضها مكدّس فوق بعض ينقصه ترتيب .

ومن محتويات هذه المكتبة تقارير سنوية عن شتى الجمعيات الخيرية لجميع الطوائف في لبنان وسوريا وفلسطين ومصر وغير بلاد وعددها يناهز الالف تقرير .

١٩ - مكتبة المدرسة البطريركية

ما كاد يفتح البطريرك غريغوريوس (١٨٦٤ - ١٨٩٧) ابواب هذه المدرسة لطلاب العلم عام ١٨٦٥ حتى انشأ لهم ولاساتذتهم خزانة كتب يرجعون اليها في دروسهم وابحاثهم . واول خازن تولاها في ذاك العهد كان المعلم سليم تقلا(١) الذي

---

(١) هو سليم بك تقلا (١٨٤٩-١٨٩٢) اللبناني مؤسس جريدة الاهرام الشهيرة في وادي النيل

ضم اليها طائفة من المخطوطات العربية القديمة فضلا عن المطبوعات الكثيرة. ومنذ ارتحاله الى وادي النيل عام ١٨٧٥ تغلب عليها الاهمال ولم تلبث ان تلاشت بعد الحرب العظمى (١٩١٤ - ١٩١٨). ولما اسندت ادارة هذه المدرسة الى الرهبانية المخلصية عام ١٩٣٥ سعى رئيسها المفضال الخوري غريغوريوس حايك لدى انصار الادب وذوي الحمية يستحثهم لمساعدته على تجديد المكتبة المشار اليها. فنجحت مساعيه واخذت المكتبة بهمته تعود الى زهوها السابق. وممن لبى طلب رئيس المدرسة مؤلفُ هذا الكتاب فانه نفح تلك المكتبة بسبعين مجلداً.

٢٠ - سائر المكتبات النصرانية في بيروت

اشتهرت في بيروت مكتبات كثيرة لادباء النصارى لكن جانباً كبيراً منها تغلبت فيه المؤلفات الفرنجية. بناء عليه لا نرى ان نثبت هنا الا اسماء الخزائن التي عُرفت بصبغتها العربية وهي:

مكتبة سليم شحاده (١٨٤٨ - ١٩٠٧) صاحب معجم «آثار الادهار» في التاريخ والجغرافيا (١) اشتملت على طائفة كبيرة من المخطوطات النادرة(٢). وقد اصبحت الآن اثراً بعد عين. مكتبة جرجي ديمتري سرسق (+ ١٩١٣) ترجمان قنصلية المانيا اقتسمها ورثته بعد وفاته. ومكتبة الدكتور اسكندر بارودي (+ ١٩٢١) التي كادت تضاهي مكتبة ابن عمه مراد بارودي (١٨٥٥ - ١٩١٨) بطرائفها ونوادرها. ومكتبة يوسف لبان سركيس (+ ١٩٣٣) نقلها قبل وفاته باعوام قليلة الى القاهرة. ومكتبة جرجس صفا (+ ١٩٣٤) وكانت حافلة بالمخطوطات القديمة (٣). وخزانة الاستاذ المحامي نجيب خلف يناهز عدد

---

(١) طالع ترجمته في تاريخ الصحافة العربية، مجلد ١ صفحة ١٣٣ - ١٣٥

(٢) الاداب العربية في الربع الاول من القرن العشرين للاب شيخو: صفحة ٣٠

(٣) طالع مقالة جرجس صفا بعنوان «كتبي المخطوطة» في مجلة المشرق: مجلد ٥ سنة ١٩٠٢ صفحة ١٦٠ و ٥٢٠

كتبها الفي مجلد . ومكتبة الاستاذ فائق بك غرغور وفيها طائفة غير يسيرة من الكتب التركية والفرنجية. ومكتبة الاستاذ حبيب ربيز المحامي . ومكتبة الاستاذ يوسف غلبوني الخ .

نضيف الى ما سبق ذكره مكتبة « غرف القراءة » التي انشئت عام ١٨٩٩ وكانت مؤلفة من خزائة كتب « جمعية شمس البر » ومما اهداه اليها المرسلون الاميركيون واهل الاحسان . وقد ناهز عدد كتبها ثلاثة آلاف مجلد تبعثرت في ايام الحرب العظمى (١٩١٤ - ١٩١٨) ولم يسلم منهـا الا جزء يسير محفوظ في غرفة خاصة .

ثانياً : مكتبات الموارنة في جبل لبنان

١ ـ نقل مخطوطات من اديار الموارنة الى مكتبات اوروبا

كان الموارنـة يملكون عدداً وافراً من المخطوطات في اديارهم وكنائسهم . فنُقل الشيء الكثير منها الى اوروبا في القرون الاخيرة بمساعي المستشرقين او بعض العلماء الذين تثقفوا في المدرسة المارونية الاولى (١٥٨٤-١٨٠٣) برومية (١) فجبرائيل الصهيوني وابراهيم الحاقلاني (+١٦٦٤) واسحق الشدراوي (+١٦٦٥) وميخائيل الحصروني (+١٦٦٩) نقلوا عدة مخطوطـات مارونية الى باريس . ومرهج نيرون الباني (+١٧١١) واسطفان عواد (+١٧٨٢) والسماعنة جمعوا ما جمعوه من المخطوطات ثم ضموها الى المكتبة الواتكانية برومية (٢) . ونقل فريق مخطوطات مارونية الى لندن وكمبردج وفلورنسا وبرلين وغيرها. زد عليه ان قسماً من تلك الآثار الكتابية تلف بالحريق والنهب وغارات الفاتحين حتى انه لم يبقَ منها في جبل لبنان الا ما لا يحفل به .

---

(١) كتاب «لبنان» نشرته لجنة من الادباء في عهد اسمعيل حقي بك متصرف جبل لبنان سنة ١٩١٨

(٢) المدارس والمكاتب السريانية للخوري اسحق ارملة : صفحة ١٢ و١٣

وادرك آباء المجمع اللبناني المعقود سنة ١٧٣٦ خطورة المحافظة على كتبهم فأبرموا قانوناً قرروا فيه باجماع الآراء ما نصه : « نأمر الرهبان بان يعينوا في كل دير نساخاً مجيدين حاذقين في صناعة الخط والكتابة . ويجمعوا نسخ الكتب البيعية من كل موضع وينسخوهم اياها ويودعوها مكتبة الدير تعميما للفائدة (١) » .

٢ ـ مكتبة الكرسي البطريركي في بكركي

في مقدمة المكاتب المارونية نذكر مكتبة بكركي كرسي بطاركة الموارنة . وهي بلا ريب اقدم جميع مكاتب هذه الملة في جبل لبنان واغناها بالمخطوطات والوثائق والمحفوظات الوافرة . وتحتوي كذلك على مطبوعات قديمة وحديثة في لغات شتى وعلوم مختلفة . وظلت شؤونها غير منتظمة حتى نهض العلامة الخوري بطرس شبلي في صدر القرن العشرين فاخذ ينسقها تنسيقاً فنياً تاريخياً صيانة لتلك العتائق الكتابية من الضياع . ولما اسندت اليه رئاسة اسقفية بيروت (٢) اضطر بحكم الوظيفة الى اهمال ما كان قد شرع به . واليك ما رواهُ عنه مؤلف ترجمته قال (٣) :

« رتّب ونسّق المكتبة البطريركية وقد كانت اوراقها ومخطوطاتها قبلـه مبعثرة مكردسة غير منظمة . وجمع في تلك الاثناء المجموعة الثمينة التي كانت غاية اعماله واعزها الا وهي « مجموعة البراآت » وقد كان بعضها قبله مجهولا ، فجاء عمله هذا خدمة جلى لتاريخ الطائفة المارونية لا بل كان عمله من الاعمال الجليلة الضرورية الواجبة . وهذه المجموعة تقع في اربعة اجزاء كبيرة حوت كل البراآت والرسالات الصادرة من الكرسي الرسولي الى بطاركة الطائفة . وقد علّق على كل منها حسب

---

(١) المجمع اللبناني : صفحة ٥٤٦ طبع مطبعة الارز في جونية سنة ١٩٠٠ (٢) تولى مطرانية بيروت في ١٥ شباط ١٩٠٨ وتوفي بتاريخ ٢٠ اذار ١٩١٧ في آطنه . ثم نقل جثمانه الى بيروت بتاريخ ٢٦ تشرين الاول ١٩٢١ ودفن في الكاتدرائية المارونية (٣) كتاب « المطران بطرس شبلي » بقلم المحامي ميشال شبلي : صفحة ٤٠ ـ ٤١

المقتضى الشروح الضافية لفهم مآلها والحوادث الواردة فيها . ولهذه المجموعة مقدمة شائقة بقلم الفقيد استغرقت كل الجزء الاول من الاربعة اجزاء جاء فيها بالدروس الوافية عما يتعلق بتاريخ الطائفة ... »

وفي عهدنا هذا كُلف الاب البحاثة الخوري ابرهيم حرفوش ان يستأنف هذا العمل الشاق . فقام به في اوقات الفراغ علاوة على اشغاله الوافرة في الكرسي البطريركي المشار اليه .

٣ - مكتبة البطريرك الدويهي في دير مار شليطا مقبس

انشأ البطريرك اسطفان الدويهي سنة ١٦٧٢ مكتبة حافلة بالمخطوطات القديمة في دير مار شليطا مقبس . وكان الدويهي الذي جعل مقرّه في الدير المذكور يحبّب الى رهبانه الزهاد نسخ الكتب وجمعها(١) واشهر اولئك النساخ الذين ذكرهم التاريخ هم: الخوري سركيس محاسب والقس جرجس افرام الباني والخوري عون نجيم الغوسطاوي . وبين مشاهير نساخ الموارنة ايضاً جرمانس ابن الخوري طانيوس شهوان من غوسطا ، نبغ في حسن الخط وكتب بيده اسفاراً شتى انتشرت في اماكن كثيرة من لبنان . وكان مصاباً بداء النقطة يتألم منه فيثبطه عن النساخة احياناً(٢) . وفي مكتبتنا من خطه كراسة تنطوي على اخبار اسرة بني شهوان .

٤ ـ مكتبة المرسلين اللبنانيين في دير الكريم

يملك المرسلون اللبنانيون مكتبة لا تخلو من بعض المخطوطات التي انشأها مؤسسهم

---

(١) تاريخ سوريا للدبس : مجلد ٧ صفحة ٣٥١

(٢) قرأنا هذه الرواية في كراس مخطوط حوى اخبار اسرة شهوان في غوسطا . وهو محفوظ في مكتبة المرحوم ميشال اسحق ببيروت .

الطيب الاثر المطران يوحنا حبيب (١٨١٦ - ١٨٩٤) في ديرهم الرئاسي المعروف بدير الكريم . وقد ازدادت بعد وفاته بسعي هؤلاء المرسلين الافاضل الذين انشأوا لمكتبتهم فرعاً بمدينة جونية في الآونة الاخيرة . وقد اتحفنا سليلهم الاب جبرائيل طربيه المرسل اللبناني بكراسين كتبهما بخط يده يحتوي احدهما على فهرس مفصّل المخطوطات المحفوظة في مكتبتهم بدير الكريم وعددها ١٩٢ مخطوطاً . اما الكراس الآخر فيشتمل على اهم ما لديهم من الكتب المطبوعة التي يبلغ عددها زهاء سبعة آلاف مجلد فاستحق الاب جبرائيل المشار اليه ان نسجل لهمته عبارة الشكر ومعرفة الجميل .

٥ - خزائن كتب الاسرة الخازنيّة

لدى الاسرة الخازنية اللبنانية طائفة من المخطوطات ووثائق ذات شأن تاريخي ورثها خلفهم عن سلفهم . واغلب تلك الوثائق تنطوي على براآت وفرامين ورسائل وجهها السلاطين والبابوات والملوك والامراء الى اركان هذه الاسرة في آونة مختلفة . وقد شاهدنا كثيراً منها محفوظاً بكل حرص في دار الكنت حصن دي خازن والمطران يوسف الخازن رحمهما الله تعالى .

وعرفنا من الاسرة الخازنية الشيخ حرب بن نادر الخازن الذي جمع عن اجداده طائفة مهمّة من المخطوطات والوثائق العتيقة، كما جمع من انحاء لبنان حججاً شرعية ورسائل قديمة ووثائق تاريخية كان اصحابها لا يكترثون لها . فاحرز الشيخ حرب نحو تسعة آلاف وثيقة او حجة او رسالة اقتنى منها متحف بتدّين اكثر من ثلثيها، وما تبقى اقتنته مكتبة الجامعة الاميركية والمكتبة الشرقية للاباء اليسوعيين في بيروت وغيرهما .

وبين افراد الاسرة الخازنية الذين هاموا بالكتب في عصرنا نخصّ بالذكر الخوري لويس الخازن المحامي الكنسي . فانه جمع خزانة ثمينة لا يقل عدد مجلداتها عن ثلاثة آلاف مجلد مختلفة الابحاث في اللغة العربية وبعض اللغات الاوروبية . ومن مميزاتها

احتواؤها على عدد عظيم من كتب رحلات قديمة مصورة صنّفها السياح الاوروبيون الذين طافوا الاقطار العربية والشرق الادنى منذ القرن السادس عشر، وفيها نحو سبعين مخطوطاً عربياً وسريانياً بينها ثلاثة مخطوطات درزية . ومركز هذه الخزانة « دير بقلوش » للراهبات الحازنيات في كسروان . وقد نقل صاحبُها قسماً منها الى بيروت مقرّ اشغاله لحاجته العلمية اليها . وبوجه عام يعتور هذه الخزانة قلة ترتيب لا يسهل للباحثين الوقوف على مكنوناتها الثمينة .

٦ ـ مكتبة الامير حيدر الشهابي في شملان

من مشاهير هواة الكتب لدى الموارنة في جبل لبنان الامير حيدر الشهابي (١٧٦١ ـ ١٨٣٥) مؤلف كتاب « الغرر الحسان في اخبار ابناء الزمان » فانه أجرى الصلات للادباء فكثروا حوله وساعدوه في جمع تاريخه او تعاطوا مهنة النسخ لديه . وكان له في منزله بقرية شملان مكتبة حافلة بالمخطوطات قد تبعثرت بعد وفاته وضاعت النسخ الاصلية من تاريخه الخطي(١) . وقد تصفحنا بعض مخطوطات مكتبة الشهابي في مكتبة دير الشير للروم الكاثوليك بقرية بمكّين فقرأنا فيها العبارة التالية وهي : « من كتب حيدر الشهابي الشملانيّ » .

٧ ـ مكتبتا الاميرين فارس وعباس الشهابيين

كان للامير فارس سِيْد احمد الشهابي في « حدث » بيروت مكتبة عامرة على ما روى لنا الاستاذ يوسف بن ابرهيم يزبك . وكان للامير عباس كنج الشهابي كذلك في « الشياح » بجوار بيروت مكتبة تعهد بقاياها الشيخ عيسى اسكندر المعلوف .

---

(١) راجع ترجمة الامير حيدر في مقدمة كتاب « لبنان في عهد الامراء الشهابيين » بقلم ناشريه الدكتور اسد رستم وفؤاد البستاني : سنة ١٩٣٣

وكان الاميران فارس وعباس الشهابيان من زعماء الثوار الذين اعتقلهم الامير بشير الثاني الكبير. وقد بلغ عددهم سبعة وخمسين زعيماً من امراء ومشايخ وقواد دروزاً ومسيحيين. فكبّلهم الامير بسلاسل حديدية وبعثهم قاطبة الى حليفه محمد علي باشا عزيز مصر. وهذا بدوره أبعدهم جميعاً في مركبين على نهر النيل الى بلاد سنّار بالسودان(١). وهناك سُملت عيون اولئك الزعماء باسرهم. ثم عاد الأحياء منهم الى جبل لبنان على اثر ارتحال الامير بشير عام ١٨٤٠ الى مالطا فاسطنبول. وقد عرفنا في حداثتنا بعضهم ولاسيما الامير عباس كنج وحضرنا جنازته ودفنه عام ١٨٩٢.

٨ ـ مكتبة ميشال حائك في بيت شباب

لدى الاستاذ ميشال حائك صاحب جريدة « العَلَم » في بيت شباب خزانة حافلة بكتب ووثائق نادرة حصّل اكثرها اثناء الحرب العظمى (١٩١٤-١٩١٨) وفيها طائفة وافرة من المخطوطات اتصل به بعضها من خزانة كانت للخوري دانيال الجميّل الماروني في « دير شويا » فتبعثرت بعد وفاته. وبين تلك المخطوطات نسخة من كتاب « الكندي » ينيف عمرها على اربعمائة سنة(٢).

٩ ـ مكتبة القس برنردس غبيرة في غزير

وُلد القس برنردس في قصبة غزير بكسروان. وانضوى منذ صباه الى الرهبانية الانطونية المارونية. فترقى في مناصبها حتى تولى الرئاسة العامة عليها مدة ثلاثة اعوام. ثم لزم بيته منقطعاً الى الخلوة وحلّت وفاته عام ١٩٤٤. وجمع خلال حياته مكتبة حوت ما عدا الكتب المطبوعة اكثر من مائة مخطوط ويقال انه اوصى بها الى رهبانيته المشار اليها.

---

(١) الامير بشير الكبير : للقس بطرس بدر حبيش : قسم ٢ صفحة ٩١ ـ ٩٢

(٢) استندنا في وصف هذه المكتبة الى رواية الخوري اسطفان البشعلاني لانه عرفها معرفة تامة

١٠ ـ سائر مكتبات الموارنة في جبل لبنان

نثبت في ما يلي اسماء بعض مكتبات انشأها افراد الموارنة في انحاء جبل لبنان وهي :

١ً ـ مكتبة يوسف الشدياق والد احمد فارس الشدياق (١٨٠١ – ١٨٨٧) في قصبة الحدث بجوار بيروت. وكانت تتضمن كتباً عديدة في فنون مختلفة (١).

٢ً ـ مكتبة الخوري دانيال جميل في دير مار الياس شوّيا .

٣ً ـ مكتبة امين الريحاني (+ ١٩٤٠) في الفريكة بقضاء المتن

٤ً ـ مكتبة المدبّر القس يوسف شدياق (+ ١٩٤١) في دير مار انطونيوس بعبدا . وقد ضم اليها مكتبة عمه داود الشدياق التي اطلعنا عليها عند ارملته مريم اسلامبولية الحلبية في بيروت .

٥ً ـ مكتبة مدرسة آل شباط في عرمون بكسروان وقد تبعثرت وبادت على بكرة ابيها على اثر وفاة مؤسس تلك المدرسة . وقد اشرفنا على فهارسها وشاهدنا في جملة ما كانت تحويه من الاسفار الفرنجية المهمة « مجموعة مين » التي اوبى عدد مجلداتها على الاربعمائة .

٦ً : مكتبة الاباتي اغناطيوس وهيبه (+ ١٩٣٩) رئيس الرسالة المارونية في مصر والسودان . كان مركزها في مسقط رأسه عشقوت وفي مدينة القاهرة حيث اقام ثماني عشرة سنة : فاستولت الرهبانية الحلبية التي كان سليلها على مكتبته في القاهرة واقتسمت اسرته خزانة كتبه في عشقوت وحافظت عليها .

١١ ـ مخطوطات المكتبات المارونية ومؤرخوها

للخوري ابرهيم حرفوش المرسل اللبناني ابحاث جديرة بالاعتبار عن المكتبات

---

(١) تراجم مشاهير الشرق : جزء ٢ صفحة ٧٤

المارونية . نذكر منها مقالته « الاديار القديمة في كسروان » نشرها تباعاً في المجلدين الخامس والسادس من مجلة « المشرق » البيروتية . ومقالته التي نشرها بعنوان « ما ابقته غِيَر الايام والاضطهادات من نفائس المخطوطات في مجلة «المنارة» بجونية عام ١٩٣٢ و١٩٣٣(١) . وقد بحث في المقالتين بحثاً وافياً عما عثر عليه من المخطوطات في اديار الموارنة . وله ايضاً بحث مستفيض عنوانه « مكتبة طائفتنا المارونية في مدينة حلب المحمية »(٢) .

واحتذى حذوه القس انطونيوس شبلي الراهب اللبناني في مقالتَين عنوانهما « رحلة الى شمالي لبنان » و « جولة في كسروان » نشرهما في المجلدات ٢٤ و٢٥ و٢٦ من مجلة المشرق . وضمّنها جميع ما وقع عليه نظره في اديار الموارنة من المخطوطات العتيقة التي سلمت من الرزايا . واهم تلك المخطوطات محفوظٌ في ديرَين : اولهما دير مار ضومط في فيطرون وقد نُقلت اليه مكتبة دير اللويزة . وثانيهما دير سيدة طاميش الذي كان مركزاً لرئيس عام الرهبانية اللبنانية .

ثالثاً : مكتبات الروم الكاثوليك في جبل لبنان

١ - حرص الروم الكاثوليك على ذخائر مكتباتهم

للروم الكاثوليك بلبنان خزائن كتب انشأوها في جميع اديارهم الرئاسية بلا استثناء . ثم اخذوا في الآونة الاخيرة يضاعفون العناية بانمائها وصيانتها بعد ازدياد وسائل العلم بين ظهرانيهم . وقد اتضح ذلك خصوصاً عندما الحقت بالاديار الرئاسية مدارس لتخريج الرهبان في العلوم العالية والآداب الكنسية . وحوت تلك الخزائن من قديم الزمان طائفة من المخطوطات بينها ما هو حريّ بالوصف جدير بالاعتبار(٣)

---

(١) المنارة : مجلد ٣ ومجلد ٤ (٢) المشرق : مجلد ١٧ سنة ١٩١٤

(٣) للبحاثة عيسى اسكندر المعلوف مقالة في وصف «مكتبة دير الشير » نشرها في مجلة الآثار : مجلد ٣ صفحة ٤٢٦

٢ ـ غوائل مكتبات الروم الكاثوليك في القرنين

الثامن عشر والتاسع عشر

لم يسلم اكثر هذه المكاتب من النكبات التي توالت عليها في ازمنة شتى . فكان ذلك مدعاة الى تلف جانب كبير من مخطوطاتها التي لا تعوض خسارتها . ومن تلك النكبات ما انتاب مكتبة دير المخلص بقرب صيدا من الغوائل عندما سار اليه احمد باشا الجزّار عام ١١٩١ للهجرة (١٧٧١م) فنهبه(١). ولا يزال الى هذا اليوم في جامع الجزّار بعكا قسم من تلك المخطوطات نُقلت اليه مع ما نقله الجزار من مخطوطات آل خاتون من قريتهم «جويا» في جبل عامل . وفي فتنة السنة ١٨٦٠ نُهبت مكتبة دير المخلص مرة اخرى وتفرق معظم مخطوطاتها . فما كان من الخوري اسطفان صقر المخلصي الا انه اخذ يطوف القرى مفتشاً عنها حتى عثر على عدد وافر منها عند احد الناهبين فاستردّها بعد دفع خمس ليرات عثمانية ذهبية ونقلها الى دير المخلص على خمسة جمال (٢) .

واثناء فتنة عام ١٨٦٠ المذكورة هرّب رهبان دير مار يوحنا الشوير مخطوطاتهم الى ديرهم في زحلة . فباد الكثير منها وتضعضع(٣) . وفي الفتنة عينها أحرقت في دير عين الدوق بزحلة مخطوطات عزيزة الوجود كان استعارها من دير الشير السيد باسيليوس شاهيات الحلبي يوم كان اسقفاً على زحلة . فذهبت هذه الكنوز الثمينة ضحية النار(٤) .

---

(١) مجلة «العرفان» في صيدا : مجلد ٥ صفحة ٢٢

(٢) تلقينا هذه الرواية من فم الخوري قسطنطين الباشا (٣) عن رسالة مؤرخة في ٢٤ ايار ١٩٢٦ وجهها كاتم اسرار الرئاسة العامة للرهبانية الباسيلية الشويرية الى مؤلف هذا الكتاب .

(٤) المشرق مجلد ٦ سنة ١٩٠٣ صفحة ١١٠ - ١١١

٣ - نشاطهم الى تنظيم خزائنهم الكتابية وتعزيزها

نشط رهبان الروم الكثواليك في الآونة الاخيرة الى تنظيم مكاتبهم وفقاً للاساليب الحديثة . ويرجع الفضل في ذلك الى النشء الجديد الذي قام منهم وتثقف في اوروبا او تخرّج في الشرق على ايدي اساتذة اوروبيين . وقد أفرز بعضهم معهداً خاصاً لخزائن كتبهم كالمرسلين البولسيين في حريصا الخ .

٤ - مكتبات اديار الروم الكاثوليك الرئاسية

بعد هذا الشرح اليك ما توصّلنا الى معرفته من اوثق المصادر عن محتويات المكاتب في الاديار الرئاسية المشار اليها نجمله في ما يلي :

اسم الدير	الكتب المطبوعة	الكتب المخطوطة	المجموع
دير المخلص	٨٧٠٠	١٣٠٠	١٠٠٠٠
دير مار يوحنا في الشوير	٤٦٠٠	٤٠٠	٥٠٠٠
دير الشير في مكين	٣٢٥١	٦٥١	٣٩٠٢
المرسلون البولسيون	٨٥٠٠	٤٥٠	٨٩٥٠
	٢٥٠٥١	٢٨٠١	٢٧٨٥٢

٥ - مكتبة مدرسة عين تراز

لملّة الروم الكاثوليك ايضاً خزانة كتب في مدرستهم القديمة بعين تراز انفق البطريرك مكسيموس مظلوم الاموال الطائلة على انشائها . لانه كان من اعظم انصار العلم في عصره . وقد قرأنا وصفاً لهذه المكتبة (١) ننقله هنا بالحرف الواحد:

---

(١) مختصر تاريخ طائفة الروم الملكيين الكاثوليكيين : صفحة ٨٧

« وسار (اي البطريرك مكسيموس) الى مدرسة عين تراز وشرع في ترميمها وتوسيع نطاق بنائها وتدبيرها . وجمع اليها تلامذة لدرس العلوم وكان قد جمع لها مكتبة تشتمل على كثير من الكتب التي هي من اجلّ التآليف في العلوم والتاريخ والتفاسير . وفي الجملة فان هذه المكتبة من اجمع المكاتب واشهرهـا في هذه البلاد . وقـد بلغ ما أنفقه على هذه المكتبة وترميم المدرسة المذكورة وما وهبها اياه نحو عشرة آلاف ريال » .

ثم انه أهمل امر هذه المكتبة بعد وفاة منشئها فكتب عنهـا المؤرخ البحّاثة حبيب زيات ما نصه(١) : « ومن اشد ما وقع التفريط به في ايامه (يعني في ايام البطريرك غريغوريوس يوسف ١٨٦٤ - ١٨٩٧) ان الذين تولّوا رئاسة مدرسة عين تراز بدلا من ان يعنوا بصيانة مكتبتها وزيادة عدد الاسفار فيهـا بتحصيل المؤلفات الطائفية لها على الاقل من الاديار المجاورة تركوها مأكلاً للعثّ ونهبـة لبعض من كان يغشاها من الزوار الغرباء . فأخذ منها ما أخذ وبقي الى الساعـة بضعة من كتبها الخطية عاريّة مغتصَبة عند من استعارها . ولم تحمَ حوزتها وينتظم تدبيرها الا عندما عهدت قيادة المدرسة الى الاب الفاضل الخوري كيرلس مغبغب اسقف الفرزل اليوم (٢) . وبين مخطوطات مكتبة عين تراز نسخـة نفيسة من الانجيل مزدانة بالتصاوير شاهدها الاب لويس شيخو وأتى على وصفهـا في مجلة المشرق(٣) .

٦ - مكتبة القس انطون بولاد

من مكاتب الروم الكاثوليك ايضاً مكتبة القس انطون بولاد (+ ١٨٧١) المدبر الاول للرهبانية المخلصية . فانه انشأ خزانة حافلة بالمخطوطات الجمة وبعض

---

(١) خزائن الكتب في دمشق وضواحيها : صفحة ٩٣ (٢) ارتقى الى السدة البطريركية باسم كيرلس التاسع في ٨ كانون الاول ١٩٢٥ (٣) المشرق مجلد ٤ سنة ١٩٠١ صفحة ١٠٨

المطبوعات التي ورثها عن اسرته او اقتناها بماله . وكان عددها ١٠٨٨ مجلداً عندما نهبت اثناء فتنة ١٨٦٠ من دير المخلص قرب صيدا . وقد دوّن القس انطون في مخطوط كتبه بيده اخبار مكتبته وفهرس اسماء مجلداتها وما دار بشأن فقدانها من المراسلات بينه وبين المراجع الدينية والمدنية . وهذا المخطوط الذي يبلغ عدد صفحاته ١٢٧ صفحة وقع منه في حوزتنا قسم « الختام » مع ذيلين اول وثان ذلك من الصفحة ٩٧ الى الصفحة ١٢٧ بقطع ربع . وقد اهدينا هذا المخطوط بتاريخ اول تموز ١٩٣٦ مع مخطوطات اخرى الى خزائن كتب دير الشرفة . وهو معروف فيها بعنوان « مذكرات القس انطون بولاد » .

٧ ـ مكتبة نقولا بك سيوفي في بعبدا

وُلد نقولا بك سيوفي سنة ١٨٢٨ في دمشق وتثقف في مدارسها فاحكم اللغات العربية والتركية والفرنسية والايطالية . واتخذه الامير عبد القادر الجزائري عند قدومه الى دمشق عام ١٨٥٦ ترجماناً في ديوانه . ثم استصحبه عام ١٨٦٧ الى معرض باريس وعام ١٨٦٩ الى مهرجان افتتاح قناة السويس والى زيارة السلطان عبد العزيز في الاستانة . وبعد هذا تقلب نقولا بك في مناصب القنصلية الفرنسية بالشرق حتى اصبح قنصلاً لتلك الدولة في مدينة الموصل مدة خمس عشرة سنة . وامتاز في جميع ادوار حياته بنزاهته واستقامته ونشاطه .

ولما بلغ نقولا بك سن التقاعد آثر العزلة في قصبة « بعبدا » بجبل لبنان وابتنى هناك داراً فسيحة اقام فيها حتى نهاية حياته عام ١٩٠١ بالغاً الثالثة والسبعين من سنه .

وكان نقولا بك كلفاً بالآثار القديمة والمخطوطات النادرة يجمعها من أطراف الامصار والمدن التي سكن فيها . فتكوّنت لديه خزانة ثمينة حفلت بثلاثة آلاف مجلد معظمها مخطوط . وقد شاهدتُها عشرات المرات لدى زياراتي المتواترة لمنشئها . اذ كان صديقاً لي ولاسرتي وجرت بينه وبيننا مراسلات شتى .

ومن جملة محتويات الخزانة السيوفية ثلاثون مخطوطاً من كتب الدروز قديمة العهد ومهمة وخمسة مجلدات في مذهب النصيرية وخمسة مجلدات في مذهب الصابئة مكتوبة بالقلم الآرامي النبطي وبضع مخطوطات في مذهب اليزيدية . وفيها ايضاً تآليف صلاح الدين بن ايبك الصفدي وقاموس فرحات بخط يده وكتب طبية وافرة وغير ذلك من النوادر(١) .

واكب السيوفي اثناء فراغه من اشغال وظيفته على درس بعض الاقلام القديمة كالقلم المسماري والسطرنجيلي والحميري والكوفي الخ . واشتغل زمناً بالتأليف فانشأ جملة كتب في تواريخ الصابئة واليزيدية وغيرها . وقد نشرها بالطبع وخصنا بنسخ منها .

٨ ـ مكتبة الخوري فيلبس نمير في زحلة

ينتمي الخوري فيلبس نُمَير الى اسرة ملكية قديمة في زحلة . واشتهر في عصره بين ابناء ملته باعماله المبرورة ومشاريعه المفيدة . ولاسيما بتجشمه مشقات الاسفار لاجل جمع الحسنات من ذوي المروءة والسخاء . وقد أنفقها في وطنه على المدارس والجمعيات وغيرها . وذاعت اخبار رحلة الخوري فيلبس الى بلاد النمسا في اواسط القرن التاسع عشر حتى اصبحت أشهر من نار على علم . ولما عاد الى وطنه تفرّغ لكتابة تفاصيلها في مجلدين ضمهما الى خزانة كتبه العامرة . واشتملت تلك الخزانة على اكثر من مائة مخطوط ما عدا مئات المجلدات المطبوعة في العربية واللغات الافرنجية . وقد كافأه البطريرك على فضله ومبراته بان رقاه الى رتبة « بروتوبروزفيتروس » . ولسنا نعرف احداً من جميع ارباب الكهنوت احرز هذه الكرامة غيره . وتولى الخوري فيلبس رئاسة المدرسة البطريركية ببيروت سبعة اعوام (١٨٦٦ ـ ١٨٧٣) متفانياً في رقيها ونجاحها .

---

(١) برنامج مخطوطات عيسى المعلوف : صفحة ٤١٧

رابعاً : مكتبات السريان الكاثوليك في جبل لبنان

١ ـ مكتبة دير الشرفة

للسريان الكاثوليك في جبل لبنان مكتبة عامرة في دير الشرفة أسسها سنة ١٧٨٦ البطريرك اغناطيوس ميخائيل الثالث (جروة) . وقد تفقدها في آونة مختلفة جلة من العلماء والمستشرقين واستطلعوا طلع كنوزها وكتبوا عنها . وهي الآن من أغنى مكتبات جبل لبنان تشتمل على زهاء ستة آلاف مجلد بينها كثير من المؤلفات الثمينة العزيزة المنال . وفيها اكثر من الف وثلاثمائة مخطوط عربي وسرياني بعضها مكتوب على رق الغزال .

وفي السنة ١٩٣٦ نشر الخورفسقفوس اسحق ارملة فهرساً لمخطوطات الشرفة بلغت صفحاته ٥٧٠ صفحة . وتحوي تلك المكتبة صكوكاً قديمة ووثائق منقطعة القرين برسومها وخطوطها المنسوبة لا أثر لها في غيرها من مكتبات الشرق .

٢ ـ جهود مؤلف هذا الكتاب في تعزيز مكتبة الشرفة

نُسّقت خزائن كتب الشرفة تنسيقاً فنياً طبقاً للقاعدة العشرية التي اشرنا على متولي المكتبة باستعمالها والتقيد بها . وهي اول خزانة في جبل لبنان نهجت هذا النهج الفني اسوة بمكتبات الغرب الراقية . ولوفور شغفنا بتعزيزها اهدينا اليها نحو الفين وستمائة مجلد بين مطبوع ومخطوط علاوة على ما اتحفناها به من طرف نادرة وخطوط مستظرفة .

بعد هذا افرغنا الجهود في جمع ما خلفه السلف منذ القرن السابع عشر من رسائل قديمة وحجج خطيرة ومراسيم بابوية وفرامين سلطانية ومكاتبات ملكية ظلت مكدّسة مبعثرة في زوايا المكتبة الى اليوم . فافرزناها بالاشتراك مع صديقنا

العلامة الخورفسقفوس اسحق ارملة وفقاً لمواضيعها وبلدانها وتواريخها . وبعدما نظمناها أطلقنا عليها عنوان « محفوظات دير الشرفة » . ثم عُنينا بتجليدها في عشرات المجلدات فجعلناها كلها ذات قياس واحد وشكل واحد يتسلسل واحدها تلو الآخر برتبة عددية مستقلة . وسيبقى هذا التسلسل مرعياً بنسبة ازدياد محفوظات الدير على توالي الاحقاب الى ما شاء الله تعالى .

٣ ـ مكتبة دير الرُغم

للسريان الكاثوليك دير ثانٍ في لبنان تأسس سنة ١٧٠٩ بجوار قرية الشبانية وغلب عليه اسم دير مار افرام الرُغم . وقد أغناه رؤساؤه بخزائن كتب مخطوطة جمعوها من انحاء سوريا والعراق وما بين النهرين وغيرها . واول من عُني بتكوين هذه المكتبة كان المطران ميخائيل المارديني رئيس الدير (١٧٤٥ ـ ١٧٦٤) . ثم عززها من بعده خَلَفه في رئاسة الدير المطران باسيليوس جرجس خباز المتوفى عام ١٧٧٨ . هكذا حرص رؤساء دير الرُغم على مكتبته العامرة وزادوا عليها مع توالي الزمان مخطوطات ومطبوعات جمة حتى اصبحت من المكتبات الشهيرة بلبنان .

وفي السنة ١٨٤٠ـ١٨٤١ ثارت فتنة اهلية في لبنان ولاسيما في الشبانية واطرافها أفضت الى خراب هذا الدير واحتراق خزانة كتبه وانتهاب ما سلم منها . وروى لنا بعض شهود عيان ان اوراق بعض تلك المخطوطات ظلت مدة مديدة متبعثرة حول الدير وفي الوادي المجاور له تتلاعب بها الرياح من كل جانب .

وقد اطّلعنا على وثيقة كتبها القس ميخائيل ازرق احد رهبان هذا الدير بخط يده على اثر تلك النكبة . وفيها سرد ما أتلفه الثوار من آنية فضية وذهبية وامتعة ثمينة ومخطوطات قديمة . ورفع في ذلك تقريراً الى ألي الامر . وقرأنا في هذا التقرير ان قيمة المخطوطات التي اتلفت وقتئذ بلغ مجموع اثمانها اربعمائة ليرة عثمانية ذهبية (١) .

---

(١) محفوظات دير الشرفة : رسائل دير مار افرام الرغم

ثم تجددت مكتبة دير الرغم في عهد رئاسة الخوري الياس شهوان السرياني . فجمع فيها مخطوطات وافرة اغلبها في علم الطب اذ كان يزاول معالجة اهالي القرى المجاورة . وقد رأينا فرائد تلك المكتبة بعيننا مراراً وطالعنا بعضها (١) . وعلى اثر وفاته عام ١٩٠٠ تشتت شملها ولم يسلم منها الا مخطوطات يسيرة نقلت الى دير الشرفة او دخلت في حوزة المكتبة الشرقية للآباء اليسوعيين في بيروت .

خامساً : مكتبتا الارمن في بزمار وخشبو بجبل لبنان

كان للارمن الكاثوليك مكتبتان في جبل لبنان : الاولى مكتبة دير بزمار الذي كان كرسياً لبطاركتهم قبل انتقالهم عام ١٨٦٧ الى القسطنطينية . وتُعدّ من اهم المكتبات في لبنان بوفرة عدد مجلداتها . وبينها زهاء مائة وخمسين مخطوطاً عربياً وغير عربي بعضها عريق في القدم ومكتوب على الرق .

اما المكتبة الثانية فكان مركزها في دير مار انطونيوس خشبو قريباً من قصبة غزير . لكنه على اثر اذاعة المنشور البابوي (Reversurus) على الملل الشرقية اختلف رهبان هذا الدير وانقسموا على بعضهم . ثم اخذ عددهم يتناقص رويداً رويداً حتى انه في السنة ١٨٨٥ لم يبقَ فيه راهب ارمني على الاطلاق . ومن ذاك الحين تبعثرت خزائن كتبه التي كانت تضاهي خزائن كتب دير بزمار بعددها وخطورتها . وقد استولى الآن مشايخ آل الخازن على هذا الدير وارزاقه .

سادساً : مكتبات الرهبنات اللاتينية في جبل لبنان

١ ـ مكتبة دير الفرنسيسيين في حريصا

أقدم مكتبات الرهبنات اللاتينية بجبل لبنان هي مكتبة دير الرهبان

---

(١) السلاسل التاريخية : صفحة ٣٤٦

الفرنسيسيين في حريصا تأسست سنة ١٦٢٨ للميلاد . وهي تنطوي على كتب ثمينة نادرة الوجود وعلى وثائق خطيرة جديرة بالاعتبار وجزيلة الفائدة لمن تحرّى الكتابة عن وقائع الجبل واخبار رجاله . وقد شاهدنا تلك الكتب وتلك الوثائق منسّقة تنسيقاً حسناً ومحفوظة بكل حرص قبل ان يُنقل القسم الاوفر منها الى ديرهم الرئاسيّ في القدس الشريف .

يبلغ الآن عدد مجلدات هذه المكتبة ٢٥١٦ مجلداً بين عربية وافرنجية . ومن محتوياتها مخطوطة وضعها الراهب انطونيو غياسي باللغة اللاتينية دوّن فيها جميع الحوادث التي جرت في لبنان وسوريا منذ الحروب الصليبية الى الزمان الحاضر . وقد جاء على ذكرها العالم الايطالي ادغاردو غواريني في الصفحة ٦ من كتابه Venezia E la Palestina

٢ ـ مكتبات اديار الاباء اليسوعيين

للرهبان اليسوعيين خمسة أديار عامرة في زحلة وبكفيا وغزير وتعنائيل وكساره . وقد اشتمل كل منها على مكتبة خاصة حوت عدداً غير قليل من الكتب العربية والافرنجية المختلفة المواضيع والجزيلة الفائدة .

٣ ـ خزانة كتب مدرسة عينطورا

أوسع مكتبة للرهبان الفرنج في لبنان مكتبة مدرسة عينطورا للاباء اللعازريين . وقد أتيح لتلك المدرسة الذائعة الصيت ان تحتفل بيوبيلها المئوي (١٨٣٤ ـ ١٩٣٤) وهو في الوقت عينه يوبيل مكتبتها النفيسة .

وقد حوت رفوف المكتبة ثمانية عشر الف مجلد تبعثرت اثناء الحرب الكونية (١٩١٤ ـ ١٩١٨) . ثم تجددت بهمة رؤسائها حتى اصبح عددها يناهز عشرة آلاف مجلد . وتولى اولاً ادارة قسمها العربي الخوري مارون غصن (+ ١٩٤٠) مدير الدروس العربية في المعهد المشار اليه .

سابعاً : مكتبات الروم الارثذكس في جبل لبنان

١ ـ مكتبة دير البلمند

يقع هذا الدير في الجنوب الشرقي من طرابلس فوق رابية تعلو سطح البحر زهاء مائتي متر بين قريتي انفه واميون . انشأه الصليبيون في ٣٠ ايار سنة ١١٥٧ على يد رهبان مار برنردس الذين اطلقوا عليه اسم (Abbatia Belimontis) اي دير الجبل الجميل . واسمه الحالي «بلمند» محرّف لفظه اللاتيني الاصلي . وبعد رجوع الصليبيين الى بلادهم عام ١٢٩١ تملّكه اليعاقبة (١) . ولا يُعرف شيء من تاريخه في تلك الحقبة .

ثم حل الخراب بهذا الدير الى ان دخل نهائياً في حوزة الروم الارثوذكس . فجدد بناءه سنة ١٦٠٣ مطرانهم في طرابلس السيد يواكيم ابن الخوري جرجس واصبح من اهم اديارهم . وكانت له في غابر الزمان مكتبة معتبرة لعبت بها ايدي الحدثان فلم يبق منها سوى بعض المخطوطات التي ليس تحتها كبير امر . وقد ذكرها الاب هنري لامنس بقوله :

« وكانت هذه المكتبة قديماً حافلة بالمخطوطات . ولا نشكّ ان في عدادها كانت تآليف عديدة سريانية كما ترى في غيره من اديرة الروم كمكتبة دير جبل سينا ودير مار سابا حيث وجد زوّار الفرنج مصنّفات سريانية قديمة غالية الثمن . وكذلك كان دير صيدنايا غنياً بذخائر الآداب السريانية قبل ان يحرقها وكلاؤه كما ذكر ذلك الشاب الاديب حبيب افندي زيّات في خبر رحلته الى هذا الدير ... الا ان اليونان الذين تملكوا زمناً طويلاً دير البلمند اتلفوا ما وجدوه من هذه الكنوز النفيسة واورثوا قلوبنا الاسف على فقدها (٢) » .

---

(١) تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار : جزء ١ صفحة ١٥٥

(٢) تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار : جزء ١ صفحة ١٥٦

مما يؤيد رواية الاب هنري لامنس مخطـــوط سرياني محفوظ في خزائن اوكسفورد تحت رقم٨٧ومنسوخ سنة ٧٠٠٠ لآدم (١٤٩٢ م) ورد فيه ما نصه: « هذا الكتاب البنديكستاري اي الخمسيني برسم دير ستّنا العذرى المقول له البلمند خارج مدينة طرابلس . وهو عندي انا الحقير غريغوريوس باسم مطران دمشق » .

٢ـ سائر مكتبات الروم الارثوذكس في لبنان

لم تخلُ بقية اديار الروم الارثوذكس ومدارسهم في جبل لبنان من مخطوطات قديمة اقتناها الرهبان للدرس والعبادة او نسخوها في ساعات الفراغ . نذكر منها : مكتبة دير مار الياس شويا في المتن . ودير مار جرجس الحميراء بناحية عكار . ودير السيدة في حام طوره(١) قريباً من طرابلس . ومدرسة كفتين ونرجح ان هذه المدرسة بُنيت على انقاض دير كفتون الشهير .

وقد اطّلعنا في فهارس مخطوطات المتحف البريطاني بلندن والمكتبة الواتكانية ومكتبات باريس وبرلين وكمبردج ودير الشرفة وبكركي والبطريركية السريانية ببيروت ولاسيما في فهرس مخطوطات اوكسفرد على اسماء كتب جمة نُسخت في الاديار المذكورة وفي غيرها من اديار الملكيين . يدل ذلك كله على ازدهار العلوم ووفرة المكتبات قديماً في الاديار المذكورة(٢) .

ثامناً : مكتبات السريان الارثوذكس في جبل لبنان

كان للسريان ايام عزهم مراكز خطيرة في لبنان اذ كانوا مستوطنين قرى كثيرة اخصها : بقوفا واهدن وبشري ولحفد وحردين وكفرحورا وبلدة جونية . وقد صرّح الادريسي وهو من فضلاء الكتبة المسلمين في القرن الثالث عشر للميلاد

---

(١) الطقوس السريانية الملكية ومكتبة بكركي البطريركية : للخوري اسحق ارملة : صفحة ١٧

(٢) الملكيون : بقلم الخوري اسحق ارملة : صفحة ١٠٤

بقوله : « ان جونية حصن على البحر واهله نصارى يعاقبة »(١) فأسسوا اديراً وكنائس وابرشيات عامرة ولاسيما دير الغوبة الذي اتخذه مفريانهم كرسياً له (٢) وشحنوها بالمخطوطات النفيسة التي صنفها ائمتهم وعلماؤهم المشاهير نذكر منهم : يحيى بن عدي وتلميذه ابن زرعة ويحيى بن جرير التكريتي والبطريرك ميخائيل الكبير وابا الفرج ابن العبري وغيرهم .

ومما يؤيد ان معاهد السريان في لبنان كانت حافلة بالمخطوطات ما رواه الاب ايرونيموس دنديني في رحلته الى لبنان سنة ١٥٩٦ قال : « اخبرني احدهم ان اليعاقبة ادخلوا الى لبنان ما يقارب خمسين الى ستين حمل بغل من كتبهم ما عدا كتب القداس والفرض الكنسي . فكانت هذه الكتب تحفظ في خزانة مقفولة يحرص عليها كل الحرص .

تاسعاً : مكتبات جبل لبنان العامة ومتاحفه

١ ـ مكتبة الامير بشير الكبير ومتحفه في قصر بتدين

شيّد قصر بتدين الفخم الامير بشير الثاني الشهابي الكبير الذي حكم جبل لبنان اثنتين وخمسين سنة (١٧٨٨ ـ ١٨٤٠) . فكان عصره عصر أمن وعدل ورخاء بين افراد الرعية على اختلاف الملل والنحل .

وملك الامير بشير مكتبة عامرة في ذلك القصر كما افادنا امين سرّه حنا بك الاسعد (+ ١٨٩٦) من آل صعب . فانه عرفها بنفسه وطالع فيها كثيراً ونسخ لها مجلدات شتى في التاريخ والشرع والادب . وقد بلغ حنا بك منتهى البراعة في الخط العربي حتى ضُرب المثل بتفوقه فيه (٤) .

---

(١) الادريسي : طبعة غلدميستر : صفحة ١٧

(٢) تاريخ المؤارنة للبطريرك اسطفان الدويهي : صفحة ١٣٩ و٤١٢ و٤٤١

(٣) رحلة دنديني : تعريب الخوري يوسف العمشيتي : صفحة ٧٢

(٤) الآداب العربية في القرن التاسع عشر : تاليف لويس شيخو : جزء ٢ صفحة ١٥٩

اما المكتبة فكان مركزها ملاصقاً للديوان الاميري على يمين الباب الخارجي من سراي بتدّين . وكان المتولي ادارتها كاتب اديب من دير القمر اسمه سلوان ابو نحوّل .

وعاش حول الامير بشير رهط من الادباء والفقهاء والشعراء نذكر منهم : السيد يوسف اسطفان (١٧٦١ - ١٨٢٢) . والمعلم الياس ادّه (١٧٤١-١٨٢٧) والمعلم نقولا الترك (١٧٦٣ - ١٨٢٨) والمعلم بطرس كرامة (١٧٧٤-١٨٥١) والشيخ ناصيف اليازجي (١٨٠٠-١٨٧١) . والدكتور ميخائيل مشاقة (١٨٠٠-١٨٨٨) . والكونت رُشيد الدحداح (١٨١٣ - ١٨٨٩) والشيخ امين بن يوسف الدحداح (+ ١٨٧٣) . والشيخ موسى بن ابرهيم الدحداح (+ ١٨٧٥) .

فكانوا يجالسون الامير وينادمونه ويشتغلون في ديوانه ويثقّفون انجاله ويصنفون الكتب . وكانوا يتناشدون الاشعار في بلاطه تناشد الشعراء في بلاط سيف الدولة الحمداني . هكذا أنعش اولئك العلماء النهضة الادبية في لبنان بتنشيط هذا الامير ومكارمه . وعززوا خزانة كتبه بمخطوطات نسخوها بايديهم او استنسخوها او جمعوها من اطراف البلاد .

غير ان تلك الخزانة الاميرية ما لبث ان تفرق شملها ودخلت في خبر كان بعد نفي منشئها عام ١٨٤٠ الى مالطة فالاستانة حيث ادركته المنون عام ١٨٥٠ . وقد روى لنا عيسى المعلوف انه شاهد في مكتبة الامير عباس كنج الشهابي في الشياح بضواحي بيروت مخطوطات كثيرة رجّح انها انتزعت من مكتبة الامير بشير في بتدين . وأيد ذلك بقوله انه قرأ اسماء نقولا الترك وبطرس كرامة وغيرهما على هوامش تلك المخطوطات . وشاهد بينها ايضاً نسخة كاملة من تاريخ « الغرر الحسان في اخبار ابناء الزمان » للامير حيدر الشهابي وعليها خطوط الامير حيدر نفسه .

ومن آثار مكتبة قصر بتدّين مجموعة خطّية تتضمن اشعاراً من نظم ميخائيل البحري والمعلم بطرس كرامة وقصائد للشيخ ناصيف اليازجي غير مطبوعة في

دواوينه . وهي محفوظة بحرص في مكتبة دير الشير للرهبان الملكيين الحلبيين .

وفي هذه الاعوام انصرفت الحكومة اللبنانية الى ترميم قصر بتدّين واعادته الى رونقه السابق . ثم قرّرت ان تنشىء فيه مكتبة حديثة ومتحفة اثرية تخليداً لذكر بانيه الامير الكبير . ولاجل تلك الغاية اخذت تجمع على يد أمين دار الآثار في بيروت ما تيسر من الكتب والمجلات التي تتحدث عن لبنان ورجاله لا في اللغة العربية فقط بل في سائر اللغات الشرقية والغربية . فهناك كتب التاريخ والجغرافيا والرحلات والآثار القديمة والسياسة والدين والاصطياف وغير ذلك من المواضيع المنوطة بهذا الجبل .

ومما جمعوه في سبيل مكتبة بتدين طائفة مهمة من الصكوك والحجج والوثائق الخطية التي يتصل عهدها بعهد الامير بشير في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . ولا يقل عددها عن الستة آلاف تدور ابحاثها حول شتى المواضيع التاريخية والحربية والادارية والمالية والقضائية والزراعية .

وفي مكتبة القصر مجموعة رسوم اثرية وصور قديمة تعد بالمئات تتعلق بلبنان وسوريا وتمثل ابدع ما فيهما من الحوادث التاريخية والمشاهد الطبيعية . وفي هذه المكتبة مجموعة خرائط قديمة لسوريا ولبنان يرجع تاريخ بعضها الى القرن السادس عشر . ذلك كله منظم في محافظ خاصة صيانة لها من بوائق الزمان .

وما عدا المكتبة المشار اليها ففي قصر بتدين متحف يشتمل على كثير من آثار الامير الشهابي الكبير وعلى آثار اسلافه او معاصريه . وينطوي كذلك على ما استعمله اللبنانيون في القرون الاخيرة من الاسلحة والالبسة وادوات المنازل وضروب الزينة وغير ذلك مما يجدر حفظه ويتوق السياح الى رؤيته والوقوف على اصله وفصله .

٢ ـ مكتبة جبران خليل جبران ومتحفه في بشري

جبران خليل جبران (١٨٨٣ ـ ١٩٣١) هو احد نوابغ اللبنانيين في القرن

العشرين عاش ومات في نيويرك بالولايات المتحدة الاميركية . ثم نُقل جثمانه الى لبنان ودُفن في ضريح أعدّ له بديرمار سركيس في سفح غابة الارز . وهذا الدير واقع بين الغابة المذكورة وبين بشري مسقط راسه(١) .

وخلّف جبران آثاراً معتبرة في الشعر والنثر والموسيقى والتصوير . واوصى بكل متروكاته لقصبة بشري في لبنان فأنشىء منها مكتبة ومتحف فريد في بابه غني بمواده يُعد من المتاحف الفردية في الديار الشرقية . وتتألف متروكات جبران : اولا من سبعمائة وواحد وثمانين كتابا بينها تآليفه في اللغتين العربية والانكليزية . ثانياً من نيف والف وخمسمائة تحفة فنية بعضها من صنع يديه .

وقد قرر المجلس البلدي في بشري تشييد بناء فخم في ساحة البلدة تُعرض فيه تلك التركة الادبيه عملاً بوصية جبران وتخليداً لذكره .

عاشراً : مكتبات طرابلس

١ ـ مكتبة الاباء اللعازريين

للاباء اللعازريين في طرابلس دير قديم العهد انشأوا فيه مكتبة توفّرت فيها الكتب التاريخية والادبية واللغوية والدينية . واخبرنا الاب الجليل يوسف علوان رئيس الدير المذكور ان عدد مجلدات هذه المكتبة ينوف على اربعة آلاف مجلد في اللغة العربية وبعض اللغات الافرنجية .

٢ ـ مكتبة نوفل نوفل

يُعتبر نوفل نوفل (١٨١١ ـ ١٨٨٧) من اركان النهضة الادبية في القرن

---

(١) راجع ترجمة جبران خليل جبران في مجلة « الهلال » المصرية : مجلد ٣٩ سنه ١٩٣١ صفحة ٩٧٤ ـ ٩٧٦

التاسع عشر . خلف كثيراً من المؤلفات والرسائل والمقالات معظم مواضيعها مبتكر لم يسبقه احد الى مثله في اللغة العربية . وجمع في مسقط رأسه طرابلس خزانة كتب نفيسة في العلم والادب والتاريخ والفنون من مخطوط ومطبوع . ولما دنا أجله اوقفها على مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت لفائدة طلبتها فخلّد بذلك لنفسه تذكاراً حياً على ممرّ الايام(١) .

ولنسيبه عبدالله بك نوفل (+ ١٩٤٤) مؤلف كتاب « تراجم علماء طرابلس وادبائها » خزانة عامرة بالمؤلفات الكثيرة لم نرَ بداً من الاشارة اليها . وكان عبدالله نوفل عضواً في مجلس النوّاب اللبناني.

٣ ـ مكتبة نقولا منصور

كان نقولا منصور (١٨٣٢ ـ ١٨٩٧) متضلعاً من علوم اللغة العربية وبعض اللغات الاوروبية . تولى رئاسة المدرسة الوطنية الارثذكسية بطرابلس ثم وكالة رئاسة مدرسة كفتين . وكان بنوع خاص كلفاً بجمع نفائس الكتب فنسخ بخطه جملة صالحة منها . وابتاع كتباً مفيدة فملأ مكتبة عامرة (٢) .

٤ ـ مكتبة اسكندر كاتسفليس

نشأ اسكندر كاتسفليس (١٨٣٧ ـ ١٨٩٦) في طرابلس وكان على جانب عظيم من الثقافة والوجاهة والاحسان . واطلق عليه القوم لقب « دائرة معارف حية » لما تزين به من الاخلاق العالية والمدارك الواسعة . وامتدحه شعراء عصره بالقصائد الرائعة وهي لو جمعت لتألف منها ديوان كبير الحجم . وكان مولعاً بجمع المخطوطات ونفائس الكتب فاقتنى منها خزانة معتبرة قلّ نظيرها في عهده .

---

(١) تراجم مشاهير الشرق : مجلد ٢ صفحة ١٥٢ — ١٥٤ (٢) تراجم علماء طرابلس وادبائها بقلم عبد الله بك نوفل : صفحة ١٤٠ — ١٤١

وكان من عادته انه كلما طالع كتابا علّق عليه الحواشي واختار من طرفه وفوائده ما يروقه فيكتبه بخطه اللطيف . وجمع من هذه الخرائد عشرات المجلدات محفوظة عند بكر انجاله جورج في الاسكندرية (١) .

٥ ـ مكتبة جرجي يني

قضى جرجي يـنّي (١٨٥٦ ـ ١٩٤١) حياته المديدة بين الاقلام والمحابر دارساً ومعرّباً ومؤلفاً . تلقى العلوم في « المدرسة الوطنية » للمعلم بطرس البستـــاني ببيروت . وبعد اعلان الدستور في السلطنة العثمانية اخذ ينشر مجلته « المباحث » نحو ثلاثين عاماً (١٩٠٨ ـ ١٩٣٦) ولم يكف عن نشرها حتى أعيته الشيخوخة . ونظراً الى وفرة ادبه احصاه المجمع العلمي العربي بدمشق بين اعضائه . ومن اشهر مؤلفاته « تاريخ سوريا » الذي يُعد مرجعاً اميناً لارباب البحث .

أولع جرجي يني بمحبة الكتب فانشأ سنة ١٨٧٥ خزانة حوت اربعـة آلاف مجلد ونيفاً في شتى العلوم عدا المجلات والكراريس . وغلبت فيها كتب التاريخ لان صاحبها كان يُعد من اساطين هذا الفن ونوابغه . وضم اليها من المخطوطـات ما لا ينقص عن مائة مجلد كلها عربية .

حادي عشر : مكتبات صيدا

١ ـ مكتبة مدرسة الفنون الاميركية

تأسست هذه المدرسة عام ١٨٨٠ بتقرير أصدره المجمع الاميركي الاعـــلى في الولايات المتحدة الاميركية وعُهدت رئاستها الى القس وليم ادي . وبتوالي الزمان

---

(١) تراجم علماء طرابلس وادبائها : صفحة ١٤٩ ـــ ١٥٠ .

أنشئت فيها مكتبة يختلف اليها الخاص والعـــام من طلاب العلم بغية المطالعة والاستفادة . وقد احتوت على طائفة من المؤلفات الاساسية عربية وافرنجية مما لا يستغني عنه رُوّام البحث وروّاد الادب . ولا تخلو المكتبة من مجلات علميـة وجرائد متنوعة يطالعها غير واحد من القراء (١) .

٢ ـ غرف القراءة

لاساتذة مدرسة الفنون الاميركية وتلامذتها في صيدا جمعية تسمى « جمعيـة الخدمة الوطنية الانجيلية » أنشئت عام ١٩٠٢ ضمن مدرسة الفنون المشار اليهـا . وغايتها مراقبة غرَف القراءة وترقيتها وتعميم فوائدها . وقد شيّدت لهـا بناية لطيفة مما جمعه اصدقاء القس وليم ادي اقراراً بصنيعه . فجاءت تلـك البناية اثراً مبروراً خلّد ذكرى هذا الرجل الاميركي الفاضل .

واشتملت غرف القراءة على طائفة صالحة من الكتب والمجـلات والصحف السيّارة شرقية وغربية . وابوابها مفتوحة لمن شاء المطالعة في جميع ايام الاسبوع ما عدا يوم الاحد(٢) .

---

(١) تاريخ صيدا : لاحمد عارف الزين : صفحة ١١٧ — ١٢٠

(٢) تاريخ صيدا : لاحمد عارف الزين : صفحة ١٢٤

الفصل الثاني

خزائن كتب سوريا

اولا : مكتبات دمشق

لحاضرة دمشق شأن عند نصارى الشرق لانها مركز بعض رئاساتهم الدينية العليا كالبطريركيتين الانطاكيتين للروم الارثذكس والروم الكاثوليك . وكانت ايضاً كرسياً لبعض بطاركة السريان منذ السنة ١٢٩٣ حتى السنة ١٤٤٥ للميلاد(١) وهي في الوقت ذاته كرسي مطرانية لملل مسيحية اخرى . وعليه فلا عجب اذا كانت تلك المراكز الدينية قد احتوت منذ اقدم الازمنة على خزائن مخطوطات اسوة بنظائرها في سائر البلدان . ومن اهم تلك الخزائن نذكر ما يلي :

١ ـ مكتبة البطريركية الارثوذكسية

من أشهر المكتبات النصرانية بدمشق مما ورد ذكره في التاريخ مكتبة اقتناها البطريرك افتيموس كرمة (١٦٣٤ ـ ١٦٣٥) . فانه الحقها بالكنيسة المريمية الكبرى ونقل اليها من حلب معظم مكتبته الثمينة لانه تولى مطرانية تلك المدينة حقبة غير قصيرة . وقد جمع بين يديه نسّاخين ومعرّبين واشتغل هو بتنقيح الكتب الطقسية وترجمتها من اللغتين السريانية واليونانية الى العربية(٢) . ثم زاد عليها كثيراً خلفه البطريرك مكاريوس الثالث (١٦٤٧ ـ

---

(١) الزهرة الزكية للخوري اسحق ارملة : صفحة ٧٥

(٢) الملكيون : بقلم الخوري اسحق ارملة : صفحة ٦٨ — ٦٩

١٦٧٢) ابن الزعيم وعززها كسالفه بالنسّاخ والمترجمين . وكان هـذا البطريرك وولده الارخدياقون بولس يشتغلان بالتأليف وجمع الكتب القديمة ونساختها . ومما يؤثر عن بولس المشار اليه تفوّقه بالخط الانيق . واشتملت المكتبة المريمية على نحو اربعمائة مجلد مخطوط بعضها على رقّ غزال . وفي ٢٨ حزيران ١٨٦٠ حلّت بالكنيسة المريميّة بدمشق تلك النكبة العظيمة اذ اضرمت فيها النيران واحترقت معها الكنوز الفضية والذهبية وجميع المخطوطات النفيسة (١) .

وظلت هذه المكتبة طيّ الاهمال حتى قام البطريرك ملاتيوس الثاني دوماني (١٨٩٩ - ١٩٠٦) فأمر بتجديدها وتنسيقها . ولم يكن خلفه غريغوريوس الرابع (١٩٠٦ - ١٩٢٨) اقلّ منه عناية بجمع المخطوطات دينية وادبية وتاريخية (٢) . وقد اهدى هذا البطريرك طائفة من المخطوطات الثمينة الى مكتبة المجمع العلمي العربي بدمشق . ثم نقل طائفة اخرى منها الى المكتبة القيصرية في بطرسبرج عندما ارتحل سنة ١٩١٣ الى روسيا (٣) . وذلك في فرصة اليوبيل القرني الثالث (١٦١٣ - ١٩١٣) لارتقاء آل رومانوف الى العرش الامبراطوري الروسي . وبعد ذلك نُقلت تلك المخطوطات من المكتبة القيصرية الى خزانة مخطوطات المتحف الاسيوي في عاصمة روسيا . وقد وضع لها المستشرق اغناطيوس كراتشقوفسكي فهرساً خاصاً سنة ١٩٢٤ نوّه به في مقالته لكتبة النصرانية في المكاتب البطرسبرجية (٤) .

وممن أهدى خزانة كتبه المخطوطة الى المكتبة البطريركية الارثوذكسية في دمشق نذكر : البطريرك غريغوريوس المشار اليه . والمطران مكاريوس سمان .

---

(١) كنائس دمشق والمريمية : بقلم عيسى المعلوف (مجلة الرسالة المخلصية : مجلد ٧ سنة ١٩٤٠ صفحة ٤١٠ — ٤١٣) (٢) مجلة الآثار : مجلد ٣ سنة ١٩١٣ صفحة ٤٣٧

(٣) الاسر العربية المشتهرة بالطب العربي : تأليف عيسى المعلوف : صفحة ٣١

(٤) المشرق : مجلد ٢٣ سنة ١٩٢٥ صفحة ٦٧٤

وديمتري شحاده الصبّاغ وكيل البطريركية الانطاكية في الاستانة . وقد حوت مكتبة ديمتري طبقاً لرواية عيسى المعلوف ستمائة مخطوط ونيفاً .

٢ ــ مكتبة البطريركية الكاثوليكية

للبحاثة النشيط حبيب زيات نظرات صائبة وآراء سديدة في ما يتعلق بتواريخ ملة الروم الملكيين التي اليها ينتمي . فانه لما اتى على ذكر مكتبة الكرسي الانطاكي الملكي الكاثوليكي أثبت انه كان له منذ عهد استقلاله مكتبة حافلة بالمصنفات الخطية . وقد تلفت برمتها في حريق سنة ١٨٦٠ وتلف معها السجل البطريركي كله . ومن ذاك الحين أهمل امر المكتبة لما كانت عليه احوال البطريركية من الاضطراب الناشىء عن اتّباع الحساب الغريغوري واعتزال البطريرك اكليمنضوس بحّوث منصب البطريركية .

واستتلى حبيب زيات منوّهاً باهمال ارباب الدار البطريركية تجديد المكتبة وتهاونهم بكل ما كان حرياً ان يسد جانباً من ثلمتها . هكذا جرى عندما توفي السيد مكاريوس حداد مطران القلاية الانطاكية . فانهم عوضاً عن ان يبادروا الى احراز كتبه ومخطوطاته ويجعلوها نواةً لمكتبة جديدة ثم يضمون اليها بالتوالي كل ما يقع لهم من قبيلها لم يكترثوا لها على الاطلاق . بل غادروها قنصاً لكل صائد فتبعثرت وتقاسمتها الاطماع . وعلى هذا النحو ايضاً ضاع اكثر كتب النائب البطريركي المطران بولس مسديّة ولم يسلم الا ما صعب حمله او قلت فائدته . وفقد من اوراقه ومخطوطاته ومحفوظاته ومحفوظات سلفه مكاريوس حداد كل ما له شأن وقيمة . ولو صار الانتباه في حينه الى جمع خزانتَي هذين المطرانين صيانة لهما من الضياع لتألفت من مجموعهما مكتبة لائقة بالمقام البطريركي(١) .

---

(١) خزائن الكتب في دمشق وضواحيها : صفحة ٩٢ ـ ٩٥

وعلى رغم ما سبق شرحه فان هذه المكتبة لا تخلو من مخطوطات حديثة عدّد بعضها الاب لويس شيخو في كتابه « المخطوطات العربية لكتبة النصرانيـة » . نذكر منها : تاريخ الروم للبطريرك مكاريوس ابن الزعيم وللخوري يوسف المصوّر وكتاب منارة الاقداس وكتاب الاصول المنطقية للخوري يواكيم المطران . وكتاب حسر اللثـــام عن الاسلام لرزق الله حسون . وكتاب السلسلة الذهبية لكرلس الحداد . وكتاب روضة الزهور للبطريرك مكسيموش مظلوم وغيرها(١) .

٣ ـ مكتبة المطرانية السريانية

ان النكبة الاليمة التي حـلّت بالمكتبتين البطريركيتين كما سلف القول حلت في التاريخ ذاته بمكتبة مطرانية السريان الكاثوليك . فاضرمت فيها النيران وُمحقت جميع المخطوطات الثمينة التي جمعها البطاركة والمطارنة السريان منذ قرون عديدة . وبلغ عدد مجلداتها يوم الحريق ثلاثمائة واثنين وخمسين مخطوطاً بينها رقوق قديمة نادرة فضلاً عن الكتب المطبوعة .

وقد اطّلعنا في مجموعة رسائل تاريخية عنوانها « العقد الثمين في رسائل الآباء الى البنين » على رسالة كتبها بيده السيد غريغوريوس يعقوب حليـاني مطران دمشق على السريان ووجهها بتاريخ ٢٦ تشرين الثاني ١٨٦٠ الى صديقـه الكنت نصرالله دي طرّازي في بيروت عدّد فيهـــا ما لحق بمكتبته من الخسائر الجسيمة العلمية والمادية . وقد قُدرت قيمتها حين ذاك بثلاثة آلاف وثمانمائة وعشرين ليرة عثمانية ذهبية . وخصّ بالذكر من تلك المخطوطات انجيلاً مكتوبا على رق الغزال يرتقي عهد نساخته الى القرن الرابع للميلاد(٢) .

ولما تولى المطران العلامة اقليميس يوسف داود مطرانية دمشق السريانيـة

---

(١) المخطوطات العربية لكتبة النصرانية : صفحة ٢٣٦ ـ ٢٤١

(٢) العقد الثمين في رسائل الاباء الى البنين : مجلد ٤

(١٨٧٩ - ١٨٩٠) جدّد مكتبتها التي نُكبت بالحريق كما سلف الكلام . فوجّه اليها التفاتاً خاصاً وأغناها باسفار يعز وجود مثلها لما حوته من الكتب الخطية النادرة المتعلقة بالمشرق(١) . وخصص في وصيته الاخيرة قسماً من مكتبته بمدرسة نشر الايمان في رومية وبدير الشرفة في لبنان وببعض اصدقائه(٢) .

ثانياً : مكتبات ضواحي دمشق

١ - مكتبة صيدنايا

صيدنايا قرية من قرى جبل القلمون تقع في الشمال الشرقي من دمشق . فكان المسيحيون على اختلاف نحلهم وتباين عقائدهم يحجونها من الشرق والغرب تيمناً بزيارة كنيستها الكبرى ذات المعجزات والخوارق . ومنذ عهد الصليبيين نرى كتّاب الافرنج وروّادهم وحجاجهم يسهبون في الكلام عن صيدنايا سواء كان في اخبار رحلاتهم او ابحاثهم التاريخية . ولم يتفرّد المسيحيون بذلك بل وصفها ايضاً بعض المؤرخين المسلمين كياقوت الحموي وشهاب الدين العمري وغيرهما . واذا ضربنا صفحاً عن محاسن صيدنايا الطبيعية وآثار ابنيتها القديمة فلا نرى بداً من الاشارة بوجيز العبارة الى خزائن كتبها التي طبّق صيتها الآفاق وملأ ذكرها الافواه والاسماع .

أجمع المؤرخون على ان دير السيدة في صيدنايا كان حافلاً بالنذور والتقادم والتحف والمخطوطات المحبوسة عليه منذ مئات من السنين . وكانت مستودعاته مملوءة بتلك الهدايا النفيسة لكثرة من تردد اليه من الزوّار الغادين والرائحين . وكانت مخطوطات ذلك الدير عربية وسريانية ويونانية تتناول مواضيعها الدين

---

(١) تراجم مشاهير الشرق : تأليف جرجي زيدان : جزء ٢ صفحة ٢٠٠

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية : مجلد ٤ صفحة ١٣٣

والتاريخ والأدب والطب وغير ذلك من العلوم . وكان في هـذه المخطوطات الموقوفة كتابات وتعاليق لبعض البطاركة والمطارنة موقعة باسمائهم يجدر ان تصوّر وتنشر لِما في اذاعتها من الفوائد التاريخية(١) .

غير ان رؤساء هذا الدير عمدوا الى احراق جميع المخطوطات والرقوق السريانية الوافرة وبينها النادر والنفيس في ايام الحاجة كاترينا مبيّض (١٨٣٤ – ١٨٥١) رئيسة الدير المذكور . وحجّتهم في ذلك ان لا يدعوا وسيلة للسريان اليعاقبة ان يدّعوا بحق تملك الدير او كنيسته .

فأجمع رأي رؤساء الدير ووكلائه على اخراج تلـك المخطوطات من الخزائن واتلافها تخلصاً من شرها . فجمعوها ومعظمها من نفائس الكتب المخطوطة عـلى رق الغزال وبدأوا يحرقونها تحت قناطر الدير . ثم كرهوا ان تذهب نارها ضياعاً فجعلوها في الفرن لتكون وقوداً بدلاً من الحطب وخبزوا عليها خبزتين(٢) .

وقد زار هذا الدير رهطٌ من علماء الشرق وائمته . نكتفي منهم بذكر العلامة يوسف سمعان السمعاني الذي اقتنى هناك بعض المخطوطات في شهر تشرين الاول سنة ١٧١٥ في زمن البطريرك كيرلس الزعيم . ومنهم ايضاً القس جبرائيل فرحات(٣) زاره مرتين في السنة ١٦٩٤ والسنة ١٧١٩ . وانشد فيه ابياتاً هذا مطلعها :

رعى الله ديراً كنت فيـــه مسلما على من عليها قبل جبريل سلّما

٢ ـ مكتبات اديار معلولا

في جوار صيدنايا قرية « معلولا » التي تُعدّ من امنع القرى موقعاً واغربها شكلاً واقدمها آثاراً . في هذه القرية اديار كثيرة اهمها في الزمان الحاضر دير كبير للروم الارثذكس على اسم القديسة تقلا . وقد سمّاه الشيخ عبد الغني النابلسي في

---

(١) خبايا الزوايا من تاريخ صيدنايا : صفحة ٦٩ (٢) خزائن الكتب في دمشق وضواحيها صفحة ١١٧ (٣) صار مطراناً على حلب باسم جرمانوس فرحات

رحلته « المرتقله » ووصف مقام القديسة بما يأتي : « وهي مغارة في نصف الجبل والماء يقطر من اعلاها الى اسفلها في اماكن متعددة منها » .

وكانت ديورة « معلولة » مشحونة بخزائن المخطوطات القديمة كما شهد بذلك بعض السيّاح وعلماء الاستشراق . وقد وصفها بعضهم كالفرنسي برتون سنة ١٨٧٢ والاميركي فردريك بلس سنة ١٨٩٠ والجرماني فن كسترن الذي نشر سنة ١٨٩٠ مقالة في مجلة « الكنيسة الكاثوليكية » ببيروت جاء فيها : « وكان في معلولا مخطوطات فاشترى الانكليز بعضها واحرق غيرها(١) » . ويؤيد ذلك ما رواه احد ثقاة المؤرخين حبيب زيات الدمشقي قال :

« اخبرني الشماس زخريا شحوره في دير القديسة تقلا للروم الارثذكس في زيارتي التانية لمعلولا مع الاب باريزو نقلاً عن بعض شيوخ القرية انه كان عندهم قبلاً في الدير المذكور وكنيسة مار الياس عدة كتب احرقها احد اساقفتهم ولم يذكره لي . امر باعدام هذه المخطوطات للغاية نفسها التي أحرقت من اجلها مخطوطات صيدنايا على ما تقدم شرحه(٢) » .

وللاب لويس شيخو « رحلة الى طرف بادية تدمر » اتى فيها على ذكر تلك المخطوطات قال : « وكانت معلولا غنية بمثل تلك المخطوطات . وفي خزائن كتب اوروبة ما يشهد على ذلك . فان فيها تآليف ... كُتبت في معلولا في ازمنة متباينة بين القرن العاشر والسابع عشر . وصف بعضها العلامة ادورد ساخو سنة ١٨٩٩ في مجلة برلين العلمية . وكان عدد وافر من هذه المخطوطات في معلولا قبل نصف قرن كما اكد لنا ذلك بعض كهنة معلولا ... (٣) » .

وقد زار فريق من علماء المشرقيات قرية معلولا للبحث عن كنوزها الكتابية منذ السنة ١٨٦٣ وكتبوا عنها الكتابات الضافية . وتتابعوا على ذلك الى ان

---

(١) الكنيسة الكاثوليكية : مجلد ٣ سنة ١٨٩٠ صفحة ٥٨١

(٢) خزائن الكتب في دمشق وضواحيها : صفحة ١٦٠ في الحاشية

(٣) المشرق : مجلد ٩ سنة ١٩٠٦ صفحة ١٠٤٧

ندبت الحكومة الفرنسية سنة ١٨٩٦ الاب يوحنـــا باريزو من علماء الرهبان البندكتيين لمثل هـذه المهمة . فقدم سوريا في اوائل تشرين الاول من السنة المذكورة وبقي فيها اشهراً زار في خلالها معلولا . ونشر كتاباً استقصى فيه كل ما وقف عليه من شؤونها وانبائها ومخطوطاتها وما ورد في كتابات المؤلفين عنها(١)

وممن زار معلولا ايضاً في الاعوام الاخيرة المستشرق « رايخ » النمسوي للغاية نفسها . وفي السنة ١٩٣٦ جاءت بعثة من المستشرقين الفرنسيين الى معلولا وما جاورها من القرى فقضوا هناك بضعة اشهر يدرسون ويبحثون(٢) بغيـة العثور على آثارها وماضي تاريخها .

٣ـ مكتبة مطرانية الروم الكاثوليك في يبرود

انشأها المطران غريغوريوس عطا وضم اليها كل ما عثر عليه من الكتب العربية التي تدور ابحاثها حول الشرق المسيحي . وبعد وفاته سنة ١٨٩٩ تبعثرت موجوداتها ولم يبقَ فيها سوى ما لا يُحفل به من المطبوعات . اما المخطوطات وعددها قليل فمعظمها في اللاهوت والتاريخ والطقسيات الكنسية وما شاكلها . بينهـا بعض مخطوطات سريانية كان يستعملها الروم الملكيون بكنائسهم في العصور الغابرة . وقد وضع الاب يوسف نصرالله فهرساً باللغة الفرنسية وصف فيه مخطوطات هذه المكتبة وتكرم علينا بنسخته الخطية . فتصفحناه قبل نشره في مجلة معهد الكتاب المقدس بعاصمة الكثلكة . وقد صدر هذا الفهرس مطبوعاً سنة ١٩٤٠ في ٣١ صفحة تشتمل على وصف ٣٢ مخطوطاً وتتناول المواضيع الآتية : الشرع الكنسي والطقسيات واللاهوت وغيرها (٣) .

---

(١) خزائن الكتب في دمشق وضواحيها بقلم حبيب الزيات صفحة ١٢١ — ١٢٢

(٢) مجلة « الحب والسلام » في حمص : مجلد ١ سنه ١٩٣٦ صفحة ١٥١ في الحاشية

(3) Manucrits Melkites De Yabroud, Par Joseph Nasrallah, Pages 83 - 113

وللمؤرخ البحاثة حبيب زيات نقد مرّ عن مكتبة يبرود وعن منشئها نجتزىء منه بما يلي : « وانما حداني الى زيارة يبرود رغبتي في الوقوف على مكتبة المطران غريغوريوس عطا ووصف ما كنت اقدر وجوده فيها من المصنفات والمجاميع الخطية في العربية والسريانية التي كانت ابرشيته ملأى بامثالها حين تسقيفه عليها . ولا تزال بقاياها اليسيرة توجد المرة بعد المرة في معلولا وقارة خاصةً مع كل ما أحرزه السياح والزوّار منها . او التهمته افواه النار وعبثت به ايدي الضياع . ولم اكن اعلم وقتئذ انه باع كل ما وقع اليه منها طمعاً في الانتفاع بقيمتها ...(١) » .

ثالثاً : مكاتب حمص

للنصارى في حمص بعض مكاتب جمعها رؤساء الدين اليك اهمها :

١ ـ مكتبة السريان الارثوذكس

للسريان مركز اسقفي قديم في مدينة حمص . وقد بذل اساقفتهم كل جهد في جمع خزانة معتبرة حوت مخطوطات ومطبوعات شتى لو لم تلعب بها الايدي لأحصيت في عداد احسن مكاتب تلك الناحية . وبين تلك المخطوطات القديمة الثمينة كتاب العهد الجديد منسوخ على رق الغزال قد بيع بعد الحرب العظمى بمبلغ لا يقل عن الاربعمائة والخمسين ليرة عثمانية ذهبية . ولما تولى بطريركية السريان مار اغناطيوس افرام الاول برصوم جعل سكناه في حمص وعزز المكتبة المشار اليها . وقد ضمّ اليها ما أمكن انقاذه من مخطوطات دير الزعفران الذي احتلّه الاتراك منذ الحرب العظمى الاولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) . وتُعد هذه المكتبة من اغنى الخزائن الخاصة في الشرق وانفسها بما احتوته من الكنوز العلمية في كل فن ومطلب .

---

(١) خزائن الكتب في دمشق وضواحيها : صفحة ١٧٨

٢ ـ مكتبة مطرانية الروم الارثذكس

هي مكتبة قديمة لا تقل اهميتها عن المكتبة السابقة الذكر . وقد عزّزها المطران اثناسيوس عطاالله وانفق عليها مالاً وافراً . وبلغ عدد مجلداتها لدى وفاته سنة ١٩٢٣ الفاً وستمائة مجلد بينها مخطوطات تاريخية وادبية ودينية . لكن جانباً منها تضعضع على ما نمي الينا كما تضعضعت قبلها مخطوطات مكتبة بيعة الاربعين شهيداً (١) .

٣ ـ مكتبة الاباء اليسوعيين

تأسست عام ١٨٩٠ وكانت تنطوي على الفي مجلد نُهب اغلبها اثناء الحرب العظمى (١٩١٤ - ١٩١٨) ثم جددت كسابق عهدها بهمة الآباء المشار اليهم .

٤ ـ مكتبة السريان الكاثوليك

هي مكتبة حديثة انشأها المطران ثئوفيلس يوسف رباني على اثر تشييده الدار الاسقفية الجديدة عام ١٩٣٥ في حمص . وضمنها ما لا غنى عنه من الكتب الدينية والعلمية لفائدة كهنة ابرشيته . ويلحق بهذه المكتبة خزانة مخطوطات حفظت منذ قديم الزمان في دير مار موسى الحبشي بمدينة النبك . وكانت تلك المخطوطات اوفر عدداً لعبت ببعضها ايدي الضياع على تمادي السنين ونُقل بعضها عام ١٩١٠ الى الخزانة البطريركية ببيروت . اما ما تبقى منها فقد وضع له الخورفسقفوس اسحق ارملة سنة ١٩٣٢ فهرساً خصوصياً مستوفى(٢) .

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية : مجلد ٤ صفحة ١٣٨

(٢) ارشاد الاعارب الى تنسيق الكتب في المكاتب : لفيليب دي طرازي : صفحة ١٨

رابعاً : مكتبة دير مار مارون بناحية افاميا

ورد ذكر هذه المكتبة القديمة العهد في مخطوطة المتحف البريطاني بلندن الموسومة بالرقم ٥٧٢ وهي منسوخة في السنة ٥٨١ للميلاد على هذه الصورة : « دخل هذا الكتاب الى مكتبة دير مار مارون سنة ٧٤٥ للميلاد في عهد جرجي رئيس الدير واثناس ناظر المكتبة والرهبان سرجيس وقزما وزكريا(١) » .

ولا يخفى ان دير مار مارون هذا يُعدّ من الاديار الاولية في سوريا . وقد اجتمع فيه ايام عزه ثمانمائة راهب(٢) . وكان اولئك الرهبان يقضون اوقاتهم بالعبادة والفلاحة والحياكة . وانصرف فريق منهم الى الدرس والتأليف ونساخة الكتب التي تجمع منها في خزائنهم ما لا يحصى عدده . ووصفه المسعودي بقوله : « هو بنيان عظيم حوله اكثر من ثلاثمائة صومعة فيها رهبان . وكان فيه من آلات الذهب والفضة والجواهر شيء عظيم . فخرب هذا الدير وما حوله من الصوامع بتواتر الفتن (٣) » .

اما موقع الدير فقد حدده المسعودي عينه بقوله : « انه شرقي شيزر قرب نهر الأرنط (اي نهر العاصي) . وشيزر هذه هي في نصف الطريق بين حماة وافاميا(٤) » اما افاميا فهي مدينة قديمة اسسها سلوقس نيقاطور خليفة الاسكندر المقدوني . وجعلها في مقام اكبر مدن سوريا الغربية . وهي واقعة على مسافة خمسين كيلومتراً شمال حماة الغربي عند ضفة العاصي الشرقية مجاورة لقلعة المضيق .

---

(١) مخطوطة سريانية في المتحف البريطاني : رقم ٥٧٢

(٢) المشرق : مجلد ٦ سنة ١٩٠٣ صفحة ١١٨

(٣) كتاب التنبيه للمسعودي : صفحة ١٩٣

(٤) كتاب التنبيه : للمسعودي : صفحة ١٦٣

خامساً : مكتبات حلب

١ ـ المكتبة المارونية

في طليعة المكتبات المسيحية بحلب نذكر المكتبة المارونية التي أسسها السيد جرمانس فرحات مطران حلب في اوائل القرن الثامن عشر . وهي محفوظة الى اليوم بعناية خلفائه ثم زادوا عليها كتباً جمّة ووضعوا لها الفهارس . وتحتوي على خمسة آلاف مجلد بينها الف وخمسمائة وعشرة مخطوطات وصف جانباً منها الخوري ابرهيم حرفوش والخوري جرجس منش والاستاذ عيسى المعلوف . وقد ابتاع مؤسس هذه المكتبة كثيراً من نفائس المخطوطات العربية اثناء جولاته وضمها اليها .

وعلى اثر وفاة الخوري جرجس منش المذكور ضمت مخطوطات مكتبته ومطبوعاتها الوافرة الى المكتبة المارونية التي تولّى مراقبتها اعواماً كثيرة .

وما عدا المخطوطات النفيسة فقد اشتملت هذه المكتبة على مطبوعات اوروبية قديمة . وكان معظمها يخص الرهبنة اليسوعية قبل الغائها عام ١٧٧٣ فتضعضعت وتشتت شملها . فسعى مطارنة حلب الموارنة لاقتنائها وجمعها لئلا تعبث بها ايدي من لا يعرف قيمتها . وتشاهد على اكثرها هذه العبارة مكتوبة في صدرها وهي : « مكتبة دير الآباء اليسوعيين في حلب (١) » .

وتُعدّ المكتبة المارونية في حلب من اغنى المكتبات النصرانية بمخطوطاتها . ومن أهمها « شرح مقامات الحريري » للمطرّزي . وكتاب « دمية القصر في تراجم أدباء العصر » للباخرزي . وديوان « سيف الدين علي بن قزل » وكتاب « مفتاح الرحمة وكنز النعمة » في الكيمياء . وكتاب « أدب القضاة » لحسام الدين الشعراني . وكتاب « تاج المداخل » لمحمد الشريفي في الفلكيات . وكتاب

---

(١) المشرق : مجلد ١٩ سنة ١٩٢١ صفحة ٧٥٥ ـ ٧٥٦

« نزهة العيون » المعروف بمباهج الفِكَر في مناهج العِبَر لجمال الدين الورّاق المشهور بالوطواط (١) .

٢ ـ مكتبتا الروم الارثذكس والروم الكاثوليك

أصيبت مكتبتا مطرانيتَي الروم الارثذكس والروم الكاثوليك في حلب بحريق هائل اثناء فتنة السنة ١٨٥٠ فاتلفها كلتيهما تقريباً . ثم جددهما المطارنة واهل الفضل فاضافوا الى بقايا مخطوطاتهما القديمة كثيراً من الكتب المطبوعة عربية وافرنجية . واذا حصرنا الكلام عن مخطوطات هاتين المكتبتين قلنا ان مكتبة الروم الارثذكس تشتمل على اكثر من ستمائة مجلد اغلبها مخطوط (٢) . اما مكتبة الروم الكاثوليك فتحوي مائتين واثني عشر مخطوطاً (٣) .

مكتبة السريان الكاثوليك

يتصل عهد هذه المكتبة بالبطريرك اغناطيوس بيلاطس (١٥٩١ ـ ١٥٩٧) الذي اتخذ حلب مركزاً له وفيها قضى نحبه . ثم عزّزها البطاركة والمطارنة من بعده . ومن جملة ذخائرها الثمينة مصحف اناجيل نُسخ على رق الغزال منذ القرن الحادي عشر للميلاد في جزيرة قبرس . وكان مزداناً بنقوش بديعة ومكتوباً بحروف كلها من ذهب وفضة بما لا يوصف من سلامة الذوق وبداعة الخط (٤) .

وعلى اثر احتراق هذه المكتبة عام ١٨٥٠ مع المكتبتَين السابق ذكرهما سمعنا من فم البطريرك اغناطيوس جرجس الخامس (شلحت) (١٨٧٤ ـ ١٨٩١) ان

---

(١) اطرب الشعر واطيب النثر : للاب لويس شيخو : قسم ٢ صفحة ١٩٤

(٢) مجلة النعمة بدمشق : مجلد ٢ صفحة ٤٠٧

(٣) تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان : مجلد ٤ صفحة ١٣٥

(٤) الآثار الخطية : للاب انطون رباط اليسوعي : مجلد ١ صفحة ٣٨٩

بعض اوراق هذا الانجيل افلتت من الحريق فبيعت بمبلغ خمس وستين ليرة عثمانية ذهبية . وكانت على وجه البطريرك علائم التأثر الشديد عندما وصف لنا هذا الاثر الثمين والنادر الوجود(١) .

وقد وصف جرجي زيدان هذه المكتبة بقوله(٢) : « كانت من اجلّ المكتبات فأصابها الحريق سنة ١٨٥٠ فذهب بكثير من مخطوطاتها السريانية والعربيـــة واللاتينية واليونانية » .

ومن الذخائر النفيسة التي اتلفها الحريق المذكور انجيل مخطوط مصفّح بالفضة وموشّى برسوم ذهبية وقفه الياس طرازي (١٨١٢ - ١٨٥١) لكنيسة السريان بحلب (٣) .

ولما عُهدت مطرانية حلب عام ١٨٦٢ الى السيد جرجس شلحت المشار اليـه جدّد مكتبتها فجمع فيها عدداً وافراً من الكتب المخطوطة والمطبوعـة(٤) . في جملتها مجموعة آباء الكنيسة للاب مين (١٨٠٠ - ١٨٧٥) تتألف من ٣٧٢ مجلداً . اما مخطوطاتها فقد احصاها الخورفسقفوس اسحق ارملة سنة ١٩٢٧ فبلغت ثلاثمائة وستة واربعين مخطوطاً . ونظم لها فهرساً علمياً خاصاً . ومن جملة نفائسها كتاب « خواص الحيوان » لابن ابي حوافر الطبيب(٥) . وكتاب « طقس الملكيين » باللغة السريانية يرتقي عهد نساخته الى القرن الرابع عشر للميلاد . و « رحلة اول سائح الى البلاد الاميركية . منذ السنة ١٦٦٨ حتى السنة ١٦٨٣ » وهو القسيس الياس ابن القسيس حنا الموصلي الكلداني(٦) .

---

(١) السلاسل التاريخية في اساقفة الابرشيات السريانية : صفحة ١٠٨ (٢) تاريخ آداب اللغة العربية : لجرجي زيـدان : مجلد ٤ صفحة ١٣٦ (٣) وثائق خطية في علائق آل طرازي بالملة السريانية : صفحة ٨٨ (٤) السلاسل التاريخية في اساقفة الابرشيات السريانية : صفحة ٢٦٣ (٥) الاسر العربية المشتهرة في الطب العربي : بقلم عيسى المعلوف : صفحة ٥٤
(٦) المشرق : مجلد ٨ سنة ١٩٠٥ صفحة ٨٢١ فصاعدا .

٤ ـ خزانة المقدسي نصرالله طرازي (١٧٥١ ـ ١٨٠٨)

عاش المقدسي نصرالله طرّازي ٥٧ سنة قضى معظمها في الاشتغال بالطبابة والصيدلة . وقد جمع في خزائنه طائفة من المخطوطات الطبية كان يطالعها ويعمل الرويّة فيها ترويجاً لمصلحته . ونسخ بيده واستنسخ كتباً جمة ضمها الى مكتبته فاصبحت من أغنى المكتبات في حلب . وانشأ المقدسي نصرالله كتاباً نفيساً عنوانه « الادوية الشافية لمعالجة المرضى وحفظ العافية » . على ان خزانة نصرالله المومأ اليها نُهبت من منزل حفيده ميخائيل طرازي (١٨١٨ – ١٨٨٠) اثناء كارثة حلب المشؤومة في ١٦ تشرين الاول ١٨٥٠(١) . اما نسخة الكتاب الاصلية المدونة بخط مؤلفها فقد دخلت في حوزة الدكتور العلامة كرنيليوس فنديك (+ ١٨٩٦) المستشرق الاميركي .

٥ ـ خزانة الخورفسقفوس جرجس شلحت (١٨٦٧ ـ ١٩٢٨)

ارتقى الى الرتبة الكهنوتية عام ١٨٩٠ واكب منذ حداثته على اقتباس اللغة العربية فنبغ فيها نظماً ونثراً . وصنّف عدة كتب نذكر منها : « المقصورة الروحية في السيرة الروحية » ضمنه الوفاً من نفائس الشعر . وكتاب « النجوى » و « الجدوى » في العلم والصناعة والدين جعله اجزاء شتى نشر منها بالطبع الجزء الاول وبعض الجزء الثاني . وله ديوان شعر عنوانه « الباكورة » واصدر مجلة سماها « الورقاء » وعرّب نخبة من امثال فنيلون الفرنسي نظماً ونثراً(٢) .

واقتنى هذا الخورفسقفوس مكتبة معتبرة كانت غنية بمخطوطات ثمينة نذكر منها كتاب « جذوة المقتبس في تاريخ علماء الاندلس » وكتاب « المذكر والمؤنث » للفراء تاريخه سنة ٥٨٥ للهجرة (١١٨٩ م) وكتاب « المعرب » للجواليقي نقله

---

(١) اسرة آل طرازي : جزء ١ بقلم الخورفسقفوس اسحق ارملة : صفحة ٢٨

(٢) التحفة في تاريخ دير الشرفة لمؤلفه فيليب دي طرازي : صفحة ٩٢

بخطه الجميل عن نسخة المكتبة الاحمدية بحلب . ونظراً الى جهوده في اللغة العربية وآدابها احصاه المجمع العلمي العربي بدمشق في جملة اعضائه .

٦ ـ خزانة بني الانطاكي

جمع هذه الخزانة قسطنطين بن حنا انطاكي المشهور بادبه وذكائه . واحتوت على زهاء خمسمائة مخطوط نفيس(١) . ويقال ان معظمها اصله من مكتبة البطاركة الملكيين الذين سكنوا حلب في القرنين السابع عشر والثامن عشر كالبطريرك مكاريوس الثالث (١٦٤٧ – ١٦٧٢) المعروف بابن الزعيم واثناسيوس الثالث (١٦٨٥ -١٧٢٤) من آل دبّاس .

٧ ــ خزانة ميخائيل جد

امتاز ميخائيل جدّ بالطبابة فجمع في خزانته كل ثمين وقديم من المخطوطات الطبية أهمها كتاب « ديوان الطب » (٢) المعروف بالمائة تاليف ابي سهل عيسى بن يحيى المسيحي نُسخ في مجلدين سنة ٦٨٦ للهجرة (١٢٨٧ م) وكتاب « نور العيون وجامع الفنون » للشيخ ابي زكريا يحيى بن ابي الرجاء الطبيب . وكتاب « العمدة في الجراحة » تأليف ابن القف الكركي المسيحي شارح فصول بقراط . وهذه المخطوطة فريدة ثمينة تشتمل على صور بعض آلات الجراحة .

٨ ـ خزانة قسطاكي بك حمصي (١٨٥٨ ـ ١٩٤١)

قضى قسطاكي بك حمصي معظم عمره بين المحابر والاقلام فخلّف آثاراً ادبية وتاريخية وافرة بعضها مطبوع وبعضها غير مطبوع . وانتُخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق . واقتنى مكتبة تستحق الاعتبار اضاف اليها مكتبة خاله

---

(١) مجلة النعمة : مجلد ٢ صفحة ٥٩١

(٢) المخطوطات العربية لكتبة النصرانية : تأليف الاب لويس شيخو : صفحة ٢١

جبرائيل دلال (١٨٣٦ - ١٨٩٩) الشاعر الحلبي المشهور . وكانت خزانته غنية بالمطبوعات والمخطوطات النادرة التي ما ضن بها يوماً على الاصدقاء والادباء واهل البحث .

اما الآثار الادبية التي عرفناها لقسطاكي حمصي فتتلخص بما يلي : كتاب « منهل الورّاد في علم الانتقاد » في ثلاثة مجلدات . وكتاب « ادباء حلب ذوو الاثر في القرن التاسع عشر » . وكتاب « السحر الحلال في شعر الدّلال » . و « مرآة النفوس في الاخلاق والآداب » . و « ديوان شعر » من نظمه . و « رسالتان في اللغة وتصحيح اغلاطها » الى كثير من المقالات في مواضيع مختلفة نشرها في بعض المجلات . وفي اواخر ايامه شرع ينظم من كتاب « العهد القديم » ما استوحته شاعريته فنظم من آياته ما أناف على الف بيت فاجاد وابدع .

٩ - خزانة آل بيطار

ذكر الرّحالة فولناي انه عثر عند آل بيطار في حلب على مخطوطات تبحث في علم الفلك لا يقرأها ولا يفهمها احد منهم(١) . ولسنا ندري ما الذي جرى لتلك المكتبة بعد رحلة فولناي المشار اليه .

١٠ - مخطوطات الموسيقى والغناء في حلب

لا يزال بين ايدي نصارى حلب مخطوطات تشهد بعنايتهم بفني الموسيقى والغناء . لانه مرّ على مدينة الشهباء زمن كانت تحتل فيه المقام الاعلى في الفنين المشار اليهما . ولا نغالي اذا قلنا ان رجال حلب هم الذين نفخوا في مصر روح الالحان العديدة الموضوعة قديماً او المقتبسة من مقطوعات وتواشيح واغاني لا تدخل تحت حصر . وكانت تتباهى الاجواق الحلبية بانشادها ولا تلاقي لها مباريا باتقان ذلك في سائر الاقطار العربية(٢) .

---

(١) رحلة فولناي الى الشرق : مجلد ٢ صفحة ٣٠٧ طبعة باريس سنة ١٨٠٧

(٢) رسالة العمال في حلب : السنة ٩ العدد ٩٩ الصفحة ١٠

سادساً : مكتبات اديار انطاكية

١ ـ مكتبة دير مار ايليا

يُعدّ دير مار ايليا او دير بنطاليمون من اقدم اديار المشرق وكان موقعه في الجبل الاسود ازاء انطاكية . وكان يحوي مكتبة حافلة بمخطوطات قديمة العهد أتلفتها الزلازل المتواصلة كما أتلفت مخطوطات غيرها من الاديار الكثيرة المجاورة. بيد ان صروف الحدثان ابقت من ذخائر دير مار ايليا ما لا يُحفل به . وقد استقرّت بقايا تلك المخطوطات على قلّتها في بعض مكتبات اوروبا بعد قرون عديدة ولاسيما في المكتبة الواتكانية برومة وفي المتحف البريطاني بلندن . نذكر منها مخطوطات لندن المنشورة في فهرسه(١) .

اما المكتبة الواتكانية فقد حوت كتاب اناجيل نُسخ في السنة ١٠٣٠ للميلاد. وورد في آخره ما نصه : « تمّت كتابة هذا الانجيل المقدس يوم الاربعاء ... على يد الضعيف ايليا القسّ العبوريّ بخط يده في دير انبا موسى بمدينة انطاكية سنة ١٣٤١ يونانية (١٠٣٠ م) » . يلي ذلك ما نصه : « اقول انا الانبا الياس تلميذ انبا موسى كتبتُ هذا الانجيل وسائر الكتب التي جلبتها معي من انطاكية العرب الى دير مار ايليا المعروف بدير كوكب الذي جرت عمارته على يدي(٢) .

٢ ـ مكتبة دير مار سمعان

لا يقل شهرة عن دير مار ايليا دير مار سمعان الواقع بين مدينتَي انطاكية وحلب . ويسميه الحلبيون لعهدنا هذا « قلعة سمعان » لان ابنيته الفخمة لا تزال بقاياها قائمة الى الآن كحصن منيع على قمة الجبل المعروف باسمه . ويحيط به اديار

---

(١) فهرس مخطوطات لندن : رقم ٢٥٠ و٣٣٤ و٤٠٠ و٤٠٨ و٤٨٦

(٢) فهرس مخطوطات المكتبة الوتكانية : رقم ١٩

خربة يؤمّها السيّاح من جميع اطراف المعمورة . ويدهشون بما يشاهدونه في دير سمعان من آثار الفن التي لا اثر لها في غيره من الابنية القديمة . وقد وصفه مؤرخ عربي بقوله : « بظاهر انطاكية دير سمعان وهو مثل نصف دار الخلافة ببغداد . وكان له من الانتفاع في كل سنة عدة قناطير من الذهب والفضة (١) » .

واشتمل هذا الدير ايام عزه على مكتبة عظيمة جمعها الرهبان منذ العصور الغابرة . وقد تلفت برمّتها في حريق اشار اليه ابو الفرج ابن العبري قال : « في نواحي السنة ٥٤٤ للمسيح احترق دير مار سمعان العمودي بكورة انطاكية وخرب خراباً تاماً » . واستتلى المؤرخ نفسه يسرد الحوادث التي جرت عام ٦٣٨ للمسيح قال : « لما كان جمهور المؤمنين رجالا ونساءً فتياناً وفتيات مجتمعين في دير مار سمعان العمودي يوم عيده هجم عليهم العرب وسبوهم جميعاً » (٢) .

وكان رهبان هذا الدير العظيم الوافر العدد بعد كل نكبة تحل به يجدّدون خزائن مخطوطاته ويضيفون اليها غيرها ليستفيدوا ويفيدوا . غير ان هذه المكتبة الجديدة ادخلها الاتراك في خبر كان . فانهم بعدما دوّخوا قلعة حارم في آب السنة ١١٦٤ قصدوا دير مار سمعان وانتهبوهُ ولم يشفقوا على خزائن مخطوطاته الثمينة . يؤيد ذلك ما اثبته شاهد عيان وهو المؤرخ الرهاوي قال : « ابتزّ الاتراك كلّ ما كان في دير مار سمعان من ذهب وفضة وامتعة وكتب . واستولوا على الكؤوس والاطباق والصلبان والمباخر والصور الذهبية والفضية والسجوف الثمينة وسائر الاموال . واستأسروا الرهبان قاطبة واستاقوهم الى حلب(٣) » .

ولا تخلو بعض المكتبات في يومنا من مخطوطات نسخها او ألفها في هذا الدير فريق من رهبانه . من ذلك مخطوط شاهدناه في الخزانة المعلوفية عنوانه « رسالة الكافي في معنى الشافي » ألفه جراسيموس رئيس دير القديس سمعان العمودي . وقد اثبت فيه المؤلف آيات جمّة من العهدين القديم والجديد ومن كتب اليونان .

---

(١) محاضرات المجمع العلمي العربي بدمشق : جزء ١ صفحة ٣٤٣

(٢) تاريخ الدول السرياني : صفحة ٨١ و ١٠١

(٣) تاريخ الرهاوي : طبعة السيد افرام رحماني : فصل ٤٤٣ صفحة ٣٣٨

الفصل الثالث

خزائن كتب فلسطين

اولا : مكاتب القدس

١ ـ مكتبة القبر المقدس وديرمار سابا واديار الاردن للروم الارثذكس

انشئت مكتبة القبر المقدس للروم في اورشليم منذ عهد بعيد . غير انها حُرمت الترتيب والعناية بل ظلّت عرضة للنهب والسلب حتى اوائل القرن التاسع عشر . ومن حسن الحظ ان الرهبان اليونان تنبهوا الى جمع شتاتها وصيانة ما سلم من ذخائرها العلمية الثمينة التي يرتقي عهد بعضها الى القرن العاشر للميلاد . ويبلغ الآن عدد مخطوطاتها نحو الثلاثة آلاف باللغات العربية واليونانية والسريانية قد وُضع لها فهرس مطبوع عام ١٨٨٣ يحتاج الى تدقيق(١) . واضيف اليها بتعاقب الاعوام مكاتب شتى اخصها مكاتب اديار النساطرة(٢) في اورشليم ومكاتب ديارات الاردن . ولاسيما مكتبة دير مار سابا الشهير .

يقع دير مار سابا شرقي جنوبي اورشليم على مسافة خمس ساعات منها مشياً على الاقدام . اسسه افتيموس (+ ٤٧٤) ثم خلفه في الرئاسة الراهب سابا

---

(١) مجلة الاثار : مجلد ٣ صفحة ٤٣٨

(٢) كان للنساطرة في اورشليم ثلاثة اديرة الاول على اسم مار انطونيوس القبطي والثاني على اسم الاثني عشر رسولا والثالث على اسم الفنطقوسطي . وذلك في سنة الف واربعمائة وخمس مسيحية (طالع تقويم قديم للكنيسة الكلدانية النسطورية للخوري بطرس عزيز : صفحة ١١ و١٢)

(+ ٥٣٢) الذي شيد ابنية هذا الدير فاشتهر باسمه . ومنذ الاجيال الغابرة انشئت فيه خزانة كتب ذاع صيتها في الآفاق لكثرة مَن سكنه او اختلف اليه من العلماء الاعلام والمؤلفين العظام . نخص منهم بالذكر يوحنا الدمشقي (+٧٤٨) الذي تنسك وصنّف وتوفي هناك .

وقد توالت المحن على هذه المكتبة في ازمنة مختلفة واقدمها طرأ سنة ٦١٤ عندما اقبل شذاذ البدو من شرقي بحر الميت فاستحوذوا على الدير وقتلوا اربعين من رهبانه . وفي القرنين الثامن والتاسع تعرّض البدو مرات شتى لهذا الدير فطوقه الرهبان بسور منيع لانقاذه من هجماتهم . وفي عهد الصليبيين خلا من الرهبان تقريباً وتهدم اكثر ابنيته . ولبث على هذه الحال حتى رممته الحكومة الروسية عام ١٨٤٠ على نفقتها . فعادت اليه الحياة النسكية وزادت ثروة مكتبته الغنية بالمخطوطات الشرقية .

وفي اوائل القرن العشرين نُقلت مكتبة مار سابا الى دير الصليب ولم تلبث ان ضُمت الى خزائن كتب القبر المقدس(١) . وقد أفتى الرؤساء بهذا التدبير ليجعلوا تلك الكنوز الكتابية في مأمن من كل اعتداء عليها في مستقبل الزمان .

وقد تطرّق المستشرق العلامة هنري لامنس الى ذكر هذه المكتبة عندما تكلم عن مكتبة دير البلمند التي سلف وصفها . ولا بأس من تكرار كلامه قال : « ولا نشك ان في عداد مخطوطاتها كانت تآليف عديدة سريانية كما ترى في غيره من اديرة الروم كمكتبة دير جبل سيناء ودير مار سابا حيث وجد زوّار الفرنج مصنّفات سريانية قديمة غالية الثمن(٢) » .

٢ ـ مكتبة الرهبان الفرنسيسيين ومكتبات الرهبانيات اللاتينية

للرهبانيات اللاتينية بالقدس الشريف وفي طليعتها الرهبنة الفرنسيسية مكتبات

---

(١) Guide de Terre Sainte, page 306 309

(٢) تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار : جزء ١ صفحه ١٥٦

معتبرة كل الاعتبار . وهي لا تنطوي على كتب دينية فحسب بل على مخطوطات ووثائق ثمينة في شتى العلوم واللغات ايضاً . على انه ولئن كانت ادارة بعضها غير عربية والقسم الاوفر من كتبها غير عربي لكنها ترمي الى غرض يتعلق بالقدس وبسائر الاراضي المقدسة التي يتكلم معظم سكانها باللسان العربي .

واذا خصّصنا الكلام بمكتبة الرهبان الفرنسيسيين قلنا انها أغنى مكتبات العالم بما حوته من الوثائق المتعلقة بالاراضي المقدسة . وقد حافظ عليها اولئك الرهبان محافظة شديدة منذ اكثر من سبعة قرون . ثم تفرّغ بعض علمائهم منذ السنة ١٩٢٢ لنشر فهرس مستوفى لتلك الوثائق بلغتها العربية الاصلية مع ترجمتها الى اللسان الايطالي .

وتنطوي خزائن الرهبان الفرنسيسيين من هذا القبيل على ألفين وستمائة واربع واربعين وثيقة يرتقي تاريخ أقدمها الى عهد الملك الاشرف شعبان بن حسين سلطان مصر (٧٦٤ - ٧٧٨ هـ) اي (١٣٦٣ - ١٣٧٧ م) . ويشاهد المطالع في هذا الفهرس المدّقق صوَر الوثائق والفرامين ونصوصها مع تواقيع الخلفاء والسلاطين والملوك المسلمين(١) الذين اليهم كان يرجع أمر الاراضي المقدسة في الحقبة المذكورة.

وكتب لنا حضرة البحاثة اللغوي الاب اوغسطين مرمرجي الراهب الدومنيكي ان مكتبة دير رهبنته بالقدس غنية بتواريخ الشرق الدينية والمدنية . وفيها كذلك كل ما يقتضي لدرس الالسنة السامية . كما ان هناك كتباً ثمينة قيّمة لدرس تاريخ العرب واللغة العربية والدين الاسلامي .

واليك اسماء المكتبات اللاتينية في القدس مع عدد مجلداتها المخطوطة والمطبوعة :

	مطبوع	مخطوط
١ مكتبة الرهبان الفرنسيسيين	٤٨،٠٠٠	١٣٠
٢ مكتبة البطريركية اللاتينية	٨،٠٠٠	١٠٠

(١) Documenti e Firmani

٣	مكتبة الرهبان الدومنكيين	٤٥،٠٠٠	
٤	مكتبة الرهبان الانتقاليين	١٥،٠٠٠	
٥	مكتبة الآباء البيض بالصلاحية	١٠،٠٠٠	١٠٠(١)
٦	مكتبة الرهبان البندكتيين بجبل الزيتون	٥،٠٠٠	
		١٣١،٠٠٠	٣٣٠

٣ ـ مكتبة دير مار يعقوب للارمن

يرتقي عهدها الى انشاء بطريركية الارمن الاورشليمية عام ١٣١١ للميلاد. وهي مكتبة حافلة بالكنوز العلمية كالرقوق والمصوّرات والبدائع مما يأخذ بمجامع الالباب. لكنه لا يرخّص لاي كان ان يتعهدها الا باذن خاص من البطريرك او نائبه. وتشتمل على ستة وعشرين الف مجلد مطبوع وعلى ثلاثة آلاف وخمسمائة مخطوط. وقد اخبرنا البطريرك العلامة اغناطيوس افرام الثاني (رحماني) انه تفقد هذه المكتبة سنة ١٨٩٣ اثناء المجمع القرباني. فعثر فيها على بعض المصاحف الارمنية المكتوبة على رق غزال بحروف سطرنجيلية(٢).

٤ ـ مكتبة دير مار مرقس للسريان

هي من اقدم مكاتب القدس لان السريان ما برحوا منذ الحروب الصليبية ينصبون مطارنة من مذهبهم على الكرسي الاورشليمي(٣) غير ان ميخائيل الاول الكبير (+ ١٢٠٠ م) اثبت في تاريخ الازمنة(٤) اسماء مطارنة السريان الذين

---

(١) Philippe Gorra : Sainte Anne de Jérusalem, p. p. 184-185

(٢) ان هذه المصاحف ولئن كتبت بالحروف السطرنجيلية السريانية فانها تقرأ بلفظ ارمني. ومن هذا القبيل الكتابة الكرشونية وهي ان يكتب المصحف بحروف سريانية ويقرأ بلفظ عربي.

(٣) المكتبة الشرقية للسمعاني : مجلد ٢ راس ٢٢ صفحة ٣٧٤

(٤) اطلب «تاريخ الازمنة» الذي نشره المستشرق شابو في باريس : صفحة ٧٥٢

تتابعوا على كرسي اورشليم من ايام سرجيس (٥٣٩ - ٥٤١) اول بطاركتهم الى عهده . وكان مركزهم اول الامر في دير المجدلية . ثم انتقلوا الى دير مار مرقس فانشأوا فيه مكتبة آهلة بالمخطوطات والرقوق التي تلاعبت بها الايدي في آونة شتى وافقدتها الجانب الاعظم من ثروتها العلمية . وما خلا الكتب المطبوعة فقد ابقت الايام الى هذا العهد ثلاثمائة واثنين وستين مخطوطاً محفوظة بكل حرص في الدير المشار اليه .

وقد اطلعنا على فهرس تلك المخطوطات فوجدنا بينها عدداً وافراً مكتوباً على رق غزال . ومنها ما هو مزيّن بالصور الرائعة(١) . وفيها ايضاً صكوك وحجج قديمة وفرامين سلطانية وسسطائيقونات بديعة ورسائل خطيرة استند اليها بعض الباحثين في تواريخ المشرق ولاسيما بيت المقدس .

٥ - مكتبات الارساليات البروتستانية

للبروتستان في القدس ثلاث مكاتب مهمة ينصرف اربابها الى درس الكتاب المقدس والبحث عن العاديات النصرانية وهي : خزانة كتب الجمعية الاثرية الانكليزية . وخزانة كتب الجمعية الاثرية الاميركية وخزانة كتب المجمع العلمي الاثري البروتستنتي . وقد أنشئت لهذا الهدف في اواخر القرن التاسع عشر وصدر القرن العشرين . وعلى رغم ما بذلناه من الجهود فاننا لم نتوفق الى معرفة عدد مجلداتها . وهي وافرة بلا ريب لِما نعلمه من سخاء الامتين الانكليزية والاميركية على المشاريع العلمية . وما اوردناه عن لغات الكتب في مكاتب الاديار اللاتينية بالقدس ينطبق بحذافيره على مكاتب الارساليات البروتستنتية ايضاً فوجب التنبيه .

---

(١) مقالة عنوانها « ثروتنا الادبية والتاريخية في مكتبة ديرنا مار مرقس في القدس » نشرت في جريدة « لسان الامة » ببيروت بقلم ابرهيم حتويردي : في اعداد السنة ١٩٣٩

٦ ـ مكتبة جمعية الشبان المسيحية

انشئت هذه الجمعية عام ١٨٧٣ وما زالت سائرة في سبيل النجاح حتى توطدت اركانها عام ١٩٢٠ بهمة الدكتور ارشيبالد هارث الذي عززها ونظم شؤونها . ومرجعها اللجنة العالمية للجمعية المعروفة بهذا الاسم في مدينة نيويرك . ولها في في القدس بناية عظيمة تبرع بنفقاتها المستر جيمس نيوبكن جارفي من اغنياء مدينة مونتكلير التابعة لولاية نيوجرسي في الولايات المتحدة الاميركية . وقد جرى افتتاح هذه البناية رسمياً بتاريخ ٧ كانون الثاني ١٩٣٣

ولا يتسع المقام لوصف هذه البناية باسهاب لكثرة ما فيها من الدوائر والمعاهد المتنوعة . فالدائرة الرئيسية تنطوي على معهد الاحداث والمنزل والمطاعم والمكتبة وغرف المطالعة وغرف المحاضرات والمدرسة الليلية . تليها الدائرة العلمية وفيها اماكن لسبعمائة وخمسين شخصاً . ثم الدائرة الرياضية التي تشتمل على بحيرة للسباحة وقاعة فسيحة للالعاب الرياضية . واخيراً الملعب الكبير حيث المركض واماكن معدة لجلوس الفين وخمسمائة شخص من المتفرجين . وتبلغ نفقات الجمعية سبعة عشر الف جنيه سنويا .

ومكتبة هذه الجمعية حديثة العهد أنشئت لتغذية عقول الشبان بمطالعة الكتب المفيدة على اختلاف مواضيعها . وهي حسنة الترتيب والتبويب تحتوي على زهاء ثلاثين الف مجلد في اللغة العربية وبعض اللغات الاوروبية . اما مخطوطاتها فقليلة جداً .

ثانياً : مكتبات عكا وحيفا

١ ـ مكتبة دير الكرمل

نضيف الى ما سبق ذكره مكتبة دير الكرمل في حيفا . وهو من اقدم اديار

الشرق واشهرها واغناها يرتقي عهد تأسيسه الى القرن الثاني عشر للميلاد . وحلّت به نكبات جمة في آونة مختلفة . اما اعظمها فقد حدثت في شهر ايار سنة ١٢٩١ ميلادية عندما استولت عساكر الملك المنصور على دير الكرمل ودمرته واعملت السيف في جميع سكانه(١) . ولم يبق حينئذ من خزائن مخطوطاته المكتوبة على رق غزال كتاب واحد .

وسنة ١٧٧٤ خرج محمد بك ابو الذهب والي مصر على راس جيش كثيف فافتتح بلاد فلسطين وارتكب فيها من القتل والنهب والفظائع ما لا يقع تحت حصر(٢) . ثم أغار على دير النبي ايليا في الكرمل فنهبه وقتل من وجد من رهبانه وهدمه فامتلأ بذلك كيل بغيه . هكذا نُكبت ايضاً مكتبة الدير على يد هذا الطاغية الذي سقط مغشياً عليه بينما كان متكئاً في مظلته بجوار الكرمل . وكان يصرخ: «ردوا عني هذا الشيخ المفترس» والناس لا يرون احداً حوله . وما عتم ان مات محمد ابو الذهب فشاع بين العامة ان ايليا النبي خنقه لهدمه ديره .

ولما عاد الامن الى نصابه اعاد رهبان الكرمل بنيان ديرهم وجددوا فيه تلك المكتبة التي تحتوي الان على مخطوطات شتى وسجلات ووثائق وعهود وصكوك يرجع اليها اهل البحث في تدوين بعض حوادث البلاد الشرقية .

ولما وقعت الحرب العظمى (١٩١٤ - ١٩١٨) أمسى دير الكرمل حصناً للعساكر التركية ففقد بعض كنوزه العلمية والفنية . ولعل المسلوب هو المخطوطات العربية التي ضمت الى مكتبته من سالف الزمان . واغلب ما فيها الآن كتب افرنجية رُصفت في عشر خزائن كبيرة لا يقل قياس الخزانة عن مترين ارتفاعاً وثلاثة امتار عرضاً(٣) .

---

(١) Le Sanctuaire du Mont-Carmel, par le P. Julien, P. 114-116

(٢) تاريخ مصر الحديث لزيدان : مجلد ٢ صفحة ١٣٦

(٣) مخطوطات دير الكرمل في حيفا بقلم جميل البحري (مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق : مجلد ٦ سنة ١٩٢٦ صفحة ٣٢٠

٢ ـ مكتبة مطرانية الروم الكاثوليك

انشأ هذه المكتبة مطارنة الروم الكاثوليك الذين تسلسلوا في كرسي عكا منذ مطلع القرن التاسع عشر . وكانت في اول عهدها ضئيلة لا تحتوي الا مخطوطات دينية وطقسية وبعض مطبوعات ذلك العهد . ثم اخذت تلك المكتبة تتعزز رويداً رويداً .

ومن الدواعي التي ارتكزت عليها مكتبة مطرانية عكا كتبة وحسبة نجباء من الروم الملكيين اشتهروا في تلك المدينة بامانتهم واستقامتهم ومعارفهم . وقد تولوا معظم الاعمال والمصالح في ديوان الولاية منذ عهد الشيخ ظاهر العمر الزيداني في سلخ القرن الثامن عشر(١) حتى عهد الوزراء خلفائه . هكذا نبغ بينهم آل صباغ ونحاس وايوب وفرعون وسعد وعورا وخوّام وصابونجي وفرح وعزام والملك وقالوش وغيرهم . وقد طالعنا لبعض افرادهم مؤلفات واثاراً خطية دلت على براعتهم في التاريخ والادب والطب وجودة الخط . غير ان هذه المكتبة ادركها الجمود والتقهقر على اثر سقوط مدينة عكا عام ١٨٣١ بيد ابرهيم باشا المصري وانضمامها الى ايالة صيدا .

وعندما تولى السيد غريغوريوس حجار كرسي مطرانية عكا (١٩٠١-١٩٤٠) جعل مركزه في حيفا بدلا من عكا . فانشأ في تلك المدينة خزانة كتب غنية بمؤلفات مهمة علاوة على مكتبة اسلافه المطارنة في عكا كما نوّهنا(٢) . ومن مخطوطات هذه الخزانة انجيل قديم مزيّن بالصور وُجد في تركة رجل الخير بشارة خوري (١٨٣٨ - ١٨٩٨) في بيروت . وقد افادتنا ارملته المرحومة ملكة موصلي ان المطران غريغوريوس طلب منها هذا الانجيل النفيس فنفحته به عام ١٩٠٦ .

وامتاز هذا الحبر الجليل بعلم واسع وعارضة قوية في الخطابة . واجمع النصارى والمسلمون على محبته واحترامه فكانوا يسمونه « المطران العربي » . وقد توفاه الله مساء ٣٠ تشرين الاول ١٩٤٠ على اثر حادث سيارة فأودت بحياته رحمه الله تعالى .

---

(١) المخطوطات العربية لكتبة النصرانية : تأليف الاب لويس شيخو : صفحة ١٣٢

(٢) مجلة « الرسالة المخلصية » في صيدا : مجلد ٨ سنة ١٩٤١ صفحة ١٤

الفصل الرابع

خزائنه كتب ما بين النهرين

اولا : مكتبات الرها

١ ـ المكتبة الملكية

الرها وقد سمّاها اليونان « اذّسا » ويقال لها الآن « اورفا » مدينة في قلب بلاد ما بين النهرين كانت تُعدّ من اكبر عواصم العِلم واقدمها في العصور الخوالي. وقد مرّ بنا ذكر مدرستها الذائعة الصيت(١) التي أنشئت في القرن الثاني للمسيح. وتخرّج فيها خلق كثير من اعظم جهابذة المشرق. وما عدا تلك المدرسة التي طبّق اسمها الخافقين فان مدينة الرها كانت تشتمل على عدة مكاتب. اشهرها مكتبتها الملكية التي كان يرتقي عهدها الى ما قبل التاريخ المسيحي. ولنا على ذلك شهادة صريحة دوّنها اوسابيوس القيصري (٢٦٧ – ٣٤٠ م) امام المؤرخين في تاريخه(٢) قال ما تعريبه :

« نرى في مصاحف الرها بيّنات نقلت عن الوثائق المحفوظة هناك مذ اصبحت تلك المدينة عاصمة المملكة (الابجرية) . وكانت تلك المصاحف تشتمل على وقائع جرت من زمن الاسلاف الى عهد الملك أبجر. وما برحت المصاحف مصونة في الرها الى زماننا الحاضر(٣) . فلا نرى مانعاً من سرد هذه البيّنات التي نقلناها عن

---

(١) طالع الفصل الذي كتبناه بعنوان «ثقافة شعوب البلاد التي افتتحها العرب »

(٢) كتاب ١ خبر ١٣ صفحة ٦٨ ـ ٦٩ طبع بيجان

(٣) يشير المؤرخ اوسابيوس بذلك الى عهده اي الى القرن الرابع للمسيح

وثائق مكتبتها(١) وترجمناها بالحرف الواحد من اللسان السرياني الى اليوناني » .

والخلاصة ان مدينة الرها عاصمة الملوك الاباجرة كانت تحوي مكتبة عامرة عنوانها « خزانة دار الملك » احتاج غير واحد من مشاهير الكتبة الى استنساخ كثير من محفوظاتها ومخطوطاتها(٢).

وكانت هذه المكتبة تزداد نمواً بتوالي الايام لشدة تزاحم العلماء على ورود مناهلها . وناهيك انه كان في جبل الرها وحده ثلاثمائة دير (٣) يسكنها تسعون الف راهب انقطع اغلبهم الى العلم والتأليف ونساخة الاسفار المقدسة وتنميق المخطوطات وتجليدها . ويمكننا القول بكل امان ان مدينة الرها بلغت أوج المجد في عصر مدرستها الشهيرة الذي سمّاه العلماء « عصر الرها الذهبي » . وظلت العلوم زاهرة في هذه المدرسة حتى انطفأ سراجها الوهاج عام ٤٨٦ بأمر زينون ملك الروم . واصبحت مكتبة الرها مرجعاً عمومياً يؤمه الكتبة والائمة من مختلف الاقطار وينقلون عن مخطوطاتها الثمينة ما يحتاجون اليه من مواضيع طبية وفلسفية ودينية وفلكية وأدبية وغيرها .

٢ ـ نساخة الكتب ومعامل الرقوق في الرها

ذكرت التواريخ القديمة ان كسرى ابرويز ملك فارس (٥٨٩ – ٦٢٧ م) أحسن معاملة النصارى وأطلق الحرية لعظماء دولته ان يدينوا بالدين الذي يؤثرونه . ولم يكتف بذلك بل شيّد ديراً فخماً أسماه « دير شيرين » تيمناً باسم امراته الملكة شيرين النصرانية . ثم بعث كتاباً الى الرها فنسخوا له عدة كتب استحضرها الى بلاد فارس ووزعها على المعاهد العلمية والدينية(٤) .

---

(١) في الاصل بيت اركا ومعنى هذا اللفظ اليوناني الاصل : دار السجلات او دار الكتب

(٢) المباحث الجلية في الليتورجيات الشرقية والغربية : للبطريرك اغناطيوس افرام الثاني : صفحة ٣١

(٣) صبح الاعشى : مجلد ٤ صفحة ١٣٩

(٤) اخبار الجاثليق سبريشوع (٥٩٦ ـ ٦٠٤ م) صفحة ٣٠٦ طبع بيجان

وأيد المؤرخ توما المرجي هذه الرواية فكتب ان كسرى ملك فارس المشار اليه أوفد الى الرها رجلاً نبيلاً يقال له « شمطا » بن يزدين . وكلفه ان يجلب منها نسخاً من الكتاب المقدس ومن كتب الطقوس والقراآت لتكون وقفاً على دير شيرين الذي أسسه كسرى عينه في ناحية بلَشفر . فانتهز « شمطا » تلك الفرصة ونقل من الرها كمية وافرة مما اشتملت عليه مصانعها من رق الغزال لاجل نساخة الكتب . ومن ذاك الحين طفق رؤساء الدير ورهبانه ينسخون الكتب على الرقوق الرهاوية . قال توما المرجي المذكور : اتضحت لنا تلك الحقيقة من مطالعتنا اغلب كتب الدير حيث قرأنا العبارة التالية : « وقف هذا الرق مار شمطا بن يزدين عميد النصارى(١) » .

نستنتج مما سبق ان الرها مثلما اشتهرت في غابر الاحقاب بمدارسها ومكتباتها ومعاهدها العلمية ومنزلتها الادبية اشتهرت ايضاً بما احتوته من معامل الرقوق تعزيزاً للمعارف وتسهيلاً لنشرها بين الخاص والعام . ذلك ما حدانا على ان ننظم هذين البيتين تخليداً لسالف عظمة الرها وحضارة بغداد في عصر المأمون . وقد نقشناهما في مدخل دار الكتب ببيروت فقلنا :

للكتب أنشىء مقدسٌ اوحى لنا ... عصر الرها ومآثر المأمونِ
في بابه ازدحمت أساطين الثنهى ... سعياً وراء الجوهر المكنونِ

٣ ـ فواجع مكتبات الرها

عرض لمكتبات الرها من الخطوب الفظيعة بسبب المنازعات المذهبية والفتوحات الدولية ما عرض لغيرها من مكتبات المدن الشرقية . من ذلك ان

---

(١) كتاب الروساء : ميمر ١ راس ٢٣ صفحة ٣٦ و٣٧

ربولا اسقفها (+ ٤٣٥ م) الذي اشتهر عنه الغلو بالدين جمع نسخ كتاب العهد الجديد المعروف بالذياطسرون(١) وأحرقها باسرها .

ثم مُنيت الرها بنكبات جمة اشدها نكبة نور الدين زنكي التركي . فانه احتلها يوم السبت ليلة عيد الميلاد سنة ١١٤٥ م بعدما دك عساكره اسوارها اذ دعموها باخشاب دهنوها بالنفط والشحم والكبريت . ولما اضرموها بالنيران هبّت ريح شمالية قلبت الدخان على الاهالي فمات خلق كثير قتلاً وخنقاً . ولبث جنود زنكي ينهبون المدينة مدة ثلاثة ايام بعدما وضعوا السيف في الشيوخ والفتيان والكهنة والرهبان والراهبات والعذارى والنساء والرضعان والعرائس(٢) . وبلغ عدد القتلى زهاء ثلاثين الفاً . وسبى الترك ستة عشر الفاً وأفلت الف رجل ولم تفلت امرأة ولا صبي واحد(٣) .

ويتبادر الى الظن ان نكبة زنكي اجهزت على مكتبة الرها الحافلة بالمخطوطات العربية ان لم تكن قد اجهزت عليها نكبة او نكبات سابقة . غير ان المؤرخين اضربوا عن ذكر ذلك ولم يشيروا اليه كثيراً او قليلاً .

٤ ـ شيوع اللغة العربية في الرها

على ان اللغة العربية كانت شائعة في الرها كما كانت شائعة في مدينة حرّان المجاورة لها . فقد اثبت الجاحظ والهمذاني ان باب الرها كان من جملة الابنية التي نُقشت عليها كتابة عربية . ومما يؤيد شيوع اللغة العربية في الرها ما دوّنه المؤرخ

---

(١) المراد بالذياطسرون مجموع الاناجيل الاربعة في انجيل واحد . وقد جمعها على هذه الصورة ططيانس الآنوري في القرن الثاني للميلاد . فاستعملته بعض الكنائس النصرانية حتى القرن الخامس . وهذا الكتاب شرحه مار افرام الكبير . ثم فقدت نسخته الاصلية . انما حفظت ترجمته في اللغتين العربية والارمنية . اما الترجمة العربية فمنسوبة الى ابي الفرج بن الطيب البغدادي النسطوري

(٢) الحروب الصليبية في الآثار السريانية : للخوري اسحق ارملة : صفحة ١٠٢

(٣) ميخائيل الكبير : صفحة ٦٣٧

الرهاوي الشاهد العيان عن باسيل مطرانها لما عاتبه زنكي على تمنعه عن تسليم البلد. فاجابه المطران باللغة العربية الفصحى يقول : « كذا شاءت العناية الربانية ان تغلب انت وننكسر نحن ولا نحنث في يميننا وعهدنا مع الفرنج . وسنحافظ على عهودنا معك لانه تعالى شاء ان نكون لك عبيداً(١) » .

٥ ـ استنقاذ قرآن مكتوب بحروف سريانية في نكبة زنكي

ومما يؤيد كذلك شيوع اللغة العربية في ذلك العهد بين نصارى الرها فضلاً عن مسلميها كتاب قرآن قديم العهد نجا من نكبة زنكي المذكورة وقد نسخه كاتب سرياني بحروف كرشونية(٢) لاستعماله الخاص . وهذا الكتاب النادر الذي اطّلعنا عليه بذاتنا محفوظ الى هذا اليوم عند احد مهاجري النصارى في القدس . وقد ضمّت اليه في آخره عدة صفحات كرشونية تشتمل على وصف احتلال زنكي لمدينة الرها .

٦ ـ مكتبة السريان

وبتوالي الازمنة انشأ السريان في الرها مكتبة حوت مخطوطات كثيرة كُتب قسم صالح منها على رق غزال . بينها « تاريخ الازمنة » لميخائيل الكبير نشره المستشرق شابو الفرنسي عام ١٩٠٠ في باريس . وبينها كذلك صكوك قديمة العهد واناجيل شتى ومواعظ يوحنا فم الذهب وباسيليوس وتآليف اخرى لآباء الكنيسة . ذلك كله مكتوب على رق بخطوط مستظرفة .

وعندما أجلى السريان كسائر النصارى عن مدينة الرها بامر الحكومة التركية

---

(١) راجع كتاب الحروب الصليبية : فصل ٣٣ صفحة ١٠٣

(٢) الكتابة الكرشونية هي حروف سريانية تقرأ بلفظ عربي ويستنتج من ذلك ان ناسخ هذا المصحف مع خبرته باللغة العربية كان يجهل الكتابة بحروفها

عام ١٩٢٢ نقلوا معهم تلك المخطوطات النفيسة الى حلب والى غيرها من المدن التي توطّنوها . غير انهم ما لبثوا ان تصرّفوا في اكثرها لِما انتابهم من الفقر في ترحيلهم عن اوطانهم قسراً .

ثانياً : مكتبات آمد (ديار بكر)

١ ـ المكتبة البطريركية

اصبحت مدينة آمد (ديار بكر الحالية) منذ القرون الوسطى مركزاً للبطاركة قبل انتقالهم الى دير الزعفران سنة ١١٧٦ في عهد ميخائيل الاول الكبير (+١٢٠٠) لان بلاد سوريا وما بين النهرين والعراق وكردستان وفارس كانت آهلة بالملايين من ابناء هذه الملة ومن اخوانهم الملكيين والنساطرة . وفيها شُيّدت اديارهم واشتهرت مكاتبهم وازدهرت مدارسهم كمدرسة قطسفون (المدائن) والحيرة والرها وحرّان ودير تلعدا وقنسّرين وملطية وغيرها . واقبل الطلاب فيها على اقتباس اللغة العربية . وعلموها في مدارسهم ومعاهدهم وكتبوا فيها تآليف لا تحصى .

وكان علماء اليعاقبة والنساطرة والملكيين في طليعة الكتّاب الذين استند اليهم الخلفاء العباسيون في تأسيس النهضة العلمية في الدولة العربية . فغدا من البديهي ان يكون المركز الديني الاعلى للملة اليعقوبية في آمد مركزاً علمياً ايضاً لوفرة المؤلفين الذين نبغوا منها في جميع الاعصار والامصار . وبتكاثر عدد المصنفين والنساخين تكاثر عدد المصنفات والمخطوطات التي جُمعت في مكتبة واحدة .

وظلت هذه المكتبة تزداد نمواً سنة فسنة بهمة البطاركة وسخاء العلماء حتى استولى الملك صلاح الدين الايوبي سنة ١١٨٣ م (٥٧٩ للهجرة) على آمد . وقد روى ابن العبري المفريان الشهير في تاريخه السرياني المدني(١) ما تعريبه : « لما فتح

---

(١) التاريخ السرياني المدني : صفحة ٣٦٢ من طبع الاب بيجان

صلاح الدين مدينة آمد عام ١١٨٣ م وجد في المكتبة الف الف واربعين الف مجلد. فاستحوذ عليها باجمعها وسلّمها الى كاتبه القاضي الفاضل » .

يتبادر الى ظننا ان المفريان البحاثة أراد بهذا القول المكتبة الخاصة ببطريركية الملة التي كان هو من كبار رؤسائها واعلام علمائها . لانه ذكرها باهتمام دون غيره من المؤرخين المعاصرين . ويغلب على ظننا ايضاً ان عدد مجلدات هذه المكتبة مبالَغ فيه بل مشكوك في صحته . غير اننا نجلّ عالماً ومؤرخاً مدققاً كابي الفرج ابن العبري عن ان يقع في مثل هذا الغلط الفادح الذي لا يرضى بـه المنطق ولا يسلّم به العقل . ونعتقد ان هذا الغلط ناتج عن جهل النساخ او عن قلة امانتهم في النسخ . وبكل الاحوال لا يقلل ذلك من قيمة مكتبة آمد التي كانت بلا ريب من اهم خزائن عصرها ومن اغناها واشهرها .

٢ ـ مكتبتا دير مار يوحنا ودير ابي غالب

ما عدا المكتبة البطريركية العظيمة السابق ذكرها فقد اشتهرت آمـد بمكتبتين اخريين كبيرتين : احداهما مكتبة دير مار يوحنا القديم العهد(١) وكان يشغله عدد وافر من الرهبان منذ القرن الرابع للميلاد . وما برحت آثاره ظاهرة حتى الآن ضمن سور تلك المدينة المشهور بحصانته وضخامته .

اما المكتبة الثانية فكانت في دير ابي غالب الذي يُقال له ايضاً « دير مائدة الملوك » بجوار آمد(٢) . وفيه انزوى بعض بطاركة السريان في القرون الوسطى هربا من ضغط ملوك القسطنطينية وتعنتهم .

ولسنا ندري كيف بادت هاتان المكتبتان العامرتان وفي اي عصر تلفتـا . انما عفا الدهر عن طائفة صالحة من مخطوطاتهما حُفظت في بعض مكاتب اوروبا .

---

(١) يؤيد قدامة هذا الدير وخطورته ان قباد ملك الفرس (٤٨٨ - ٥٣١ م) قد خربه كما ذكر المؤرخ الرهاوي (فصل ٥١ صفحة ١١٢) وابو الفرج ابن العبري في تاريخ الدول السرياني صفحة ٧٦ (٢) الزهرة الزكية للقس اسحق ارملة : صفحة ٦٨

٣ ـ مكتبات الملل المسيحية بديار بكر في العصور الاخيرة

وبعد ذلك انشأ كل من الملل النصرانية في دياربكر مكتبة آهلة بالمطبوعات ومخطوطات قديمة كُتب الكثير منها على رق غزال . وقد اثبت لنا ذلك مراراً السيد ماروثا بطرس طوبال (+ ١٩١٥) مطران تلك المدينة . وعلى رغم ما اصابها من النكبات عدّدها لنا كما يلي :

اولاً : مكتبة السريان تحتوي على ثلاثمائة وخمسين مخطوطاً .

ثانياً : مكتبة الروم الارثذكس التي لا يقلّ عدد مخطوطاتها عن المائة والعشرين

ثالثاً : مكتبة السريان الكاثوليك وفيها مائة وستة عشر مخطوطاً .

رابعاً : واهم المكتبات السابقة الذكر مكتبة الكلدان تشتمل على مائة وستين مخطوطاً . يرتقي عهد بعضها الى القرن الثامن بينها ٤٤ مخطوطاً عربياً . وفي الرقم ٢٣ مخطوط ألفه يعقوب الرهاوي فحواه شرح تكوين الدنيا نُسخ في الرها بتاريخ ٥ ايار سنة ٨٢٢ للميلاد على رق غزال وقد نشره المستشرق مارتين . وفيها ايضاً مخطوط في الديانة النصرانية وتعاليمها وآدابها لابن التلميذ وغير ذلك مما يعز وجوده كبعض المطبوعات القديمة (١)

وفي المكتبة ذاتها ترى تحت الرقم ١٢٨ و١٢٩ كتاب « فردوس النصرانية » تأليف الشيخ الفاضل القس ابي الفرج عبدالله بن الطيب — نُسخ في ٢٦ ربيع الاول سنة ٧٣٣ للهجرة — وفيها ايضاً « الانجيل المقدس بشارة متى الرسول » بنقل الشيخ الفاضل القس ابي الفرج عبدالله بن الطيب . اول كلمة من الفصول مكتوبة بحروف ذهبية . وقد كتِب عليه باحرف ذهبية ما نصه : « الجزء الاول من الانجيل الطاهر بشارة متى الرسول رسم خزانة الصدر الاجل الاوحد الافضل

---

(١) سياحة من بيروت الى الهند بقلم لويس شيخو (المشرق مجلد ١٥ سنة ١٩١٢ صفحة ٦٢١)

الاكمل الموفق الاسعد المحترم مختص الدولة امين الملك اختبار الملوك والسلاطين فخر الاماثل مجد الكفاة والرؤساء تاج الكتاب ابي البركات الفضل بن مواهب بن ابي البركات بن مواهب بن ابي منصور ابن البحري » . دخل بملك كنيسة ديار بكر سنة ١٥٥٤ .

وفي هذه المكتبة الكلدانية اكثر من عشرين مخطوطاً على الرق ايضاً . وقد وصفها السيد ادى شير مطران سعرد في فهرس خصوصي نشره سنة ١٩٠٧ في الموصل .

ومنذ اعلان الحرب العظمى (١٩١٤ – ١٩١٨) اخذت الحكومة التركية تضيّق على اهالي ديار بكر الذين لا يمتّون الى العنصر التركي بالدين والجنس فاضطر هؤلاء الى النزوح عن مسقط راسهم . وهكذا تفرقت مكتباتهم التي اتينا على ذكرها بتفرقهم في بلدان مختلفة .

ثالثاً : مكتبة ملطية

ملطية مدينة شمالي حلب بميلة الى الشرق على نحو سبع مراحل منها . اشتهرت بدير من اعظم اديار السريان واقدمها يقال له دير برصوما . وكان يشتمل على مدرسة زاهرة نبغ فيها رهط من اعاظم العلماء الذين صنّفوا الكتب في اللغات العربية والسريانية واليونانية وغيرها نخصّ منهم بالذكر : اغناطيوس الملطي الفصيح . ويوحنا سعيد ابن صابوني (+ ١٠٩٤) وشقيقه باسيل ابا غالب (+ ١١٢٩) ويوحنا ابن اندراوس (+ ١١٥٦) وديونوسيوس يعقوب ابن الصليبي (+ ١١٧١) . والبطريرك ميخائيل الكبير (+ ١١٩٩) . وثاودورس بن وهبون (+ ١١٩٣) والربّان ابدوكوس مؤلف المعجم المعروف باسمه . والمفريان ابن العبري (+ ١٢٨٦) الذئع الصيت ووالده اهرون المتطبب وشقيقه المفريان برصوما الخ .

وكان دير برصوما يحوي خزائن مخطوطات نفيسة وصف بعضها الخورفسقفوس

اسحق ارملة(١) وغيره من المؤلفين . وقد نهب الصليبيون محتويات هذا الدير كما روى ميخائيل الاول الكبير في تاريخه حيث قال ما ملخصه : « ان جوسلين صاحب الرها اقبل بعساكره في يوم السبت ١٨ حزيران ١١٤٨ م الى دير برصوما. فاستولى عليه وجمع كل ما فيه من الامتعة الثمينة والمخطوطات والاواني البيعيّة باسرها . وضم اليها امتعة دير مار ابجاي ودير سرجيسية ومناديق وحرصفنا التي كانت نُقلت الى دير برصوما وحملها على بغال الدير . ثم عاد صباح الغد وامر بتفتيش الغرف تكراراً وحمل على الجمال والبغال سائر الامتعة حتى الطواجن والقدور النحاسية(٢) .

اطّلعنا على بعض مخطوطات قديمة كُتِبت في ملطية وقد سلمت من التلف والضياع نذكر منها : كتاب « خطب سويرا » (٣) وكتاب « جنـــاز الموتى المؤمنين والكهنة » كانت نساخته في ملطية سنة ١٩٠٠ يونانيـة (١٥٨٩ م) . واشتمل هذا المخطوط في آخره على خطب عربية بليغة نرجّح انها من تآليف يوحنا السابع عشر البطريرك (١٢٥٣ - ١٢٦٣ م) المعروف بابن المعدني . وقد اهدينا هذا الكتاب النادر في ٢١ كانون الثاني ١٩٣١ الى مكتبة دير الشرفة بلبنان(٤) .

رابعاً : مكتبات اديار زابار

كان بالقرب من ملطية اديار كثيرة في جملتهـا اربعة عُرفت باديار زابار . استولى عليها جوسلين صاحب كيسوم . وكانت تلـك الاديار حافلةً بخزائن المخطوطات . فلما قُتل جوسلين امير الصليبيين سنه ١١٤٩ زحف ابن غازي امير ملطية واستحوذ على الاديار المذكورة . ثم احتلّ ما حولهـا من القرى وسبى سكانها وكانوا سبعة آلاف واربعمائة نسمة . وابتزّ اموالها الطائلة واحرقها وأتلف ما احتوت عليه من الخمر والزبيب والتين والجوز والطحـين والحبوب . واحرق معها مخطوطات شتى(٥) .

---

(١) المدارس والمكاتب السريانية : صفحة ٥ و ٩ (٢) تاريخ ميخائيل الكبير : صفحة ٦٤٢
(٣) فهرس مخطوطات لندن : عدد ٦٨٦ صفحة ٥٤٧ (٤) الطرفة في مخطوطات دير الشرفة : صفحة ١٥٦ - ١٥٧ (٥) الحروب الصليبية : صفحة ١٢٩

خامساً : مكتبات ماردين

١ ـ مكتبة الكلدان

تشتمل هذه المكتبة على مائة واربعة كتب مخطوطة في مواضيع شتى ما عدا المطبوعة . بينها مخطوطات مدبجة بالنقوش البديعة والتصاوير الرائعة . ومنها مخطوطات مكتوبة على رق غزال اهمها كتاب « كليلة ودمنة » الذي نقله عن البهلوية تواً البريذوظ بود النسطوري في القرن السادس(١) وقد نشره المستشرق الالماني غوستاف بيكل سنة ١٨٧٦ وعلق عليه . ومنها كتاب اسحق النينوي(٢) المنسوخ سنة ١٢٣٥ للميلاد على رق غزال ايضاً . وهذا الكتاب نُقل الى اللغة العربية ومنه نسختان في خزانة مخطوطات دير الشرفة : احداهما مكتوبة على الرق في دير السيدة بصعيد مصر في السنة ١٢٥٦ مسيحية وهي سنة ٩٩٨ للشهداء . واغلب الالفاظ في هذين المخطوطين غير منقطة مما يبرهن على قدمها(٣) . ومنها كتاب مار بولس نسخ في دير مار مرقوريوس بمصر سنة ١٠٦٢ للشهداء (١٣٤٥م)

ويؤثر عن السيد ايليا ملوس مطران ماردين على الكلدان (+ ١٩٠٨) انه كان شديد الحرص على هذه الثروة العلمية . وقد بلغ به الكلف بمصنفات ابن العبري (+ ١٢٨٦) الى ان نسخ منها بيده ما ينيف على عشرين مجلداً ضخماً وضمها الى خزانة كتب مطرانيته الغنية بالتآليف القديمة(٤) . وعلاوة على ذلك استكتب المطران نفسه مخطوطات ضخمة اهداها الى بعض الخزائن في الشرق والغرب .

٢ ـ مكتبة السريان الكاثوليك

تحتوي على اكثر من مائة مخطوط بالعربية والسريانية بعضها يستحق الذكر .

---

(١) روبنس دوفال صفحة ٢٥٠ و٣٣٢ (٢) نشره بولس بيجان عام ١٩٠٩

(٣) المشرق : مجلد ١٢ سنة ١٩٠٩ صفحة ٢١٩ ـ ٢٢٠ (٤) المشرق : مجلد ١ سنة ١٨٩٨ صفحة ٤٤٩

واكثرها لكتبة النصارى(١) بينها رسائل مار بولس مكتوبة في القرن الثامن على رق غزال . اما الكتب المطبوعة فكثير عددها بينها مجموعة (مين) الشهيرة . ثم الكتاب المقدس المطبوع في باريس في تسعة مجلدات ضخمة وهو المعروف بالبوليغلوتا . وقد نُقل قسم من هذه النفائس الى المكتبة البطريركية السريانية ببيروت في الآونة الاخيرة . وبين تلك النفائس فرامين سلطانية وبراآت بابوية تتعلق بالملة السريانية . وكان لدير مار افرام بماردين مكتبة عامرة بالمطبوعات والمخطوطات التهمتها النيران عام ١٩١٧ اثناء الحرب العظمى فكان الاسف على خسارتها شديداً .

٣ ـ مكتبة الارمن الكاثوليك

هي من اقدم المكتبات النصرانية في ماردين انشأها الارمن في القرن السادس عشر قبل عهد وصالهم مع كنيسة رومية . وقد انطوت على مخطوطات وافرة في اللغات العربية والتركية والارمنية بينها رقوق نفيسة . ومركزها في كرسي مطارنة الملة المذكورة الذين ضموا اليها كثيراً من الكتب المطبوعة ذات المواضيع المختلفة . ونُكبت هذه المكتبة مراراً بفقدان اثمن محتوياتها ولاسيما اثناء مذابح الارمن المشهورة . ومنذ الحرب العظمى (١٩١٤ – ١٩١٨) استولت عليها الحكومة التركية فانشأت منها ومن مكتبات اخرى مكتبة عامة في ماردين يرتادها القراء والباحثون على اختلاف طبقاتهم .

سادساً : مكتبة دير الزعفران

١ ـ ثروة مكتبة دير الزعفران

يُعدّ دير الزعفران المجاور لماردين من اهم الاديار النصرانية واقدمها في ما بين

---

(١) الاب لويس شيخو : سياحته من بيروت الى الهند (المشرق : مجلد ١٥ سنة ١٩١٢ صفحة ٣٠٥)

النهرين . وقد اتخذه بطاركة السريان مركزاً لهم منذ القرن الثاني عشر فزادوا ابنيته الفخمة وانشأوا حوله القرى والبساتين والكروم والمزارع . ثم جمعوا فيه كل ما خلّفه اسلافهم او وصلت اليه ايديهم من الآثار والوثائق والمخطوطات المكتوبة على رق غزال وغيره . نخص بالذكر منها الفرامين والصكوك التي منحها الخلفاء العباسيّون وملوك ماردين الارتقيون وملوك التتر وسلاطين آل عثمان للبطاركة المشار اليهم .

وما عدا تلك الصكوك الثمينة القديمة فقد اشتمل هذا الدير على خزائن حوت كثيراً من نوادر المخطوطات العربية والسريانية والفارسية واليونانية والتركية . ويعود الفضل في احرازها اولاً الى اغناطيوس خليفة حنانيا الذي كان اسقفاً على ماردين في اواخر القرن الثامن للتاريخ المسيحي . فان اغناطيوس هذا انشأ في دير الزعفران منذ السنة ٨١٦ مكتبةً ثمينةً وابتنى لها فيه معاهد خاصة . ومذ ذاك العهد اصبح يؤمّها روّاد البحث وطلاب المعارف من كل طبقة وصقع .

وعلى توالي الاحقاب ازداد عدد تلك الذخائر الكتابية حتى تولى رئاسة الدير يوحنا اسقف ماردين (+ ١١٦٦) مسيحية . فجدّد ما اندثر منها وضمّ اليها كل ما وصلت اليه يده من المخطوطات النفيسة . في جملتها اربع نسخ كاملة من اسفار العهد الجديد كتبها يوحنا بخط يده بحروف ذهبية وفضية(١) .

ثم زادت ثروة هذه المكتبة زيادة عظيمة بما ضُم اليها من مكتبة الكرسي البطريركي في آمد لدى انتقاله رسمياً سنة ١١٧٦ للميلاد الى دير الزعفران . وما تبقّى من المخطوطات في مكتبة آمد الشهيرة استولى عليها بعد سبعة اعوام (١١٨٣ م) صلاح الدين الايوبي وسلمه الى كاتبه القاضي الفاضل (٢) كما ذكرنا .

---

(١) المكتبة الشرقية للسمعاني : مجلد ٢ صفحة ٢١٦ ـ ٢٢٦

(٢) التاريخ السرياني المدني لابن العبري : طبعة بيجان في باريس صفحة ٣٦٢

٢ ـ رواية المستشرق ساخو عن مكتبة دير الزعفران

أخبر الرّحالة ساخو Dr. Ed. Sachau انه في السنة ١٨٧٩ زار دير الزعفران في ايام اغناطيوس بطرس السادس (١٨٧٢-١٨٩٤) البطريرك السرياني. فشاهد في مكتبته نحو عشرين كتاباً نصفها مكتوب على الرق وبعضها يرتقي الى القرن التاسع او العاشر للميلاد.

وفي مكتبة دير الزعفران عهد من العهود الاسلامية مكتوب على رق الغزال. ويزعم السريان ان نبيّ الاسلام كتبه الى جبريل مطرانهم والى نصارى الاقباط. وهذا العهد يُنسب الى معاوية بن ابي سفيان وقد كُتب بالخط الكوفي(١).

٣ ـ نكبات مكتبة دير الزعفران

حلّت بدير الزعفران نكبات شتى في آونة مختلفة. فان الاكراد اخربوه عام ١٦٥٦ وأتلفوا حصة صالحة من آثاره ومخطوطاته. ولما قام البطريرك اغناطيوس جرجس الثاني (١٦٩٠ – ١٧٠٩) رمّمه سنة ١٦٩٧ وصرف العناية في تجديد مكتبته حتى اصبحت مماثلة لأهم المكتبات في البلاد الشرقية.

وبعد الحرب العظمى (١٩١٤ – ١٩١٨) اضطر البطاركة الى هجر هذا الدير بعدما ظلّ كرسياً لهم سبعمائة سنة بنيف. فسكنوا تارة في القدس وطوراً في حمص ملتحقين بابناء رعيتهم الذين هجروا هم ايضاً تلك الانحاء الى الجزيرة العليا وسوريا ولبنان وفلسطين والقطر المصري واوروبا واميركا. وقد تبعثرت مكتبة دير الزعفران وتقاسمتها ايدي ذوي المطامع. ولم يسلم من مخطوطاتها الثمينة الا الشيء اليسير. فنقُل بعضها الى الكرسي البطريركي في حمص والبعض الآخر الى دير مار مرقس في اورشليم.

---

(١) عهود نبي الاسلام والخلفاء الراشدين للنصارى: المشرق مجلد ١٢ سنة ١٩٠٩ صفحة ٦١٧

٤ ــ وصف الراهب افرام برصوم لمكتبة دير الزعفران

اليك ما اثبته سنة ١٩١٧ الاب افرام برصوم (صار بطريركاً في ٢٩ كانون الثاني ١٩٣٣ باسم اغناطيوس افرام الاول) عن مكتبة دير الزعفران قال (١) : « اما اليوم فان المكتبة الزعفرانية تشتمل على نيّف وثلاثمائة مجلد مخطوط سرياني وعربي اقدمها يرقى الى القرن التاسع للميلاد . وفيها نسخ من ابدع ما خطته انامل الخطاطين وموضوعها الكتاب العزيز وتفاسيره والكتب اللاهوتية والفقهية والنحوية واللغويّة والطقسية والادبية والنسكية والتاريخية وغيرها من آثار الملافنة الاجلاء رضوان الله عليهم ... ومن نسخها الثمينة خمسة اناجيل مكتوبة على رق ترقى الى القرن العاشر حتى الثاني عشر : منها نسختان مصوّرتان بصور بديعة . ونسختان نادرتان من مجموعتَي قوانين الدسقالية والمجامع . ومخطوطان ضخمان من التراجيم السنوية لآباء الكنيسة » الخ الخ .

سابعاً : مكتبة دارا

دارا مدينة قديمة واقعة بين ماردين ونصيبين ابتناها داريوش او دارا في زمن الاسكندر ذي القرنين . وتوالى عليها حكم الفرس والروم حتى ملكها العرب نهائياً في اول الفتح الاسلامي . وكانت هذه المدينة زاهرة بعلمائها ومدارسها ومكتبتها وقد وصف بعض المستشرقين آثارها وعتائقها .

وذكر توما المرجي(٢) ان كسرى الثاني ملك فارس (٥٨٩ ــ ٦٢٧ م) دوّخ دارا في السنة الخامسة عشرة لملكه واستولى على جميع ما فيها من الاموال والنفائس وخزانة الكتب ثم عرض على غريغور البسّامي الجاثليق (٦٠٥ ــ

---

(١) نزهة الاذهان في تاريخ دير الزعفران : للاب افرام برصوم : صفحة ١٤٤ ــ ١٤٦ طبعه بالمطبعة السريانية بدير الزعفران سنة ١٩١٧ (٢) كتاب الرؤساء : فصل ٢٥ صفحة ٣٩

٦٠٩ م) ان يشتري تلك المكتبة بعشرين الف استار فضة . فقسّط الجائليق ذلك المبلغ على الكنائس(١) ثم جمعه ودفعه الى كسرى واسترجع الكتب (٢) .

وفي ٧ تشرين الاول سنة ٨٣١ للميلاد اتفقت كلتا الدولتين الاسلامية والفارسية(٣) على تدمير دارا فلم يبقَ فيها من السكان الا نفر يسير . ومن ذلك الحين عفت آثار مكتبتها التي كانت غنيّة بمصاحف مخطوطة نفيسة في لغات شتى ولاسيما العربية .

ثامناً : مكتبات نصيبين

١ ــ مكتبة مدرسة نصيبين

وصف ابن جبير في رحلته الى مدينة نصيبين قال . « شهيرة العتاقة والقدم . ظاهرها شباب وباطنها هرم . جميلة المنظر متوسطة بين الكبر والصغر . يمتد امامها وخلفها بسيط اخضر مدّ البصر . قد اجرى الله فيه مذانب من الماء تسقيه . وتطّرد في نواحيه . يحف بها من يمين وشمال بساتين ملتفة الاشجار يانعة الثمار . ينساب بين يديها نهر قد انعطف عليها انعطاف السوار . والحدائق تنتظم بحافتيه . وتفيء ظلالها عليه . فرحم الله ابا نواس الحسن بن هاني حيث يقول (٤) .

طابت نصيبينُ لي يوماً فطبتُ لها ... يا ليتَ حظّي من الدنيا نصيبينُ

كانت نصيبين في القرون النصرانية الاولى احدى عواصم العلم في الامصار

---

(١) اخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب « المجدل » لعمرو بن متى : صفحة ٥٢ طبعة جيسموندي برومية . وكتاب فطاركة كرسي المشرق : لماري بن سليمان : صفحة ٦٠

(٢) تاريخ كلدو وآثور : للسيد أدى شير مطران سعرد : مجلد ٢ صفحة ٢٢١

(٣) تاريخ الرهاوي : طبعة البطريرك افرام رحماني : فصل ٢١٧ صفحة ٢٦١

(٤) رحلة ابن جبير : صفحة ٢١٧ ــ ٢١٨

الشرقية . اشتهرت خصوصاً بمدرستها الذائعة الصيت وبالعلماء الاعلام الذين تخرّجوا فيها عصراً بعد عصر . وقد ألمعنا الى اسماء فريق منهم والى بعض مؤلفاتهم في الفصل الرابع من الباب الاول . واحتوت مدرسة نصيبين على خزائن حافلة بالوف المخطوطات دوّنها اولئك الفطاحل واساتذتهم وغيرهم من اساطين العلم . فاصبحت منهلاً للورّاد يتسابقون الى ارتشاف ينابيع المعارف فلسفية ولغوية وادبية وتاريخية وطبية وفلكية وزراعية وصناعية ودينية ولاسيما علم الكتاب المقدس . ولم تلبث ان أصابها ما اصاب سائر المعاهد الكتابية من الرزايا التي سطّر لها التاريخ وصمة عار في القرون الوسطى . فذهبت تلك المكتبة الزاهرة فريسة النار والتخريب بيد البرابرة الطغاة بعد ما كانت مصباحاً ساطعاً يهتدي بنوره الطلاب من كل صقع .

٢ ـ مكتبة كنيسة مار يعقوب الكبرى

هي من اقدم المكتبات واشهرها في بلاد ما بين النهرين يرتقي عهد تاسيسها الى العلامة مار يعقوب (٣٣٨ م) اسقف نصيبين . ولوفرة فضله وفضيلته أطلق عليه اوسابيوس القيصري لقب « فخر اساقفة المشرق » . ولما ذاعت تعاليم النساطرة منذ القرن الخامس للميلاد في تلك المدينة تغلب اشياعها على كنيسة مار يعقوب الكبرى وامتلكوا مكتبتها العامرة فعزّزوها وزادوا عليها .

ودارت الايام دورتها حتى وقعت نصيبين في حكم نور الدين صاحب حلب سنة ١١٧٢ للميلاد . فانه شدّد على المسيحيين وقوّض كل بناء جديد أضيف الى اديارهم وكنائسهم . من جملة ذلك كنيسة مار يعقوب المشار اليها فانتهب جميع امتعتها الثمينة والوفاً من الكتب كانت محفوظة فيها(١) .

ولما تجدّدت كنيسة مار يعقوب سنة ١٥٦٢ تجددت معها مكتبتها . يؤيد ذلك

---

(١) تاريخ ميخائيل الكبير : صفحة ٦٩٦

انجيل نُسخ في ١٧ اذار ١٥٦٩ للميلاد ورد فيه ان دوروملیك امرأة درويش وهبت هذا الكتاب لبيعة مار يعقوب بنصيبين . وقد نُقل الانجيل مع غيره من المخطوطات القديمة الى مكتبة الكلدان بماردين ويُعرَف تحت الرقم ١٠ ما بين مخطوطاتها(١) .

٣ ـ مكتبة مطرانية نصيبين

عُدّت مطرانية نصيبين في قيود البيعة النسطورية من اهم المطرانيات واقدمها وجلس على كرسيها مطارنة اجلاء اشتغلوا بالثقافة والأدب وصنّفوا كتباً استحقت اعتبار الائمة . وانشأوا في قلايتهم مكتبة عظيمة حوت ما تلدَ وطُرِفَ من المخطوطات الثمينة . ولما اعرضوا او كادوا يعرضون عن لغتهم السريانية الاصلية منذ القرن الثامن ضموا الى تلك المكتبة مؤلفات عربية اقبلوا على مطالعتها ووضعوها بين ايدي طلبة مدارسهم الشهيرة التي سبق لنا وصف بعضها . فغدا منذ ذاك الحين الادب العربي بجنب الادب السرياني وأصبحا كلاهما الفَين أليفَين لدى اولئك المطارنة لا يفارق احدهما الآخر .

وقد تفرّغ مطارنة نصيبين لدراسة اللغة العربية وأحكموا اصولها وآدابها . وصنّفوا فيها كتباً كثيرة يطول بنا تعدادُها . نذكر منهم المطران ايليا برشينا (+ ١٠٤٩ م) الذي سهّل اقتباس العربية على طلبة مدارسه فانشأ لهم معجماً سريانياً عربياً في ٣٠ فصلاً . وكتب « المجالس السبعة التي جرت بينه وبين الوزير ابي القسم حسين بن يحيى المغربي عام ١٠١٨(٢) » . وصنّف ايضاً تآليف جمة بالعربية الفصحى . اخصها رسالته في وحدانية الخالق وتثليث اقانيمه (٣) . ومقالة في « نعيم الآخرة » ورسالة في « العفة » وكتاب « دفع الهمّ (٤) » . ومقدمات

---

(١) المشرق : مجلد ١٦ سنة ١٩١٣ صفحة ٨٥٠ (٢) نشرتها مجلة المشرق عام ١٩٢٢
(٣) مجلة المشرق عام ١٩٠٣ (٤) المشرق عام ١٩٠٢

على الاناجيل . وحل بعض مسائل انجيلية . ورسالة في المواريث منها نسخة كُتبت سنة ١٢٢٠ م(١) . واناف عدد مجلدات تلك المكتبة المطرانية على الالوف . وقد انتهبها نور الدين بن زنكي في السنة ١١٧٢(٢) مع مكتبة مار يعقوب السابق ذكرها .

ولما استُخلف يشوع يهب بن ملكون الدنيسري في مطرانية نصيبين (١١٩٠-١٢٥٦ م) اخذ يجدد مكتبتها لانه كان من محبي الكتب ومن مشاهير المؤلفين . وخلّف في العربية ترجمة للاناجيل معتبرة منها نسخة ثمينة خُطت في السنة ١٢٣٣ م تخص مكتبة دير الشرفة(٣) . ولهذا المطران تصانيف اخرى عربية منها كتاب « البرهان على صحيح الايمان » و « تراجم مسبّحة » ضمت الى كتاب « تراجيم الاعياد المارانية » تأليف ابي الحليم وطُبعت معها .

وظلت هذه المكتبة في نمو مطرد حتى تولى مطرانية نصيبين عبديشوع الصوباوي (١٢٨٥ – ١٣١٨ م) الذي امتاز بتآليفه العربية والسريانية . فانشأ في العربية ترجمة للاناجيل مسجّعة(٤) . وكتاباً سماه « فرائد الفوائد في اصول الدين والعقائد » ألفه سنة ١٣١٢ ذكره عمرو بن متى (٥) وصنف كذلك تقويماً سنوياً تلبيةً لطلب أمين الدولة .

وعلى اثر وفاة المطران عبديشوع خبا نبراس العلوم في الامة النسطورية وتضعضعت المكتبة المطرانية وتفرقت ايدي سبا .

---

(١) مخطوطات المكتبة الواتكانية : رقم ١٦٠

(٢) تاريخ ميخائيل الكبير : صفحة ٦٩٦

(٣) فهرس مخطوطات دير الشرفة : صفحة ٣١٠-٣١٢

(٤) المخطوطات العربية لكتبة النصرانية : صفحة ١٤٦

(٥) المشرق : ٧ سنة ١٩٠٤ صفحة ٩٩٨

تاسعاً : مكتبات طور عبدين

١ ـ ازدهار المكتبات وتعددها في اديار طور عبدين

يتألف طور عبدِين(١) من سلسلة جبال واقعة شرقي ماردين ومن الجبال المحيطة به كجبل الازل وباعربايا وجبل قورس . وازدهر منذ القرن الرابع للميلاد بما تشيّد فيه من المدارس الزاهرة والاديار العظيمة التي نفقت فيها اسواق العلم والتأليف . وبلغ عدد الاديار والصوامع في تلك البقعة نحو الثلثمائة كان يسكنها عشرات الالوف من الرهبان والعبّاد .

ان من تصفّح تواريخ النساطرة واليعاقبة اخذه العجب العجاب من كثرة الكتبَة الذين نبغوا بين جدران تلك المعاهد وزيّنوا المنابر العلمية بفضلهم وفضيلتهم. فانهم بانصرافهم الى النسك توفّرت لديهم وسائل تحصيل المعارف وتعميم المدارس وتأليف الكتب ونساخة الاسفار المفيدة في ألسنة مختلفة كالعربية والسريانية واليونانية والفارسية وغيرها . وباتت تلك الديورة معقلاً منيعاً بل ملاذاً اميناً لساكنيها ولأهالي البلدان المجاورة يتحصنون فيها من غارات الاعداء(٢) .

وكان كل دير مزداناً بخزائن مخطوطات يتصفحها الرهبان ويسترشدون بها ويغذّون عقولهم بمحتوياتها . لكن هذه المكاتب عفت آثارها باندراس الاديار المشار اليها . اذ ان اغلبها انطمس وأمسى اثراً بعد عين بسبب المنازعات القومية التي ثارت بين الجبليين والاكراد في ازمنة مختلفة . ثم طرأت على طور عبدين غوائل هائلة محقت آثاره وبدّدت كتبه وعتائقه وافقدته بهاءه ورونقه . فكان الفرس تارة والروم طوراً يغزونه ويدوّخونه حتى ظهر الاسلام فملكوه .

---

(١) معناه جبل عبيدالله باللغة السريانية .

(٢) المشرق : مجلد ١٦ سنة ١٩١٣ صفحة ٥٦٥

٢ ـ وصف دير قرتمين المعروف بدير العمر

لما قام المهدي المعروف بالمقنّع سار هو واصحابه الى طور عبدين وتغلّبوا عليه ونهبوا الاديار والكنائس . فسيّر الخليفة عبدالله المأمون الامير حسناً في جيش فقهر المعتدين وهزمهم من دير قرتمين(١) المعروف ايضاً بدير العُمر الذي شيد سنة ٣٩٧ للميلاد . ويُعدّ هذا الدير تحفة من تحف الفن لما انطوى عليه في سالف الزمان من الآثار النادرة والابنية الفاخرة . وقد جدده انسطاس ملك الروم (٤٩١ – ٥١٨ م) اذ أوفد البنائين والنحّاتين يتقدمهم ثاودوسي وثاودور (٢) فنهضوا بالهندسة والبناء خير نهوض .

٣ ـ اطلاق العرب لفظة « عُمر » على مقام الرهبان

أطلق العرب لفظة « العُمر » على كل دير ينقطع اليه رهبان او راهبات ولاسيما على دير قرتمين لانه أعظم الديورة في طور عبدين وأقدمها . وكثيراً ما ورد لفظ « العمر » بمعنى الدير في اشعار العرب . قال الحسن بن هانىء(٣) :

آذنكَ الناقوسُ بالفجرِ وغرّد الراهب بالعُمرِ

وقال يعقوب المارداني في احدى خمرياته الرائعة ما يلي :

أمِط عن سناها الختم طال بها العمرُ فما صانها الا لاربابها العمرُ (٤)
فقد جئتها يا راهبَ الدير خاطباً لها راغباً فيها وان كُثرَ المهرُ...

---

(١) سياحة في طور عبدين (المشرق مجلد ١٦ سنة ١٩١٣ صفحة ٥٦٦)

(٢) المؤرخ الرهاوي : ٥٢ : ١١٣ وابن العبري : صفحة ٧٧ من تاريخه المدني السرياني (٣) كتاب الديارات للشابشتي : صفحة ١١٢ ـ ١١٣ (٤) العمر في الشطر الاول معناه « الحياة » وفي الشطر الثاني معناه « الدير » وهو لفظ سرياني

اذا أترعت في كأسها او تشعشعت يخال بها جمرٌ وليس بها جمرُ
تناولها سمعان ثم تداولت يمرّ بها عصر ويُدركها عصرُ(١)

٤ ـ مكتبه دير قرتمين او دير العمر

اشتهر دير قرتمين بخزائن مخطوطات كانت آية بغرائبها وعجائبها بين سائر الخزائن . وكان يسكنه في زمن عزّه ما ينيف على المائة والخمسين راهباً اكثرهم من ذوي العلم وارباب التأليف . والى جانب الدير قرية « قرتمين » التي ينتسب هو اليها . وكان سكانها يشتغلون الرق او جلد الغزال ويهيئونه لنسخ المخطوطات(٢) . يدل ذلك على رواج سوق المعارف وانتشار محبة الكتب في تلك الاصقاع الحافلة بالنساك .

وفي السنة ٩٨٨ للميلاد قام في دير قرتمين مطران اسمه يوحنا فجدّد الكتابة السطرنجيلية التي بطل استعمالها نحو مائة سنة قبل عهده(٣) . ويروى عن عمنوئيل ابن اخي يوحنا المذكور انه كتب على الرق سبعين مجلداً من الترجمة البسيطة والسبعينية والحرقلية وغيرها ثم وقفها لدير قرتمين(٤) .

٥ ـ نكبات مكتبة دير العمر

تتابعت النكبات على ديورة طور عبدين ولاسيما على دير قرتمين وعلى مكتبته الشهيرة . وكان الرهبان يجدّدون ما دثر منها على اثر كل نكبة . وذكر المؤرخ الرهاوي ان ادرهمون عامل الفرس في نصيبين غزا دير قرتمين وقرى طور عبدين نحو السنة ٥٨٠ للميلاد(٥) . وأثبت ميخائيل الكبير ان دير قرتمين نُهب اولاً سنة

---

(١) شعراء النصرانية بعد الاسلام : للاب شيخو : صفحة ٣٤٥ ـ ٣٤٦
(٢) المشرق : مجلد ١٦ سنة ١٩١٣ صفحة ٨٤٠ (٣) الزهرة الزكية : صفحة ٥١
(٤) رغبة الاحداث : جزء ٢ صفحة ١٥٨ (٥) تاريخ الرهاوي : ٧٤ : ١٢٨ طبعة الشرفة

١٠٧٥ م نهبه الاتراك . ثم نهب تكراراً سنة ١١٤٦م وقُتل فيه اربعة رهبان(١).

ويشاهد عند باب كنيسة دير قرتمين على شمال الداخل اليها حجر مكتوب يتضمن اسماء اساقفة هذا الدير مدة مائتين واربعين سنة . واليك ما يُقرأ في آخر تلك الكتابة معرّباً : « ... وآخرهم الخاطىء منعم قام سنة ١٤٠٠ يونانية (١٠٨٩ م) وكتب هذا التذكار. وفي زمانه المشؤوم الضيّق نُهب هذا الدير نهباً. نهبه الفرس وتركوه قاعاً صفصفاً . واقترفوا الشرور في طور عبدين اجمع . وظل الناهبون في الهيكل اربعة وعشرين يوماً .

٦ ـ بعض مكتبات طور عبدين

في السنة ١٢٣٢ م زحف التتر الى طورعبدين وفتكوا برهبانه وسبوا ونهبوا وقتلوا خلقاً كثيراً . واتلفوا خزائن الكتب الغنية الكثيرة العدد في اديارة كما اتلفوا بعد اعوام قليلة خزائن الكتب الاسلامية في بغداد وبلاد الشام على ما ذكرنا . وسنثبت ذلك كله بالتفصيل في الباب السادس عشر من كتابنا هذا وعنوانه « رزايا الكتب والمكتبات » .

وفي السنة ١٣٩٣ م سار الطاغية تيمورلنك الى دُنيسر وماردين وطور عبدين والى سائر بلاد ما بين النهرين . فمحق في طريقه ما شاهده من الاديار العامرة ومعالم الأدب . ونهب حليّها وحللها وسلب ذخائرها وكنوزها وأحرق مخطوطاتها القديمة(٢) التي عُني السلف بتأليفها ونساختها .

وما كتبناه عن مكتبة دير قرتمين يصدق ايضاً عن مكتبات سائر اديار طور عبدين . ومن أهمها مكتبة دير مار اوجين بجبل الازل . ومكتبة دير مار يعقوب بقرية صَلح . ومكتبة باسبرينا . ومكتبة دير مار ابرهوم . ومكتبة

---

(١) تاريخ ميخائيل الكبير طبع باريس : جزء ٣ صفحة ٢٦٨

(٢) الكنز الثمين : للاب جبرائيل قرداحي : طبعة رومة سنة ١٨٧٥ صفحة ١١٣ ـ ١١٨

بيعة شموني في مذيات وقد أتلفت بقاياها في الحرب الكونية (١٩١٤ - ١٩١٨) .

ومَن شاء زيادة ايضاح عن الديورة المذكورة وعن مخطوطاتها فعليه ان يراجع ما نشره البحّاثة الخورفسقفوس اسحق ارملة السرياني بعنوان « سياحة في طور عبدين(١) » وما كتبه الاب شيخو في سياحته من بيروت الى الهند(٢) .

٧ - انجيل فريد ثمين في مذيات بطور عبدين

من الذخائر النادرة التي لم يروِ التاريخ مثلها مخطوطة ثمينة للانجيل كانت مصونة في مذيات . ويرتقي عهد كتابتها طبقاً لرواية الرّحالة باري الى القرن التاسع للميلاد . وهذه المخطوطة المنسوخة على رق غزال تحوي نص الانجيل باللغة اليونانية مكتوباً بحروف سطرنجيلية سريانية(٣) .

عاشراً : مكتبة سعرْت

١ - اصل مكتبة سعرت وثروتها وفواجعها

سعرت مدينة ببلاد ما بين النهرين بين ميافرقين وجزيرة ابن عمر . وعلى مسير ساعة منها على الاقدام دير عريق يُعرف بدير مار يعقوب الحبيس . وكان هذا الدير يحوي خزانة كتب ثمينة افرغ الجهود في تنظيمها السيد بطرس ميخائيل بَرْطَطَر مطران سعرت (١٨٥٨ - ١٨٨٤) . واضاف اليها مخطوطات قديمة العهد التقطها من مخلفات النساطرة في زاخو وارادن ودهوك والعقر والعمادية واربيل وغيرها .

---

(١) المشرق : مجلد ١٦ سنة ١٩١٣ صفحة ٥٦١ فما بعد

(٢) المشرق مجلد ١٥ سنة ١٩١٢ صفحة ٨٠٨ فما بعد

(3) O. H. Parry: Six Month in a Syrian Monastry : 1895, P. 338

واشتملت مكتبة دير مار يعقوب على مخطوطات جمة مكتوبة على رق الغزال تحدثت الألسن بجمالها وقدمها وقيمتها . وروى لنا فريق من اهالي تلك الانحاء الذين تعهدوا الدير المشار اليه انهم شاهدوا كتابة منقوشة فوق باب كنيسته مفادها : « اذا خرب الدير سبع مرّات فان كنوزه كافية لتجديد بنيانه سبع مرات » . والمراد بكنوز الدير مكتبته العامرة .

ما كاد يمر على تنظيم مكتبة دير مار يعقوب عشرون عاماً حتى ثار ثائر الاكراد في خريف السنة ١٨٩٥ على الارمن مجاوريهم . وافتعلوا ما افتعلوه من الفظائع والفضائح في ارمينيا وكردستان وما بين النهرين مما هو مشهور لدى الخاص والعام . فحملوا على مكتبة مار يعقوب وبعثروا مخطوطاتها الثمينة ومزقوها وألقوا اوراقها في حوض ماء بفناء الدير . غير انهم احتفظوا بالرقوق منها فخاطوها احذية لارجلهم (١) .

وعلى اثر تلك النكبة لم يسلم من مكتبة دير مار يعقوب الا بقية ضئيلة نقلها السيد عمنوئيل توما اسقف سعرت (١٨٩٢ – ١٩٠٠) الى خزانة كرسيه . فانه وجّه الى الدير شاباً نشيطاً يقال له يعقوب يوحنا كان من تلامذة اكليريكية الآباء الدومنكيين (١٨٨٦ – ١٨٩٤) بالموصل . فذهب يعقوب الى الدير مخاطراً بحياته وتمكن بعد عناء ومشقة وافرة من لمّ بقايا المخطوطات . ونَقلَ على الجحاش ما استطاع نقله الى دار المطرنة بسعرت . غير انه ترك هناك اكداساً من الاوراق مبعثرة كان زوّار الدير يعاينونها متأسفين كل الاسف على فقدان مثل تلك الكنوز الكتابية التي حرص عليها الاقدمون احقاباً عديدة .

٢ – تجديد مكتبة سعرت واتلافها واتخاذ الاكراد رقوق مخطوطاتها نعالا لارجلهم

بعد ارتقاء السيد ادّى شير الى مطرانية سعرت (١٩٠٢ – ١٩١٥) وجّه

---

(١) راجع ما سطرناه عن نازلة مكتبة سعرت في الفصل ٣٦ من الباب ١٦

عنايته الى تعزيز مكتبتها . فاضاف اليها مخطوطات جديدة ومطبوعات مفيدة . وامتاز بكَلفه بالمكتبات فوضع فهارس علمية لما احتوته من الذخائر الشرقية . وقد عرفنا من المكتبات الكلدانية التي اشرف عليها ونظم لها الجداول وشرح مواضيعها : المكتبة البطريركية بالموصل ومكتبة دير السيدة بجوار القوش ومكتبة ديار بكر ومكتبة ماردين ولاسيما مكتبة كرسيه في سعرت .

غير ان الايام عبثت لهذا الحبر الغيور بعد افترارها فنكبته نكبة هائلة قضت على حياته كما قضت على مكتبته الثمينة العزيزة . فان الاكراد المجاورين لابرشيته انتهزوا نشوب الحرب العظمى (١٩١٤ - ١٩١٨) ففظّعوا به وبجميع ابناء رعيته حتى تفجرت دماؤهم انهاراً في اسواق المدينة وضواحيها . ولم يقفوا عند ذلك الحد من الفظاعة بل استاقوا المطران الى كهف بعيد واطلقوا عليه نيران بنادقهم فخرّ صريعاً(١) . وكوّموا فوق جثمانه حجارة جرياً على عادتهم لتكون تلك الكومة دليلاً على ان تحتها دفيناً قتيلاً . وقد حدثت تلك الفاجعة في اواسط شهر آب ١٩١٥ قريباً من قرية « طانزي » الواقعة بين سعرت وجزيرة ابن عُمر .

وما اكتفى الاكراد بتلك المذابح لكنهم انقلبوا الى المدينة وتهارشوا على المكتبة . فاجهزوا على كل ما فيها من قديم وحديث وتخاطفوا مجلداتها الضخمة وتقاسموها . وخاطوا الرقوق الباقية احذية لأرجلهم كما افتعل آباؤهم قبل عشرين سنة برقوق مكتبة مار يعقوب . وروى لنا السيد تريفون قلمكاريان احد هواة المخطوطات العتيقة انه عثر مع احد الاكراد قريباً من نصيبين على مخطوط غاية في الضخامة قال ان وزنه أناف على اثني عشر كيلو . فاشتراه من الكردي بمبلغ خمس عشرة ليرة ذهبية وشاهد عليه توقيع المطران ادى شير وختمه

---

(١) القصارى في نكبات النصارى : تأليف القس اسحق ارملة : صفحة ٣٨٩

الفصل الخامس

خزائن كتب النصارى في العراقين العربي والفارسي

اولا : مكتبات النساطرة

١ ـ فضل علماء النساطرة على اللغه العربية

النساطرة(١) فرع من فروع الامة السريانية لهم صفحة مجيدة في خدمة العرب واللغة العربية قبل الفتح الاسلامي(٢) وبعده . فكانوا هم والسريان اليعاقبة اول مَن جاهروا بالاخلاص للفاتحين وسعوا لتوطيد ملكهم الضخم على انقاض دولتي الروم والفرس . وبرز بينهم رهط من جلّة الكتّاب اشتغلوا على عهد الخلفاء العباسيين في نقل العلوم اليونانية والسريانية الى اللسان العربي . فلم يدعوا علماً او فناً او مطلباً الا صنفوا فيه كتباً كثيرة العدد جديرة بالاعتبار .

ومن شاء زيادة ايضاح في هذا الصدد عليه ان يراجع ما سطره قدماء المؤرخين الذين سبقوا فوّفوا ائمة النساطرة حقهم . وقد المعنا بايجاز الى اولئك الجهابذة وآثارهم العلمية في بعض فصول هذا الكتاب(٣) . ومما لا يختلف فيه اثنان ان المكتبات العربية مديونة لعلماء النساطرة بقسط كبير من ذخائرها الثمينة . تشهد على ذلك تآليفهم ونقولهم التي خلّفوها بعدهم وقد صارت اشهر من نار على علم .

---

(١) راجع حاشية مختصرة علقناها في كتابنا (السلاسل التاريخية) صفحة ١٣٥ ١٣٦

(٢) المكتبة الشرقية للسمعاني : جزء ١ واخبار الشهداء والقديسين : طبع بيجان مجلد ١

(٣) اطلب الفصلين الخامس والسادس من الباب الاول وبعض فصول الباب الحادي عشر

٢ ـ مكتبة فطاركة النساطرة في المدائن وبغداد

للنساطرة رئيس أعلى عُرف اولا باسم « جاثليق » ثم اضافوا اليه منذ القرن الخامس لقب « فطرك » او « فطريرخيس » وهو المشهور عند سائر الملل النصرانية بلقب « بطريرك » . وكان مركز فطاركة النساطرة اول بدء في المدائن . ولما انتقلوا الى بغداد في صدر الخلافة العباسية نقلوا معهم أمتعتهم ومكتبتهم الغنيّة التي توارثها خلَفهم عن سلفهم حتى جلس طيمثاوس الاول (٧٨٠ ـ ٨٢٣ م) على عرش الفطركة . فراجت في عهده أسواق اللغة العربية بين الخاص والعام . واقبل على دراستها والتبحّر فيها كبار النساطرة فقام فيهم كتبَة وعلماء واطباء طبّق الآفاق صيتهم . وتولوا مناصب شريفة في دواوين الخلفاء العباسيين وأدوا لهم خدماً جلى .

ويُعد الفطرك طيمثاوس من فحول علماء النساطرة ومن أقدم مَن كتب منهم في العربية الفصحى . وقد انشأ فيها مؤلفات جليلة . ومن ذلك العهد حفلت مكتبة الفطاركة بتصانيف فلسفية وطبية وتاريخية وضعها ابناء ملتهم كآل بختيشوع وعبدالمسيح بن اسحق الكندي وحنين بن اسحق وولدَيه داود واسحق وابن اخته حبيش وغيرهم وغيرهم .

ولما تولى الفطركة سبريشوع الثاني (٨٣٥ ـ ٨٣٩ م) أسّس في بغداد ثلاث مدارس معتبرة وهي مدرسة فثيون ومدرسة دار الروم ومدرسة كليل يشوع(١). واضاف الى مكتباتها عدداً وافراً من الكتب العربية يطالعها الاساتذة والتلامذة معاً . وقد نُهبت مكتبة دار الروم في عهد الفطرك برصوما (١١٣٣ ـ ١١٣٥ م) نهباً شنيعاً (٢) .

---

(١) ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان تأليف بطرس نصري : جز١٠ صفحة ٣٩١

(٢) فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل : لماري بن سليمان : صفحة ١٥٦

ولما قام الفطرك ايونّيس او يوحنا الثالث (٩٠٠ ـ ٩٠٥ م انصرف الى دراسة الشرع الحنفي وألف فيه كتاباً عنوانه « جوامع مواريث الاسلام لبعض محبي الشعب(١) » . وأمر ان يدرّس في جميع مدارس النساطرة العليا .

شاهد الخلفاء اقبال الفطاركة على اقتباس الثقافة العربية وأعجبوا باخلاصهم وأمانتهم فكتبوا لهم العهود واعتبروهم غاية الاعتبار . وذكر المؤرخون ان الفطرك ماري بن طوبى (٩٨٧ ـ ١٠٠٠ م) الموصلي امتاز بالفقه وتولى الكتابة قبل فطركيته في ديوان ناصر الدولة بن حمدان امير حلب . فحسنت حالته وارتفعت منزلته وحشد اموالاً طائلة . ولما تولى الفطركة اشترى اوقافاً وافرة وابتنى ابنية فخمة(٢) وعزّز المدارس وانشأ المكتبات في انحاء ابرشيته .

غير ان التركمان ثم الخرسانيين هجموا على الدار الفطركية مرتين في عهد الفطرك يوحنا الخامس (١٠٤٩ ـ ١٠٥٧م) ونهبوا رياشها وكتبها الثمينة وآنيتها البيعية(٣) ولم يتيسر للفطاركة خلفائه ان يعيدوا ما فقدوه من تلك الذخائر الثمينة حتى تبوّأ عرش الفطركة ايليا الثالث (١١٧٦ ـ ١١٩٠م) المشهور بابي الحكيم فبلغت مدارس النساطرة في عهده أوج عزّها وازدادت مكتباتها وازدهرت بهمته .

وامتاز ابو الحليم بتقربه من الخلفاء والائمة . وقبض على اعنّة اللغة العربية فانشأ فيها خطباً مستملحة رصّعها بالسجع المنمق عنوانها « تراجيم الاعياد المارانية » . وصنّف كتاباً سماه « الصلوات الحليميات »(٤) . وخلف مقالات ادبية في العربية الفصحى . ولما دنا اجله قال هذين البيتين لمن حوله :

---

(١) السمعاني : المكتبة الشرقية : مجلد ٣ صفحة ٢٣٤ ومجلد ٢ صفحة ٤٤٠

(٢) ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان : جزء ١ صفحة ٤٢٩ و٤٣٠

(٣) ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان : جزء ١ صفحة ٤٥٨

(٤) المجدل : لعمرو بن متى : صفحة ١١٠ و١١١

أروني من يقوم بكم مقامي اذا ما الامر جلّ عن الخطابِ
بمن تستصرخون اذا حثيتم بانملكم عليّ من التُرابِ

هكذا واصل فطاركة النساطرة تعزيز مدارسهم وعمارة مكتباتهم حتى عهد الفطرك يهب آلاها الثالث (١٢٨١ – ١٣١٧) . فقبض عليه قازان ملك المغول وأطلق الحرّية لعسكره فدكوا كنائس النساطرة وقوّضوا اديارهم واتلفوا مكتباتهم حتى أمست أثراً بعد عين .

٣ـ مكتبة دير قُنى

دير قُنّى اسم لمدينة في العراق سبق لنا ذكرها . ويُطلق كذلك على دير قديم بني في قلب هذه المدينة كانت له منزلة عظمى لدى السريان المشارقة . لان رسولهم مار ماري احد تلامذة الحورانيين مدفون فيه . وقد ضمت كنيسة الدير رفات غير واحد من الفطاركة خلفاء ماري كاسحق الاول (٣٩٩ – ٤١٠ م) وددیشوع (٤٢١ – ٤٥٦ م) وغيرهما . اما موقعه فعلى مسافة كيلومترين من دجلة .

ففي هذا الدير العريق أنشئت مدرسة عظيمة عرفت بمدرسة « مار عبدا » صار اليها الطلبة من كل فج . واستغنوا بها عن الانطلاق الى مدرسة الرها . وكان الاساتذة يدرّسون فيها اللغة العربية (١) فضلاً عن اللغتين السريانية واليونانية . واشتملت هذه المدرسة على خزانة كتب معتبرة حفلت بمؤلفات ثمينة . يؤيد ذلك ما اثبته علماء الالمان في قاموس اللاهوت الكاثوليكي قالوا : « حُصرت العلوم الشرقية بايمة النساطرة في عهد فتوحات العرب . وكانوا يلقون الدروس في مدارس الرها ونصيبين والمدائن ودير قنّى . وكان لهم مكتبات عمومية يحفظون فيها تآليف المعلمين (٢) .

---

(١) المشرق : مجلد ٣٧ سنة ١٩٣٩ صفحة ١٨٦
(٢) قاموس كوشلير الفرنسي ١٦ : ٧٦

وممن اشتهر في مدرسة دير قنى الفطرك آحا (٤١٠ – ٤١٥ م) ومتى بن يونس المنطقي الشهير وغيرهما . وقد افاض ياقوت الحموي في وصف هذا الدير فقال ما ملخصه : اشتمل دير قنّى على مائة قلاية لكل راهب قلاية يكتنفها بستان يقضي فيه الراهب قسماً من نهاره يحرث او يفلح . وكان يخرق الدير نهر جارٍ ينساب في حدائقه ويسقي اراضيه واشجاره . وكانت تباع غلته بمائتي دينار(١) .

وفي اواسط القرن الخامس للميلاد قوّض فيروز ملك الفرس (٤٦٠-٤٨٤ م) هذا الدير الفخم مع ما قوضه من البيع والديارات(٢) . واتلف حدائقه ومكتباته وجميع امتعته . لكن النساطرة عمدوا الى ترميمه في عهد الخلفاء العباسيين . وظل عامراً بالرهبان الى عهد الفطرك ايليا الثالث (١١٧٦ – ١١٩٠ م) المعروف بابي الحليم الذي جدد سوره(٣) . وبعد هذا التاريخ انطمس ذكره واضمحل ما كان فيه .

٤ ـ مكتبة النساطرة في اورمية

بين الخزائن التي حفلت منذ العصور الخالية بمخطوطات نفيسة خزائن كتب النساطرة فى اورمية بالعراق الفارسي . وقد انشأها الفطاركة هناك منذ اعرضوا عن السكنى في بغداد واتخذوا اورمية مقراً لهم . وتم ذلك في السنة ١٦٢٥ بمساعي الفطرك الجاثليق شمعون الحادي عشر (١٦٢٥ – ١٦٥٦) وخليفته شمعون الثاني عشر (١٦٥٦ – ١٦٦٢) وظلت مكتبة النساطرة عامرة فى اورمية حتى عفا اثرها في اواخر الحرب العظمى . واليك ما سطره الارخدياقن يوسف احد علماء النساطرة في الزمان الحاضر مؤيداً ذلك بقوله (٤) :

« فررنا من اورمية عام ١٩١٨ وتركنا فيها كل ما ملكته يدنا كما تركنا ايضا الوفا من الكتب في جملتها اربعمائة مجلد من اقدم الكتب عهداً . وبين تلك المخطوطات

---

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان : جزء ٢ صفحة ٦٨٧

(٢) تاريخ ماري بن سليمان : صفحة ٤٢ (٣) المجدل : لعمرو بن متى : صفحة ١١١

(٤) مقدمة كتاب « المرجانة » المطبوع في الموصل سنة ١٩٢٤

اربع عشرة نسخة مكتوبة على جلد الغزال يرتقي عهد نساختها الى ما قبل الف وخمسمائة سنة . فهذه المخطوطات باجمعها قد اتلفها غير المؤمنين وفتكوا في السنة ١٩١٨ بالجاثليق بنيامين شمعون التاسع عشر (١٩٠٣ – ١٩١٨) . ثم قام بعده في الجثلقة اخوه بولس شمعون العشرون (١٩١٨ - ١٩٢٠) »

٥ ـ مكتبة فطاركة النساطرة في قودشانيس

قودشانيس ويقال قوجانس او قوشانس(١) بلدة مقدسة عند النساطرة اتخذها فطاركتهم او جثالقتهم الشمعونيون عاصمة لكرسيهم في عهد دنحا شمعون الثالث عشر (١٦٦٢ - ١٧٠٠) . ولبثوا يتسلسلون هناك حتى الجاثليق ايشاي شمعون الحادي والعشرين الذي جلس سنة ١٩٢٠ على كرسي المشرق . وهو يقيم في جزيرة قبرس لدواعٍ سياسية . اما الآن فهو موجود في الولايات المتحدة الاميركية للدفاع عن مصالح ملته .

وكان لدى اولئك الجثالقة خزائن كتب وافرة ورثوها عن اسلافهم فاحتفظوا بها على رغم ما اصابهم واصابها من فواجع الحروب ونكبات الدهر . ونظراً الى خطورة تلك المكتبة الجاثليقية فان المستشرق الكبير بولس بيجان (+ ١٩٢٠) استحضر منها ومن مكاتب اخرى للنساطرة مخطوطات شتى كما اثبت في مقدمات الكتب العديدة التي نشرها في بلاد اوروبا .

على ان عدداً غير يسير من نفائس كتب النساطرة قد شُحن الى مكتبات الغرب في آونة مختلفة . وآخر مَن نقل اليها من تلك الكنوز على ما عرفنا كان القس وِغرام المرسل البروتستاني(٢) . وكانت تحوي مخطوطات نادرة بينها انجيل مصوّر يُعد من التحف البديعة . وفي مكتبتَي باريس ولندن اناجيل مصوّرة ايضاً مصدرها مكتبات النساطرة(٣) .

---

(١) قودشانيس : لفظ سرياني يراد به « البلد المقدس » وقد صحفه العامة فقالوا «قوجانس» او قوشانس (٢) J. Tfinkdji L'Eglise Chaldéenne Catholique p. 26

(٣) المشرق : مجلد ١٠ سنة ١٩٠٧ صفحة ٨٤٥

ثانياً : مكتبات الكلدان

١ ـ الخزانة البطريركية في الموصل

مرّ بنا الكلام عن خزائن كتب الكلدن في دياربكر وماردين وسعرد ونحصر البحث هنا عن خزائنهم في العراق حيث مركز بطريركيتهم وأهم دياراتهم . وتحتوي الخزانة البطريركية على ما سلم من المخطوطات التي كانت محفوظة في كرسي بطريركية آمد وكرسي بطريركية بابل الكلدانيتين قبل توحيدهما . وقد جرى هذا التوحيد منذ ٥ تموز ١٨٣٠ فحُصر بصاحب الكرسي البابلي الذي اتخذ مدينة الموصل مركزاً له ولخلفائه من بعده .

وقرأنا مقالة للقس سليمان صائغ الكلداني عنوانها « تراث الاقدمين » ضمنها وصفاً وافياً للخزانة البطريركية الكلدانية نقتطف منها ما يلي قال (١) :

« نعم في الشرق نفسه خزائن كتب هي تراث الاقدمين ومخلفاتهم توقد الارواح امامها قناديل تعظيما واحتراماً . وتطوف بها عناية عشاقها وهواتها ضناً بها من التلف . ومن هذه الخزائن خزانة الكتب في دار البطريركية الكلدانية بالموصل وهي تشتمل على مئات المخطوطات الثمينة ... بعضها على الرقوق . ومنها على ورق اسمانجوني من صناعة القرن الحادي عشر تترصع فيه الآيات الانجيلية بمحلول الذهب كانها النجوم متلألئة في القبة الزرقاء ... » .

ومن الآثار الكتابية النفيسة المصونة في تلك الخزانة البطريركية فرمانات باسم الجاثليق شمعون الثالث : وجه اولهما اليه السلطان يعقوب التركماني عام ١٤٩١ للميلاد . وبعث اليه بثانيهما السلطان قاسم التركماني سنة ١٤٩٤ م

---

(١) مجلة « النجم » بالموصل : للقس سليمان صائغ : مجلد ١٠ سنة ١٩٣٨ صفحة ٢

٢ ـ مكتبة دير الربان هرمزد ومكتبة دير السيدة

بجوار قرية ألقوش قريباً من الموصل جبل قام في صدره حصن منيع يُطلّ على وادٍ تخمد عند صخوره جلبة البشر واباطيل الدنيا . وما ذاك الحصن الا دير قديم يُنسب الى الربّان هرمزد الفارسي الذي عاش في القرن السابع للميلاد . ويمتاز هذا الدير بان كنيسته وغرفه العديدة ومائدة رهبانه منقورة كلها بالصخر(١)

ولما كان الاستاذ كوركيس حنا عوّاد قد نشر اخبار دير الرّبان هرمزد في كتابه « اثر قديم في العراق » فاننا ننقل ما رواه عن مكتبة هذا الدير العريقة في القدم قال(٢) :

« كانت المكتبة في عهدها الاول تحتوي على عدد كبير من المخطوطات التي لا تُثمنّ لنفاستها . وقد كانت مكتنزة في غرفة صخرية لا تزال موجودة بدير الربّان هرمزد . ولكن الظروف القاسية التي انتابت هـذا الدير وما احاط به من نكبات وخاصة عندما هجم الاكراد عليه حوالي سنة ١٨٤٤ فنكبوا الرهبان . واعملوا على التدمير واولعوا النيران في البناية وقتلوا كل من عثروا عليه . وقد أتيح للرهبان تهريب نحو خمسمائة مخطوطة عن عيون اولئك المهاجمين وايداعها في قبو قديم عند رابية مجاورة للدير . ولكن سوء الحظ رافق تلك الكتب حتى أتى على آخرها . وذلك انه كان قد سقط مطر مدرار غزير وسال تياره من اعالي الجبل . فاجتاح ذلك السيل لدى نزوله كلاً من الكتب والبناية التي تحويها معاً . ولم يعد في الامكان رؤية شيء منها بعد ذلك . وهناك عدد عظيم من المخطوطات كان قد أتلفه الاكراد فقطعوها ارباً على مرأى من الرهبان . ورموا باجزائها في تلك الوهاد التي لا قعر لها ولا حد . فساقها تيّار الوادي الذي كان يسيل بجانب الدير .

---

(١) رحلة حديثة الى الشيخ عادي والربان هرمزد : للقس سليمان صائغ : صفحة ٥

(٢) اثر قديم في العراق : بقلم كوركيس حنا عواد : صفحة ٥٠ ـ ٥٤

« ان تلك الكتب كانت ذات نفاسة وقيمة كبيرتين . فقد قال عنها ريش Rich وقتئذٍ ... كان محفوظاً سابقاً في هذا الدير نحو خمسمائة مجلد من المخطوطات... المكتوبة على الرق . ولكنها بالنتيجة كانت قد مُزّقت ارباً ارباً ورميت في الوادي فتقاذفها الهواء واخذ في مداعبتها حتى تركها هباء منثوراً . وقد عُرض امامي بعض الاوراق المبعثرة لأتفرّج عليها فكانت ولا مراء من انفس الآثار القديمة .

« كما ان البعض منها كان قد أحرق . واما ما تبقى فقد نقل بانتقال الرهبنة سنة ١٨٦٩ الى دير السيدة . ومن ثم صار يُطلق عليها اسم (مكتبة دير السيدة) .

« وقد ذكر فلايتشر في كتاب رحلته شيئاً عن المكتبة التي كانت بهذا الدير قبل نقلها الى دير السيدة فقال ... وفي الصباح زرت المكتبة التي كانت ايضاً مغارة (صومعة) وكان قد انتثر على ارضيتها اوراق المخطوطات المزّقة والاغلفة النصف محترقة . تلك التي تحملت بعض التحمل تدمير المخربين . وقد كان الرهبان مكبين على استنساخ شيء من تلك القطع التي لا تزال قراءتها ممكنة وذلك على ورق مشابه للرق في مظهره . اما الحبر الذي يستعملونه فيمتاز بلونه اللماع الجميل . وهم يكتبون باقلام القصب ويستغنون عن المائدة او الدرج بل يضعون الورق على ركبتهم .

« والمكتبة في الوقت الحاضر مخزونة بدير السيدة في ثلاث غرف صغيرة بالطابق الارضي . الواحدة بجانب باب الكنيسة والاثنتان الاخيرتان بصدر الدير . وتضم هذه الغرف عدداً كبيراً من الكتب كما ان فيها الشيء النفيس من المخطوطات ... على ان بينها عدداً وافراً من الكتب الادبية والتاريخية والفلسفية والدواوين الشعرية التي صدرت منذ مئات السنين حتى اليوم ... وللمكتبة بعض الفهارس وضعها اهل الفضل والعلم غيرة على الدير والعلم معاً ... ولكن مخطوطات الدير في الوقت الحاضر تبلغ ثلاثمائة وخمسين كتاباً ... فهناك عدد من النساخ ينسخون للدير كثيراً من الكتب التي لا وجود لها في هذه المكتبة فيتسع بهذا عددها ... »

٣ ـ مكتبات الكلدان في ضواحي الموصل

ما عدا الديرَين المومأ اليهما ففي القرى المأهولة بالكلدان حول الموصل مخطوطات متفرقة في الكنائس وبعض بيوت الكهنة . وقد استفاد منها الاب لويس شيخو اثناء سياحته الشهيرة عام ١٨٩٥ من بيروت الى الهند بما اثبته عن تاريخ الآداب العربية النصرانية في الضواحي المذكورة . وقد شاهد فريقاً من ابناء تلك القرى المولعين بدرس آداب اجدادهم ينقلون الكتب القديمة ويرسمون تصاويرها بدقة وامانة .

٤ ـ مكتبة اسكندر مُسيح في بغداد

بين ادباء الكلدان في بغداد المولَعين بجمع الكتب نثبت اسم اسكندر بن داود مُسيّح . فقد روى عنه الاب انستاس الكرملي في مجلته « لغة العرب » ان لديه كتباً قديمة كثيرة في مواضيع مختلفة (١) .

ثالثاً ـ مكتبات السريان الارثوذكس

كان للسريان في سابق عزّهم مكتبات جمة اخنى عليها الزمان . ونكتفي هنا بذكر مكتبتين منها وهما : مكتبة تكريت ومكتبة دير الشيخ متى :

١ ـ مكتبة مفارنة المشرق في تكريت

لم تكن مكتبة تكريت اقل شاناً من مكتبات سائر البلدان الشرقية . بل كانت بلا ريب غنية بالثروة العلمية لانها كانت قاعدة لمفارنة المشرق منذ القرن السابع . وبين اولئك المفارنة اشتهر عشرات من افاضل المؤلفين الذين خلفوا في

---

(١) مجلة « لغة العرب » سنة ١ صفحة ١٨٦

العلوم آثارا خالدة . نذكر منهم شمعون الاول برصباعي (+ ٣٤١) وآبا (+٥٥٢) وآحو دامه (+٥٧٥) وماروثا (+٦٤٩) واغناطيوس برقيقي (+٩٩١) الخ . ونضيف اليهم بعض اعلام الكتبة التكريتيين كانطون المعروف بالبليغ نحو سنة ٨٢٠ . ويحيى بن جرير المتطبب واخيه الفضل بن جرير وهما من علماء القرن الحادي عشر للميلاد .

وكانت خزائن كتب المفارنة غاصة بالمخطوطات النادرة التي اجهز عليها الغزاة الكثيرون الذين تتابعوا في حكم بلاد ما بين النهرين . واعظمهم شراً كان الطاغية تيمور الذي استولى على هذه المدينة سنة ٧٨٩ للهجرة (١٣٨٧ م) فدمّر منازلها وثلّ معابدها واستباح دماء سكانها . وقد بنى ابراجاً من رؤوس الناس كما فعل في حلب وبغداد واصفهان(١)

٢ ـ نقل مخطوطات من تكريت الى مصر

مما نسطره بالاعجاب عن اهل تكريت انهم كانوا شديدي الحرص على خزائن المخطوطات التي كانت مدينتهم حافلة بها . لانهم بالرغم مما اصابها من النكبات كما اشرنا فقد تمكنوا ان يخفوا منها ما استطاعوا اليه سبيلاً . وخيفة ان تلحق الرزايا بهذه البقية ايضاً نقلوها الى دير السيدة بصعيد مصر والى غيره من الاديار . ولبلوغ هذه الغاية كابد رهبانهم وتجارهم مشقات السفر يطوون الجبال والبطاح حتى اوصلوها سالمة على ظهور البغال والجمال الى الدير المشار اليه .

وظلّت كتب التكريتيين هناك يتداولها الطلاب واهل البحث حتى تبعثر اكثرها بتقهقر الدير وتناقص عدد رهبانه . ولحسن حظ العلماء اقتنى بعض السياح طائفة من تلك المخطوطات ونقلوها الى مكاتب اوروبا ولا سيما الى الفاتيكان وميلان وبرلين وباريس ولندن واكسفرد . وقد شاهدنا بعيننا في المكتبة البطريركية

---

(١) دائرة المعارف للبستاني : مجلد ٦ صفحة ٢٩٧

السريانية ببيروت لعهد البطريرك اغناطيوس افرام الثاني بعض رقوق كانت في مكتبة تكريت(١) يرتقي عهد نساختها الى القرن التاسع للمسيح .

وقد حفظ النساخ الذين طالعوا مخطوطات دير السيدة بالصعيد اطيب تذكار للتكريتيين اعترافاً بفضلهم وشكراً لكرمهم على تلك التحف السنية . فسجلوا لهم في بطون اغلب تلك المخطوطات عبارات ثناء وترحّم هذا مؤداها : « فليكن ذكر جميل طيب للرجال التكريتيين الافاضل الذين وقفوا هذا الكتاب لدير والدة الله تغمد الرب نفوسهم ونفوس آبائهم بجزيل مراحمه »

٣ ـ وصف دير الشيخ متي

من اقدم اديار العراق دير الشيخ متى شرقي الموصل . وهو مشيّد فوق جبل شامخ يقال له جبل الفاف او جبل متى (٢) يطل على نينوى القديمة . بينه وبين الموصل سبعة فراسخ . ويرتقي عهد بنائه الى اواسط القرن الرابع للتاريخ المسيحي . وكان يسكنه يوم عزه اكثر من مائة وخمسين راهباً قد انقطعوا الى الحياة الزهدية واقتباس المعارف ونساخة الكتب وضبط نصوصها .

ومنذ القرن السادس اصبح هذا الدير مركزاً للمفارنة (٣) الذين كانت لهم كرامة الرئاسة على جميع الاديار والابرشيات في الاقطار العراقية والفارسية وجزيرة العرب . واشتهر بينهم ماروثا المفريان (٦٣٩ ـ ٦٤٩) الكاتب الشهير . ونبغ في ذلك العهد علماء عديدون اخصهم رُميشوع وشقيقه جبرائيل والمتطبّب جبرائيل السنجاري في نحو السنة ٦٠٠ للميلاد . وفيه اضرحة مفارنة كثيرين اشهرهم ابو الفرج ابن العبري المؤرخ الذائع الصيت (+ ١٢٨٦) .

---

(١) راجع ايضاً كتاب (المباحث الجلية) للبطريرك افرام الثاني صفحة ٣٧٨

(٢) ياقوت الحموي : صفحة ٢٩٤ (٣) ان مرتبة المفريان عند السريان تحاكي في الرئاسة والسياسة مرتبة الجاثليق عند النساطرة وهي تتوسط بين الكرامة البطريركية والدرجة المطرانية .

٤ ـ مكتبة دير الشيخ متى ونفائسها

اما مكتبة دير الشيخ متى فكانت تُعد من اقدم مكاتب الشرق عهداً واوفرها ثروة . وكانت غنية بالمخطوطات النادرة المثال التي ذاع امرها في البلاد(١) . يؤيد ذلك طيمثاوس جاثليق النساطرة (+ ٨٢٣) في رسالته الثالثة والثلاثين اذ كتب الى رئيس الدير في استنساخ بعض محتوياتها النفيسة .

ومن أثمن ما انطوت عليه هذه الخزانة نسخة قديمة جليلة تُدعى « هكسيلة » تشتمل على العهد القديم للكتاب المقدس كُتبت كل صحيفة منها في ستة اعمدة(٢) وقد استعان طيمثاوس المشار اليه بجبرائيل بن بختيشوع (+ ٨٢٨) كاتب ديوان الخليفة عبدالله المأمون وطبيبه في استحضار هذه النسخة الى بغداد واستكتابها . وكانت هكسيلة دير مار متى مكتوبة على رقوق بخط نصيبيني بديع . وما كاد يظفر بها الجاثليق حتى استدعى ستة نساخ وكاتبين من جهابذة بغداد يُمليان عليهم فنسخوها كلها بالضبط الكامل . ونقل الجاثليق عينه ثلاث نسخ عنها من العهد القديم بخط يده في مدة ستة اشهر(٣) كما اثبت ذلك في رسالته السابعة والاربعين .

٥ ـ تبعثر مكتبة الشيخ متى واضمحلالها

تتابعت نوائب الدهر على هذه المكتبة الاثرية كما تتابعت على غيرها من المكتبات فضعضعتها وأتلفتها . من ذلك ان برصوما النسطوري (+٤٩٦) احرق جانباً عظيماً من مخطوطاتها . وقد اثبت ذلك ميخائيل الكبير (+ ١١٩٩) نقلا

---

(١) مجلة الآثار الشرقية : مجلد ٣ سنة ١٩٢٨ صفحة ١٧

(٢) وهي النسخة التي طبعها بالنور والحجر العلامة تشرياني (A. Ceriani) في ميلانو سنة ١٨٧٦ في مجلدين (المشرق : مجلد ٢٣ سنة ١٩٢٥ صفحة ٥٨٩) ومنها نسخة في دير الشرفة .

(٣) مجلة الآثار الشرقية : مجلد ٣ صفحة ١٨ (سنة ١٩٢٨)

عن وثائق كانت محفوظة لعهده في خزائن الشيخ متى (١) . ونشر نصّها في مؤلفه «تاريخ الازمنة» الذي طبعه المستشرق شابو بباريس في ثلاثة مجلّدات . ومنها اسفار جمّة تبعثرت في البلاد الشرقية والغربية .

وفي السنة ١١٧١ هجم زهاء الف وخمسمائة كردي على دير الشيخ متى ونهبوه وقتلوا خمسة عشر من رهبانه وفرّ باقي الرهبان الى نواح مختلفة . ولما انكشف الاكراد عنه عاد الرهبان فجمعوا الكتب والمصاحف ونقلوها الى الموصل (٢) . وبعد هذا انقلب الاكراد انفسهم فشنّوا الغارات العديدة على هذا الدير عام ١٢٦١ و١٢٨٢ و١٣١٩ ميلادية . واخيراً نهبه التتر بقيادة مردنشاه يوم الاحد ٢٥ آب عام ١٣٦٩ واستحوذوا على موجوداته المادية وذخائره الكتابية (٣) .

هكذا تبدّدت مخطوطات هذا الدير القديمة التي كانت تحتوي على انفس الآثار . بينها الفرمانات او البراآت التي كان خلفاء بغداد فملوك التتر يؤيدون بها المفارنة في كراسيهم ويوجهونها اليهم مكتوبة على رق غزال . نذكر من جملتها الفرمان الذي ناله العلامة ابو الفرج ابن العبري من احمد ملك التتر يوم زاره في الطاق عام ١٢٧٩ ميلادية وحضر حفلة تتويجه (٤) .

رابعاً ـ مكتبات السريان الكاثوليك

١ ـ مكتبة كرسي مطرانية الموصل

قليلة هي مكتبات السريان الكاثوليك في الديار العراقية . وأهمها خزانتا

---

(١) الابحاث السريانية Studia Syriaca للسيد رحماني جزء اول : صفحة ٣٢
(٢) المشرق : مجلد ٢٢ سنة ١٩٢٤ صفحة ٤٢٣ (٣) المشرق : مجلد ٢٢ سنة ١٩٢٤ صفحة ٥٢٣ (٤) المشرق مجلد ٢٢ سنة ١٩٢٤ صفحة ٥٢٠

مطرانية الموصل ومطرانية بغداد . وفي كلتيهما طائفة من المخطوطات التي نجهل عددها اذ لم يتصدّ احد قبل هذا التاريخ لوضع فهارسها .

واحتوت خزانة كرسي الموصل على نسخة من كتاب « الديدسقاليا » اي تعليم الرسل مكتوبة على رق الغزال ويرتقي عهدها الى القرن الثامن للميلاد . ومن نفائس تلك الخزانة انجيل ضخم كُتب في القرن الثالث عشر للميلاد يبلغ طوله ٦٠ سنتمتراً وهو مزدان بصور مستبدعة ملوّنة يزيد عددها على الخمسين صورة . ومما يلفت الابصار ان جميع فصول الاناجيل التي تُقرأ في الاعياد الممتازة مدوّنة في هذا الكتاب الفريد بحروف ذهبية وملوّنة .

وقد اسعدنا الحظ فتصفّحنا هذين الاثرَين النفيسين وغيرهما من المخطوطات الثمينة التي نقلها السيد قورّلس جرجس دلال مطران الموصل عام ١٩٣٨ الى رومة . واهداها برّمتها باسمه واسم ابرشيته السريانية الموصلية الى المكتبة الواتكانية . وقد صرح العارفون بالمخطوطات القديمة ان لهذه التحف الكتابية قيمة اثرية كبرى فضلاً عن قيمتها المالية .

وفي عهدنا هذا اخذ رهبان دير مار بهنام القائم بجوار الموصل ينشئون مكتبة على انقاض مكتبتهم الشهيرة القديمة . وقد اهدى اليها مؤلف هذه السطور طائفة من الكتب في علوم شتى تعزيزاً لها .

٢ ـ مكتبة رزوق عيسى في بغداد

من الاسر الكاثوليكية التي اشتهرت بجمع الكتب في العراق منذ عهد بعيد اسرة الشماس يعقوب قمر . وهو الجد الاعلى للاديب رزوق عيسى (+١٩٤١) منشىء مجلة «العلوم» ومجلة « المؤرخ » في بغداد . غير ان النكبات التي انتابت تلك الاسرة ولاسيما اثناء تفشي الهواء الاصفر في السنتين ١٨٣٠ و١٨٣١ اجهزت على اغلب افرادها وقضت على خزانة مخطوطاتهم . ومن جملة ما كانت

تحتويه كتاب « الكنز الثمين في اخبار الذميين على عهد الخلفاء المسلمين (١) » « . وكتاب آخر لا يقل عنه خطورة يتناول اخبار يهود العراق منذ القرون القديمة .

وقد جدّد رزوق عيسى خزانة اجداده فاطلق عليها اسم «خزانة المؤرخ» تيمناً بعنوان مجلته المشار اليها . وهي تنطوي على الف وخمسمائة مجلد من المطبوعات مع طائفة صالحة من المخطوطات التي نذكر منها : « عنوان المجد في احوال بغداد والبصرة ونجد » وكتاب « غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام » . وغيرهما

خامساً : مكتبات اللاتين

١ ـ الخزانة الشرقية للرهبان الكرمليين ببغداد

للرهبان الكرمليين ببغداد مكتبتان احداهما « الخزانة الشرقية » والثانية « الخزانة الغربية » . وقد نُهبتا كلتاهما في ١٦ شباط ١٩١٧ اثناء الانقلاب العثماني في بغداد . وكانتا تشتملان على عشرين الف مجلد بينها ٢٧٥٣ مخطوطاً عربياً .

تأسست الخزانة الشرقية عام ١٨٩٤ بعناية الاب انستاس ماري الكرملي (+ ١٩٤٧) عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ومجمع اللغة العربية الملكي بالقاهرة وهو لبناني النحلة يتحدّر من اسرة عوّاد في قرية بحرصاف . وقد استطاع هذا الاب العلامة استعادة طائفة من المخطوطات المنهوبة لكن بينها كتباً غير تامة الاجزاء وممزقة الاطراف . وهو من اعظم هواة المخطوطات العربية قد دفع اثماناً باهظة في اقتناء بعضها . ووصف الاستاذ منير وهيبه حياه هذا العلامة ومكتبته(٢) بجريدة البيرق البيروتية نقتطف من حديثه ما يلي :

---

(١) مجلة لغة العرب مجلد ٣ صفحة ٣٤٦ .

(٢) جريدة البيرق البيروتية عدد ٤٥٣٩ و ٤٥٤٧ سنة ١٩٤٧ بقلم الاستاذ منير وهيبه

« طفت دير الكرمليين ببغداد وشاهدت الجناح الشرقي منه حيث المكتبة فوجدتها مبعثرة هنا وهناك في شتى الغرف مكتظة الفناء يمتد عليها ظل من الاهمال . كتب متراصة فوق المكاتب وتحتها وعلى الرفوف ووسط الغرف يكسوها عنصر شامل من الغبار والكرملي انستاس بين ركام الكتب والمخطوطات الوافرة والنادرة التي لا يقل عددها عن التسعة عشر الف مجلد . وقد اطلعني الاب انستاس على مخطوطة قاموسه العربي « المساعد » في ثمانية مجلدات ضخمة ناهجاً بترتيبها منهج الموسوعات الاعجمية من حيث الوضع وايجاد الكلمة بدون تجريدها وردّها الى اصلها ... وبقطع النظر عما في هذه الخزانة من المطبوعات الثمينة نكتفي بذكر بعض مخطوطاتها النادرة وهي :

كتاب « مثالب العرب » لابن قتيبة . وكتاب « مثالب العرب » لابن هشام وكتاب « العين » للخليل وهي اصح نسخة عُرفت حتى اليوم . ولهذا الكتاب بعض نسخ في مكاتب العراق ولكنها لا تضاهيه لانها غير تامة او مختصرة او دونها في الضبط والصحة . وفي الخزانة الشرقية كتاب « ديوان العرب » للفارابي (غير الفارابي الفيلسوف) وهو في مفردات اللغة . وكتاب « السموم » في المواد السامة عند العرب . وكتاب « الخصائص » وكتاب « سر الصناعة » وكلاهما لابن جني . وفي جملة ما نُهب من هذه الخزانة « القرآن » كتبه الخطاط الشهير ياقوت المستعصمي المتوفى سنة ٦٩٨ للهجرة (١٢٩٨ م) .

٢ ـ مكتبة الرهبان الدومنكيين بالموصل

للرهبان الدومنكيين فضل يُشكرون لأجله في تعزيز اللغة العربية بالموصل . وهم اول من اغنى قاعدة ديار الجزيرة بصناعة الطبع التي كانت مجهولة هناك . ففي السنة ١٨٦٠ اسسوا مطبعة جهزوها بحروف عربية وسريانية وافرنجية ونشروا فيها كتباً في شتّى العلوم . وقد لقي الآباء الدومنكيون في العلامة

الخوري يوسف داود السرياني احسن عضد لترقية مطبعتهم بما الفه وعرّبه وأصلحه من الكتب العديدة مدة نيّف وعشرين سنة (١). ثم رأى الرهبان الدومنكيون ان يتوّجوا مساعيهم في تعزيز اللغة العربية بانشاء مكتبة في ديرهم. فجمعوا ما احتاجوا اليه في ابحاثهم من الاسفار العلمية والدينية ما بلغ مجموعه نيفاً وخمسة آلاف مجلد.

٣ ـ مكتبة القصادة الرسولية بالموصل

أسّسها القاصد الرسولي السيد هنري امانتون في منتصف القرن التاسع عشر. وفيها الآن ثلاثة آلاف وخمسمائة مجلد في اللغة العربية وبعض اللغات الاوروبية. ولما نشبت الحرب العظمى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) امر السيد يوحنا درور القاصد الرسولي في ذاك الحين باخفائها واخفاء مكتبة الرهبان الدومنكيين معها حذراً من ان تلعب بهما ايدي الجهلة والناهبين. هكذا سلمت هاتان المكتبتان من كل غائلة.

سادساً ـ مكتبة يعقوب سركيس في بغداد

حاولنا مراراً جمة ان نقف على اخبار هذه الخزانة فلم نظفر بضالتنا. فاضطررنا ان نلجأ الى بعض اصدقائنا العراقيين ممن عرفوا تلك الخزانة حق المعرفة واطّلعوا على ذخائرها لنكتب شيئاً عنها. فاثبتوا لنا انها اغنى مكتبة خطية في بغداد ان لم يكن بوفرة مجلداتها فبمزاياها الفريدة وتعدد مواضيعها. ويقال ان اوسع ما اشتملت عليه خزانة يعقوب سركيس هو قسمها في التاريخ والتراجم فقد اصبح مرجعاً من اوثق المراجع لأهل البحث في تلك الديار.

---

(١) المشرق: مجلد ٥ سنة ١٩٠٢ صفحة ٤٢٣ ـ ٤٢٤

سابعا : مكتبة المبشرين الانكليز في الكويت

للمبشرين الدينيين الذين يفدون قادمين من اوروبا الى الامصار الشرقية خطط شتى ينتهجونها لترويج مصالحهم وتسهيل اعمالهم . من ذلك فتحهم المدارس والمكتبات وتأسيسهم المياتم والمستشفيات وتعليمهم الصنائع والفنون وانشاؤهم الصحف والمطابع وتوزيعهم الصدقات والارزاق الى غير ذلك من الشؤون الحيوية والعمرانية .

وقد نُمي الينا من هذا القبيل ان اربعة من هؤلاء المبشرين انطلقوا مع زوجاتهم منذ بضع سنوات الى مدينة الكويت (١) الآهلة بالمسلمين . وابتنوا هناك مستشفى لمعالجة المرضى وأسسوا مكتبة لتثقيف الشبان جهزوها بالكتب والاثاث. وروى الاستاذ محمد لطفي جمعة في كتابه « حياة الشرق » ان المستشفى والمكتبة المذكورين ظلا كلاهما خاويين مدة اربعة اعوام لا يؤمهما احد من اهل الكويت خيفة ان تتبدل عقيدتهم (٢) .

---

(١) راجع مقالة ضافية عن الكويت بقلم انستاس الكرملي في مجلة المشرق : مجلد ٧ سنة ١٩٠٤ صفحة ٤٥٠ فما بعد .

(٢) حياة الشرق : بقلم محمد لطفي جمعة : صفحة ٨١

الفصل السادس

خزائنه كتب القطر المصرى

اولا : مكتبات الاسكندرية

١ ـ المكتبة البطريركية في سالف العصور

نشرت مجلة « المشرق » نبذة مختصرة تتعلق ببحثنا اليك نصها بالحرف الواحد:

« زعم الزاعم ان العرب لما دخلوا الاسكندرية ليس فقط لم يجدوا مكتبتها الشهيرة التي انشأها البطالسة بل لم يَلقوا فيها مكتبة البتة . وقد سبق لنا في ذلك مقالة (المشرق ١٤ سنة ١٩١١ صفحة ٣٨٨) لا حاجة الى تكرار ادلتها . وها قد وقفنا بين اعمال احد المعاصرين وهو القديس انستاس السيناوي المتوفى سنة ٦٠٨ للمسيح على ذكر مكتبة واسعة يدعوها المكتبة البطريركية عاينها في الاسكندرية وكرّر ذكرها في كتابه « دليل الحياة » الذي نشره بالاصل اليوناني الاب مين . واثبت منها اسماء مخطوطات عديدة استعان بها لتنفيذ بدعة الطبيعة الواحدة . وناهيك به دليلا على اهتمام نصارى الاسكندرية بالمكاتب . وقد ورد في الكتاب عينه ذكر اربعة عشر ناسخاً كان انصار ساويرس أجروهم لنسخ الكتب مع تحريف بعض اقوالها وفقاً لبدعتهم . فان كان عدد النساخ الهراطقة اربعة عشر فلا شك ان عدد الكاثوليك منهم كان يبلغ اضعاف ذلك(١) »

---

(١) المشرق : مجلد ١٤ سنة ١٩١١ صفحة ٦٣٨ و٦٣٩

وكان لهذه المكتبة البطريركية نـظّار وقوّام اشتهروا بمقدرتهم العلمية وتضلعهم من اللغات . نذكر منهم ايسيدورس الذي عاش في القرن السابع للميلاد(١) .

٢ ـ مكتبة بطريركية الاقباط

نرجّح ان هذه المكتبة التي كانت زاهرة في الاسكندرية قبل الفتح العربي ظلت زاهرة بعده ايضاً . لان بطريركية الاقباط كما روى القلقشندي لم تنتقل من الاسكندرية الى القاهرة الا في القرن الحادي عشر للميلاد . ثم ان التواريخ التي وصلت الينا لم تروِ شيئاً عن تدمير تلك المكتبة كما روت عن غيرها من مكتبات عاصمة البطالسة . ومما يحملنا على هذا الترجيح انه قام في الاسكندرية بطاركة وكتبة مشاهير من اقباط وملكيين زيّنوا المنابر بخطبهم وافادوا المدارس بمصنفاتهم العربية . فكانوا بلا ريب يرجعون الى مكتباتهم في انشاء تلك الخطب او التآليف .

فمن علماء الاقباط وبطاركتهم نذكر : يحيى الاسكندراني النحوي(٢) الذي نقل من تآليفه الى العربية كتاب « حدَث العالم » وكتاب « تفسير على مقالة الترياق » لجالينوس وتفاسير بعض كتب ارسطو . وقس عليه ابا البركات الشيخ يعقوب بن منصور بن مفرّج الاسكندراني في القرن الثاني عشر للميلاد . فهو الذي تمم تاريخ سويرس ابن المقفع اسقف الاشمونيين الكاتب النحرير . ومنهم مرقس بن قنبر الضرير (+ ١١٨٩ م) وقد فنّد ميخائيل الكبير بطريرك السريان (١١٦٧ ـ ١٢٠٠ م) تعاليمه ومزاعمه

ومن علماء بطاركة الاقباط ابرام بن زرعة (٩٧٦ ـ ٩٨٠ م) وهو الثاني والستون في عدد البطاركة . وقد تولى الكرسي الاسكندري بعد مينا وكان خبيراً

---

(١) Migne P. G., col. 185

(٢) تاريخ مختصر الدول : لابن العبري : صفحة ١٧٥ ـ ١٧٦

بالقواعد الدينية . وجادل الملك المعز بحضور ابن المقفع(١) المشار اليه وتوفي مسموماً . ومنهم جبرائيل البطريرك في القرن الثاني عشر كان عالماً متضلّعاً من اللغة العربية التي اصبحت في عصره لغة المصريين . فصرف الهمة في نقل العهدَين القديم والجديد وسائر الكتب الطقسية الى اللسان العربي(٢) .

ومن علماء بطاركة الاقباط ايضاً جبرائيل الثاني (١١٣١ - ١١٤٦ م) ويقال له ابن طارق وابو العلا صاعد . ثم كيرلس الثالث (١٢٣٥- ١٢٤٣ م) المشهور بابن لقلق (٣) . ولكل من هذين البطريركين بضعة تآليف (٤) وكان كيرلس الثالث من أهم بطاركة الاقباط العلماء المصلحين . وعاش في ايامه ابناء العسّال الثلاثة الكتّاب الاقباط المشهورون بتفسير الكتاب المقدس واللاهوت والتاريخ والحق القانوني (٥) وهم : الرئيس المؤتمن ابو اسحق بن فخر الدولة واخوه الاسعد ابوالفرج هبة الله واخوهما الصفي ابو الفضائل ماجد (٦) .

٣ - مكتبة بطريركية الملكيين

جرى البطاركة الملكيون مجرى بطاركة الاقباط فأنشأوا في كرسيهم بالاسكندرية مكتبة حفلت بمخطوطات عربية جمة . ومن علمائهم الذين كتبوا باللغة العربية نذكر سعيد بن بطريق البطريرك مؤلف التاريخ العمومي المشهور باسمه . ويُعرف في سلسلة بطاركة الاسكندرية الملكيين باسم افتيشيوس . فقد ولد سنة

---

(١) المجلة السورية في مصر : للخوري بولس قرألي : مجلد ١ سنة ١٩٢٦ صفحة ٥٢٤-٥٢٥
(٢) تاريخ ميخائيل الكبير : صفة ٦١٣
(٣) صبح الاعشى : للقلقشندي : جدول بطاركة الاسكندرية .
(٤) الطرفة في مخطوطات دير الشوفة : صفحة ١٨٥
(٥) مجلة « المسرة » في لبنان : مجلد ٢٧ سنة ١٩٤١ صفحة ٢٩٠ - ٢٩٣
(٦) المخطوطات العربية لكتبة النصرانية : صفحة ١١ - ١٢

٨٧٧ وتولى الكرسي الاسكندري من السنة ٩٣٣ حتى السنة ٤٩٠ ميلادية (١) .

وممن تولى بطريركية الاسكندرية الملكية نذكر الانبا ايليا الذي جرت بينه وبين اغابيوس الاول بطريرك انطاكية (٩٧٨ - ٩٩٦ م) مراسلة باللغة العربية صدّرها بهذه الفاتحة : « بسم الله الرحمن الرحيم(٢) » .

ومن علماء الملكيين يحيى بن سعيد الانطاكي الذي دوّن في اواسط القرن الحادي عشر « ذيلًا » لتاريخ ابن بطريق المشار اليه . وبدأ هذا الذيل من السنة ٣٢٦ حتى السنة ٤٢٥ للهجرة (٩٣٧ - ١٠٣٤ م) . وقد طُبع تاريخ سعيد بن بطريق مع الذيل للمرة الاولى بعنوان « نظم الجوهر » في اكسفرد بانكلترا سنة ١٦٥٨ مع ترجمة لاتينية بقلم يوحنا سلداني وادورد بوكوك(٣) . وهذا التاريخ قد جدّد نشره الاب لويس شيخو في بيروت .

٤ ـ مكتبة جبرائيل مخلع

كان جبرائيل مخلّع من ذوي الادب والثراء في عصره ومصره . وهو اوّل من ساعد بماله وتنشيطه على نشر بواكير الجرائد العربية في مدينة الاسكندرية(٤) . وكان جدّه جبرائيل مخلع (+ ١٨٥١) الدمشقي النحلة عالماً فاضلاً ترجم من اللغة الفارسية كتاب « الجلستان » اي « روضة الورد » لصلاح الدين السعدي . فعرّبه تعريباً متقناً بنظم رانق ونثر مسجع منسجم ثم طبعه سنة ١٨٤٦ في بولاق(٥) .

ولم يكن الحفيد اقل ثقافة من جدّه اذ ورث عنه مع محبّة العلم محبّة جمع

---

(١) مجلة « المسرة » في لبنان : مجلد ٢٧ سنة ١٩٤١ صفحة ٢١٨

(٢) ذيل تاريخ سعيد بن بطريق : ليحيى بن سعيد الانطاكي : صفحة ١٥٠ والملكيون : للخوري اسحق ارملة : صفحة ٤٦ (٣) مجلة «الراعي الصالح» لبطريركية الروم بالاسكندرية : مجلد ١ سنة ١٩٤٠ صفحة ٦ (٤) تاريخ الصحافة العربية : جزء ٣ صفحة ٤٩

(٥) الآداب العربية في القرن التاسع عشر : للاب لويس شيخو : جزء ١ صفحة ١٠٥

الكتب . ولما ارتحل الى الاسكندرية عام ١٨٤٥ للاقامة فيها جلب معه مخطوطات جدّه الوافرة العدد . وانشأ منها مكتبة عامرة أنفق عليها عن سعة وضم اليها اسفاراً نادرة ومخطوطات ثمينة . وكان في ساعات الفراغ من اشغاله التجارية يعمد الى خزانة كتبه التي كانت ساوته في اشجانه وايام بؤسه . وبعد وفاته تبعثر قسم من تلك الخزانة النفيسة بداعي تغاضي اولاده عن صيانتها . واقتنى قسمها الآخر كل من يوسف باشا مخلع ابن شقيقه ومدير الجمارك المصرية وميشال باشا ايوب وجرجس بن ميخائيل نحاس وغيرهم .

٥ ــ مكتبة نقولا نجيب سرسق

ليست هذه المكتبة من المكتبات العربية الصرفة التي يشار اليها بالبنان . انما يُعد صاحبها من عشاق الكتب على اختلاف اللغات يجمعها ويعتني بتنظيمها واجادة تجليدها . وقد افرد لها في منزله دائرةً خاصة دبجها بخزائن بديعة ورياش فاخر . اما ما حدانا على ذكر مكتبته فهو ما عرفناه من ولعه الشديد باحراز المخطوطات العربية التي تبحث عن الموسيقى والغناء . فكلّف بعض هواة الكتب ان يلتقطوا له من جميع الامصار امثال تلك المخطوطات وكان يدفع لهم اثمانها بسخاء حاتمي .

واستنسخ نقولا سرسق او صوّر بالفوتغراف مخطوطات عربية موسيقية من اشهر مكتبات اوروبا ولاسيما من مكتبة فينا عاصمة النمسا . وقد افادنا البحّاثة يوسف اليان سركيس انه عثر لنقولا سرسق على طائفة معتبرة من المخطوطات المذكورة . وكانت تلك النفائس تزيّن الخزانة السرسقية قبل اضطرار صاحبها الى بيعها لِما اصابه واصاب والده نجيباً من الخسائر المالية الفادحة .

٦ ــ مكتبة جبران نحاس

صاحب هذه الخزانة وُلد في بيروت واقتبس العلوم في مدرستها البطريركية

فاحرز من الثقافة قسطاً وافراً. ولفرط كلف السيد جبران نحاس بالعلم انشأ في منزله بالاسكندرية خزانة كتب نظم فيها طائفة معتبرة من آثار المتقدمين وتآليف حملة الاقلام المعاصرين. واضاف اليها قسماً من مكتبة استاذه العلامة الشيخ ابراهيم اليازجي(١٨٤٧ – ١٩٠٦) ومن مكتبة وردة اليازجي الشاعرة (١٨٣٨-١٩٢٤) وكانت من اغنى المكتبات وأنفسها. ومما يؤثر عنه انه مثابر على المطالعة والتنقيب والبحث فلا يكاد يسمع بمخطوط عربي مفيد في اية مكتبة كان من مكتبات الشرق والغرب الا سعى لتصويره او استنساخه.

وفي الخزانة النحاسية مجموع طريف اشتمل على غرائب المبتكرات في مواضيع شتى لا أثر لها في غيرها من الخزائن. نذكر منها اشعاراً غزلية وغرامية نظمها المطران جرمانس فرحات الشهير قبل ان يصير راهباً. وقد جمع هذا المخطوط الشيخ ناصيف اليازجي فكان يحرص عليه ويكثر من مطالعته. ومن مخطوطاتها النادرة كتاب « المحكم » في اللغة لابن سيدة الاندلسيّ الاعمى.

٧ ـ سائر المكتبات النصرانية في الاسكندرية

أهم المكتبات النصرانية بالاسكندرية ينحصر اليوم في مكتبتين وهما : مكتبة اسعد باسيلي باشا (+ ١٩٤٠) ومكتبة رشيد بك شميّل مؤسس جريدة «البصير». وكان في الاسكندرية مكتبة ثالثة انشأها جرجس بن ميخائيل نحاس نسيب آل اليازجي. فان خزانته حوت نسخة كاملة من كتاب «مصر للمصريين» في تسعة مجلدات. وقد ألّفه جرجس نحاس بالاشتراك مع سليم نقاش البيروتي(١) « وغير خاف ان الحكومة المصرية تقدّمت باحراق المجلدات الثلاثة الاولى من الكتاب المومأ اليه قبل توزيعها. فلم يسلم منها سوى هذه النسخة الوحيدة التي انقذها جرجس نحاس واحتفظ بها في مكتبته.

---

(١) تاريخ الصحافة العربية : جزء ٣ صفحة ٣٢ ـ ٣٣

ثانياً : مكتبات القاهرة

١ ـ مكتبات الاقباط عموماً

أقدم المكتبات النصرانية في القطر المصري هي بلا ادنى ريب مكتبات الاقباط . وكان أهمها مصوناً في ديراتهم التي بلغت في عهد الانبا بطرس الرابع بطريرك الاقباط (٥٦٧-٥٦٩ م) الاسكندري ستمائة دير(١) للرهبان والراهبات. وناهيك ما كانت تحويه من مخطوطات عفا أثرها بخراب تلك الديورة التي لم يبقَ منها لعهدنا هذا سوى عدد ضئيل يُعدّ على اصابع اليد الواحدة .

ومعظم مخطوطات الاقباط مكتوب باللغة العربية التي اصبحت شائعة بينهم عندما أخذت لغتهم الاصلية تتضاءل وتتلاشى . اما مخطوطاتهم القبطية فعددها نقص كثيراً اذ نُقل اغلبها الى مكتبات اوروبا في فجر التمدّن الحديث على يد البعثات الدينية كاثوليكية وبروتستانية(٢) .

ومجموع المخطوطات القبطية عموماً لا يزيد الآن على ثلاثة آلاف مجلد في جميع انحاء القطر المصري على ما روى لنا البحاثة القبطي جرجس فيلوثاوس عوض يوم مروره ببيروت في شهر نيسان ١٩٣٦ . فمن ذلك العدد نحو ثمانمائة مجلد في المكتبة البطريركية وفي مكتبة المتحف القبطي ومكتبة بطريركية القبط الكاثوليك في القاهرة . اما سائرها فمحفوظ في الاديار القبطية وفي مكتبة دير طورسينا وفي مكتبات الافراد في وادي النيل وبلاد الحبشة .

ومن اندر المخطوطات التي احتوتها مكتبة الاقباط البطريركية بشارع كلوت بك كتاب « الذخيرة » تأليف ابي الحسن ثابت بن قرّة الحراني المتوفى سنة ٩٠٢

---

(١) كتاب وادي النطرون : للامير عمر طوسون : صفحة ٤٨ نقلاً عن تاريخ خطي للانبا مكاريوس (٢) تاريخ آداب اللغة العربية : لجرجي زيدان : مجلد ٤ صفحة ١٢٩

ميلادية . وكان من مشاهير علماء الصابئة فخدم الخلفاء العباسيين ولاسيما المعتضد بالله . ولم يكن من يماثله في صناعة الطب ولا في غيرها من العلوم . وتصانيف ابن قرّة مشهورة بجودتها تدل على حذق مؤلفهـــا . وفي السنة ١٩٢٨ اعتنى الدكتور ج. صبحي بطبع كتاب « الذخيرة » المشار اليه فنال ثناء ارباب الادب(١) .

٢ ــ مكتبة المتحف القبطي

بتاريخ ٢١ كانون الاول سنة ١٩٢٠ تعهّد المتحف القبطي صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول يرافقه وزراء الدولة المصرية وكبار رجالاتها . فاشار باضافة مكتبة الى هذا المتحف تضم كل ما كُتب في شتى اللغات عن الاقباط وعن تواريخهم وآدابهم ومعتقدهم ولغتهم(٢) . وتبرع عليها حينذاك بخمسمائة جنيه مصري . وما لبث ان انهالت الاعطيات والهدايا على تلك المكتبة الحديثة من المعاهد الوطنية والاجنبية ولاسيما من دار الكتب المصريّة والارسالية الفرنسية الاثرية ومن المتحف البريطاني في لندن ومتحف نيويرك الخ . وعدد مجلداتها الآن ٤٨٧٥ معظمها في التاريخ وعلم الآثار القبطية .

ويشاهد الزائر في مكتبة المتحف القبطي بعض مخطوطات مزدانة بصور وزخارف ملوّنة تجلى فيها الفن القبطي بابدع مظاهره . ومن اجمل تلك التحف انجيل قديم زيّنت صفحتاه الاوليان برسوم هندسية ظريفة ونقوش مذهبة . وقد كُتب عليه عنوانه بالخط الكوفي هكذا : « الانجيل الطاهر والمصباح الزاهر ينبوع الحياة وسفينة النجاة(٣) » .

---

(١) مآثر العرب في العلوم الطبية : للدكتور سامي حداد : صفحة ١٧

(٢) مجمع الآثار العربية : تأليف الرحالة ابراهيم السيد عيسى المصري : جزء ١ صفحة ١٠٤ ومجلة « المقتطف » : مجلد ٦٨ سنه ١٩٢٦ صفحة ٢٨٥ ـ ٢٨٦

(٣) مجلة جمعية محبي الفن القبطي : مجلد ٣ سنه ١٩٣٧ صفحة ١٧

ومن المخطوطات الثمينة في مكتبة هذا المتحف «تاريخ ابن زنبل» في فتوحات السلطان سليم الاول (٩١٨ - ٩٢٧ هـ و١٥١٢ - ١٥١٩ م) العثماني . وهـذه المخطوطة وحيدة في العالم نسخها المؤلف بيده .

٣ - مكتبة المعهد العلمي المصري

لما جاءت الحملة الفرنسية الى مصر عام ١٧٩٩ رافقها عدد وافر من كبار العلماء . وانشأ لهم نابليون بونابرت معهداً علمياً سماه Institut d'Egypte وجهّزه بجميع مستحدثات ذلك العصر . غير انه ولئن كان هذا المعهد فرنسي النشأة واللغة لكنه كان مصري الهدف اذ أنشىء لخدمة مصر ونشر الحضارة والعلم بين المصريين والتنقيب عن آثارهم . وألحقت بالمعهد مكتبة معتبرة وصفها الجبرتي بقوله(١) :

« احدث الفرنسيون على التل المعروف بتلّ العقارب بالناصرية ابنية وابراجاً ووضعوا فيها عدة آلات . وافردوا للعلماء والمصورين والكتبة والمنشئين مكاناً وضعوا فيه جملة كبيرة من كتبهم وعليها خزّان ومباشرون يحفظونها ويحضرونها للطلبة . ومَن يريد المراجعة فيراجعون فيها مرادهم . فتجتمع الطلبة منهم كل يوم قبل الظهر بساعتين ويجلسون في فسحة المكان المقابلة لمخازن الكتب على كراسي منصوبة موازية لتختات عريضة مستطيلة . فيطلب مَن يريد المراجعة ما يشاء منها فيحضرها له الخازن فيتصفحون ويراجعون ويكتبون حتى اسافلهم من العساكر .

« واذا حضر لهم بعض المسلمين ممن يريد الفرجة لا يمنعونه الدخول الى اعزّ اماكنهم ويتلقونه بالبشاشة والضحك واظهار السرور بمجيئه اليهم . وخصوصاً اذا رأوا فيه قابلية او معرفة او تطلعاً للنظر في المعارف بذلوا له مودتهم ومحبتهم .

---

(١) عجائب الآثار في التراجم والاخبار : تأليف عبد الرحمن الجبرتي : جزء ٣ صفحة ٣٥

واحضروا له انواع الكتب المطبوع بها انواع التصاوير وكرات البلاد والاقاليم وتاريخ القدماء وقصص الانبياء بتصاويرهم وآياتهم ومعجزاتهم وحوادث امهم مما يحيّر الافكار .

« ولقد ذهبت اليهم مراراً واطلعوني على ذلك فمن جملة ما رأيته كتاب كبير يشتمل على سيرة النبي ومصوّرون به صورته الشريفة على قدر مبلغ علمهم واجتهادهم. وهو قائم على قدَميه ناظر الى السماء كالمرهب للخليقة . وبيده اليمين السيف وفي اليسرى الكتاب وحوله الصحابة بايديهم السيوف . وفي صفحة أخرى صورة الخلفاء الراشدين وفي الاخرى صورة المعراج والبراق والنبي راكب عليه من صخرة بيت المقدس . وصورة بيت المقدس والحرم المكي والمدني . وكذلك صورة الائمة المجتهدين وبقية الخلفاء والسلاطين الخ الخ . وهيئة صلاة الجمعة وصلاة الجنازة . وكثير من الكتب الاسلامية مترجم بلغتهم . ورأيت بعضهم يحفظ من سور القرآن . ولهم تطلع زائد للعلوم ... »

وانصرف اعضاء المعهد المصري الى تدوين الابحاث الدقيقة عن كل ما يتعلق بشؤون وادي النيل . فبرّزوا في هذه الحلبة ووضعوا تصانيف عديدة جزيلة الفائدة . وكشفوا القناع عن امور خطيرة بقيت لولاهم مجهولة لدى الاجيال . وكفى هذا المعهد فخراً ان احد اعضائه فرنسيس شمبوليون (١٧٩٠ – ١٨٣٢) هو اول من حل الغاز الكتابة المصرية الهيروغليفية . فانه توصل الى ذلك الاكتشاف عام ١٨٢٢ بواسطة كتابة قديمة نُقشت على حجر بثلاث لغات قد نُبشت في مدينة رشيد .

ومن ثمار ابحاث اولئك العلماء كتاب مصور عنوانه Description de l'Egypte اي وصف مصر . طبعته الحكومة الفرنسية بنفقتها وبقطعٍ كبير في مجلدات كثيرة ولا يقل ثمنه عن ثلاثمائة جنيه ذهباً . ولهذا السفر الجليل نسخة كاملة في كل من دار الكتب اللبنانية والبطريركية السريانية ببيروت اهداهما اليها كاتب هذه السطور وقد اقفل المعهد المشار اليه لدى رجوع الحملة الفرنسية الى بلادها عام ١٨٠١ .

ولم يلبث ان أحيا بعض رجال العلم في الاسكندرية هذا المعهد العلمي عام ١٨٥٩ وسموه Institut Egyptien . وفي السنة ١٨٨٠ نقل مركزه الى القاهرة ولايزال فيها . اما مكتبته فاحتوت على نحو خمسة وعشرين الف مجلد في اللغات الفرنسية فالعربية فالانكليزية فالايطالية وغيرها . واكثرها يبحث في التاريخ والجغرافيا والرياضيات وعلم الآثار والزراعة والصناعة والفنون والآداب الخ . وقد جمعت هذه المكتبة الى رفوفها كل التآليف المعروفة التي تبحث عن مصر وعن احوالها منذ العصور الخالية الى العصر الحاضر (١) .

• وفي ٢ كانون الاول ١٨٩٨ احتفل اعضاء المعهد المشار اليه احتفالاً باهراً بالعيد المئوي لتأسيسه : وقرروا ان يخلدوا تذكار ذلك اليوم المشهور بنشر كتاب عنوانه «السجل الذهبي» دوّنوا فيه خلاصة اعمال المعهد مدة قرن كامل . وقد ظهر هذا الاثر النفيس المزدان بالرسوم في السنة ١٨٩٩ باللغة الفرنسية (٢) .

٤ ـ مكتبة غلياردو بك

انشأ هذه المكتبة المستشرق الفرنسي شارل غلياودو بك (+ ١٩٢٧) ابن الدكتور غلياردو بك رئيس مدرسة القصر العيني الطبية. وسماها بلغته Musée Bonaparte لاحتوائها على اعظم مجموعة من المخطوطات والمطبوعات والمصورات والوثائق والآثار النفيسة عن الحملة الفرنسية الى مصر بقيادة نابليون بونابرت . وتفردت هذه المكتبة بالمواضيع الشرقية ولا سيما تاريخ مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وجغرافية هذه البلاد وزراعتها واحصاآتها والرحلات فيها من اقدم الازمنة الى الآن .

---

(١) المشرق : مجلد ٣ سنة ١٩٠٠ صفحة ١٩٥

(٢) Le Livre d'or de l'Institut Egyptien

وأناف عدد مجلدات هذه المكتبة على تسعة آلاف مجلد(١) اغلبها في اللغة الفرنسية ما خلا التماثيل والاسلحة والتحف الفنية التي لا تحصى ولا يمكن ان تكون في سواها من المعاهد الكتابية . وخصصتها الحكومة المصرية بمركز فسيح على نفقتها في ذات المنزل الذي شغله الجنرال مونج (١٧٤٦ – ١٨١٨) احد قوّاد الحملة الفرنسية المومأ اليها . وبعد وفاة شارل غلياردو بك اخلى ورثته هذا المنزل التاريخي سنة ١٩٣٣ واستولوا على المكتبة واقتسموها بينهم .

وبين كنوز هذه المكتبة نسخة مخطوطة من « البردة » لا نظير لها في الدنيا بحسن خطها وتجويد الوانها وتباين رسومها ونفاسة تجليدها . وقد سعى احد هواة الكتب لاقتناء هذا المخطوط البديع فعرض على غلياردو بك ثمناً له خمسماية جنيه مصري ذهباً . فرفض صاحب المخطوط هذا الثمن اذ اعتبره بخساً واصر على ان لا ينقص الثمن عن خمسة آلاف جنيه (٢)

٥ ـ مكتبات الاهرام والمقتطف والهلال

هي ثلاثة اسماء لثلاث صحف كبرى من أعرق الصحف العربية الحية ومن انشطها في خدمة الحق والثقافة والوطن . ولكل منها خطة تتبعتها وحافظت عليها بصدق وامانة سواء اكان في السياسة ام في العلم ام في الفن والادب . وهي منبعة الجانب واسعة الانتشار لا تكاد ترى بلداً فوق البسيطة ينطق سكانة بالضاد الا لها فيه قراء واصدقاء ومراسلون . ذلك كان من اقوى الذرائع لثباتها واقبال الناس على مطالعتها وحرصهم على ما تيسّر من مجلداتها السنوية

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين : مجلد ٨ صفحة ٨٨

(٢) نقلنا هذه الحكاية عن رسالة كتبها لنا العلامة احمد زكي باشا من القاهرة بتاريخ ٢٠ ايار ١٩٣٣ وكان مطلعا على المفاوضات في هذه القضية بحذافيرها .

وشُيد لكل من تلك الصحف الثلاث بناء خاص ضم دوائرها المختلفة كالانشاء والتحرير والمحاسبة والمراسلة والطبع الخ . ومن اهمها قاعة المكتبة التي يُرجع اليها في الشؤون الخاصة والعامة . ففيها كتب اللغة والتاريخ والاقتصاد والفن والادب ولاسيما المعاجم والموسوعات لا في اللسان العربي فقط بل في اكثر الالسنة الشائعة . وفيها مجموعات لأشهر المجلات الشرقية والغربية التي يُعول على مباحثها وعلى آراء الجهابذة الذين كتبوا فيها . وفي بعضها كتب رحلات واكتشافات واختراعات وطائفة معتبرة من مؤلفات علماء الاستشراق في الغرب

ولكل من تلك المكتبات الثلاث مزية خاصة تفرّدت بها عن سواها الا اننا وحّدنا اخبارها ههنا لان ما يصح اثباته عن احدها ينطبق اجمالاً على كلتا المكتبتَين الباقيتَين

٦ ـ مكتبة توفيق اسكاروس

يُعد توفيق اسكاروس من انبغ كتّاب الاقباط وأحذق مؤرخيهم في العصر الحاضر . قضى شطراً من حياته يشتغل في دار الكتب المصرية حتى بلغ سن التقاعد . ولما عمد الملك فؤاد الأول لتنظيم مكتبة قصر عابدين واستدعى بعض علماء مصر ومستشرقي اوروبا للنهوض بتلك المهمة كان توفيق اسكاروس في جملتهم فحقق رغبة المليك مولاه بسعة معارفه التاريخية والادبية ورسوخ قدمهِ في فن المكتبات .

وعلى اشتغال هذا الاديب بالمكتبتين المشار اليهما فانه لم يغمض عن المطالعة والدرس والتأليف . وقد وقفنا له في المجلات العلمية على مقالات عديدة نشهد له بطول الباع في الابحاث التي طرقها . واقتنى توفيق اسكاروس مكتبة صغيرة حوت مؤلفات منتخبة يستعين بها في مطالعاته ومراجعاته . بينها طائفة مخطوطات نفيسة نقل بعضها عن نسخ اصلية بخط مؤلفيها . ولسنا ندري ماذا حل بهذه المكتبة بعد وفاة منشئها

٧ ـ مكتبة توفيق حبيب

لتوفيق حبيب الصحافي المعروف خزانة حافلة بالكتب العصرية التي يناهز عددها الفين وخمسمائة مجلد . ومن مميزاتها انها تنطوي على مائتي كتاب لا تبحث الا عن المكاتب والمتاحف والمعارض والمسارح . وهي تشتمل ايضاً على اربعة آلاف بطاقة في الشؤون الصحافية والاجتماعية والملية وغيرها قد عني جامعها بترتيبها تبعاً لتواريخها ومواضيعها . وقد انتدب لمساعدته في تنظيم المكتبة صديقه « متوّلي حسنين عقيل » فنهض هذا بالمهمّة الموكولة اليه خير نهوض(١) . وحلّت وفاة توفيق حبيب في ٢٢ تشرين الاول سنة ١٩٤١ .

٨ ـ مكتبة الكلية الاميركية

لا يقلّ عدد مجلدات هذه المكتبة في الوقت الحاضر عن عشرين الفاً في اللغة العربية واللغات الاجنبية . ويُضرب المثل بها في حسن الادارة ودقة العمل حتى ان اكبر المكاتب في مصر اخذت نظمها عنها . ومن اكبر المتبرعين لهذه المكتبة المستر كارنجي من اثرياء امريكا فانه نفحها بمنحة مالية سخية اضافت الى المكتبة عدداً وافراً من الكتب على اختلاف المواضيع(٢) .

٩ ـ مكتبة بشر فارس

بشر فارس لبناني النحلة مصري الولادة انصرف منذ صباه الى درس اللغة العربية فبرّز فيها . وألف كتباً وانشأ مقالات في اللغة المذكورة وفي غيرها .

---

(١) جريدة «منبر الشرق» بالقاهرة : سنة ١٩ عدد ١٠٧ في ٢٥ حزيران ١٩٤٠

(٢) صحيفة الكلية الاميركية للآداب والعلوم في القاهرة : سنة سابعة شهر تشرين الثاني ١٩٣٥ ـ صفحة ١

وأحرز شهادة دكتور في جامعة « السوربون » في باريس حيث وقف على مناحي الحياة الثقافية من ادب وفن وموسيقى وعلى مناهج الحياة الاجتماعية من عادات واخلاق .

ومن الآثار القلمية التي عرفناها للاستاذ بشر فارس : كتاب « العرض عند العرب قبل الاسلام ». وهو فرنسي العبارة لا نظن كاتباً طرق هذا الموضوع قبله . وانشأ مقالات في « نقد تآليف المستشرقين » نشرها في السنتين ١٩٣١ و ١٩٣٢ على صفحات مجلة « المقتطف » في القاهرة بعنوان « باب المكتبة » .

وعلاوة على ذلك فهو من عشاق الكتب وجمّاعيها اقتنى خزانة حافلة بما عزّ ونفس من المؤلفات العربية وبعض اللغات الفرنجية . وفيها مجلدات فاخرة وطبعات نادرة نسّقها كلها تنسيقاً محكماً دل على ذكائه وعلى سلامة ذوقه . وهي غنية خصوصاً بالمعاجم العربية وكتب الادب والفلسفة .

١٠ ـ سائر المكتبات النصرانية في القاهرة

في عاصمة الديار المصرية مكتبات نصرانية خاصة سوى التي ذكرنا : اشهرها مكتبة « جامعة الشبان المسيحيين(١) » . ومكتبة ميخائيل بك شاروبيم (١٨٦٠ـ ١٩١٧) وهبتها أسرته بعد وفاته للمتحف القبطي في القاهرة(٢) . ومكتبة الآنسة ميّ زيادة (+ ١٩٤١) الكاتبة الشهيرة . ولا تخلو تلك العاصمة من مكتبات تغلب فيها الكتب الفرنجية على الكتب العربية لان ادارتها افرنجية اخصها : مكتبة الآباء اليسوعيين ومكتبة اخوة المدارس المسيحية وغيرهما .

---

(١) الهلال : مجلد ٣٦ صفحة ٧١٦

(٢) صفوة العصر في تاريخ ورسوم مشاهير رجال مصر : تاليف زكي فهمي : صفحة ٦٠٣ ـ ٦٠٧ والمقتطف : مجلد ٦٨ سنة ١٩٢٦ صفحة ٢٨٥ ـ ٢٨٦

ثالثاً : مكتبة جرجس فيلوثاوس عوض في طنطا

من ادباء الطائفة القبطية الذين شغفوا بجمع الكتب وصيانتها واقبلوا على درسها والتعمّق في مواضيعها نذكر العلامة القبطي الاستاذ جرجس فيلوثاوس عوض . فانه انشأ في مدينة طنطا خزانة جديرة بالاعتبار زيّنها بمخطوطات ومطبوعات تتعلق بشؤون مصر عموماً وشؤون ملته القبطية خصوصاً . وعدد مجلدات خزانته ينيف على سبعة آلاف كتاب بين مطبوع ومخطوط . وقد افرز لها في داره ثلاث غرف ما عدا غرفة المطالعة . ومن مميزاتها انها تضمنت مخطوطات نادرة عن العاب العرب كالشطرنج والنرد وما شاكلهما .

وتفرّغ الاستاذ فيلوثاوس عوض للتأليف فصنف عدّة كتب وأنشأ ابحاثاً تاريخية وعلمية وانتقادية دلّت على جهوده وسعة مداركه .

رابعاً : مكتبات اديار مصر

١ ـ لمحة عن مكتبات اديار مصر

في ارض مصر وادٍ كبير يقال له « وادي النطرون » اشتهر منذ القرن الرابع للميلاد بما قام فيه من الاديار التي شيدها رهبان النصارى . وقد بلغ عدد هذه الاديار في تلك الحقبة نحو الخمسين ديراً وقُدر عدد رهبانها خمسة آلاف راهب (١) . اما عدد الاديار في جميع انحاء القطر المصري فبلغ في زمن الانبا بطرس الرابع (٥٦٧ ـ ٥٦٩ م) بطريرك الاقباط الاسكندري ستمائة دير للرهبان والراهبات كما اثبته الانبا مكاريوس في تاريخه الخطي (٢) . ثم اخذ هذا العدد يتناقص رويداً رويداً حتى انه لم يسلم في عصرنا الحاضر سوى اربعة

---

(١) كتاب « وادي النطرون » للامير عمر طوسون : صفحة ٤٨

(٢) كتاب « وادي النطرون » صفحة ١٦١

اديار في وادي النطرون كان يسكنها مائتا راهب وراهبة سنة ١٩٢٤ للميلاد(١).

ووفقاً للقوانين الرهبانية كان قوم من اولئك الرهبان يتعاطى حراثة الاراضي لتموين الاديار وتأمين معيشة سكانها . وفريق منهم كان يجدل الحصر والقفف من البردي والنخيل والقصب ثم يقصد بها الى المدن لبيعها . وكان قسم آخر ينصرف الى حياكة الانسجة من الصوف والشعر لألبسة الرهبان . اما الباقون منهم فكانوا يعتنون بدرس الاسفار الدينية وتأليف الكتب العلمية ونساختها على الرق .

هكذا كثرت المصنّفات ونشأ منها في كل دير مكتبة عامرة تحوي كنوزاً ثمينةً لا يُحصى لها عدد . ولولا غارات البربر الذين نهبوا جميع ممتلكات الرهبان وهدموا كنائسهم واحرقوا مساكنهم(٢) لتألف من تلك المخطوطات عشرات الآلاف في كل دير بلا اقل مبالغة . وبتوالي الازمنة تكررت تلك الغارات فكانت وبالاً على العلم . واجمع المؤرخون على تقبيحها عند تدوينهم اخبارها .

٢ ـ مكتبة دير السيدة والدة الله

على أنه بالرغم من تلك الوقائع المشؤومة « فان الصوامع المعدة لاقامة الرهبان فيها لا بد ان يكون تجدد بناؤها مرّات كثيرة بعد ذلك العهد(٣) ». وكان الرهبان يجددون بعد كل غارة ما نهبه البربر او احرقوه او مزقوه من المخطوطات صوناً لروح العلم بين ظهرانيهم . واذا شئنا ان نحصر الكلام باحد اديار « وادي النطرون » قلنا : ان دير السيدة مثلاً « اجتمع فيه في مدة ليست بيسيرة الوف من الاسفار تتضمن شيئاً كثيراً من اسفار العهدَين الاقدَسين ومن كتب الليتورجيات ... والمقالات الدينية واللاهوتية والفلسفية والمنطقية والعلمية والتصانيف الكثيرة في الطب والفلك والطبيعيات والتاريخ والنحو الخ . مما يُدهش

---

(١) كتاب « وادي النطرون » : صفحة ١٦٨ (٢) كتاب « وادي النطرون » : صفحة ٤٢ و ٤٣ (٣) كتاب « وادي النطرون » : صفحة ٧٣

العقول ويشده الالباب ... وهذه المخطوطات النفيسة يرتقي عهد نسخ بعضها الى القرن الخامس والسادس مما يندر وجوده اليوم في اعظم دور الكتب واهمها(١).

ويقرأ في مخطوط لندن (رقم ٣٧٤) المنسوخ في دير السيدة المذكور سنة ١٢٦٢ حاشية اضيفت اليه فيما بعد وهي : « تجدّدت هذه الكتب وتجلدت سنة ١٤٩٢ م » . ثم وردت فيه فقرة أخرى وهي : « انا العبد الحقير القس توما المارديني لما دخلتُ دير العذراء بصعيد مصر رأيت في مكتبته صحفاً كثيرة مكومة بلا حساب ولا عدد . فنظفتها ونفضتها ورتبتها ... في برج القلعة سنة ١٦٢٤ (٢)» .

ويرجع الفضل في تعزيز دير السيدة الى الرهبان التكريتيين والى تجارهم الذين كانوا يتوافدون اليه منذ القرن السابع حاملين اليه المخطوطات النفيسة . وقد ادّى هؤلاء الرهبان خدماً جلّى للعلم لانهم كانوا يشتغلون بالتأليف والترجمة والنسخ يبيّضون ويسوّدون وينقحون (٣) » .

وكان القس موسى النصيبيني رئيس الدير المذكور قد سافر الى سوريا وبلاد ما بين النهرين والعراق (٩٢٧ - ٩٣٢ م) وجمع الكتب القديمة ونقلها الى ديره . وانشأ لها قاعة خصوصية ونظمها تنظيماً محكماً فاقبل الرهبان على التقاط فرائدها واقتباس فوائدها وجعلوا ينقلون عنها كتباً شتى خطّوها بيدهم ... وصرفوا العناية في صيانة تلك الآثار فجلدوها وجدّدوها(٤) .

٣ - بيع رقوق بما يعادل وزنها ذهباً

وفي مطلع القرن الثامن عشر كانت لم تزل بقية خطيرة من مكتبات اديار مصر يؤمها السياح والعلماء من انحاء المعمور لرؤيتها او ابتياعها او الاستفادة منها .

---

(١) بحث تاريخي للقس اسحق ارملة : صفحة ٤٩
(٢) بحث تاريخي : صفحة ٥٠ (٣) بحث تاريخي : صفحة ٤٢
(٤) بحث تاريخي : صفحة ٤٩ و ٥٠

وناهيك ان الخوري الياس السمعاني الماروني زار تلك الاديار سنة ١٧٠٧ وجمع منها طائفة صالحة من المخطوطات برسم المكتبة الواتيكانية في رومة . ثم جاءها بعده بامر البابا اقليميس الحادي عشر يوسف سمعان السمعاني العلامة اللبناني وابتاع باسم المكتبة الواتيكانية كل ما استطاع اقتناءه من الكتب الوافرة العدد والغالية الثمن . ثم شحنها في ثلاث سفن على نهر النيل قاصداً بها عاصمة الكثلكة . غير ان ريحاً شديدة تغلبت على سفينتين من السفن الثلاث فاغرقتهما بما فيهما من الكنوز العلمية التي لا تعوّض خسارتها . ولا يقدّر ما غرق باقل من عشرة آلاف مجلد(١).

وما ان وصل السمعاني الى رومة حتى نسّق تلك المخطوطات في اماكنها . ثم انشأ في وصفها مقالة رنانة نبّهت افكار علماء اوروبا . فنهضوا نهضة اليقظان وجعلوا يرسلون الوفود الى اديار مصر لاقتناء شيء من تلك الذخائر النادرة . هكذا تيسر لمكاتب باريس وبرلين وميلان واوكسفورد وكمبردج ان تزدان بحصة من تلك الآثار الكتابية كما يستفاد من فهارس مخطوطاتها .

وممن تعهد اديار وادي النطرون واطلع على مخطوطاتها الاب سيكارد C. Sicard الرحّالة اليسوعي الشهير فوصفها بقوله (٢) « ان العلامة يوسف السمعاني الماروني وكيل المكتبة الواتكانية برومة توجه سنة ١٧١٥ لزيارة اديار النطرون بصعيد مصر . فاشترى جملة من تلك المخطوطات واستنسخ منها كتباً تعذر عليه اشتراؤها لان الرهبان لم يكونوا ليستغنوا عنها ولو بوزنها ذهباً » .

اما المتحف البريطاني في لندن فقد ظفر بالسهم الاوفر من تلك النفائس على يد مندوبه المستر تاتام . فقد يمّم هذا البحاثة اديار وادي النيل سنة ١٨٤٢ وبذل قصيّ الوسع حتى اشتراها برمتها . وكان في جملتها ثلاثمائة قطعة من الخطوط اليدوية المكتوبة على رق غزال خلاف عدد عظيم من الكتب المهمّة التي لا تُقدر

---

(١) خطط الشام : مجلد ٦ صفحة ١٩٨ (٢) رحلة الاب سيكارد : جزء ٣ صفحة ٢٧٩

قيمتها(١) . وقد حمل المستر تاتام تلك المخطوطات الى لنـــدن حيث نشر علماء الانكليز فهارسها في ثلاثة مجلدات . وصرّحوا بما لها من الخطورة وما تضمنته من الفوائد العلمية والتاريخية .

ومن علماء الشرق الذين اطّلعوا على تلك المخطوطات كان العـلامة البطريرك اغناطيوس افرام رحماني (+ ١٩٢٩) . فقد روى لنا مراراً ان طائفة من تلك المخطوطات قد ابتاعها الانكليز بما يوازي ثقلها ذهباً . فكان الرهبان يجعلون كل مخطوط منها في كفة الميزان وكان المستر تاتام يضع الذهب في كفة الميزان الاخرى فتأمل !

وصرّح البطريرك العلامة افرام برصوم ان خزانة كتب دير السريان في وادي النطرون هي اقدم مكتبات الدنيا(٢) .

ولما قام الجنرال اندريوسي احد قواد جيش بونابرت في حملته عـلى مصر باستكشاف وادي النطرون وتعهد الديورة المشيدة فيه (٢٣ كانون الثاني – ٢٧ كانون الثاني ١٧٧٩) روى عن مخطوطاتها ما يلي : « وليست كتب الرهبان الا مخطوطات ... مكتوبة على الرق او ورق القطن . وبعض هذه المخطوطات باللغة العربية والبعض الآخر بالقبطية وبهامشها ترجمتها باللغة العربية . ولقـد استحضرنا بعضاً من هذه المخطوطات الاخيرة ويظهر ان تاريخهـا يرجع الى ستمائة سنة سلفت(٣) » .

واليك ما كتبه الامير عمر طوسون عن مكتبة دير سيدة برموس قـال : « المكتبة تحتوي على كتب قديمة . والحديثة اوقفها جنـاب القمص عبد المسيح المسعودي الذي رتّب هذه المكتبة وجعل كل نوع على حدة . وفيها جملة كتب نادرة ... » ولما حدّث الامير عينه عن دير الانبا بشوي اثبت عن مخطوطاته(٤)

---

(١) الاقباط في القرن العشرين : تأليف رمزي نادرس القبطي (بحث تاريخي عن السريان في القطر المصري : صفحة ٤٥ (٢) اللؤلؤ المنثور : للبطريرك افرام برصوم : صفحة ٢٤
(٣) كتاب « وادي النطرون » : صفحة ٧٧ (٤) كتاب « وادي النطرون » : صفحة ١٧٦

ما نصّه . « وعدد كتب هذا الدير اقل مما في غيره . ولكن فيها بعض الكتب القيّمة مثل كتاب تاريخ البطاركة لابن المقفع . ولعله اقدم كتاب من نوعه في التاريخ ... »

وكان في صعيد مصر دير يقال له الانبا فولا يحتوي على مكتبة معتبرة . يؤيد ذلك ما ورد في حاشية عُلقت على كتاب ألفه اسحق النينوي النسطوري الذي عاش في القرن السابع . وهذا المخطوط مصون في المتحف البريطاني بلندن تحت الرقم ٦٩٥ (١) :

واختتم الامير عمر طوسون مؤلفه « وادي النطرون » بوصف مكتبة دير الانبا مكاريوس بما يلي : « ومكتبة دير القديس مكاريوس وان كانت قليلة الكتب الا ان بها طائفة من الكتب القديمة المخطوطة ... وكان بهذا الدير قديماً نسّاخ ذو تفنن في النساخة وابداع في الخط القبطي والعربي . وكانوا يرسمون الحروف القبطية على اشكال طيور جميلة جاذبة للنظر . كما انهم كانوا متفننين في صنع الوان الحبر الذي يصوّرون به الحروف والرسوم . حتى انه في ايام بطريركية الانبا غبريال بن اتريك طُرد راهب من الـــبرية لسوء سلوكه . فذهب ووشى الى الحافظ ان الرهبان يعملون الكيميا . فاوفد (الحافظ) معه استاذَين وحضروا الى دير ابو مقار . فوجدوا رهباناً نساخاً وعندهم كتب حساب الابقطي(٢) وصنعة الاصباغ . فقال له ان هـذه كتب الكيميا . فقبضوا عليهم ومن جملتهم مرقس الناسخ وقمص ابو مقار ونهبوا اواني دير انبا بشوي واحضروهم الى الوزير . ولما تحقق ان هذه صفة صنع الالوان التي يستعملونها في النساخة اخلى سبيلهم وأعطى لهم كتاب الامان وارسلهم الى اديرتهم مكرّمين(٣) » .

---

(١) اطلب فهرس مخطوطات لندن : صفحة ٥٨٠

(٢) هو علم حساب مواقيت الاصوام والاعياد السيدية عند الاقباط . وهذا العلم يدرس الان رسمياً في المدرسة البطريركية القبطية بالقاهرة (٣) كتاب « وادي النطرون » : صفحة ٢١٢

ومن اشهر اديار وادي النيل التي صبرت على صروف الزمان « دير المحرق » وهو من اكبرها واقدمها عهداً . يحتوي الآن على اكثر من مائة وعشرين راهباً فيهم الشاب الحدث وفيهم الشيخ المعمّر الذي اناف على التسعين . ولهذا الدير مكتبة عامرة بشتى المؤلفات يعمد اليها الراهب في ساعات الفراغ يتثقّف بكنوزها العلمية . وبها مصنفات وافرة وضعها القمص دانيال داود رئيس الدير الحالي تبحث في الفلسفة واللاهوت(١) .

وفي السنة ١٨٨٣ زار الاب ميخائيل جوليان اليسوعي دير القديس انطونيوس الكبير في بلاد الصعيد السفلى . فلما جاء على ذكر مكتبة رهبان هذا الدير قال ما نصه : « ومكتبتهم كلها مؤلفة من بعض كتب عتيقة مخبأة في البرج لا يطالعها احد . ولذا تراهم على جانب عظيم من الجهل حتى في الامور الدينية نفسها (٢) .

خامساً : مكتبة دير طور سيناء

١ ـ موقع الدير وخطورة مكتبته وقدامة عهدها

يقع هذا الدير في صحراء شبه جزيرة سيناء بين العقبة وخليج السويس . بناه يوستنيان الملك (٥٢٧ ـ ٥٦٥ م) تذكاراً له ولزوجته تئودورا على قمة جبل في الصحراء المذكورة . فكان ولم يزل من الديارات الآهلة بالرهبان يقصده الناس من كل حدب وصوب .

وفي هذا الدير مكتبة تُعتبر من امهات المكتبات المحفوظة من أقدم العصور لِما حوته من الآثار العتيقة النادرة التي لم يُبقِ الدهر اعرق منها . ولأجل ذلك راح يؤمها العلماء السياح من جميع اطراف المعمور للوقوف على ذخائرها .

---

(١) مجلة « الرابطة العربية » بالقاهرة : المجلد ٦ السنة ١٩٣٨ الجزء ١٣٠ الصفحة ٣٩

(٢) سياحة حديثة في بلاد الصعيد السفلى : صفحة ٤٤

وقد انشأت السيدة مرغريت جبسون فهرساً لتلك المكتبة طُبع سنة ١٨٩٤ في لندن باللغة الانكليزية . فوصفت فيه ستمائة وثمانية وعشرين مخطوطاً . غير ان التوفيق لم يسعدها لمتابعة عملها الذي كان يُرجى منه نفعٌ كبير لاهل البحث . فلو نشرت الفهرس برمته لكشفت النقاب عن مكنونات علمية ذات شأن كبير .

٢ ـ وصف احمد شفيق باشا المصري لمكتبة طورسيناء

لما كان صديقنا العلامة المصري احمد شفيق باشا قد دوّن اخبار رحلته الى طورسيناء في كانون الثاني ١٩٢٦ رأينا ان ننقل حديثه الموجز عن مكتبة الدير(١) قال : « وزرنا اليوم الجمعة ١٥ يناير) مكتبة الدير لأول مرّة . فوجدناها مكتبة على درجة عظيمة من حسن النظام والتنسيق . وفيها انواع الكتب النفيسة وهي تنحصر في الآداب الدينية والتاريخية باللغات اليونانية والسريانيـــة والحبشية . وشاهدت فيها ايضاً الفرمانات السلطانية التي كانت تُمنح للدير من سلاطين آل عثمان . ووقع نظري على فرمان السلطان سليم ابن السلطان احمد العثماني . وهو يعفي الدير وحاصلاته واملاكه من جميع الضرائب حتى من الرسوم الجمركية على وارداته في الموانىء المصرية والعثمانية . وهو مؤرخ سنة ٩٣١ للهجرة اي قد مضى عليه اربعمائة وثلاث عشرة سنة . ورأيت ايضاً فيها فرمانات من قياصرة الرومان والدولة الفرنساوية في عهد نابليون الاول وكلها ترمي لهذا الغرض . ولا يسعنا هنا وصف محتويات المكتبة فهذا امر يطول شرحه وخارج عن دائرة عجالتنا هذه »

وقد فات صاحب الرحلة المشار اليه ان ينوّه بالمخطوطات العربية في مكتبة دير طورسيناء عند ذكره مخطوطات سائر اللغات التي خصها بالذكر . اذ لا يعقل ان تكون مكتبة شهيرة كهذه في قلب البلاد العربية خالية من مخطوطات عربية . ولنا اقوى برهان على صحة قولنا رسوم فوتغرافية نقلتها السيدة جبسون المشار

---

(١) مذكرات عن زيارات الى دير طورسيناء . لاحمد شفيق باشا المصري : صفحة ١٨

اليها عن مخطوطات دير طورسيناء العربية (١) . ونرجح ان عددها تبعاً لرواية بعض المؤرخين لا يقل عن سبعمائة مخطوط اكثرها مكتوب على الرقوق (٢) .

٣ـ اقدم انجيل سرياني في مكتبة طورسيناء

حسب هذه المكتبة فخراً انها صانت بين ذخائرها العريقة نسخة سريانية للانجيل مكتوبة على الرق . وهي اقدم نسخة من هذا المصحف المقدس عُرفت على وجه الارض في جميع اللغات . وهذا الاثر الثمين النادر قد نُقل الى لندن (٣) مع طائفة كبيرة من المخطوطات التي يتباهى بها المتحف البريطاني ويعتبرها من اغنى كنوزه الكتابية . وفي المتحف البريطاني ايضاً نسخة خطية سريانية من سفر اشعيا النبي مكتوبة عام ٤٥٩ للميلاد اكتشفها الكردينال اوجين تيسران الفرنسي يوم كان اميناً للمكتبة الواتكانية . وهذه النسخة هي من اقدم الآثار الخطية المعروفة حتى الآن من نسخ التوراة وعليها تاريخ كتابتها (٤) .

٤ـ اقدم انجيل يوناني نقل من مكتبة طورسينا ثم بيع بمائة الف جنيه انكليزي ذهب

ومن اثمن الذخائر التي كانت مصونة في خزائن دير طورسيناء مخطوطة يونانية للانجيل قديمة العهد نُقلت في القرن التاسع عشر الى مكتبة القياصرة في بطرسبرج عاصمة روسيا . وفي السنة ١٩٣٤ ابتاعها المتحف البريطاني في لندن من حكومة الاتحاد

---

(١) المشرق مجلد ٦ سنة ١٩٠٣ صفحة ١٠١١
(٢) تاريخ آداب اللغة العربية : لجرجي زيدان . مجلد ٤ صفحة ١٢٩
(٣) نشره المستشرق بيركيت سنة ١٩٠٤ في كمبردج مع ترجمة انكليزية
(٤) مجلة الهلال : مجلد ١٩ صفحة ١٩٠

السوفياتي بمبلغ مائة الف جنيه انكليزي ذهب . ويقال ان عمر هـذه المخطوطة اليونانية يرتقي الى عهد قسطنطين الكبير (٣٠٦ – ٣٣٧ م) .

٥ – ذخائر مكتبة الدير وغرائب مخطوطاتها

مما يؤيد غنى مكتبة دير طورسيناء ما اثبته جرجي زيدان في معرض كلامه عنها قال : « لكن السيدة لويس الانكليزية اكتشفت بالامس نصوصاً قرآنية مكتوبة على رقوق قديمة كتب فوقها بالسريانية بعد محو العربي من تحتها على عادتهم في ذلك يومئذٍ . وهي تظن تلك النصوص كتبت قبل جمع الخليفة عثمان للقرآن . ولا نظنها تستطيع اثبات ذلك(١) .

اما أعتق مخطوط عربي نصراني في العالم كله فمحفوظ حتى اليوم في مكتبة طورسيناء . موضوعه تاريخي كتب على الرق بالقلم الكوفي البسيط ويرجع تاريخه الى السنة ١٥٥ هلالية (الموافقة للسنة ٧٧١ – ٧٧٢ ميلادية(٢) .

ومن اقدم الفرمانات فرمان تاريخه سنة ٥٢٤ للهجرة (١١٣٠ م) منحه الفاطميون بامتيازات لرهبان دير طورسيناء . وفي الدير كذلك رقوق وقراطيس مخطوطة عن المجامع المسكونية الاولى . ثم فصول من التوراة كُتبت عام ٨٦٧ للميلاد وهي من اقدم نسخ العهد القديم بالعربية . وتحتوي ايضاً على كثير من النصوص التي تتعلق بالتواريخ المسيحية كتفسير القديس مكاريوس لانجيل لوقا . ومنها آثار اقليميس الاسكندري واوريجانيس وابيفانيوس واعمال الشهداء فضلاً عن الطقوس الدينية . وهنالك مخطوطات من عهد الخلفاء الفاطميين بمصر بين تقاليد وعهود وامتيازات مكتوبة على اوراق برديٍّ متلاصقة . وهي تشبه الفرمان

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية. مجلد ٤ صفحة ١٣٠

(٢) مكتبة دير سيناء : بقلم يسى عبد المسيح (مجلة الراعي الصالح في الاسكندرية : مجلد ١ سنة ١٩٤٠ صفحة ٤٩)

المؤرخ سنة ٥٤٠ للهجرة (١١٤٥ م) وطوله عشرة أمتار في عرض ٤١ سنتمتراً منقولا عن العهدة النبوية(١) .

ومن تلك الآثار الثمينة التي لا يصح السكوت عنها عهدة السلطان سليم الاول (١٥١٢ – ١٥١٩ م) العثماني لرهبان دير طورسيناء(٢) ويرتقي تاريخها الى يوم الاربعاء السادس من شهر اول الجمادَين سنه ثلث وعشرين وتسعمائة للهجرة النبوية . وهي الموافقة للسنة ١٥١٧ ميلادية .

واكتشف الدكتور « غروت » في ذلك الدير مخطوطات عربية كثيرة يظهر من شكل خطها انها قديمة جداً واكتشف معها مخطوطات باللغة السريانية . وعثر فيها « غروت » نفسه على نسخة من الانجيل باللغة الآرامية حروفها متوسطة بين الحروف الفينيقية والحميرية . ولم يذكر احد انه رأى كتاباً بهذه اللغة وهذا الخط حتى الآن(٣) . وزبدة القول ان مكتبة طورسيناء تعدّ اقدم جميع المكتبات الحيّة في العالم بعد المكتبة الواتكانية .

٦ ـ طريقة طريفة لصيانة الكتب النادرة في مكتبة طورسيناء

وفي مكتبة طورسيناء طريقة طريفة لصيانة ذخائرها الكتابية النفيسة من الفقدان . وهي ان كل مخطوط ثمين ونادر فيها رُبط بطرف سلسلة حديدية طويلة قد أثبت طرفها الآخر في الخزانة او الحائط . فاذا حاول القارىء او غيره سرقة الكتاب تعسّر عليه الامر بفضل السلسلة المذكورة . وهي طريقة غريبة جارية بالاستعمال في المكتبة المشار اليها منذ أبعد العصور . ولا ريب فى ان غيرها من خزائن الكتب القديمة قد استعمل ايضاً الطريقة نفسها . ومن أجلى البيّنات على

---

(١) مقال لتوفيق اسكاروس في الهلال : مجلد ٣٦ سنة ١٩٢٨ صفحة ٧٣٠ ـ ٧٣١

(٢) من شاء الوقوف على نص هذه العهدة فليراجعه في مجلة « الآثار » بزحلة مجلد ٤ سنة ١٩٢٧ صفحة ٣٣٨ (٣) المقتطف : مجلد ١٨ سنة ١٨٩٤ صفحة ٢٨٧

ذلك اننا شاهدنا في المكتبة الاهلية بباريس مخطوطاً من هذا النوع لم يزل طرفه مصفّداً بسلسلة حديدية . ويحتوي هذا المخطوط على مجموع ابحاث لاهوتية يتقادم عهدها الى القرن الخامس عشر للميلاد(١) .

٧ ـ وصف مكتبة طورسيناء للرحالة خليل صباغ

تعدّدت الرحلات الى طورسيناء في ازمنة متواليـة أقدمها رحلة منسوبة الى سلفيا نحو السنة ٣٨٥ للميلاد . ولو جُمعت اخبار تلك الرحلات لتألف منها تاريخ حسن لهذا الجبل الذي اشتهر بنزول الوصايا العشر على موسى كليم الله .

واول رحلة كُتبت باللغة العربية على ما نعلم هي رحلة خليل الصباغ الدمشقي . فانه قام بها سنة ١٧٥٣ وكتبها بخط يده . ولم تزل نسختها الاصليـة محفوظة في مكتبة الامة بباريس(٢) وهي تتضمن من الفوائد التاريخية والاوصاف المتعددة ما تقرّ به عيون الباحثين ويستطيبه خاطر هواة الآثار الشرقية القديمة .

واليك ما دوّنه هـذا الرحالة عن مكتبة دير طورسينا قال : « ثم سرنا الى المكان المسمّى (فبليوتيكون) اي المكتبة . وهو مكان جميل موضوعه الكتب وهي على الرفوف في ثلاث جهاتها . يبلغ عدة الكتب نحو الفي كتاب في لغـات مختلفة ومنها كتب عربية نحو اربعمائة كتاب » .

---

(1) Bibliothèque Nationale, par Marchal et Couderc, p. 123

(2) Bibliothèque Nationale, Fonds Arabe, N° 313

الفصل السابع

خزائن كتب شمال افريقيا

اولا : مكاتب المملكة التونسية

١ ــ مكتبة نادي الاداب العربية بتونس

انشىء هذا النادي حديثاً في عاصمة تونس بهمة رهبان من الافرنج يقال لهم الاباء البيض لان البستهم كلها بيضاء . وقد تاسست رهبانيتهم على يد الكردينال الشهير كرلس لافيجري (١٨٢٥ - ١٨٩٢) رئيس اساقفة قرطاجنة وجائليق افريقيا .

ولهذا النادي الحديث العهد خزانة كتب عربية فرنسية تشتمل على اسفار جمة وتمتاز خصوصاً بالكتب الدينية والفلسفية واللاهوتية واللغوية والادبية وغيرها . ولديها طائفة كبيرة من الكتب التي تبحث في اللهجات والتقاليد الافريقية وفي الترجمة وغير ذلك من المواضيع مما لا يوجد مجموعاً الا في الخزانة المذكورة . ويعتني الآباء البيض عناية كبرى بتعميم فوائد هذه المكتبة وزيادة محتوياتها يوماً فيوماً(١)

٢ ـ مكتبة البارون ذي لانجي في جبل المنار

كان البارون ذي لانجي انكليزي الاصل ومن علماء الاستشراق . احب تونس واستوطنها ثم شيّد قصراً فخماً لسكناه في أعلى قمم جبل المنـــار الذي يسمى

---

(١) مكتبات المملكة التونسية بقلم البشير الفورتي : صفحة ٥

« سيدي بو سعيد » . كان هذا البارون كلفاً بالاغاني العربية فوضع فيها كتاباً لم يُنسج على منواله قبل الآن وقضى في تأليفه عشرات السنين . وقد استعان في جمع تلك الاغاني ببعض الفنانين التونسيين لاسيما بالسيد احمد الوافي الذي كان نابغة عصره في صناعة الالحان .

ومن مآثر البارون ذي لانجي انه انشأ في القصر المذكور خزانة كتب حوى القسم العربي منها ستة آلاف مجلد مطبوع و٣٠٦٥ مجلد مخطوط . ومن نفائسها مصاحف قديمة متنوعة الخطوط كالمسدّس والمثمّن والمذهب والمزوّق وهي مجلدة تجليداً قديماً فاخراً في الاندلس والمغرب . وفيها اربع نسخ من التوراة مكتوبة على رق الغزال : احداها ملفوفة على عود من خشب الآبنوس والثانية على عود قماريّ والثالثة والرابعة على قضيب من العاج . وبقدر ما كان للبارون ذي لانجي من العناية العظيمة بهذه المكتبة فبقدر ذلك أهملها بعد وفاته ابنه والقائمون الآن بادارتها .

٣ ـ مكتبة موناهن في قرطاجنة

ولد المستر موناهن J. H. Monahan الانكليزي الاصل سنة ١٨٦٥ وشغف منذ صباه بلغة الضاد شغفاً شديداً . فخصص معظم اوقاته باحراز آداب العرب ومطالعة كتبهم حتى اصبح من صفوة علماء الاستشراق الذين يشار اليهم بالبنان . وقد احب الديار التونسية فاتخذها مركزاً لاقامته وجعل سكناه في مدينة قرطاجنة . ثم انشأ هناك خزانة اشتملت على ما نفس من الكتب العربية ولاسيما التي طبعها المستشرقون قديماً وحديثاً في انحاء اوروبا(١) . وللمستر موناهن مؤلفات

---

(١) استندنا في اخبار المكتبة الى ما رواه لنا عنها العلامة الحلبي الدكتور جرجس صقال نزيل مدينة طرابلس الغرب

شتى وضعها بلغته الانكليزية وضمنها مباحث عربية اسلامية . منها تلخيصه «رسالة الغفران» و «رحلة بني هلال» ساعده في نشرهما الدكتور جرجس صقال .

ثانياً : مكتبات الجزائر او المغرب الاوسط

١ ـ دار الكتب الاهلية

دعيت هذه المكتبة يوم تأسيسها «مكتبة ومتحف الجزائر» . ويرجع الفضل في وضع نواتها الى ادريان بربروغجير Adrien Berbrugger الذي تولى ادارتها ٣٤ سنة اعني من عام ١٨٣٥ حتى وفاته عام ١٨٦٩ . وبلغ عدد محتوياتها في ذاك التاريخ خمسة عشر الف مجلد مطبوع والفاً وخمسمائة مجلد مخطوط . وكان ادريان من كبار الصحافيين والمؤرخين والمستشرقين وعلماء الآثار . ولشدة اعجاب نابليون الثالث بذكائه وسعة معارفه اراد ان يكرمه فزاره بنفسه في المكتبة وعلق على صدره وسام جوقة الشرف من طبقة كومندور .

وخلفه في ادارة المكتبة اسكار ماك كارتي Oscar Mac Carthy فنهض بخدمتها احدى وعشرين سنة نهوضاً خلد له فيها اطيب الذكرى . وفي السنة ١٨٩٠ احيل على التقاعد وفصل المتحف عن المكتبة فتولاها اميل موباس Emile Maupas المتوفى سنة ١٩١٦ اثناء الحرب العظمى(١) . اما اليوم فقد انيطت شؤونها بالاستاذ جبرائيل اسكير Gabriel Esquer يعاونه بعض العلماء البارعين في فن تنظيم الكتب .

وامتازت هذه الخزانة بما احتوته من المؤلفات التي اصبحت مرجعاً للباحثين عن اقطار شمال افريقيا وعن تربتها ومنتوجاتها وتاريخها واحوالها السياسية وشؤونها

---

(١) La Lecture Publique : Bibliothèque Nationale d'Alger, p. 161-181

الاقتصادية . ولا يقل عدد تلك المؤلفات في الوقت الحاضر عن نيف واربعة عشر الف مجلد او كراس . اما العدد الاجمالي لمجلدات دار الكتب الاهلية فقط كان سنة ١٩٣٩ مائة وعشرة الاف مجلد معظمها باللغة الفرنسية . وما عدا الكتب العربية المطبوعة فانها تنطوي على الفين وثلاث مئة مخطوط عربي حوى بعضها نوادر ثمينة .

ومنذ السنة ١٨٦٣ جعل قصر مصطفى باشا مركزاً لدار الكتب الاهلية في عاصمة الجزائر . وهو من القصور القديمة الفخمة التي شيدت على طراز اندلسي مغربي ولم تزل على حالتها حتى الان .

٢ ـ مكتبة جامعة الجزائر

برزت هذه المكتبة للوجود في شهر آب ١٨٥٧ حين تأسيس مدرسة الطب والصيدلة في الجزائر. واندمجت فيها عام ١٨٨٠ مكتبتا مدرستي الحقوق والآداب . وظلت على تلك الحال ثلاثين سنة حتى صدر قانون مؤرخ في ٣٠ كانون الاول سنة ١٩٠٩ يخول كلًا من المدارس الثلاث لقب « كلية » . هكذا تألفت من مجموع الكليات المشار اليها رابطة ثقافية سميت « جامعة الجزائر » واطلق على مكتباتها لقب مكتبة جامعة الجزائر(١) .

وظلت هذه المكتبة في نمو مستمر حتى بلغ عدد مجلداتها عام ١٩٣٩ ثلاثمائة وستين الف كتاب . يضاف اليها نيف واربعة آلاف مجلد مطبوع ومائة وعشرون كتاب مخطوط في اللغة العربية(٢) .

وانصرفت ادارة المكتبة في هذه السنوات الاخيرة الى تعزيز لغة الضاد في

---

(١) La Lecture Publique (Bibliothèque de l'Université d'Alger, par Paul Sauvage) p. 182-192

(٢) نقلا عن رسالة وجهها مدير مكتبة جامعة الجزائر الى كاتب هذه السطور بتاريخ ٢ حزيران ١٩٣٩

انحاء المغرب الاوسط . ونهضت تعتني اعتناء خاصاً باقتناء الكتب العربية وانتقاء اجودها وافيدها . ثم نشرت سلسلة مخطوطات نادرة تولى شرحها والاشراف على طبعها فئة من العلماء الوطنيين والمستعربين .

ثالثاً : مكتبات المغرب الاقصى

١ ـ مكتبة معهد الدروس العليا في الرباط

انشىء معهد الدروس المغربية العليا بمدينة الرباط في اوائل انتشار الحماية الفرنسية على المغرب الاقصى . وشرع رؤساء هذا المعهد وفي طليعتهم الاستاذ نهليل يجمعون الكتب المطبوعة والمخطوطة التي تبحث عن القطر المغربي ولاسيما عن الاسلام فيه . فلم يتركوا دولة من دول اوروبا الا نقّبوا في خزائن مخطوطاتها عن كل ما يتعلق بابحاثهم من النصوص والوثائق والمستندات القديمة واخذوا ينشرونها بالطبع . هكذا تألف في معهد الدروس العليا خزانة غنية اصبحت مرجعاً للمؤلفين في المواضيع الآنفة الذكر .

ولما قرّر المرشال ليوطي المعتمد الفرنسي بالمغرب احداثَ مكتبة عامة فى الرباط جعل نواتها واساسها خزانة كتب معهد الدروس العليا . وعهد في ادارتها الى الاستاذ دوسينفال فانصرف بكل نشاط الى تنظيمها طبقاً للاساليب العصرية . ثم نُقلت عام ١٩٢٤ من المعهد المذكور الى بنايتها الجديدة حيث هي الآن(١) .

ونشر معهد الدروس العليا في الرباط سلسلة من المخطوطات العربية النفيسة كان لنشرها صدى استحسان في الدوائر العلمية وتدارسها الادباء والعلماء . ولم يبرح المستعربون في المغرب الاقصى دائبين في طبع المخطوطات القديمة وترجمتها . وهناك مخطوطات اخرى ستمثّل للطبع تدريجاً رغم ما يعترض طبعها من عقبات

---

(١) ملحق جريدة « المغرب » للثقافة العربية في سلا : مجلد ٢ سنة ١٩٣٨ صفحة ٤٣

لا بد لتذليلها من عناء مضنٍ يكابده العلماء المستشرقون . وقد عرف لهم هذه المأثرة جميع المفكّرين والمثقفين في المغرب الاقصى . فشكروا لهم دراساتهم التي يبنونها على النقد النزيه ولا يتحرّون فيها الا توسيع نطاق التفكير والادب المثمر.

٢ ــ سائر المكتبات النصرانية بالمغرب الاقصى

لما دخل القطر المغربي في حوز الحماية الفرسية اخذ الاوروبيون يتوافدون اليه من كل حدب وصوب للاقامة فيه . وكان بينهم كثير من المستعربين واهل العلم وموظفي الدولة الحامية . فانشأ هؤلاء خزائن كتب خصوصية ضمّوا اليها كل نادر ونفيس من مطبوع ومخطوط .

ونظراً الى خطورة تلك الخزائن في عالمي الادب والتاريخ رأت ادارة المكتبة العامة في الرباط اقتناءها حرصاً على ذخائرها وتعميماً لفوائدها . واليك بعض تلك المكتبات التي اتصلت بنا اسماء اصحابها مع سنة اقتنائها وهي(١) :

١ : مكتبة النادي الالماني في طنجة سنة ١٩٢٠

٢ : مكتبة الحاكم العام م . كروزيل سنة ١٩٢١

٣ : مكتبة مسيو برنار الموظف الفرنسي في عاصمة الجزائر سنة ١٩٢٢

٤ : مكتبة المسيو لاريش قنصل فرنسا في الرباط سنة ١٩٢٩

٥ : مكتبة القسم الاجتماعي لادارة الاستعلامات التي كان مركزها في مدينة سلا . وكان يديرها المستعرب المسيو شوبلير سنة ١٩٣٦

رابعاً : مكتبات طرابلس الغرب

١ ــ مكتبة الحكومة الايطالية

ما كاد يستولي الايطاليون على طرابلس الغرب عام ١٩١١ حتى بادروا الى

---

(١) ملحق جريدة « المغرب » للثقافة المغربية في سلا : مجلد ٢ سنة ١٩٣٨ صفحة ٤٣

نشر ثقافتهم وترويج لغتهم بين سكانها بشتى الفنون والاساليب . ومن جملة ما عمدوا اليه انهم انشأوا مكتبة عامة حوت بجانب الكتب الايطالية بعض مطبوعات عربية استحضروها من اقطار الشرق . غير ان تلك المطبوعات قليل عددها بالنسبة الى حاجة ذلك القطر المأهول بالعرب والواقع بين بلدان عربية . وبعد انهزام الايطاليين من القطر المذكور عام ١٩٤٣ لم يبقَ اثر للمكتبة التي نحن بصددها .

٢ ــ مكتبة جرجس صقال

جرجس صقال حلبي المحتد ولد سنة ١٨٧٨ وتلقى دروسه الاولى في دير الشرفة بلبنان . ثم اكمل تحصيل العلوم واللغات في مدرسة بروبغندا برومة حيث نال شهادة دكتور في الفلسفة واللاهوت . وعام ١٩١٤ استوطن مدينة طرابلس الغرب فانصرف الى التعليم والتأليف وتعاطى ايضاً مهنة الصحافة . وكلف منذ صغره بجمع الكتب فاحرز منها خزانة ضمّت الكثير من المؤلفات العربية الثمينة على تنوع مواضيعها بين مخطوط ومطبوع . وقد تبرع بطائفة معتبرة من مجلدات خزانته على مكتبة دير الشرفة .

الفصل الثامن

خزائن كتب الهند

١ ـ المكتبة العمومية في كلكتا

بين المعاهد الكتابية التي تستحق الذكر في بلاد الهند « المكتبة العمومية » في كلكتا . وقد تعهدها المطران اغناطيوس نوري اثناء سياحته في الهند سنة ١٨٩٩ و١٩٠٠ قال(١) :

« في الثامن من آذار انطلقنا الى المكتبة العمومية . وهي غرفة كبيرة تأتي في خمسة وعشرين متراً طولاً بعرض عشرة امتار . فالتقينا فيها بمدرّس اللغة العربية رزق الله افندي ابن فتح الله عزّو البغدادي الكلداني . فأرانا ما فيها من كتب خطية ومطبوعة وهي شيء كثير لا يُحصى عدّه . وكلها مرتبة ترتيباً حسناً . وللمكتبة فهرست يسهل على الطالب وجود ضالته باقرب وقت . وقد خصّصت الحكومة مبلغاً من المال كل سنة لابتياع الكتب حسبما يتراءى لمديرها » .

« وبينما كنا ننظر في بعض الكتب العربية اقبل الدكتور المستر رنكي مدير المكتبة وهو انكليزي المحتد، يحسن العربية والفارسية واللاتينية والسنسكريتية. وهو يترجم من العربية الى الانكليزية كتاب جغرافية شمس الدين ابي عبدالله محمد بن احمد المعروف بابن المقدسي ويعلق عليه حواشي واضافات وملاحظات . وفي هذه المكتبة يصير كل سنة امتحان ضباط العسكر الانكليزي دارسي اللغة العربية او الفارسية او الاردوية » .

---

(١) رحلة الى الهند : تاليف المطران اغناطيوس نوري : صفحة ٨٩ مطبعة حريصا بلبنان

الباب السادس

مكتبات بيروت العامة

الفصل الاول

مكتبة مار منصور

تأسست شركة مار منصور دي بول بتاريخ ٧ ايار ١٨٦٠ في بيروت. ومن مشاريعها المفيدة مكتبة عامة انشأتها للادباء والاعيان واهل البحث من جميع الملل والاديان. وكان مركزها اوّل بدء في شارع سوريا حيث شيّدت راهبات المحبة مدرسة ومأوى للايتام. ثم انتقلت المكتبة الى مركز الشركة الحالي في شارع مار منصور بجوار مركزها السابق من الناحية الجنوبية. كانت نواة مكتبة مار منصور ما خلّفته «الجمعية المشرقية» من الكتب على ما ذكرنا في الفصل الاول من الباب الخامس. ثم اضافت اليها شركة مار منصور طائفة صالحة من المجلدات فاصبح مجموعها يناهز الاربعة آلاف. وهو عدد لا يُستهان به في حين لم تكن المطبوعات متوفّرة بين الناطقين بالضاد. وقد أنيطت امانة هذه المكتبة وادارتها باحد اعضاء الشركة وكان يشرف عليها الاديب يوسف اليان سركيس الذي امتاز بثقافته وغيرته.

ولبثت ابواب المكتبة مفتوحة نحو عشرين سنة حتى أوجس الباب العالي خوفاً لنجاحها. فتقدم الى نصوحي بك والي بيروت (١٨٩٤ – ١٨٩٧) باقفالها لان حرية القول والفكر والقلم كانت مقيدة حينذاك في البلدان العثمانية. فاضطرت شركة مار منصور الى بيع مكتبتها التي حوَت أنفس الآثار والأسفار.

الفصل الثاني

مكتبة غرف القراءة

أنشئت غرف القراءة في بيروت صيانة لأخلاق فريق من الشبان العاطلين وحرصاً على آدابهم . ويعود الفضل في بذر هذه الفكرة الطيبة الى المرسلين الاميركيين الذين اخرجوها عام ١٨٩٩ الى حيّز العمل . وقد استأجروا لذلك حانوتاً كبيراً واسعاً جنوبي ساحة الشهداء جهزوه بكل ما يلزم من صحف دورية وكتب عربية وافرنجية وافرغوا الجهود في ان تكون تلك الكتب برمتّها مفيدة لاولئك الشبان وموافقة لأذواقهم ومشاربهم ومبلغ ثقافتهم . ثم اضافوا اليها طائفة من الكتب كانت تخص جمعية « شمس البرّ » ضمت الى ما تبرع به عليها الاعيان وحملة الاقلام .

ثم ان ادارة هذه المكتبة رخصت في شرب القهوة او الشاي لمن شاء من القراء بثمن زهيد ترغيباً في ارتياد غرفها وتحذيراً من غشيان المقاهي والملاهي العامة .

ولما تحقق اولئك المرسلون مؤسسو المكتبة نجاح مشروعهم شيدوا له بناية فسيحة شرقي مطبعتهم القديمة الواقعة غربي ساحة السور . فازداد الاقبال على غرف القراءة وجعل الشبان يتوافدون اليها في اوقات معلومة لارتشاف اصفى موارد الثقافة والادب . وناهز عدد كتبها ثلاثة آلاف واربعمائة مجلد تبعثرت في ايام الحرب العظمى (١٩١٤ - ١٩١٨) . ولم يسلم منها الا جزء يسير حُفظ في غرفة خاصة . اما مركز المكتبة فقد تحول الآن الى مدرسة ليلية مجانية .

الفصل الثالث

مكتبتا الاتحاد والترقي والحرب العظمى

١ ـ مكتبة الاتحاد والترقي

اخذت « جمعية الاتحاد والترقي » البيروتية مركزاً لها غربي ساحة الشهداء فوق سوق الصياغ . فأسست هناك مكتبة جمعت فيها طائفة معتبرة من المطبوعات عربية وتركية وفرنجية بينها بعض مخطوطات شرقية . وتسابق القوم على اختلاف طبقاتهم ونزعاتهم فأهدوا اليها نفائس المؤلفات ومجاميع المجلات . وتبرع اهل الثراء وارباب الصناعة بكل ما احتاجت اليه المكتبة من خزائن ومقاعد ورسوم ورياش . نخص بالذكر منهم السيد الياس سيوفي فانه نفحها بالشيء الوافر من مصنوعات معامله الشهيرة . فتكوّن من ذلك مكتبة عامرة أضحت نجعة الروّاد ومنهل الورّاد . غير ان حياة هذه المكتبة لم تستغرق اكثر من ثلاثة اعوام .

٢ ـ مكتبة الحرب العظمى

تكونت هذه المكتبة من خزائن خاصة استولت عليها الحكومة العثمانية في الحرب العظى بعد نقي اصحابها وانشأت منها مكتبة عامة اناف عدد كتبها على خمسة آلاف وثلاثمائة مجلد . واحتوت تلك المكتبة على مؤلفات في اللغة والتاريخ والاداب والحقوق والطب والعلوم الطبيعية والفنون الجميلة الخ . بينها معاجم وموسوعات ومجاميع ثمينة في اللغات العربية والتركية والفرنسية والانكليزية والايطالية وغيرها . وقد احتلت هذه المكتبة خمس غرف وقاعة كبرى في فندق « سنترال » غربي ساحة الشهداء .

وبعدما وضعت الحرب اوزارها عاد اولئك المنفيّون الى بيروت . ولما كانت هذه البلاد قد خرجت يومئذٍ من حكم العثمانيين وانتقلت الى انتداب الفرنسيين فان الحكومة الجديدة رأت ان تعاد الكتب والخزائن الى اربابها . فتسلم كل منهم حصته وهكذا انتهت حياة « مكتبة الحرب العظمى » التي لم تعش اكثر من اربعة اعوام .

الفصل الرابع

مكتبة المجلس البلدي

١ ـ مكتبات المجالس البلدية في انحاء المشرق

لا تخلو عاصمة او حاضرة في بلدان المغرب الراقية من مكتبة تابعة لمجلس بلديتها يؤمها الطلبة وروّاد الأدب للدراسة والاستفادة . وقد احتذت بعض المجالس البلدية في الشرق بمثال بلديات الغرب فأنشأت مكتبات حافلة باصناف الكتب . وحسبنا من هذا القبيل ان نذكر المكتبة البلدية في الاسكندريّة ودار الكتب الوطنية في حلب الشهباء . وتعدّان كلتاهما من مفاخر المجلسَين البلديّين في تينك الحاضرتين . وقد وفيناهما حظهما من الوصف في الباب الثالث من هذا المؤلف .

وعلى شاكلة مكتبتَي الاسكندرية وحلب المشار اليهما قامت مكتبات عديدة في بعض مدن وادي النيل بهمة مجالسها البلديّة . وقد أحصينا منها عشر مكتبات أنشئت منذ السنة ١٩١٣ في الانحاء التالية اعني : طنطا . المنصورة . الزقازيق . شبين الكوم . بني سويف . دمنهور . سوهاج . الفيّوم . المنيا . المحلة الكبرى .

٢ ـ نشأة مكتبة بلدية بيروت

على ان المجلس البلدي في عاصمة لبنان لم يرَ ان يظلّ مكتّفاً ازاء نهضة حديثة

عمّت جميع انحاء الشرق . لكن الحمية الوطنية دفعت بعض اعضائه فتجرّدوا للامر بنشاط وحماسة . وعرضوا فكرة هذا المشروع على محافظ العاصمة فأيدها وطرحها على بساط البحث في المجلس البلدي . وما عتم ان صدر القرار بانشاء المكتبة في ٢٤ ايلول ١٩٣٠ واسناد امانتها الى الاستاذ عبد الحليم اللادقي . فنهض هذا بهمته علاوة على تعاطيه امانة سرّ المجلس . ثم جعل يفاوض الادباء ويراسل الفضلاء في الاقطار العربية . فتوفق في سعيه الحميد وتجمّع لديه اكثر من الف وخمسمائة مجلد . وممن لبّوا نداءه نذكر : مدير دار الكتب المصرية . وسمو البرنس عمر طوسون في الاسكندرية . والشيخ يوسف البستاني صاحب مكتبة العرب في القاهرة . والسيد اسعاف النشاشيبي في القدس . والشيخ محمد سعيد اياس . والسادة امين الريحاني ومحمد جميل بيهم وجرجي نقولا باز في بيروت . ولم يتخلف السيد عبد الحليم اللادقي عن اتحاف المكتبة الفتاة بطائفة من كتب خزانته الخاصّة . وفي ١٥ كانون الثاني ١٩٣١ وضع لها نظاماً خاصاً انتهج فيه نهج الانظمة التي تتمشى عليها ارقى المكتبات .

ولا يخفى ان المجلس البلدي لم ينفق على هذه المكتبة الا ما احتاجت اليه لتجليد الكتب والمجلات فقط . غير انه تبرّع عليها في السنة ١٩٣٥ بمبلغ خمسمائة ليرة لبنانية لشراء بعض كتب لا تستغني عنها دوائره الفنيّة .

والحليق بالذكر ان خزائن هذه المكتبة صُنعت من اخشاب باخرة أغرقها الحلفاء في مرفأ بيروت اثناء الحرب العظمى (١٩١٤ - ١٩١٨) . وهي من أمتن الأخشاب وأجودها . بدليل انها ظلّت خمس عشرة سنة في قعر البحر دون ان يعتريها العطب .

الفصل الخامس

مكتبة القضاة

أنشئت هذه المكتبة عام ١٩٢٤ في قصر العدل ببيروت. وجرى ذلك بتشويق الاستاذ فرجلو رئيس محكمة التمييز الاجنبية كي تكون مرجعاً للقضاة والمحامين والمترافعين في كل مبحث يتعلق بمهنتهم. اما الذي اعتنى بتعزيزها وتوفير مجلداتها وضبط ادارتها فهو الاستاذ مَرسيل دَيس (Deïs) الذي تولى سنة ١٩٣١ رئاسة محكمة التمييز المشار اليها خلفاً للاستاذ فرجلو.

وقد جُعل اساساً لمكتبة القضاة ما جمعته حكومة جبل لبنان من الكتب وحفظته بسراي بعبدا في عهد المتصرفية (١٨٦١ – ١٩١٨). واشتملت تلك المجموعة على كتب فقهية وقانونية ولغوية في اللغتين العربية والتركية. ويبلغ الآن عدد ما تحويه « مكتبة القضاة » من الكتب نيّفاً وثلاثة آلاف مجلد في اللغتين المذكورتين وفي اللغة الفرنسية.

وفي ما يلي نذكر اهم ما احتوته هذه المكتبة من الأسفار العربية وهي: مجموعات قوانين لبنان وسوريا. مجموعة مجلدات جريدة لبنان الرسمية مدة عشرين سنة. مجموعة المجلة القضائية. حاشية ابن عابدين وتكملتها. قاموس الحقوق. معجم لسان العرب. معجم محيط المحيط الخ. ولما كانت هذه المكتبة مرجعاً وحيداً للقضاة والقضاء في عاصمة لبنان ودَدنا لو توفرت فيها الكتب العربية التي هي لغة السواد الاعظم من سكانها.

وغير خافٍ ان الغرض من تأسيس هذه المكتبة خدمة القضاة بالدرجة الاولى طبقاً لعنوانها. ومما يؤسف له ان ذوي العلاقة بها مِمّن ألفوا او ترجموا ونشروا بعض التصانيف قد ضنّوا عليها بتآليفهم!

الفصل السادس

مكتبتا نقابتي المحامين والصحافة

١ ـ مكتبة نقابة المحامين

هي مكتبة صغيرة حديثة العهد تابعة لنقابة المحامين اللبنانيين مركزها قصر العدل في بيروت . وتتألف من خمس خزائن ظريفة الصنعة رُصفت فيها تصانيف ومجموعات ونشرات دوريّة مجلدة تجليداً متقناً جميلاً . بيد ان عددها لا يتجاوز بضع مئات من المجلدات . وتدور ابحاثها على مختلف القوانين والاحكام والاصول الشرعية في اللغتين العربية والفرنسية .

وقد نُمي الينا ان مجلس نقابة المحامين يفكّر في توسيع نطاق هذه المكتبة خدمةً لهم وتسهيلاً لاشغالهم . غير ان ما اثبتناه عن مكتبة القضاة السابق ذكرها يطابق بكلّياته وجزئياته مكتبة نقابة المحامين . فان هذه المكتبة ايضاً لا تشتمل على المؤلفات والاطروحات والرسائل والمجلات التي وضعها المحامون اللبنانيون ونشروها بالطبع .

٢ ـ مكتبة نقابة الصحافة

انشئت هذه المكتبة على أثر تأسيس نقابة الصحافة في بيروت . وجُعل مركزها في بناية دار البلدية الجديدة . وكانت تعقد هناك مجالس النقابة واجتماعات الصحافيين . وقد تواردت عليها هدايا المؤلفين والطباعين والاعيان وذوي الحمية فنفحوها بطائفة كبيرة من الكتب والمجلات والنشرات الدورية . وقد اصبحت اليوم اثراً بعد عين .

الباب السابع

المكتبات العربية في اوروبا

الفصل الاول

اعتناء الاوروبيين باذدخار الكتب العربية

١ ـ ظهور اللغة العربية في اوروبا منذ القرون الوسطى

يرتقي عهد اهتمام الاوروبيين باللغة العربية الى القرن العاشر للميلاد . فمن ذلك الحين اخذوا يحشدون في خزائنهم ما ألّفه العرب في الطب والفلسفة والرياضيّات والطبيعيات والكيمياء والنجامة والأدب واللغة . وجعلوا يترجمونها الى لغاتهم ولاسيما الى اللغة اللاتينية التي كانت وما برحت لغة العلم عندهم . ثم ازداد هذا الاهتمام على اثر احتكاك الافرنج بالشعوب الشرقية اثناء الحروب الصليبية (١٠٩٦ – ١٢٩١ م) . فكانوا يبتاعون ما تقع عليه عيونهم من المخطوطات الشرقية لاعتبارهم اياها من الآثار القديمة الغريبة الشكل واللسان والمجهولة في بلادهم . ومن الأدلة الراهنة على ذلك ان لويس التاسع ملك فرنسا (١٢٢٦ – ١٢٧٠ م) لما عاد من الحرب الصليبية نقل معه من مدينة دمياط مخطوطات عربية وقبطية زيّن بها خزائن قصره . واحتذى حذوه كثيرون من امراء الفرنسيس واغنياء حجّاجهم الذين رافقوا الملك في زيارته الاماكن المقدسة (١) .

---

(١) علاقات ملوك فرنسا بملوك العرب : تأليف الفيكنت فيليب دي طرازي : صفحة ٤ ـ ٥

زد على ذلك ان علماء الاستشراق وقناصل دول الغرب وتجار الافرنج الذين أمّوا البلاد الشرقية في آونة مختلفة ابتاعوا ما تيسّر لهم من تلك الكنوز الكتابية وأغنوا بها خزائن اوروبا ومتاحفها .

وخلاصة القول ان صرعى الكتب وعشاقها في الغرب اقاموا عملاء تسوّقوا لهم المخطوطات باثمان غالية من جميع انحاء الشرق . على ان من أتيح له ان يتفقد دور الكتب الشهيرة في لندن وباريس وفينا وروما والفاتيكان وفلورنسا وميلانو ومدريد وبرلين وليبسيك ومونيخ ومنشن وبون وغوتنجن وغوطا وبلجيكا وكوبنهاغن واوبسالا ولينغراد الخ لا يتمالك من الاعجاب بما افرغه الافرنج من الجهود وما انفقوه من الاموال لاكتناز تلك الثروة العلمية التي لا يعادلها ثمن .

٢ ــ ترجمة كتب الفلسفة والطب العربية وتدريسها في جامعات اوروبا

شاعت اللغة العربية في القرون الوسطى بين علماء اوروبا لكثرة الأقوام المتكلمين بها ولشهرة فلاسفة الاسلام بينهم كابن رشد وابن سينا وابن زهر والفارابي والرازي . فظلت تدرس فلسفتهم وطبهم في جامعات اوروبا حتى السنة ١٦٥٠ للميلاد . وعثر دافيك في مدرسة مونبلييه على ترجمة القرآن في اللغة اللاتينية بقلم الاخ دومينيك جرمان الصقلي فنشرها في المجلة الاسيوية (١) .

وفي السنة ١١٣٠ م تأسست في طليطلة كلية لترجمة الكتب العربية الى اللاتينية برعاية الاسقف ريموند . وقام بعده جيرار دى كريمونا سنة ١١٧٠ م فترجم كتب الرازي وابن زهر وابن سينا . وما كان القرن الخامس عشر حتى بلغ عدد

---

(١) المستشرقون : بقلم نجيب العقيقي : صفحة ٣١

الجامعات في اسبانيا ست عشر جامعة . فكانت قرطبة بمكتبتها العامرة موضوع اعجاب الاوروبيين . وألقت جامعة اشبيلية دروسها باللغة العربية .

ولم تكن صقلية وجنوب ايطاليا باقل حظاً من اسبانيا. ففي القرن الحادي عشر للميلاد تأسست جامعة ساليرنو التي سيطر عليها الفكر العربي مدّة قرنين . وكان لقسطنطين الافريقي اليد الطولى في ادارتها . ثم قامت جامعة باليرمو ومونبليه وتلتها جامعات باريس وبولونيا واكسفورد وبادوا وغيرها . وعنيت هذه الجامعات كلها بتدريس العلوم العربية فأثارت في الغرب ثورة فكرية جديدة انارت سُبُل اوروبا . وفتحت امامها ابواب ثروة علمية استفادت منها فائدة عظمى (١) .

ومن اعظم المستشرقين الذين تفانوا في نشر اللغة العربية وتشويق اهل اوروبا الى درسها كان « دامونديلول » الذي أدرك اوائل القرن الرابع عشر للميلاد . فهو اول من شعر بخطورة اللغة العربية في اوروبا فأحكم اصولها وعشق آدابها . بل هو اول من اجتهد في تدريسها على رجاء ان تكون وسيلة قوية للتفاهم بين الشرق والغرب (٢) .

٣ ـ حديث الرحالة ابن جبير عن العروبة في بلاط ملوك صقلية

بعد تقلّص ملك العرب عن صقلية في القرن الحادي عشر للميلاد لبثت لغتهم شائعة فيها حتى في قصر الملك نفسه . فان الملك روجه الثاني (١١٠١ ـ ١١٥٤م) وهو مثقّف بثقافة العرب أطلق لهم الحرية في اقامة فروضهم الدينية وضمهم الى بلاطه . واستدعى بعض العلماء من المسلمين كالشريف الادريسي (١٠٩٩ ـ ١١٦٤م)

---

(١) مآثر العرب في العلوم الطبية : للدكتور سامي حداد : صفحة ٦٩ ـ ٧٠

(٢) دامونديلول وتعزيز اللغة العربية باوروبا : بقلم ز. بلاشير (مجلة دمشق : مجلد ١ عدد ٦ سنة ١٩٤٠ صفحة ١٩ ـ ٢٤) .

ليستفيد من معارفهم المتنوعة (١) . واضاف شارة محمد الى شارة المسيح في ضرب نقوده . فنقش على احدى صفحتيها « لا اله الا الله محمد رسول الله » . وبعد روجه قام الملك غليوم الاول (١١٥٤ – ١١٦٦ م) فتأثره واتخذ العربيـة لغة لأهل بلاطه (٢) .

ولما ارتحل ابن جبير الى صقلية في عهد ملكها غليوم الثاني (١١٦٦-١١٨٩م) وصفه بقوله : « وشأن ملكهم هذا عجيب في حسن السيرة واستعمال المسلمين ... وهو كثير الثقة بالمسلمين وساكن اليهم في احواله والمهم من اشغاله . حتى ان الناظر في مطبخته رجلٌ من المسلمين . وله جملة من العبيـد السود المسلمين وعليهم قائد منهم . وليس في ملوك النصارى أترف في الملك ولا ارفه منه . وهو يتشبه في الانغماس في نعيم الملك وترتيب قوانينه ووضع اساليبه وتقسيم مراتب رجاله وتفخيم اُبّهة الملك واظهار زينته بالملوك المسلمين ... ومن عجيب شأن المتحدّث بـه انه يقرأ ويكتب بالعربية وعلامته على ما اعلمنا به احد خدَمته المختصّين به « الحمد لله حق حمده » . وكانت علامة ابيه « الحمد لله شكراً لأنعمه (٣) » .

اما فريدريك الثاني امبراطور النمسا (١١٩٤ – ١٢٥٠) فقـد شمل بحمايته جامعة بولونيا الشهيرة في ايطاليا . فوهبها طائفة من المخطوطات باللغة العربيـة ولاسيما كتب الطب . هكذا تسرّبت الى منابر بولونيا فلسفة ابن رشد كما تسرّبت قبل ذلك الى منابر جامعة بادوا .

واحتذى فريدريك الثاني المشار اليـه بمثال الفنس التاسع صاحب قشتالة (١١٥٨ – ١٢١٤ م) فجمع اليه المترجمين من العرب وفريقاً من الافرنج المثقفين بالعربية . فبلغ ما ترجموه ثلاثمائة مجلد الى اللغة اللاتينية لغة العلم ما عدا ما نقلوه الى غيرها . وما مرّ القليل حتى اصبحت جزيرة صقلية في ذلك العصر معقل العربيـة

---

(١) مجلة دمشق : مجلد ١ عدد ٦ سنة ١٩٤٠ صفحة ١٩

(٢) المستشرقون : صفحة ٣٢ (٣) رحلة ابن جبير : صفحة ٣٠٨ ـ ٣٠٩

المنيع . وغدا ملوكها يحسنون صلة العرب فقرّبوا علماءهم وجمعوا في بلاطهم حلقة من شعرائهم وجعلوا من العربية لغة الادب العالي . وخلاصة القول ان ملوك صقلية وامراءها كانوا عرباً في ثقافتهم وحياتهم وطُرق حكمهم ولباسهم وقصورهم ومعيشتهم وحفلاتهم(١) .

٤ ـ اندماج الفاظ عربية في لغات الافرنج وفي معاجمهم

لم يغمض ملوك الفرنسيس عن الاعتناء باللغة العربية بل نهجوا في تعزيزها نهج ملوك اسبانيا وصقلية . فأنشأوا في باريس عاصمتهم مدرساً عاماً لتعليمها منذ اواسط القرن الثالث عشر للميلاد (٢) . هكذا اندمجت في لغة الفرنسيس وفي سائر لغات اوروبا الفاظ عربية كثيرة ولا سيما في العلوم البحرية والطبية . وغير خاف ان الطب العربي كان أساس علم الطب عند الفرنسيس اخذوه مع كثير من ألفاظه . وروى المستشرق العلامة الاب هنري لامنس ان اللغة الفرنسية استعارت نحو تسعمائة لفظة من اللغة العربية واستعملتها وادخلتها رسمياً في معاجمها (٣) .

ونشر المستشرق فرنكل (١٨٥٣ ـ ١٩٠٩) الالماني استاذ اصل اللغات في كلية برسلو تآليف وبحوثاً خطيرة حدد فيها الكلمات العربية الدخيلة على اللغات الاوربية (٤) . وألف كذلك كتاباً في الالفاظ التي اتخذها العرب من السريان فدقق وعمق وحقق (٥) .

---

(١) Dozi et de gœge: La préface de description de l'Afrique et de l'Espagne, par Edrici, page 3

(٢) القديم والحديث : بقلم محمد كردعلي صفحة ٢٨ طبع القاهرة سنة ١٩٢٥

(٣) H. Lammens : Remarques sur les mots Français dérivés de l'Arabe.

(٤) المستشرقون :صفحة ١٦٣ ـ ١٦٤

(٥) القصارى : للمطران اقليميس يوسف داود : صفحة ٨٢

٥ ـ انصراف علماء الاستشراق الى نشر اهم الكتب العربية

ما اكتفى علماء الاستشراق في اوروبا بدرس اللغة العربية واذدخار كتبها لكنهم انصرفوا منذ عهد اختراع الطباعة الى طبع الشيء الكثير من تواريخ بلاد العرب وجغرافيتها وتراجم رجالها واصول شعوبها . هكذا تيسّر للاوروبيين ان ينشروا اهم تلك الكتب في مختلف العلوم العقلية والنقلية . ومن جملتها اول طبعة من القرآن باللغة العربية نشرها باباغانيني في مدينة البندقية . ثم نشر اندريا اريفابن من مانتو اول طبعة من القرآن باللغة الايطالية(١) . وما عتم ان طُبع هذا المصحف في سائر لغات اوروبا كالانكليزية والفرنسية والاسبانية والالمانية والهولندية والروسية واليونانية واللاتينية والبوهيمية والمجريّة والدنمركية والبولونية والقشتلانية والبرتوغالية والروتانية والبلغارية والصربية والالبانية والاسوجية .

وفي السنة ١٦١٧ نشرت مطبعة ليدن بهولندا قصة يوسف البارّ من القرآن . وهو اول كتاب ابرزته المطابع مضبوطاً بالشكل الكامل(٢) . ونشرت مطبعة اكسفرد سنة ١٧٤٣ السيرة النبوية من تاريخ ابي الفداء(٣) . وقد ذهب بعض المؤرخين الى ان ما طُبع من مؤلفات اسلافنا في اوروبا واميركا على ايدي المستشرقين من اهل تينك القارّتين بلغ اضعاف اضعاف ما طبعوه بسائر لغات الشرق . ذلك كله يؤيد مبلغ عناية الافرنج بلغتنا وحضارتنا وتاريخنا وعلومنا(٤) .

واثبت الاب لويس شيخو في كتابه « اطرب الشعر واطيب النثر » ما يلي(٥) : « ان المطبوعات العربية وحدها التي تصدر في انحاء اوروبا فضلًا عن بقية اللغات السامية تنيف كل عام على الالف والثلاثمائة بين التآليف الصغيرة والكبيرة الحجم ذات المواضيع المتوسطة والخطيرة . وذلك بلا مراء اقوى دليل يثبت ما في علماء الغرب من الكلف بنشر آثار لغتنا » .

---

(١) غرائب الغرب : جزء ١ صفحة ٢٤٤ - ٢٤٥ (٢) المشرق : مجلد ٣ سنة ١٩٠٠ صفحة ٨٣ (٣) المشرق مجلد ٣ سنة ١٩٠٠ صفحة ٨٤ (٤) القديم والحديث لمحمد كردعلي : صفحة ٢٦ (٥) اطرب الشعر واطيب النثر : قسم ٢ صفحة ٢٠٩

الفصل الثاني

تعزيز البابوات للغة العربية

١ ـ تضلع البابا سلوستر الثاني من لغة العرب وفلسفتهم

كان بابوات رومة في طليعة ملوك اوروبا بانصرافهم منذ القرون الوسطى الى تعزيز اللغة العربية وتدريسها ونشرها . وقد سبق احدهم البابا سلوستر الثاني (٩٩٩ ـ ١٠٠٣ م) انه قصد الاندلس طلباً للعلم عندما كان راهباً باسم جربرت Jerbert . وقد تخرج في مدارس اشبيلية وقرطبة حيث اكب على تحصيل علوم العرب واحكم فلسفتهم وتعمق فيها . ثم شخص الى رومة ففاق اقرانه بعلمه ولمع بينهم بمزاياه السامية . وما كاد يجلس على كرسي بطرس برومة حتى أمر بانشاء مدرستين عربيتين : الاولى في ايطاليا مقرّ خلافته والثانية في ريمس من اعمال فرنسا وطنه(١) . ومما يؤثر عنه انه أبدل الارقام الرومانية المستعملة حتى ذاك العهد بالارقام العربية(٢) وادخلها الى اوروبا .

وقد اتى البابا سلوستر الثاني على ذكر « الصفر » العربي في رسالة وجّهها الى اوثون الثالث امبراطور جرمانيا (٩٨٣ ـ ١٠٠٢ م) قال : « اني اشبّهك بالرقم الاخير من الاعداد البسيطة العشرة . وهو الذي يزداد قيمة بوضع اعداد اخرى عن يساره(٣) » .

---

(١) المستشرقون : تاليف نجيب عقيقي : صفحة ٤٠

(٢) ماثر العرب في العلوم الطبية : بقلم الدكتور سامي حداد : صفحة ٦٨ ـ ٦٩

(٣) جريدة (آسيا) في بيروت : لتوفيق وهبه : مجلد ١ عدد ٦٣ في ٢٧ ايلول ١٩٤١

٢ ـ تنشيط البابوات الى اقتباس العربية

راح البابوات في القرنين الثاني عشر والثالث عشر يحببون الى قصادهم ورسلهم ورهبانهم تعلم اللغة العربية وتدريسها في المعاهد ترويجاً لخطتهم الكاثوليكية. فتيسّر لهم بتلك الوسيلة ان يبعثوا وفوداً من اهل الذكاء والحصافة ممن خلّفوا لنا مذكرات يومية عن رحلاتهم في الاشتغال بين امم الشرق.

من ذلك ان مجمع فينا المنعقد سنة ١٣١١ م برئاسة البابا اقليميس الخامس (١٣٠٥ – ١٣١٤ م) قرر ان تؤسس دروس عربية وعبرية وسريانية في رومة على نفقة الحبر الاعظم وفي باريس على نفقة ملك فرنسا. اما في اكسفورد وبولون وسلمنكة فعلى نفقة الرهبان. وكان يقصد بذلك تخريج وعّاظ يطوفون الامصار الشرقية لتثقيف شعوبها ونشر الحضارة العربية بين ظهرانيهم. ومما يبرهن على ان اللغة العربية كانت تدرّس في كلية باريس براءة للبابا يوحنا الثاني والعشرين (١٣١٦ – ١٣٣٤ م) تاريخها سنة ١٣٢٥ حتم فيها البابا على سفيره هناك ان يراقب دروس اللغة المذكورة(١).

واول من لبى نداء الحبر الاعظم رهبان مار فرنسيس (الفرنسيسيون) ثم رهبان مار عبد الاحد (الدومنكيون) فانشأوا دروساً من هذا القبيل في اديارهم. وقد نبغ بينهم رهط من الاساتذة الذين درّسوا دروساً استندوا في شروحها الى مؤلفات مترجمة عن العربية. واستعانوا في ذلك بكتب ابن سينا والفارابي والغزالي. وفي النصف الثاني من القرن السادس عشر فتحت الرهبنة اليسوعية مدرسة للغتين العربية والعبرية تولى التعليم فيها يوحنا اليانو الشهير(٢). ومنذ ذلك العهد امتدت حركة علم المشرقيات الى اغلب انحاء اوروبا واخذت تنمو

---

(١) الآداب العربية في القرن التاسع عشر : للاب لويس شيخو : جزء ١ صفحة ١٢

(٢) الآداب العربية في القرن التاسع عشر : للاب لويس شيخو : جزء ١ صفحة ١١-١٢

وتزداد بتعاقب الايام . واعتبر كثير من العلماء والادباء تعلم اللغة العربية من دواعي الافتخار(١) .

٣ ـ عصر البابا لاون العاشر وافتتاحه اول مطبعة عربية في العالم

دالت دولة الروم الشرقية بسقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣ بيد الاتراك . فهجرها الادباء والعلماء والفنانون . ونزح معهم كثير من النصارى ميممين بلاد ايطاليا حيث تمتعوا بالحرية والطمأنينة . وهبت حين ذلك في ارجائها نهضة أدبية تجلت مظاهرها بترويج الدروس الشرقية . وكان للبابا لاون العاشر (١٥١٣ ـ ١٥٢١) يدٌ طولى في تلك النهضة الشرقية حتى استحق ان يلقب عصره بعصر لاون العاشر . ومن مآثره الخالدة انه احتفل في السنة ١٥١٤ بافتتاح اول مطبعة عربية كان سلفه يوليوس الثاني (١٥٠٣ ـ١٥١٣) قد أسسها في مدينة فانو على ساحل بحر الادرياتيك .

٤ ـ لاون العاشر والرحالة لاون الافريقي

في السنة ١٥١٧ قبض القرصان في البحر المتوسط قريباً من جزيرة جربا على رحّالة اندلسي يقال له الحسن بن محمد ابو وزّان الغرناطي . فاستأسروه وباعوه بيع الرقيق في بلاط البابا لاون العاشر . وما عتم ان ادرك البابا ذكاء الاسير ووافر علمه فقرّبه واكرمه وعين له راتباً . ثم عرض عليه النصرانية فانضم اليها . ووقف البابا عراباً له في العماد وسماه باسمه « لاون » فعُرف من ذلك الحين باسم « لاون الافريقي » .

وانتهز الرحالة الافريقي فرصة اقامته في رومة فتعلّم اللغتين اللاتينية والايطالية

---

(١) غرائب الغرب : تاليف محمد كردعلي : جزء ١ صفحة ٢٤٢ ـ ٢٤٣

وألف فيها . ودرس عليه اللغة العربية فريق من رجال الفاتيكان نذكر منهم الشاعر الشهير الكردينال اجيديو انطونيني (١٤٨٠ – ١٥٣٢) اسقف فيتربو .

وقد كتب لاون الافريقي اخبار رحلته باللغة العربية حُفظت نسختها الخطية في مكتبة فينشنسو بينلي ولا يُعرف الآن مكانها . غير ان مؤلفها ترجمها الى اللغة الايطالية ونشرت باسم Navigationi de Viaggi ثم ترجمت الى اللاتينية ونشرت مراراً ونقلت عنها الى الانكليزية والفرنسية والهولندية وغيرها . ويقال ان لاون الافريقي رجع بعد هذا الى مراكش وعاد قبل وفاته الى دينه القديم(١)

٥ ـ انشاء البابوات مطبعة عربية في رومة

بعدما أسّس البابوات جمعية انتشار الايمان في رومة فكرّوا ان ينشئوا مطبعة يضمّونها الى تلك الجمعية وينشرون فيها الكتب المفيدة . وقد احرزت تلك المطبعة بهمتهم شهرة واسعة بين مطابع الغرب . وكان للغة العربية بينها الشأن الاول والنصيب الاوفر . وما عدا ما نشرته تلك المطبعة من الكتب بلغات اوروبا فانها اصدرت كتباً جمة باللغات العربية والسريانية والعبرية والارمنية والقبطية والحبشية والكردية . أضف اليها اليونانية والروسية والسلافية .

٦ ـ بعثات بابوية الى مشترى مخطوطات شرقية

سعى الاحبار الرومانيون سعياً حثيثاً في القرون الغابرة ليحرزوا ما استطاعوا من المخطوطات ويغنوا مكتبة الواتيكان . واخذوا منذ القرن الخامس عشر خصوصاً يواصلون تلك المساعي الطيبة كالبابا سكستس الرابع (١٤٧١ – ١٤٨٤) وبيوس الرابع (١٥٥٩–١٥٦٥) وبولس الخامس (١٦٠٥ – ١٦٢١) واوربانس الثامن

---

(١) الهلال : مجلد ٢١ صفحة ٢٣٩

(١٦٢٣ - ١٦٤٤) . فجمعوا من الكنوز الادبية الشرقية كمية وافرة . وانفقوا في اقتنائها اموالاً طائلة . وكابدوا في نقلها وتنظيمها وتنسيقها اسهاراً متواصلة . هكذا اغتنت تلك المكتبة العظيمة وارتاشت احوالها بتآليف علماء الشرق على اختلاف اجناسهم واديانهم ولغاتهم (١)

ومن اشهر البابوات الذين بذلوا الجهود لتعزيز اللغة العربية اقليميس الحادي عشر (١٧٠٠ - ١٧٢١) . فانه وجّه عام ١٧٠٧ الى الشرق عالماً لبنانياً اسمه الياس السمعاني لابتياع ما يعثر عليه من المخطوطات في لبنان وسوريا وفلسطين واديار مصر . وفي السنة ١٧١٥ كلف الحبر الاعظم المشار اليه عالماً آخر لبنانياً هو يوسف شمعون السمعاني ان يرتحل الى المشرق ويجمع ما تيسر من المخطوطات العربية والسريانية والقبطية والحبشية . فنهض السمعانيان كلاهما بمهمتها خير نهوض وأغنيا المكتبة الواتكانية بما توفقا الى جمعه من التحف الكتابية .

وفي السنة ١٧١٩ وجه البابا اقليميس عينه كاهناً مارونياً قبرصي الاصل اسمه اندراوس اسكندر الى مدينة الموصل ليشتري مخطوطات عربية وسريانية تتعلق بالنساطرة . فظل هذا الكاهن النشيط شهرَين كاملين ضيفاً في بيت القس خدر الكلداني (١٦٧٩ - ١٧٥٥) الذي بالغ في تكريمه وسهّل له جميع الوسائل للفوز بامنيته وفقاً لرغائب الحبر الروماني . وقد استخدمه البابوات ايضاً في اقتناء مخطوطات شرقية من اطراف مصر والشام وما بين النهرين . فجمع منها اندراوس جانباً كبيراً نقله الى المكتبة الواتيكانية . ثم اشتغل مع السماعنة في طبع بعض تلك الكتب وحلت وفاته نحو السنة ١٧٤٠ (٢)

وانتهج خلفاء البابا اقليميس الحادي عشر آثار سلفهم في جمع المخطوطات الشرقية على يد بعثات اوفدوها الى سوريا ولبنان وفلسطين ومصر والعراق وما بين النهرين حتى اقصى بلاد فارس والهند . فكان رُسل البابا يطوفون مدن

---

(١) المشرق مجلد ١٠ سنة ١٩٠٧ صفحة ٢٥

(٢) رحلة القس خدر الكلداني : بقلم الاب لويس شيخو : المشرق : مجلد ١٣ سنة ١٩١٠ صفحة ٥٨٣ و٥٨٤

الشرق والغرب ويشترون اندر المخطوطات فيدفعون ثمن بعضها ما يوازي ثقله ذهباً(١)

وتبارى فريق كبير من الاكليروس الشرقي في اتحاف المكتبة الواتكانية بمخطوطات قديمة نفيسة . نذكر منهم ابرهيم الحاقلاني الماروني (+ ١٦٦٤) الذي اهدى الى تلك المكتبة اربعة وستين مخطوطاً نُقلت اليها بعد وفاته(٢) .

٧ ـ قدم المكتبة الواتكانية وثروتها

صرف البابوات كل الهمم منذ العصور الخوالي في تجميع الكتب الشرقية والغربية من انحاء المعمورة . وتوفقوا الى احراز عدد وافر من الطرف القيّمة والتحف الغالية والصكوك والوثائق العتيقة . وضموها باجمعها الى المكتبة الوتكانية التي بلغ عمرها زهاء الف وستمائة سنة (٣) . وأصبحت تُعد بكل حق شيخة المكتبات في انحاء العالم كله بل اغناها على الاطلاق بالمخطوطات القديمة (٤) .

ومع تمادي الزمان أصبح طول دهليز المكتبة ثلاثمائة وسبعة وعشرين متراً تشتمل على مصاحف ثمينة مخطوطة باليد في اللغات اللاتينية واليونانية والعبرية والعربية والسريانية والفارسية والتركية وغيرها وغيرها . وفي جملتها رقوق مذهبة ومصورة وتآليف « ورجيل » وتصانيف « كيكرون » يرتقي عهد بعضها الى القرن الخامس للميلاد وبينها ما سطرته ايدي الامراء والملوك والاحبار العظام وكبار العلماء (٥) .

---

(١) تقويم البشير : مجلد ٥٣ سنة ١٩٣٠ صفحة ٥٩

(٢) تاريخ الكنيسة السريانية : تأليف الخوري اسحق ارملة : قسم ١٧ فصل ٣ صفحة ٢٧٣ (هذا التاريخ تحت الطبع) . وتاريخ سوريا : للمطران يوسف الدبس : مجلد ٧ صفحة ٣٤١ ـ ٣٤٢ (٣) الهلال : مجلد ٣٦ صفحة ٤٤٦

(٤) محاضرات المجمع العلمي العربي في دمشق : جزء ١ صفحة ٢٦٦

(٥) انفس آلاثار في اشهر الامصار : تأليف يوسف اليان سركيس : صفحة ٧٠

ومن كنوز تلك المكتبة مجلدات نسخت بشتى الخطوط والوان الحبر ووشحت صفحاتها باشكال التصاوير ورصعت جلودها بالحجارة الكريمة . وبين اهمها «سفر الخليقة» مكتوب على رق غزال وهو اقدم ما عرف من نوعه مزدانـاً بالتصاوير (١) .

وبين طرائف المكتبة الواتكانية سفر ثمين اكتشفه البحاثة باديوني يوم كان ينقب في زواياها . وهذا السفر هو مجموعة كاملة لانجيل مار يوحنـا كتبت باللغة العربية في اوائل عهد المسيحية (٢) . وكنا نود لو ان مكتشف هذا الأثر العربي الفريد حدد عهد نساخته بالتقريب . لاننا لسنا نعرف كتاباً عربيـاً نسخ بخط عربي في صدر التاريخ المسيحي . انما ذلك لا يقلل من قيمة هذا الانجيل الاثرية لانه يعتبر بلا ريب من اقدم المخطوطات العربية واغلاها .

وغير خافٍ ان العرب المسلمين خلّفوا كتابات كثيرة عن مصحف الانجيـل وعن الآثار النصرانية في رومة . ومما رواه ياقوت الحموي نقلاً عن كتاب احمد بن محمد الهمذاني المعروف بابن الفقيه ما يلي : « وفي رومة من الصلبان التي تخرج يوم الشعانين ثلاثون الف صليب ذهب . ومن المصاحف الذهبية والفضية عشرة آلاف مصحف (٣) » .

٨ ـ شغف رجالات البلاط البابوي بالكتب العربية

نسج على منوال البابوات رهط من الكرادلة ورجال الفاتيكان وعزّزوا علم المشرقيات في محيطهم . نذكر منهم خصوصاً الكردينال فريدريك دي مديسيس

---

(١) زبدة الصحائف في سياحة المعارف : تأليف نوفل نوفل : صفحة ٢٠٥

(٢) رسالة العمال في حلب : مجلد ١١ عدد اذار ونيسان سنة ١٩٤٠ صفحة ٤

(٣) معجم البلدان : لياقوت الحموي : جزء ٤ صفحة ٣٣٥

في فلورنسا . والكردينال بربارِيغو في بادوا وكلاهما من رجالات القرن السادس عشر . واشتهر في الحقبة ذاتها احد اساقفة ايطاليا اوغسطينو جوستنياني مطران نابيو في جزيرة كورسيكا . فانه أولع ولعاً مفرطاً بالدروس الشرقية ولا سيما العربية والعبرية . ومما يؤثر عن هذا الاسقف انه انفق ثروته في اقتناء ما لا يُحصى من المخطوطات الخطيرة في اللغات العربية والسريانية والعبرية واليونانية(١) .

وفاق من تقدّم ذكرهم الكردينال فريدريك بوروميو رئيس اساقفة ميلانو . فأسّس المكتبة الامبروسية سنة ١٦٠٩ في كرسي ابرشيته وجهّزها بالوف المخطوطات العربية كما سنثبت ذلك في فصل لاحق . وسنثبت في الفصل عينه فضل الاب اخيل راتي الذي تولى ادارة المكتبة المذكورة اثنتين وعشرين سنة واضاف الى ثروتها العربية زهاء ستة آلاف مخطوط . ولما ارتقى الى السدة البابوية باسم بيوس الحادي عشر (١٩٢٢ - ١٩٣٩) وجّه عناية خصوصية نحو المكتبة الواتكانية . فعزّزها بمصاحف عربية جمعها له من انحاء الشرق الكردينال اغناطيوس جبرائيل تبوني بطريرك السريان الانطاكي . ولشدّ ما كان ابتهاج الحبر الاعظم بتلك المخطوطات واعجابه بمضامينها فانه قضى بضعة ايام يقلبها ويطالعها في غرفته قبل ان يضمها الى سائر مخطوطات الواتيكان .

٩ - فضل آل مديسيس على اللغة العربية

لأسرة مديسيس النبيلة فضل جزيل على اللغة العربية وعلى نشرها في ديار الغرب . وممن اشتهر بين افرادها البابا لاون العاشر (١٥١٣ - ١٥٢١) الذي نوّهنا بذكره والبابا اقليميس السابع (١٥٢٣ - ١٥٣٤) . فقد استنفدا جهوداً مشكورة

---

(١) غرائب الغرب : تأليف محمد كردعلي : مجلد ١ صفحة ٢٤٥

في انشاء خزائن المخطوطات الشرقية تعزيزاً للمكتبة الواتكانية(١) . وقام من اسرة مديسيس عينها الدوق فرديننس الاول فابتاع طائفة من المخطوطات الشرقية باسم الحبر الاعظم . ثم انشأ على نفقته مطبعة معتبرة عُرفت « بمطبعة آل مديسيس » أدت خدماً جلّى للغة العربية بما نشرته من المؤلفات المفيدة .

ومن اهم التصانيف التي نشرتها مطبعة آل مديسيس : كتاب « الاناجيل » الذي طبعته عام ١٥٩١ مزيّناً بتصاوير منقوشة على خشب . ونشرت في السنة ١٥٩٢ كتاب « مبادىء اللغة العربية » وكتاب « الكافية » وكتاب « نزهة المشتاق في ذكر الامصار والآفاق » للشريف الادريسي . ونشرت في السنة ١٥٩٣ « قانون ابن سينا » وفي آخره « كتاب النجاة » وهو مختصر الشفاء . وطبعت في السنة ١٥٩٥ كتاب « تحرير اصول اوقليدس » لنصير الدين الطوسي(٢) وهلم جراً .

---

(١) غرائب الغرب : تأليف محمد كردعلي : جزء ١ صفحة ٢٤٥

(٢) تاريخ فن الطباعة في (المشرق : مجلد ٣ سنة ١٩٠٠ صفحة ٨١ و٨٢)

الفصل الثالث

جهود ملوك فرنسا في جمع المخطوطات العربية

١ ـ الثروة العربية في مكتبة الامة بباريس

لم يكن سعي ملوك فرنسا باقل من مساعي بابوات رومة لأحراز كنوز المخطوطات الشرقية . فانهم انشأوا لها فرعاً في خزائن قصورهم ومكتبات عاصمتهم . ولتجهيز ذلك الفرع اوفدوا بعثات علمية الى الامصار العربية وغيرها في الحصول على تحف المخطوطات المكنوزة في المساجد والديورة والمدارس . هكذا أصبحت « مكتبة الامة » في باريس من اعظم مكتبات الدنيا واهمها بندرة كتبها ومخطوطاتها . ففيها الوف من فرائد المخطوطات والمطبوعات العربية (١) .

وقد تألفت عام ١٧٨٧ جمعية من علماء الاستشراق في فرنسا لنشر المخطوطات الشرقية المحفوظة في مكتبة الامة بباريس . وكانت باكورة اعمال رئيسها المستعرب دي غين de Guines ترجمة كتاب « مروج الذهب للمسعودي الى اللغة الفرنسية (٢) .

٢ ـ مخطوطات الطبابة العربية في كلية الطب بباريس

اثبتنا في فصل سبق ان سجلات كلية الطب بباريس حوت عام ١٣٩٥ ميلادية اثني عشر مجلداً اشتملت على فهارس مؤلفات خطية لاطباء العرب . ولما كان

---

(١) غرائب الغرب : تاليف محمد كردعلي : جزء ١ صفحة ١٠٠

(٢) المستشرقون : تاليف نجيب عقيقي : صفحة ٧٥

لويس الحادي عشر ملك فرنسا (١٤٦١ - ١٤٨٣) كثير القلق على صحته احب ان تكون كتب « الرازي » الطبية في خزانة قصره . لانه كان شديد الثقة بطب العرب وذا اعتقاد راسخ بتفوّقهم على غيرهم في تلك الصناعة . ولم يكن من كتب الرازي حين ذاك الا نسخة وحيدة في مكتبة كلية الطب المشار اليها . فاستعارها الملك بشرط ان يردّها وفعل (١) .

٣ - تفويض ملك فرنسا الى سفيره في المغرب الاقصى ابتياع مخطوطات عربية

اشتهر لويس الرابع عشر ملك فرنسا (١٦٤٣ - ١٧١٥) بتعزيز اللغة العربية اذ انشأ منبراً خاصاً لتعليمها في المدرسة الملكية . وأنفذ رسلاً الى مختلف البلدان يفتشون عن مخطوطات في تلك اللغة وفي غيرها من اللغات الشرقية .

واقدم ما سطّره التاريخ عن البعثات الفرنسية العلمية الى الامصار العربية لهذا الهدف ان الملك لويس الرابع عشر نفسه كلف سفيره دي مونسو de Monceaux ان يرتحل في مهمة خطيرة الى المغرب الاقصى . فاوعز اليه بتاريخ ٣٠ كانون الاول ١٦٦٧ ان ينقّب تنقيباً دقيقاً عن مخطوطات عربية وفارسية ويونانية وغيرها ويبتاعها له . وصرّح ان احد كبار السياح شاهد في الشرق مؤلفات تيت ليف وابولونيوس وبرغاوس وديوفانت الاسكندري وغيرها مترجمة الى اللسان العربي . واردف تصريحه بقوله ان من تلك المخطوطات شيئاً كثيراً في خزائن جامع القرويين بمدينة فاس . وفوّض الملك الى رسوله مسيو دي مونسو ان يشتري له الفاً وسبعمائة قطعة من الجلود المراكشية Maroquins الكبيرة الحجم لانه

---

(١) مجلة « الرسالة » في القاهرة : سنة ٥ صفحة ٥٥٨ - ٥٦٠

يستطاع تجليد كتابين ضخمين بكل واحدة منها . وشرط عليه ان يكون لون الخمسمائة منها اخضر ولون الباقي ارجوانياً(١) .

٤ ـ وثيقة بمشترى مخطوطات لحساب لويس الرابع عشر محفوظة في دير الشير بلبنان

اطّلعنا في مكتبة دير الشير بلبنان على حاشية اثبتها ابو النصر ابن ابي نوفل الخازن قنصل فرنسا في بيروت في مخطوطة عنوانها « وفيات الاعيان » لابن خلكان قال : « بسم الله الحي الازلي وهو ثقتي ورجاي واليه أنيب . لما كان في تاريخ سنة الف واثنين وثمانين هـ (١٦٧١ م) ارسل حضرة عالي الجناب الملك لويس عطا الله سلطان فرنسا المعظم بين ملوك المسيحية الى جميع بلدان الاسلام لاجل عالم افرنجي نمساوي من الحسكية اسمه ( ) لاجل مشترى كتب دواوين الشعراء وتواريخ وفي علم النحو والهندسة والفلك والطب . ومن جميع الكتب الذي تنوجد قاطبة بجميع الألسن العربي واليوناني والسرياني والتركي والعبراني . وكتب له بذلك دفتر عدّة اسامي الكتب . ووصّاه واكد عليه من غير المكتوبين معه في الدفتر مهما وجد كتب يشتري باي ثمن كان . وكتب له اوامر شريفة الى جميع القناصل الفرنساوية الذين في جميع المملكات ان مهما احتاج وطلب منهم دراهم يعطوه ويعطيهم بها المرشال المذكور تمسكات . وتوجه من مدينة باريس وصل الى قبرص اشتره مقدار ماية وثمانين كتاب . ومنها اتجه الى الشام واشتره جانب كتب . ومنها توجه الى بلاد مصر حتى يدور مدنها كلهم ويشتري منهم . وبعده بيعاود الى دير طورسين وبيشتري . ومنها بيفوت الى اسلامبول وجميع المدن الذي في يد العثملية . ومنها بيفوت لبغداد وبلاد العجم . وهذه اسامي الكتب

---

(1) H. de Castries : Histoire du Maroc (archives de France, V. I. page 245)

الذي مكتوبين معه في الدفتر المذكور . وانا الفقير الى الله سبحانه وتعالى ابا النصر بن نادر بن خازن بن ابرهيم بن سركيس الخازن لما قربت هذه الدفتر نصختُ في هذا المجموع » الخ .

٥ ـ بعثة ثالثة وجهها لويس الرابع عشر الى فاس للتنقيب عن مخطوطات عربيـة

في ٣ حزيران ١٦٨٢ كتب الملك لويس الرابع عشر الى مسيو « سنت امان » سفيره لدى سلطان المغرب الاقصى انه سمع بوجود كميات عظيمة من الكتب الخطية في فاس . ولأجل ذلك اوفد اليه بعض اهل المعرفة للاطلاع عليها والتثبت في مضامينها . واوعز اليه ان يسهل مهمتهم طبقاً للاوامر الملكية (١) . واقتفى فريق من الفرنسيس آثار ملكهم لويس المومأ اليه في اقتناء الكتب العربية مطبوعة ومخطوطة .

---

(1) Idem : page 222

الفصل الرابع

نشاط الانكليز الى تجهيز مكتباتهم بمخطوطات عربية

١ ـ ابتياع المستر تاتام مخطوطات بما يعادل ثقلها ذهبا

نافست دولة انكلترا بابوات رومة وملوك فرنسا في ارسال الوفود الى الشرق لأحراز عتائق المخطوطات ونوادرها . واشتهرت خصوصاً بعثة المستر تاتام الانكليزية التي ابتاعت عام ١٨٤٢ اثمن ما حوته اديار مصر من تلك العتائق النفيسة . وكان بينها ثلاثمائة مخطوطة بنيف على رق غزال . ومنها ما ابتاعته البعثة المذكورة بما يعادل ثقله ذهباً كما المعنا الى ذلك في بحثنا عن « مكتبات اديار مصر » .

٢ ـ الثروة العربية في مكتبات الانكليز وبدائع مجاميعها في المتحف البريطاني

احتذى المبشرون البروتستان الانكليز حذو المبشرين الكاثوليك فحصّلوا عدداً عظيماً من المخطوطات المحفوظة لعهدنا هذا في اشهر مكتبات بلادهم . ومن تعهّد مكتبات لندن واكسفورد وكمبردج ومنشستر وبرمنغام تجلى له صدق هذا القول . ولا غرابة في ذلك لأن دار الكتب البريطانية التي تأسست عام ١٧٥٣ تُعد آية الآيات بين رصيفاتها بل موضوع اعجاب العلماء قاطبة . فان مجموعة المخطوطات العربية فيها تحصى بالالوف . وهي تعتبر بعد مكتبات القاهرة والاستانة لما احتوته خزائنها من بدائع المجاميع الخطية واغلاها ثمناً واقدمها عهداً . وقد سبق لنا وصف شيء منها في غير هذا الفصل .

وغير خاف ان ارتفاع قبة هذه المكتبة يعادل ارتفاع قبة البنثيون في باريس ويجلس تحت تلك القبة ستمائة مطالع بالراحة دون ان يذعج احدهم الآخر (١) .

---

(١) غرائب الغرب لمحمد كردعلي جزء ٢ صفحة ٥٩

الفصل الخامس

نقل مخطوطات وافرة منها بلاد الشام الى اوروبا

١ ـ تأسف العلامة محمد كردعلي على مخطوطات دمشق

للسيد محمد كردعلي بحث قيّم عن المخطوطات التي نُقلت من الشام الى اوروبا نورده بنصه قال(١) :

« ومن المصائب التي اصيبت بها الكتب ان بعض دول اوروبا ومنها فرنسا وحكومات جرمانيا وبريطانيا العظمى وهولاندة وروسيا اخذت تجمع منذ القرن السابع عشر كتباً تبتاعها من الشام بواسطة وكلائها وقناصلها والاساقفة والمبشرين من رجال الدين . وكان القوم ولاسيما بعض من اتسموا بشعار الدين ومن كان يرجع اليهم امر المدارس والجوامع بلغ بهم الجهل والزهد في الفضائل ان يفضّلوا درهماً على انفس كتاب فخانوا الامانة واستحلّوا بَيع ما تحت ايديهم او سرقة ما عند غيرهم والتصرف به كأنه ملكهم .

« حدثني الثقة ان احد سماسرة الكتب في القرن الماضي كان يغشى منازل بعض ارباب العمائم في دمشق . ويختلف الى متولي خزائن الكتب في المدارس والجوامع . فيبتاع منها ما طاب له من الكتب المخطوطة بأثمان زهيدة وكان يبيعها على الاغلب واكثرها في غير علوم الفقه والحديث من قنصل بروسيا اذ ذاك بما يساوي ثمن ورقها ابيض . وبقي هذا سنين يبتاع الاسفار المخطوطة من اطراف الشام فاجتمع له منها خزانة مهمة رحل بها الى بلاده . فاخذتها حكومته منه وكافأته عليها . والغالب ان معظم الكتب العربية المحفوظة في خزانة الامّة

---

(١) خطط الشام : جزء ٦ صفحة ١٩٨ ـ ١٩٩

في برلين هي من بلاد الشام . وفهرس هذه الخزانة من الكتب العربية فقط في عشرة مجلدات ضخمة ما عدا الملحق . وتكوّن فهارس الكتب العربية في خزائن الغرب خزانة برأسها . وان بعيداً يُحسن القيام على هذا التراث الوافر لأحرى به من قريب يبدده جزافاً . وان أمماً عرفتنا اكثر مما عرفنا انفسنا حتى قال احد علمائهم ان العرب وضعوا من المصنفات ما لا يستطيع احدنا ان يقرأه طول عمره لجديرون بارث الشرق في مادياته ومعنوياته كما قلنا في فصل من مجلة المقتطف منذ اربع وعشرين سنة . نعم ان كتباً تُترك للأرضة تعبث فيها والعفن يعبث بجمال جسمها ورسمها ويعفي اثرها الغبار والاوساخ . ويُحرم النظر فيها على من يُحسن الاستفادة منها او تفضّل عليها دريهمات معدودة حريّة بان تكون في ملك مَن يستفيد منها ويفيد » .

٢ ـ سماسرة الافرنج والمخطوطات العربية

عرفنا فريقاً من سماسرة الافرنج الذين ابتاعوا كميّات وافرة من مخطوطات بلاد الشام وبعثوا بها الى غلاة الكتب في اوروبا . نذكر منهم : ادمون دوريغلو في صيدا وهنري داريكاريو مدير فندق السياح ببيروت في عهد مضى . وكان هذا الاخير خبيراً بالخط الكوفي على اختلاف اشكاله يقرأه بسهولة وسرعة كأمهر علماء الاستشراق .

وممن لم يزل في قيد الحياة من عشاق المخطوطات الشرقية وسماسرتها بين الافرنج مسيو لبين (Lépine) الفرنسي النحلة . فقد اعتاد هذا الرحّالة ان يختلف الى الامصار العربية عاماً بعد عام للتنقيب عن مخطوطات نفيسة ونادرة فيشتريها باغلى الاسعار . ثم يعود بعد كل رحلة الى بلاده حاملاً ما لا يُحصى من التحف الكتابية .

٣ ـ غليوم الثاني عاهل المانيا ومخطوطات الجامع الاموي

ثمّ اردف السيد محمد كردعلي قوله بقوله(١) : « ومن الخزائن المشهورة التي

---

(١) خطط الشام : جزء ٦ صفحة ١٩٩ ـ ٢٠٠

عُثرت في عهدنا ولم نعرف متى جمعت خزانة صحن الجامع الاموي بدمشق . وكانت مملوءة برقوق نفيسة . ففتحت سنة ١٣١٧ هـ (١) بامر السلطان عبد الحميد الثاني اجابة لمقترح الامبراطور غليوم الثاني (١٨٨٨ - ١٩٤١) الالماني (٢) فعثروا فيها على قطع من الرقوق كُتبت فيها سوَر من القرآن الكريم بالخط الكوفي . ومنها قطع مهمة من مصاحف وربعات وقطع من الاشعار المقدسة بالآرامية الفلسطينية . وكتابات دينية وادبيات دينية وقصص رهبانية ومزامير عربية مكتوبة بالحرف اليوناني . ومقاطع شعرية لاوميرس . وكراريس واوراق بالقبطية والكرجية والارمنية في موضوعات دينية الا قليلًا . وجذاذات عبرانية وسامرية فيها نسخ من التوراة وتقاويم اعياد السامريين . وصلوات وصكوك للبيع والاوقاف وعهود زواج . وبينها مقاطيع لاتينية وافرنسية قديمة وقصائد شعريّة يرتقي عهدها الى ايام الصليبيين . ونُسخ انجيل برقوق . فأهدى السلطان معظمها لعاهل المانيا . ووزع قسم منها على بعض رجال الاستانة ورجال دمشق . واستُخلصت بعض قطع منها حفظت الآن في دار الآثار في هذه المدينة . واهمها تلك القطعة الكوفية المكتوبة على رق من ربعة شريفة وقفها عبد المنعم بن احمد سنة ٢٩٨ هـ وعلى الوجه الثاني نقش مذهب باسم واقفها . ورأى شيخنا الامام طاهر الجزائري في تلك القبة جزءاً مكتوبا عليه انه حُبس على مشهد زين العابدين صلوات الله عليه وعلى ابنائه الايمة سنة نيف وسبعين واربعمائة » .

---

(١) الموافقة للسنة ١٨٩٩ ميلادية

(٢) جرى هذا الاقتراح عندما زار غليوم العاهل الالماني صديقه عبد الحميد في الاستانة ذلك على اثر رحلته الى فلسطين وسوريا في خريف السنة ١٨٩٩

الفصل السادس

خزانة كتب الاسكوريال في اسبانية

١ ـ دير الاسكوريال ومكتبته

الاسكوريال اسم لدير عظيم شيد سنة ١٥٦٧ على بعد خمسين كيلومتراً من مجريط (١) بامر الملك فيليب الثاني (١٥٦٢ ـ ١٥٨٤) وفيه دفن . وقد طالعنا وصفاً لهذا الدير ومكتبته جديراً بالاعتبار بقلم السيد محمد كردعلي وزير المعارف العامة في سوريا ورئيس المجمع العلمي العربي في دمشق قال : (٢)

«واهم ما يلفت النظر في هذا الدير دار كتبه وفيها خمسة واربعون الفاً من المجلدات حوت كثيراً من المخطوطات والنقوش والرسوم . ومنها الكتاب المقدس الذي كان يقرأ فيه بعض ملوك اسبانيا في القرون الوسطى . وبعضها كتب باللاتينية . ومنها ما كتب بالاسبانيولية او اليونانية ومنها المزين باجمل الرسوم . ومنها المذهّب المكتوب على رق . ويهمنا من هذه المكتبة مجموعة الكتب العربية وهي الفا مجلد كانت السفن الاسبانية غنمتها من مركب لأحد ملوك مراكش المتأخرين . وكان في هذا الدير قبل القرن السابع عشر نحو ثلاثة آلاف مخطوط عربي فالتهمتها النار في الحريق الذي نشب في الدير (٣) مع ما التهمت من الكتب الأخرى» .

---

(١) هو الاسم الذي اطلقه العرب على مدينة مدريد عاصمة اسبانيا .

(٢) كتاب غابر الاندلس وحاضرها : صفحة ٩٨

(٣) تسبب هذا الحريق عن صاعقة انقضت على الاسكوريال فأحرقت اكثر من الفي مجلد من مخطوطاته العربية وجرى ذلك عام ١٦٧١ وليس قبل القرن السابع عشر كما افاد البحاثة شارل غرو (Charles Graux : Essai sur les origines du fond grec de l'Escurial, p. 319)

٢ ـ مصدر مخطوطات الاسكوريال

روى السيد محمد كردعلي عن مصدر مخطوطات الاسكوريال قال : (١)

« فليست الكتب العربية في خزانة الاسكوريال اسبانية المصدر كلها (٢) كما اكد لنا احد علماء الاسبان . وصاحب البيت ادرى بالذي فيه . اخبرني ان الاسبان غنموا هذه الكتب من سفينة كانت لأحد سلاطين المغرب الاقصى (٣) فوقعت في ايدي الاسبان . وقال آخر ان اصل هذه المجموعة كان لاحد سفراء اسبانيا لدى الباب العالي . ولما غادر الاستانة اهداها لمليكه فوضعها هذا في الدير الذي كان ملكا له ولآله من بعده . والرواية الاولى اصح »

٣ ـ وصف مكتبة الاسكوريال واحتراق قسم منها

طالعنا وصفاً لهـذه المكتبة في « مجلة المجمع العلمي العربي » في دمشق نورده بنصه (٤) :

« في دار كتب الاسكوريال في اسبانية جملة قيّمة من المخطوطات العربية يبلغ عددها الفي مجلد . جمع نواتها الملك فيليب الثاني من انقاض المكاتب الاندلسية الاسلامية القديمة . ثم اضاف اليها الملك فيليب الثالث في القرن السابع عشر عدداً عظيماً من المخطوطات العربية كانت تتألف من خزانة كتب مولاي زيدان احد السلاطين المراكشيين من السلالة السعدية . اما كيفية انتقال هذه الكتب من مراكش الى اسبانية فجديرة بالذكر لما فيها من ذكرى وعبرة .

---

(١) غابر الاندلس وحاضرها : ٩٨

(٢) المراد بلفظتي « اسبانية المصدر » هنا: ان تاريخ كتابة تلك المخطوطات يتصل عهده بايام عرب الاندلس في اسبانيا.

(٣) هو مولاي زيدان سلطان مراكش في اوائل القرن الحادي عشر للهجرة (تاريخ آداب اللغة العربية : مجلد ٣ صفحة ١١٤)

(٤) مجلة المجمع العلمي العربي : مجلد ٩ سنة ١٩٢٩ صفحة ٢٥٢ ـ ٢٥٣

« قال ليفي بروفنسال في مقدّمة المجلد الثالث من هذه القائمة ما خلاصته : خرج على مولاي زيدان في عام ١٦١٢ ابو محلى واستفحل امره وقامت بينهما وقائع دامية دارت دائرتها على مولاي زيدان (١٠١٢ – ١٠٣٧ هـ ١٦٠٣ – ١٦٢٨ م) . فاضطر في مايس من السنة المذكورة الى مغادرة قصره مع حاشيته والالتجاء الى سافي (Safi) وهو ثغر على الساحل المراكشي على ان يذهب منه الى السوس (Süs) . فاستأجر من سافي مركباً بثلاثة آلاف دوق (٣٦٠٠٠ فرنك) الى اغادير وحمّله جميع كنوزه وكتبه التي ورثها عن والده السلطان السعدي مولاي ابي العباس احمد المنصور الذهبي . وعند وصوله الى اغادير ابى الربان واسمه جان فيليب كاستلان ان يفرغ محمول المركب قبل ان يتقاضى الاجرة بتمامها . واذ لم يتمكن مولاي زيدان من دفعها فوراً غادر الربان ليلاً ساحل اغادير الى مرسيليا فاراً بمركبه وبما فيه من التحف والكنوز الثمينة . ولما بلغ ساله (Salé) التقى بثلاثة مراكب بقرصان اسبانيين فاستولوا عليه وذهبوا به الى اسبانية غنيمة باردة . فامر الملك فيليب الثالث ان توضع الكتب في الاسكوريال وعددها نحو من اربعة آلاف مخطوط على ظهر الصفحة الاولى من كلٍ منها عبارة تنص على ملكية السلاطين السعديين اياها . وفي ٧ حزيران عام ١٦٧١ حدث حريق عظيم في الاسكوريال التهم قسماً كبيراً من هذه الكتب ولم ينجُ منها سوى الفي مجلد وهي الموجودة اليوم في تلك الخزانة التاريخية » .

٤ ـ تعاقب عالمين شرقيين في ادارة مكتبة الاسكوريال

ظلت مكتبة الاسكوريال مجهولة حتى منتصف القرن الثامن عشر فدفعت الحمية عالماً لبنانياً يُدعى ميخائيل الغزيري الى السعي لدى فرديننـد السادس (١٧٤٦–١٧٥٩) ملك اسبانيا لتنظيم تلك المكتبة . فاجابه العاهل بالرضى والاستحسان واستدعاه اليه سنة ١٧٤٨ للنهوض بالمهمة المشار اليها . وما مرّ على الغزيري ثمانية اعوام حتى خوّله الملك لقب « امين مكتبة الاسكوريال » وكلفه ان يضع فهرساً

شاملاً لمخطوطاتها . ولما كان هذا المشروع يتطلب عناء جزيلاً وزمناً طويلاً كتب ميخائيل الغزيري الى صديقه بولس خضر اللبناني ان يوافيه من رومة ويساعده في تنظيم فهرس المكتبة . فتعاونا كلاهما ودوّنا اسماء المخطوطات العربيـة ووصفاها وصفاً دقيقاً في مجلدين بقطع نصف . وقد صدر المجلدان سنة ١٧٦٠ - ١٧٧٠(١) بعنوان : Bibliothéca Arabico Hispana Escurialensis فكان لنشرهما فائدة عظمى لابناء الضاد .

ولبث ميخائيل الغزيري اميناً لمكتبة الاسكوريال من السنة ١٧٥٦ الى السنة ١٧٩١ وهي سنة وفاته . فخلفه في منصبه عالم شرقي آخر يدعى الياس شدياق تلقى العلوم في مدرسة بروبغندا برومة وكان من المقرّبين في البلاط الملكي. وتولى الياس ادارة هذه المكتبة بامر الملك كرلس الرابع (١٧٨٨ - ١٨٠٨) الى ان حضرته المنية عام ١٨١٨

٥ - فهارس المخطوطات العربية في الاسكوريال

لفهارس المخطوطات العربية في الاسكوريال وصف قام به المستشرق الفرنسي هرتفيك ديرنبورغ Hartvoig Dérenbourg (١٨٤٤ - ١٩٠٨) ابن المستشرق جوزيف ديرنبورغ (١٨١١ - ١٨٥٩) وقد نُصب هرتفيك استاذاً للعربيـة الفصحى في مدرسة اللغـات الشرقية بباريس . ثم سمّي عضواً في المجمع العلمي الفرنسي . وكان مغرماً كابيه باللغة العربية توّاقاً الى الوقوف على مخطوطاتها القديمة . فسأل وزارة المعارف العامة والفنون الجميلة بباريس ان ترّخص له السفر تحت رعايتها لدرس المخطوطات المحفوظة في اسبانيا . فقصد اولا الى مدريد حيث اّطلع فيها على مخطوطات خزائن المجمع العلمي التاريخي . ثم وجـه اهتمامه الى درس المخطوطات العربية في مكتبة الاسكوريال وانشأ لها فهرساً مدققاً يقع في مجلدين

---

(١) مجلة « المنارة » في جونية : مجلد ٧ سنة ١٩٣٦ عدد ١ صفحة ٢٦ - ٢٧

نشر اولهما سنة ١٨٨٤ في ٥٢٥ صفحة ما عدا المقدمة التي استغرقت صفحاتها ثلاثاً واربعين . ونشر ثانيهما سنة ١٩٠٣ في ١٠٨ صفحات حيث انتهى بالمخطوط ذي الرقم ٧٨٥ فقط . ثم فاجأ الموت هرتفيك ديرنبورغ فلم يتم عمله .

وفي عام ١٩٢٤ عهد الى ليفي بروفنسال مدير جامعة الدروس المراكشية العليا في متابعة العمل واتمام قائمة المخطوطات العربية في الاسكوريال على ان يستعين بمذكرات العالم المتوفى هرتفيك ذلك بموافقة زوجته . فذهب الى الاسكوريال واقام فيه مدة طويلة . وفي عام ١٩٢٨ اخرج المجلد الثالث وهو الاخير من هذه القائمة . واوله المخطوط ذو الرقم ١٢٥٦ وآخره المخطوط ١٦٣٣ وهي تتعلق بالعلوم الدينية والجغرافية والتاريخية . اما القسم الباقي من المجلد الثاني واوله المخطوط ٧٨٥ الى المخطوط ١٢٥٥ ويختص بالطب والتاريخ الطبيعي والرياضيات والقضاء فانه لم ينشر بعد(١) .

٦ ـ تحف مكتبة الاسكوريال

اشتملت خزانة الاسكوريال على تحف كتابية لا أثر لها في سائر الخزائن شرقاً وغرباً . ففيها اشكال خطوط كوفية وقيروانية واندلسية ومزركشة وغيرها . وفيها مصاحف مذهّبة ومخطوطات مصوّرة او مزخرفة بشتى الالوان . وفيها جلود نفيسة وقماطر مطرّزة او مطعمة بالميناء . وفيها ايضاً مخطوطات جُلدت باديم الافاعي وذلك من أندر انواع التجليد وأغربها .

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي : مجلد ٩ سنة ١٩٢٩ صفحة ٢٥٣ ـ ٢٥٤

الفصل السابع

المكتبة الامبروزيانية في ميلانو

١ - وصف رتاج المكتبة

في مدينة ميلانو مكتبة عظيمة تأسست عام ١٦٠٩ بهمة مطرانها الكردينال فريدريك بوروميو . ومن جملة كنوزها مخطوطات عربية ثمينة نادرة يحسدها عليها اكبر متاحف الشرق واوسع مكاتب الغرب . وقد زارها احد ادباء حلب فكتب عنها وصفاً يجدر اثباته هنا لبيان اعتناء اهل اوروبا بالحرص على تراث الاقدمين قال(١) :

« تُعد مكتبة الامبروزيانا من ازهى المكاتب لدراسة الثقافة الاسلامية في اوروبا . يُدخل لهذه المكتبة من باب استكمل فيه فن الهندسة من روعة وهيبة واناقة . وقد وُضع بجانبي هذا الباب رمزان يحييان الزائر لدى دخوله وينبئانه عن البيئة ومشتملاتها . فالرمز الاول عبارة عن نخلة من النحاس تذكر مناظر الشرق الفتانة الساحرة وتدل على ان العادات العربية ما عتّمت ان دخلت في هذه الربوع . وقد كتب باللغة العربية على هذه النخلة بحروف بارزة تسترعي اهتمام الزائر عبارة الترحيب المعروفة وهي : اهلا وسهلا . واما الرمز الثاني فهو عبارة عن ابيات شعرية للملك آخريدوم الفارسي وهي .

الايام صحائف الاعمال فخلدوها باحسن الاعمال

٢ - اهتمام الكردينال بوروميو بالمخطوطات القديمة

« ويرجع عهد اهتمام مكتبة الامبروزيانا بالمباحث الشرقية الى القرن السادس

---

(١) مجلة « الرابطة العربية » في القاهرة : المجلد ٦ الجزء ١٣٠ صفحة ٣١-٣٢

عشر . وذلك عندما اخذ فرديريك بورومیو يعني بجمع خزائن الكتب الاسلامية القديمة من الربوع الاسلامية الشاسعة الممتدة من بلاد فارس الى آسيا الصغرى ومن جزيرة العرب الى مصر وطرابلس الغرب والجزائر والمغرب الاقصى . فبلغ عدد ما جمع من الكتب الاسلامية القيّمة ١٤٠٠ مجلد يضم مصاحف قرآنيـــة في غاية الاناقة كتبت في عصور الاسلام المختلفة وفي الازمنة القريبة من عهد النبي صلى الله عليه وسلم . ومن جملة هذه الكتب القيّمة تفسير البيضاوي وهو من اهم المؤلفات الاسلامية . وقد كان السفير العثماني رفعت بك يقصد مكتبة الامبروزيانا حين زيارته ايطاليا ليرى ذلك الكتاب وكان يقول انه من اجمل واندر الكتب . ومن بينها ايضاً عدداً لا يُستهان به من الموضوعات القضائية على المذهب الزيدي وغيرها من اصول القضاء والفقه على المذهب الشافعي والمالكي والحنفي والحنبلي .

« ومعظم هذه المؤلفات يكوّن مجموعة ادبية تشريعية للمذهب الزيدي . وهي التي تشتمل على قسم عظيم من مصنفات جنوبي الجزيرة العربية او بعبارة اخرى من المؤلفات اليمانية لأصحابها المشاهير كالامام القاسم والامام ابي طالب والامام علي بن حسين والغاني والكافي وابن حبيس الدواري والغزالي . فبين هـذا المزيج من المؤلفات سجل طريف للمعاملات الجمركية في الحديدة في شهر الحج . كما توجـد بين هذه المجموعة كتب عديدة في علم اللغة وفي العقائد والاحكام التعبدية . ومن بينها مجموعة نفيسة من حِكم ارسطوطاليس وافلاطون ومائتان من اقوال منظومة لناظمها علي .

« وان ندرت هذه المجموعة من المؤلفات في علم الهيئة والفلك غير انها غنية في المؤلفات الطبية لأشهر اطباء العرب كابن سينا والمارغني الميموني وغيرها لجالينوس وابوقراط وافلاطون الحكيم . عـلى ان هـذه المجموعة تحتوي على كتب قيّمة واصلية في الادب وفي جغرافية جزيرة العرب وفي مباحث عن مناخ القسم الجنوبي منها وعن اصل اشتقاق اسماء البلدان في البلاد اليمانية وفي وصف العالم المعروف وقتئذ . ومن بينها كتاب نفيس جداً في تاريخ صنعاء عاصمة اليمن .

« واغنى ما في مجموعة مكتبة الامبروزيانا من الكتب المطبوعة في عهد حداثة فن

الطباعة او من المخطوطات هي الكتب التاريخية ودواوين الشعر . ومن بينها مؤلفات في تاريخ قبائل جزيرة العرب قبل الاسلام وبعض اساطير يمانية عن الوثنية وكتب تبحث عن سيرة محمد . وعن مباحثات ومناظرات في الهيآت .

« ومما يستحق الاشارة اليه من هذه المجموعة المؤلفات الفقهية والدينية . غير ان الكتب الاساسية التي تحويها هذه المجموعة هي الكتب النحوية والمباحث اللغوية . ومن بينها عدد كبير من المعجمات العربية التي استعان بها المستعرب الايطالي الشهير انطونيو جيجي . وهو من جهابذة مكتبة الامبروزيانا واوّل من ألف قاموساً عربياً في اوروبا وذلك في مبادىء القرن السادس عشر . ويُعد قاموسه هذا من اثمن المعاجم حتى اليوم . وقد أضيفت فيما بعد الى مجموعة الكتب التي جُمعت على عهد بورومیو الآنف الذكر مؤلفات اخرى في الحساب وفي علم التنجيم والاخلاق ومن ضمنها مؤلفات نفيسة لابن سينا والبخاري . كما انها كانت مشتملة على مجموعات قانونية مكتوبة على الورق بمداد لامع مختلف الالوان وهي تعدّ من اندر وانفس المصنفات . فكانت مجموعات القوانين هذه والمخطوطات العربية للقرن السادس عشر نواة صالحة لما وصلت اليه فيما بعد مكتبة الامبروزيانا من توسيع نطاقها في المصنفات الاسلامية في مبادىء هذا العصر .

« وهناك قسم ثان من مجموعات القوانين العربية جمعته مكتبة الامبروزيانا في سنة ١٩٠٩ وهو يؤلف مجموعة عظيمة من المخطوطات يبلغ عددها ١٨٤٦ مخطوطاً كما يشتمل على ٧٠٠٠ مؤلف من اصل يَمني واسلامي محض . وبين هذه الكتب مؤلفات كثيرة في القرآن والسنّة لأشهر المؤلفين كالبخاري والعسقلاني . كما ان بين تلك الكتب مؤلفات لا تقل قيمة عن الاولى في الالهيات على ما يراه الاسماعيليون والزيديون من اهل الشيعة . واخرى في المذهب الملكي والمذهب البرهمي وفي المذاهب اليهودية والاسلامية والمسيحية ومناظرات ادبية في الدفاع عن الزيدية .

« واما في دواوين الشعر فاننا نجد مؤلفات للشعراء القدماء كامرىء القيس والبستي والبحتري والعريسي والمتنبي واليشكري . ومن شعراء اليمن المشهورين

نجد العنيزي وجمال الدين والقاسم وقدام بن قديم ناظم تلك القصيدة المشهوة التي تُعد مثالا صحيحا للشعر الوطني فى جنوب الجزيرة من حيث القومية والديانة .

« ومن بين المؤلفات المتنوعة التي لها صبغة من الثقافة الاسلامية الساحرة نجد قاموساً كبيراً للقهواري وبعض مؤلفات ثانوية في البلاغة والعروض والنثر . واما وجوه مجموعات القوانين فهي على قدر عظيم من النفاسة والقيمة الفنية من حيث خطوطها القديمة المختلفة الانواع من النسخي الى العمّاني الى المغربي الطرابلسي . فما عدا هاتين المجموعتين اللتين نوهنا بهما آنفاً واللتين يكوّنان القسم الاساسي لمكتبة الامبروزيانا توجد مجموعات ثانوية اخرى من اصل كوفي او شمالي افريقي . ومجموع هذه الكتب كلها يكوّن ثروة عظيمة من الكتب العربية التي نفاخر بها الغرب » .

٣ ـ ثروة المكتبة الامبروزيانية ومشاهير مديريها

تُعد مكتبة الامبروزيانا في عهدنا من اغنى مكاتب اوروبا بوفرة مطبوعاتها النادرة ومخطوطاتها القديمة البالغة خمسمائة الف كتاب بنيف . ويعود الفضل في تعزيزها الى مديرها الاب انطون تشرياني (+ ١٩٠٧) والى خلفه الاب أخيل راتي الذي اشتغل فيها مدة اثنتين وعشرين سنة (١٨٨٨ – ١٩١٠)(١) . فسعى لتحصيل مخطوطات قديمة زادت في ثروتها العلمية الفاخرة . واعتنى اعتناء خاصاً بالمخطوطات الشرقية ولا سيما العربية فاقتنى منها نحو ستة آلاف كتاب اتي بها بعض السياح من انحاء اليمن . وهي التي وصفها المستعرب الشهير السنيور غريفيني (٢).

وقد ألمع المستعرب الايطالي كرلو نلّينو الى مخطوط في المكتبة المشار اليها يدعى « عرض مفتاح النجوم » المنسوب الى هرمس الحكيم المصري وهو اول كتاب نقل من اليونانية الى العربية بقطع النظر عن كتب الكيمياء(٣).

---

(١) استولى على عرش الكنيسة الكاثوليكية باسم البابا بيوس الحادي عشر (١٩٢٢-١٩٣٩)

(٢) المشرق : مجلد ٢٠ سنة ١٩٢٢ صفحة ٣٢٤ ـ ٣٢٥

(٣) كتاب علم الفلك : بقلم كرلو نلينو : صفحة ١٤٢

الفصل الثامن

مكتبات اللبنانيين والسوريين العربية في اوروبا

اشتهر اللبنانيون والسوريون بالاغتراب في بلاد الله الواسعة سعياً الى الارتزاق وطلباً للثقافة . فارتحل فريق منهم الى اوروبا اما لتعاطي التجارة او لهدف علمي او لمصلحة دينية .

وكان اولئك الكتّاب يعيشون بين الاقلام والمحابر ينشئون الجرائد دفاعاً عن بلادهم ويؤلفون الكتب لخدمة اللغة العربية . وجمع كل منهم خزانة حافلة بالمؤلفات يطالعها ويرجع اليها في ابحاثه المهمة . واليك ما عرفناه من مكاتب اللبنانيين والسوريين في اوروبا .

اولا : مكتبة المدرسة المارونية ومكتبة الرهبان الموارنة في رومة

انشئت المدرسة المارونية في رومة عام ١٥٨٤ بامر البابا غريغوريوس الثالث عشر . وعاشت زهاء مائتين وعشرين سنة ثم خربها الفرنسيون حين احتلالهم المدينة المذكورة في اوائل القرن التاسع عشر . وقد تخرج فيها فحول من العلماء بلغوا اسمى درجات المعارف فافادوا الشرق والغرب بمؤلفاتهم القيمة(١) . وكان فيها خزانة حافلة بالمخطوطات والمطبوعات يرجع اليها اولئك العلماء والتلامذة في مباحثهم ودروسهم . وقد استولت عليها مدرسة بروبغندا لدى حلول النكبة المذكورة في المدرسة المارونية .

ولما تجددت المدرسة بامر البابا لاون الثالث عشر اعيد افتتاحها رسمياً في مطلع

---

(١) راجع اسماء اخص اولئك العلماء في كتابنا السلاسل التاريخية صفحة ١٢٨ ـ ١٢٩

السنة ١٨٩٤ على يد المطران الياس حويك الذي ارتقى بعد ذلك الى السدة البطريركية . وهو الذي جدد مكتبة المدرسة ايضاً . ولأجل ذلك طالب ادارة مدرسة بروبغندا ببقايا كتب المدرسة المارونية القديمة . فاعادت اليه ما وجدته مسجلاً باسمها واعاضته عن الكتب المفقودة بما لديها من الكتب المكررة . ثم اضاف اليها المطران الياس كثيراً من المؤلفات العصرية مع كل ما جمعه من تآليف تلامذة المدرسة القديمة كالسماعنة وآل عواد والحاقلاني والدويهي والغزيري والتولوي وغيرهم . وعثر في جملتها على نسخة من كتاب ثمين نشرته المدرسة في عيد يوبيلها المئوي (١٥٨٤ – ١٦٨٤) تضمن وصف هذا التذكار الاحتفالي مع نبذة من تاريخها وتراجم مشاهير تلامذتها وصورهم . وقد نظمت الكتب في تلك المكتبة طبقاً لمواضيعها وانشئت لها فهارس تسهل على الراغب مطالعتها(١) .

وللرهبان الموارنة الحلبيين دير في رومة يرتقي عهده الى اوائل القرن الثامن عشر . وقد انشأوا فيه مكتبة ضمّت ما يناهز الاربعمائة مخطوط جمع اكثرها بهمّة آباء هذه الرهبنة الأقدمين كالمطران جرمانس فرحات والأباتي توما اللبودي وغيرهما .

واشتهر في الرهبانية المذكورة الاباتي سمعان السمعاني (١٧٢٥ – ١٨٢٢) الذي يرجع اليه الفضل في وضع فهرس للمخطوطات العربية المحفوظة في مكتبة تلك المدينة ويناهز عددها مائة مخطوط .

ثانياً : مكتبة دير السريان في رومة

كان للسريان في ديرهم القديم برومة مكتبة عامرة بالمخطوطات انشأها السيد اثناسيوس سفر العطار (+ ١٧٢٨) اسقف ماردين . وقد اوردنا ذكرها في الفصل الاول من هذا الباب .

ثالثاً : مكتبة الخوري روفائيل جروة في البندقية

هو الخوري روفائيل ابن المركيز فتح الله دي جروة يتحدر من اسرة تعد من

---

(١) المجلة السورية : مجلد ٤ سنة ١٩٢٩ صفحة ٢٥٢

اقدم الأسر الحلبية واكرمها وانبلها . وقد ورث عن اعمامه البطاركين الانطاكيين ميخائيل الثالث وبطرس السابع والكافلير جبرائيل محبة الكتب والرغبة في اقتنائها . فتجمع لديه منها طائفة كبيرة نقلها معه الى البندقية التي اتخذها مركزاً لسكناه منذ السنة ١٨٥٢ حتى السنة ١٨٩٢ التي فيها توفاه الله تعالى. وقد اوصى بجانب من مخطوطات مكتبته ومطبوعاتها الى مكتبة دير الشرفة(١). واستولى شقيقه المركيز ميخائيل على بقيتها .

رابعاً : مكتبة الكنت رشيد الدحداح في باريس

لم يكن افراد اللبنانيين والسوريين في اوروبا باقل اهتماماً من الجماعات الرهبانية الشرقية في انشاء المكاتب الخاصة . فان الكنت رشيد الدحداح اللبناني (١٨١٣-١٨٨٩ سافر سنة ١٨٤٥ الى مرسيليا فباريس واقفاً نفسه على خدمة الآداب العربية التي برّز فيها علماً وعملاً فنال فيها القدح المعلى . وخلّف ما عدا الثروة المالية ثروة علمية تستحق الاعتبار . نعني بها خزانة كتبه العربية التي كانت من اغنى المكاتب الخاصة في عصره . وقد حوت زهاء اربعمائة مخطوط عربي في شتى المواضيع .

ولما كان اولاده واحفاده المولودون قاطبة في باريس يجهلون اللغة العربية آثروا التخلي عن تلك المكتبة لمن يستطيع الانتفاع بها . وقد شاهدناها اثناء اقامتنا في عاصمة الفرنسيس عام ١٩٢٢ معروضة للبيع في ثلاث غرف كبيرة عند احد تجار الكتب في شارع هوسمان . وكان قد بقي حين ذاك من مخطوطاتها مائتان وثلاثة واربعون مخطوطاً اقتنينا بعضها لخزانتنا الخاصة . نذكر منها شرح ديوان الفارض بخط شارحه حسن البوريني .

خامساً : مكتبة خليل وشكري غانم في باريس

كان خليل غانم (١٨٤٦ - ١٩٠٣) البيروتي(٢) من اعضاء مجلس المبعوثان في

---

(١) الطرفة في مخطوطات دير الشرفة : صفحة ٤٣٩ و ٤٤٧ الخ

(٢) راجع ترجمته في تاريخ الصحافة العربية : مجلد ٢ صفحة ٢٦٨ و ٢٧٤

الاستانة . واشترك مع آغوب باشا في وضع مواد الدستور العثماني بايعاز من مدحت باشا ابي الدستور . وكان خليل في طليعة المعارضين لسياسة السلطان عبد الحميد الثاني في زمن استبداده . وناهيك انه اول من تجرأ فجاهر من أعلى منبر مجلس المبعوثان منادياً « السلطان تحت الدستور لا فوق الدستور » . فلما نقل الجواسيس حرية افكار خليل غانم الى عبد الحميد أمر من فوره بالقاء القبض عليه وباعدامه . لكن العناية الالهية أنقذته من ذلك الداهية ففر الى باريس حيث اشتهر بتآليفه النفيسة وخدمه العظيمة لوطنه عن طريق الصحافة .

وخلف خليل غانم مكتبة عامرة بالمؤلفات العصرية في اللغتين العربية والفرنسية فورثها شقيقه شكري غانم (١٨٦١ - ١٩٢٩) وزاد عليها من المجلدات اضعاف ما ورثه . وكان شكري من اللبنانيين اللامعين ومن اكبر المدافعين عن استقلال وطنه . وكفاه فخراً انه تولى الرئاسة الثانية في المؤتمر العربي الاول الذي تمّ انعقاده سنة ١٩١٣ في باريس برئاسة الشيخ عبد الحميد الزهراوي . ولشكري غانم تآليف اهمها رواية « عنتر » بالشعر الفرنسي مُثلت غير مرة في دار الاوبرا بباريس وفي دار الاوبرا الملكية بالقاهرة . وقد عرفنا شارَعين في بيروت دعي احدهما باسم خليل غانم والثاني باسم شقيقه شكري اقراراً بفضلها وتخليداً لذكرهما .

سادساً : مكتبة خيرالله خيرالله في باريس

كان خير الله هذا من كتّاب لبنان المعدودين في الربع الاول من القرن العشرين . احكم اصول اللغة الفرنسية احكامه اصول لغته العربية . وقبل الحرب العظمى هاجر وطنه واتخذ عاصمة الفرنسيس مقراً لسكناه . وهناك تجلت مواهبه العقلية فألف الكتب العزيزة وتفرغ للصحافة التي نال فيها القدح المعلى . وانطوت اغلب مؤلفاته المكتوبة بالفرنسية على ابحاث شرقية ككتاب « سوريا » وكتاب « قيس » وغيرهما .

وخلف خيرالله هذا مكتبة ذات الف وخمسمائة مجلد اكثر مواضيعها شرقية نقلت

بعد وفاته سنة ١٩٣١ الى قرية «جران» مسقط رأسه بلبنان . وما برحت محفوظة هناك لدى اسرته حتى اليوم .

سابعاً : مكتبة السيدة جان دي طرازي في باريس

اقتبست السيدة جان دي طرازي من والدها مؤلف هذا الكتب محبة الكتب . فأنشأت في منزلها بمدينة باريس خزانة مخطوطات عربية وتركية قديمة العهد تُعد في طليعة الخزائن الخاصة بنفاستها وجودتها . وتشتمل تلك الخزانة الطرازية على عدد وافر من المصاحف الشريفة والمخطوطات النادرة الوجود التي ازدانت بالصور او وُشيت بالذهب والفضة او كُتبت باقلام غريبة الاشكال مختلفة الألوان . وهي تتناول شتى العلوم من طب وفلك وتاريخ ولغة وآدب وغير ذلك . وقد عرضت السيدة جان دي طرازي تلك التحف الكتابية في خزانة خاصة ليتمكن من مشاهدتها عشاق الآثار الشرقية في ديار الغرب .

ثامناً : مكتبة عبدالله مراش في مرسيليا

يتحدر عبد الله مراش (١٨٣٩ — ١٩٠٠) من اسرة حلبية عريقة في الفضل والوجاهة معروفة بالعلم والأدب . سافر الى اوروبا سنة ١٨٦١ ولم يغادرها حتى ادركته الوفاة في مرسيليا . فتعاطى اولاً التجارة ثم كتب في اغلب الجرائد العربية التي ظهرت في عهده بلندن وباريس . وكان اكثرها يطبع على المطابع الحجرية منمقاً بخطه الجميل الرائع .

وكان عبدالله مراش من اكابر اهل الانشاء ذا باع طويل في التاريخ والفلسفة وعلم الاخلاق والأديان والشرائع وأشهر العلوم العصرية كالطبيعيات والهيئة والفنون الرياضية . وله في ذلك مقالات ورسائل وابحاث وانتقادات اجمع المطالعون على استحسانها (١) وكان يختلف الى مكاتب العاصمتين المذكورتين

---

(١) طالع ترجمته في مجلة «الضياء» للبازجي وفي تاريخ الصحافة العربية : مجلد ٢ صفحة ٢٧٨ و٢٨١

يتصفح ما فيها من الأسفار الخطية وينسخ منها بخطه الممتاز عدة كتب عزيزة . وكان نقي الرقعة كثير التأنق كامهر الخطاطين يشاهد خطه من اول الكتاب الى آخره واحداً .

ولشدة ولعه بالمخطوطات العربية تجمع لديه منها فضلاً عن المطبوعات قسم صالح اضافه الى ما سبق فورثه عن اخيه الشاعر فرنسيس مرّاش (١٧٣٦-١٨٧٣). وبعد وفاته دخل جانب من كتب خزانته في حوزة دار الكتب الاهلية بباريس (٢) .

تاسعاً : مكتبة حبيب زيات في نيس

صاحب هذه المكتبة دمشقي المولد انصرف منذ صباه الى المطالعة والبحث والتأليف . ومن آثار قلمه المطبوعة « خزائن الكتب في دمشق وضواحيها » وكتاب « خبايا الزوايا من تاريخ صيدنايا » ومجلدان من « الخزانة الشرقية » ومقالات شتى نشرها في بعض المجلات كالمشرق في بيروت والمسرّة فى حريصا . وهو دائب في التنقيب عن تاريخ النصرانية في الاسلام ولاسيما تواريخ الروم الملكيين واخبارهم وكل ما يتعلق بهم لانه ينتسب الى ملتهم .

وبعد الحرب العظمى (١٩١٤ – ١٩١٨) اتخذ حبيب زيات مدينة نيس بفرنسا مقراً لسكناه . وهناك انشأ في منزله مكتبة حفلت بمخطوطات عربية فريدة نذكر منها ١ : مختار من كتاب اللهو والملاهي تصنيف ابن خرداذبه . ٢ : مقدمة في الرجال للذهبي ٣ : الاول من « كشف النقاب عن الاسماء والألقاب » لابي الفرج الجوزي ٤ : كتاب « الافحام والافهام » لابي الحسن القصري ٥ : « شد الظهر لذكر ما يحتاج اليه من الزهر » لابن عبد الهادي وهو المعروف بابن المبرد بخطه ٦ : « ارجوزة في الظاء والضاد » لابي نصر محمد بن احمد

---

(٢) الوثائق التاريخية للخوري اسحق ارملة : صفحة ١١٣

الفروخي ٧ : ارجوزة لليوناني في علم النشاب خطت عام ٨٦٦ للهجرة ٨ : اخبار مجنون بني عامر وعليه سماع بتاريخ سنة ٤٤٥ للهجرة ٩ : اخبار ابي نواس الحسن بن هاني نسخت عام ٤٩٣ للهجرة الخ .

عاشراً : مكتبة رزق الله حسون في لندن

وُلد رزق الله حسون (١٨٢٥ - ١٨٨٠) من اسرة حلبية عُرفت بتجويد صناعة الخط وقد التقفها رزق الله من سعيد الاسود الحلبي الخطاط الشهير . فأولع منذ حداثته بنسخ المخطوطات العربية واقتنائها حتى انه على اثر جولانه للمرة الاولى في اوروبا جاء الى مصر فنسخ واستنسخ فيها كتباً جمة . واليك ما اثبته المؤرخ المدقق عيسى المعلوف في ترجمة رزق الله حسّون(١) قال :

« وعثر وهو في دمشق على كثير من الكتب المخطوطة القديمة واحرزها . ومن جملتها انجيل عربي وجده في قرية « عين التينة » قرب معلولا في جبل القلمون . نسخ سنة ٧٠٤٥ لآدم (١٥٣٧ م) فاهداه الى المرحوم متري شحاده الدمشقي لما كان في القسطنطينية سنة ١٨٦٣ وهو الآن في المكتبة البطريركية الارثوذكسية في دمشق (عدد ١٠٠٦) وخطه كنسي جميل . وقد تفقد مكاتب دمشق القديمة ووقف على نوادر مخطوطاتها ونسخ بعض تعاليق مفيدة عنها كان يفيد بها المستشرقين بعد ذهابه الى اوروبا » .

ولما اتخذ رزق الله حسون مدينة لندن مقراً لسكناه انقطع الى النسخ والاشتغال بتصحيح حروف الطباعة العربية في اوروبا ومساعدة كثير من المستشرقين . وبلغ ما نسخه بخطه من نفائس الكتب نيّفاً وعشرين مجلداً . وفي السنة ١٨٧٣ جاء الى حلب وطنه متنكراً وتفقد مكاتبها ونسخ منها بعض آثار نادرة . ولا يزال كثير

---

(١) تاريخ الصحافة العربية مجلد ١ صفحة ١٠٨

من مخطوطات قلمه في مكاتب روسيا وفرنسا وانكلترا(١) . ومنها ما اقتنيناه نحن واهديناه الى مكتبة دير الشرفة .

وكان رزق‌الله حسون من اكبر هواة الكتب وجامعيها . يؤيد ذلك تلك المكتبة المعتبرة التي خلّفها بعد وفاته . اذ كانت تشتمل على عدد لا يستهان به من المخطوطات العربية القديمة التي نجهل مصيرها .

حادي عشر : مكتبة الدكتور لويس صابونجي في لندن والاستانة

عاش الدكتور لويس صابونجي (١٨٣٣ – ١٩٣١) ثماني وتسعين سنة كان في خلالها من اكبر العاملين في حقل المعارف(٢) . وكفاه فخراً انه خدم الصحافة العربية اثنتين وستين سنة باخلاص ونجابة في لبنان ومصر واوروبا واميركا . ولا نعرف صحافياً عربياً بين الاولين والآخرين بلغ هذا الشوط الطويل من العمر الصحافي سوى الدكتور فارس نمر باشا . وحلّت وفاة الصابونجي في مدينة لوس انجلوس . واليك اسماء ما انشأه من الجرائد والمجلات : النحلة والنحلة الحرّة والنجاح والاتحاد العربي والخلافة . وجمع الصابونجي في ريعان عمره خزانة حافلة بالمخطوطات واضاف اليها عدداً عظيماً من الكتب المطبوعة في اهم لغات الشرق والغرب التي كان هو متضلعاً من اغلبها . ولما استقر في لندن نقل اليها مكتبته التي كانت قبلته في غدواته وروحاته . ثم احضرها معه الى الاستانة يوم اتخذ هذه المدينة مسكناً في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ – ١٩٠٩) .

وقد قُيض لنا ان نتفقد تلك المكتبة ونطلع على كنوزها الثمينة يوم كنا

---

(١) تراجم مشاهير الشرق : بقلم جرجي زيدان : مجلد ٢ صفحة ١٧٩

(٢) طالع ترجمته وفهرس تآليفه في تاريخ الصحافة العربية : مجلد ٢ : ٧١ – ٨١ ومجلد ٤ صفحة ٣٨٠ – ٣٨١

بضيافة الدكتور صابونجي في قصره « قفير النحل » بجزيزة الامراء . فشاهدنا مجلدتها مرصوفة في جدران غرفتين كبيرتين في ذلك القصر .

ومما لفت نظرنا في تلك الخزانة مخطوط بديع رُصع جلده بحجارة كريمة وجواهر ثمينة . انطوى على جملة قصائد في تسع لغات شرقية وغربية نظمها الصابونجي نفسه وكتبها بخطه الرائع . وكان قد هيأها ليقدمها بمثابة هدية الى السلطان عبد الحميد المشار اليه . لكن السلطان خُلع سنة ١٩٠٩ وبقي المخطوط في خزائن الصابونجي الذي نقله معه الى اميركا .

والجدير بالذكر ان الدكتور لويس صابونجي هو اول رحّالة من ابناء سام بن نوح طاف الكرة الارضية مرتين متواليتين بقصد الاستطلاع على احوال الشعوب وعاداتهم واخلاقهم . ونشر في ذلك كتابين : الأول « سياحتي » والثاني « رحلة حول الكرة الارضية » . وقد اشار الى ذلك في بيتين من قصيدة له في الفخر وهما :

وقد طفت حول الارض شرقاً ومغرباً وصيتي جرى قبلي يُشير برحلتي
وما طاف قبلي من بني سام طائف ولا جال منهم في البسيطة جولتي

الفصل التاسع

خزائن كتب علماء المشرقيات

اولا : تعريف علم المشرقيات

يُراد بعلم المشرقيات او علم الاستشراق درس لغات الشرق وتواريخه واحواله وآداب سكانه . ويقال للمشتغلين بهذا العلم من اهل اوروبا واميركا «علماء المشرقيات» او « مستشرقون » .

وقام اساس الاستشراق في بداية امره لغاية دينية محضة هي درس الكتاب المقدس وترجمته . ثم توسع علماء الاستشراق في اهدافهم وميولهم وابحاثهم فجعلوه سياسياً ولغوياً معاً . ولم يدّخروا وسعاً في تعزيزه بكل الوسائل المادية والادبية ادراكاً لما توخوه من الاهداف وتحقيقاً لتلك الميول والابحاث . وكان للغة العربية عندهم المقام الاول بين جميع لغات الشرقين الادنى والاقصى . وليست حجتهم في ذلك انها لغة امّة عريقة في الحضارة فقط بل لان المتكلمين بها اقرب الى اوروبا من سائر الامم الشرقية .

ولأجل ذلك توفر اقبال اهل اوروبا ومن بعدهم اهل اميركا على تعلم اللسان العربي واتقان قواعده . فنبغوا فيه والفوا الكتب ووضعوا المعاجم ونشروا الشيء الكثير من تآليف الاقدمين مما لم يُقدم على مثله ابناء اللغة انفسهم . وما اكتفوا بذلك بل انشأوا الجمعيات العلمية في جميع امصار الغرب تسهيلاً لابحاث المستشرقين وتذليلاً للصعاب امامهم . واقدم تلك الجمعيات عهداً هي « الجمعية الاسيوية » في باريس انشئت عام ١٨٢٢ ولم تزل عاملة حتى اليوم في حقل الآداب الشرقية

واقتفت سائر دول الافرنج اثر دولة فرنسا فأسست كل منها جمعية بهذا الاسم على مثال تلك الجمعية . ولكل منها خزانة كتب اشتملت على ما يفيد اعضاءها

وروادها من التآليف والمخطوطات والرسوم والخرائط والمسكوكات التي تتعلق بالشرق . ولكل منها ايضاً مجلة تنشر ابحاث العلماء وآرائهم وما نجز على يدهم من الاعمال المفيدة

ومما ساعد على تعزيز تلك النهضة العلمية فى ديار الغرب تأسيس مدارس لتعليم اللغات الشرقية الحية وفي طليعتها اللغة العربية . واول مدرسة انشئت على هذا النمط في اوروبا كانت « مدرسة الالسنة الشرقية الحية » التي ظهرت للوجود بتاريخ ٢٩ نيسان ١٧٩٥ في باريس . واصبحت هذه المدرسة دستوراً لما قام بعدئذ على شكلها من المدارس في كبريات المدن الاوروبية . وقد سعى لتأسيسها عالمان فرنسيان من اكبر ائمة علماء الاستشراق هما : سلفستر دي ساسى (١٧٥٨ -١٨٣٨) (Sylvestre de Sacy) ولويس لنغلاي (١٧٦٣ — ١٨٢٤)
(Louis-Mathieu langlès)

ولم تبقَ المكتبات العربية التي احدثها علماء الاستشراق محصورة بجمعياتهم وبمدارس اللغات الشرقية المنتشرة في اكثر انحاء اوروبا . فان فريقاً كبيراً منهم عمد الى اقتناء خزائن كتب خاصة توصلاً الى ما يتوخونه من الابحاث في مطالعاتهم ومراجعاتهم . ولما كان يصعب احصاء تلك الخزائن ووصف محتوياتها اقتصرنا على ذكر بعضها مما شاهدناه بام العين او قرأنا عنه في الكتب . فأتينا على تدوين اخبار تلك الخزائن ومنشئيها ونظمناها طبقاً للبلدان التي عاش فيها او انتمى اليها اولئك الجهابذة . وانتهجنا في سردها التسلسل التاريخي الذي اعتمدناه في جميع ابواب هذا الكتاب .

ثانياً : مكتبات المستشرقين في فرنسا

١ - خزانة غليلم بوستل في باريس

وُلد غليلم بوستل في بارنتون احدى مدن نرمنديا بفرنسا . ونزع منذ حداثته الى

تحصيل اللغة العربية فأحكمها وبرع فيها . ثم عينه الملك فرنسيس الاول (١٤٩٤-١٥٤٧) سفيراً لدولته في تركيا فامتزج بشعوب الشرق ودرس لغاتهم وعاداتهم . وانتهز غليلم تلك الفرصة فاقتنى مخطوطات نفيسة حملها معه الى باريس . وهناك عيّن استاذاً للغات العربية والعبرية واليونانية . وما عتم ان سخط عليه الملك لسبب ما فهرب من وطنه وقام برحلة الى القدس الشريف ولبنان وسوريا وغيرها من اقطار الشرق . واستزاد من مشترى مخطوطات عربية ضمّها الى ما اقتناه سابقاً . وكوّن من مجموعها خزانة كتب ثمينة في باريس . وتوفي غليلم مسجوناً في احد اديرة فرنسا(١) .

وللمستشرق بوستل فضل كبير على الطباعة الشرقية التي عزّزها في ديار الغرب فانه نشر في باريس سنة ١٥٣٨ مبادىء اثنتي عشرة لغة شرقية بحروفها الاصلية من جملتها : السامرية والسريانية والقبطية والحبشية والكرجية والارمنية(٢) .

٢ ـ خزانة برتليمي هربلو في باريس (١٦٢٥ ـ ١٦٩٥)

درس برتليمي هربلو اللغة العربية في باريس مسقط راسه فأحرز قصبة السبق على اقرانه . ثم ارتحل الى ايطاليا واتّصل بمدرستها ومطبعتها الشرقيتين وتعرّف الى غرندوق توسكانا فرديننند الثاني (١٦٢٠ ـ ١٦٧٠) الذي أهدى اليه مجموعة مخطوطات عربية ذات قيمة كبيرة . فانشأ منها في منزله خزانة كتب اصبحت نادرة الوجود بما ضم اليها مع توالي الايام مخطوطات وافرة اشتراها له بعض السياح الافرنج في بلاد الشام واليمن والمغرب الاقصى . ولعلو كعبه في العربية استقدمه الملك لويس الرابع عشر (١٦٤٣ ـ ١٧١٥) الى باريس وشمله بعطفه . واقامه اميناً لسرّه واستاذاً للغة الضاد في معهد فرنسا(٣) .

---

(١) المستشرقون : لنجيب العقيقي : صفحة ٦٢ ـ ٦٣

(٢) تاريخ فن الطباعة في الشرق (المشرق : مجلد ٣ سنة ١٩٠٠ صفحة ٨٠) .

(٣) المستشرقون : صفحة ٦٣

٣ ـ خزانة دي كوروا في «او» بفرنسا (١٧٧٥ ـ ١٨٣٥)

وُلد الاستاذ دي كوروا في بلدة او EU بفرنسا وفيها توفي . وبعد انجازه دراسة العلوم الشرقية أقيم استاذاً ثم نائب مدير في مدرسة لويس الاكبر بباريس. ولما انشأت دولة فرنسا مدرستها بالقسطنطينية في اوائل القرن التاسع عشر عيّنته مديراً لها وجعلته عام ١٨١٤ ترجماناً لسفارتها هناك حتى أحيل على التقاعد . فعاد الى بلدته سنة ١٨٣٠ وانصرف الى الاستزادة من علوم الاستشراق . وقد ساعده في ذلك ما توفر لديه من مخطوطات شرقية احرزها اثناء اقامته الطويلة في البلاد التركية . وعلاوة على ما سبق ذكره فان دي كوروا اهدى عدة مخطوطات الى المكتبة الامبراطورية في باريس(١) .

٤ ـ خزانة سلوستر دي ساسي في باريس (١٧٥٨ ـ ١٨٣٨)

لم يُحرز احد من المستشرقين على الاطلاق ما احرزه البارون سلوستر دي ساسي من الشهرة العلمية والمجد الاثيل . فانه بقطع النظر عن معارفه الواسعة بلغات الشرق قد افرغ الوسع كله في انعاش روح النهضة الادبية العربية في اصقاع اوروبا . فكان كمشكاة استضاء بها روّاد العلوم الشرقية في انحاء الغرب على اختلاف شعوبهم ونزعاتهم .

ونبغ دي ساسي خصوصاً في درس اللغات فلم يكتفِ بالالسنة الاوروبية بل طلب لغات الشرق ايضاً . فأخذ منها شيئاً عن علماء زمانه فتعلم اولا العبرية فالسريانية فالسامرية فالعربية فالفارسية فالتركية . لكنه أحكم خصوصاً آداب اللغتين العربية والفارسية حتى سبق في معرفتهما علماء زمانه شرقاً وغرباً . ولو شئنا تعداد كل ماقام به دي ساسي من المشاريع تعزيزاً للعلوم الشرقية من تدريس

---

(١) المستشرقون : صفحة ٨٩

وتأليف وأنشاء مجلات وتنظيم مكتبات وادارة مجامع علمية لاتسع بنا الكلام كثيراً .

وحسبنا القول ان دي ساسي نشر اكثر من مائتي كتاب في علوم الشرق ولغاته وكثير من هذه المصنفات كبير الحجم واسع المادة نذكر منها : غرماطيقه العربي في مجلدين كبيرين . ومنتخباته العربية في ثلاثة مجلدات . وطرائفه اللغوية في مجلد كبير . وتاريخه في عرب الجاهلية . وتعريفه ديانة الدروز في مجلدين . وهو اول من طبع كتاب كليلة ودمنة ومقـــامات الحريري مع شروح عربية مستوفاة في مجلدين . ونشر رحلة عبد اللطيف البغدادي الى مصر(١) الخ الخ .

وظهر فضـل البارون دي ساسي ظهوراً جلياً في مـا انشأه او نظمه مـن المكتبات . ولا سيما مكتبته الخاصة التي أنفق عليها اموالا طائلة وبذل في سبيلهـا جهوداً عظيمة ورتب لجميعها فهارس تجلت فيها مواهبه العلميـة . وقد ساعده في تأليف فهارس مكتبته تلميذه المستشرق بلين (١٨١٧ - ١٨٧٧) فاستفاد وافاد(٢) .

٥ ــ خزانة دي لابورت في باريس (١٧٧٧ - ١٨٦١)

بلغ دي لابورت الرابعة والثمانين من سنه ودرس اللغة العربية منذ حداثته في مدرسة اللغات الشرقية بباريس . ولما قام نابليون بحملته على مصر (١٧٩٨ - ١٧٩٩) انضم دي لابورت الى صفوفها وآثر البقاء بعد ذلك في الشرق . وارتحل الى طرابلس الشام وتولى هناك وظيفة في القنصلية الفرنسية . وامتزج باهل تلك المدينة فعاش بينهم زمناً غير قصير وكان يقضي ساعات الفراغ في المطالعة والتأليف . وقد أتيح له ان يجمع خزانة مخطوطات عربية نقلها معه الى وطنه وكانت تحتوي على نفائس ونوادر : ومن مخلفاته العلمية « تاريخ المماليك » وبحوث دقيقـة عن الاقبـاط

---

(١) الآداب العربية في القرن التاسع عشر : للاب لويس شيخو : جزء ١ صفحة ٦٩

(٢) المستشرقون : صفحة ٩٥ - ٩٦

والبربر . وقد كوفىء دي لابورت على اثاره الكتابية بان عين عضواً في «مجمع العلوم والفنون» بمصر (١) .

٦ ــ خزانة هنري بونيون

ولد هذا المستشرق الكبير سنة ١٨٥٣ وتوفي بتاريخ ١٦ اذار ١٩٢١ في شمباري واكب منذ حداثة سنه على تحصيل الالسنة السامية كالعربية والسريانية والعبرية والمسمارية فصار من جلة عارفيها .

وكان اول من عني بتعليم الآثورية سنة ١٨٧٨ في المدرسة العليا بباريس . وبعد ذلك اوفدته دولته كقنصل لها في طرابلس الغرب ثم في بغداد ومكث مدة غير قصيرة قنصلًا في حلب . فكان بعد نهوضه بمهام منصبه يقضي سائر اوقاته بالتعمق في الالسنة المذكورة والتنقيب عن الآثار الشرقية التي توفق الى اكتشاف الشيء الكثير منها . وخلف مؤلفات شتى اشهرها كتابه في « الآثار السامية المكتشفة في الشام وما بين النهرين وضواحي الموصل » . ونشر « كتابة نبوخذنصر » التي اكتشفها في لبنان . وفك رموزاً كثيرة غامضة عن ديانة الصابئة والآثار المندائية والكتابات الآرامية . وانشأ غير ذلك من الابحاث الخطيرة (٢) .

واعظم خدمة ادّاها هنري بونيون للآداب السامية انه توصل اثناء اقامته في بلاد الشرق الى انشاء خزانة حفلت بالمخطوطات الثمينة والآثار القديمة . فكان لا يضن بالذهب الرنان في سبيل اقتنائها مهما غلا سعرها حباً للعلم وحرصاً على ذخائره . وقد اتيح لي الاطّلاع عليها فدهشت لكثرة نفائسها وحسن ترتيبها وتبويبها . ولما عاد القنصل بونيون الى بلاده نقل معه تلك الكنوز الكتابية والاثرية مخلّفاً اطيب الذكرى في الامصار الشرقية التي عاش بين اهلها .

---

(١) المستشرقون : صفحة ٨٧

(٢) الآداب العربية في الربع الاول من القرن العشرين : صفحة ١٢١

٧ ـ خزانة لويس ماسينيون في باريس

يُعتبر الاستاذ لويس ماسينيون من جلة المستشرقين بل من اعظمهم في عصرنا . تلقى علومه في مدرسة اللغات الشرقية الحية بباريس ثم نصب فيها استاذاً للفلسفة الاسلامية . وهو يتولى وظيفة المستشار في وزارة الخارجية الافرنسية للشؤون الاسلامية وله فيها الكلمة المسموعة المحترمة .

وقدطاف الاستاذ ماسينيون غير مرة المغرب الاقصى وصحارى افريقيا وبلاد فارس وسائر الاقطار العربية متعقباً ابحاثه العلمية . وله مع اكابر علماء تلك الامصار مراسلات لو نشرت لتألف منها مجلدات عديدة مفيدة . ومن آثاره العلمية انشاؤه فرعاً في مدرسة السوربون بباريس خصصه بدرس الشؤون الاسلامية واقيم استاذاً فيها .

واشتغل هذا المستشرق الكبير بالتأليف فنشر الشيء الكثير عن ابن الحلاج . ولسنا نعرف عالماً مسلماً او نصرانياً كتب عن هذا الفيلسوف العربي مثلما كتبه عنه لويس ماسينيون . ويعدّ هذا المستشرق كذلك من كبار الصحافيين . ومن آثاره مجلة « العالم الاسلامي » انشأها منذ ثلاثين سنة ثم ابدلها فيما بعد بمجلة عنوانها « الابحاث الاسلامية » . وله ايضاً « تقويم العالم الاسلامي » ينشره عاماً بعد عام .

ومكتبة هذا المستشرق العلامة تحوي الوفاً من المجلدات معظم مواضيعها شرقية وبينها طائفة صالحة من الكتب العربية المطبوعة وزهاء مائتي مجلد مخطوط . ومن محتوياتها خمس نسخ مخطوطة عن ابن الحلاج المذكور . ومنها رسالة طريفة عنوانها « ارباب الفتوّة » تبحث عن الجمعيات السرية لدى العرب يرتقي عهد تاريخها الى القرن السابع للهجرة . وفي هذه المخطوطة كل عجيب غريب عن الجمعيات المذكورة وعن مقرراتها وعن كلمات السر فيها للتمكن من الدخول الى انديتها وحضور جلساتها . وتحوي هذه المكتبة كذلك رسالة نادرة عن ابي حسن الششتري الزجّال الاندلسي الى غير ذلك من المخطوطات النادرة الثمينة .

ثالثاً : مكتبات المستشرقين في انكلترا

١ - خزانة ادوار بوكوك في اكسفورد (١٦٠٤ - ١٦٩١)

أقدم ما سطّره التاريخ عن خزائن كتب علماء الاستشراق في انكلترا خزانة مخطوطات ادوار بوكوك المستشرق الانكليزي في القرن السابع عشر . فهو بلا جدال اوّل جهبذ نشر لواء اللغة العربية في انحاء السلطنة البريطانية .

تلقى ادوار بوكوك اصول اللغة العربية في بلاده ثم درّسها في جامعة اكسفرد . ولم يكتفِ بذلك بل شاء مزيد تضلع وتعمّق فيها . فقصد الشرق سنة ١٦٣٠ واقام في حلب خمس سنوات استفاد في اثنائها معارف واسعة واشترى مخطوطات عديدة . ولما قفل راجعاً الى اكسفرد كلف بالاستشراق البلدي كلفه بالاستشراق العلمي . ولذلك رأيناه يزمّ رحاله بعد سنتين ويعود سنة ١٦٣٧ الى الشهباء مستزيداً من المعلومات ومن المخطوطات معاً . وفي السنة ١٦٤١ رجع الى انكلترا حاملاً في جملة ما حمل شجرة تين نصبها في حديقة اكسفرد . فكانت ولا تزال اول شجرة من نوعها في بلاد الانكليز(١) .

على ان الآداب العربية مديونة للاستاذ بوكوك باول طبعة من كتاب « تاريخ مختصر الدول » تأليف ابي الفرج ابن العبري . فقد نقله الى اللاتينية سنة ١٦٧٢ وطبعه مع متنه العربي . وسبق فنشر كذلك سنة ١٦٥٨ تاريخ سعيد بن بطريق(٢) . وخلّف بوكوك مجموعة نفيسة من الكتب المخطوطة الشرقية بلغ عددها اربعمائة وعشرين مخطوطاً انتقلت بعد وفاته الى مكتبة جامعة اكسفرد . واشتهر من

---

(١) مجلة « المستمع العربي » : بقلم برنرد لويس في لندن : مجلد ١ سنة ١٩٤٠ عدد ١ صفحة ١٠

(٢) المستشرقون : بقلم نجيب العقيقي : صفحة ١٦٢ ومجلة « الراعي الصالح » بالاسكندرية : مجلد ١ سنة ١٩٤٠ صفحة ٦

بعده ابنه توما بوكوك (١٦٤٨ – ١٧٢٧) بعلم الاستشراق فاقتفى اثره في اختصاصه(١) .

٢ ـ سائر مكتبات المستشرقين الانكليز

من انبغ علماء الاستشراق الانكليز الذين اعتنوا بجمع الكتب العربية من مخطوطة ومطبوعة واشتهروا بابحاثهم العلمية في لغة الضاد نذكر اثنين : البارون ذي لانجي والمستر موناهن اللذين اتينا على ذكرهما لدى وصفنا مكتبات تونس صفحة ٥٥٥ و٥٥٦

رابعاً مكتبات المستشرقين في ايطاليا

١ ـ خزانة اريكو فيتو في رومة

ولد اريكو فيتّو في اواسط القرن التاسع عشر وكان من انبغ علماء الاستشراق في عصره . مال منذ حداثته الى تحصيل اللغة العربية فدرس اصولها في وطنه . ثم تدرّج في وظائف السلك القنصلي حتى اصبح قنصلاً لدولته الايطالية في مدينة حلب . وهناك احكم اللغة العربية وجعل يكتبها ويتكلم بها كابناء الضاد انفسهم . ولا يزال شيوخ الشهباء يذكرون له مواقفه الخطابية ويتحدثون عن مراثيه البليغة لبعض اعيانهم وادبائهم . وقد أغرم الحلبيون بحب اريكو فيتو لانه استطاب مدينتهم وامتزج باهلها واقترن بفتاة من كرائم أسرها وهي اسرة «صولا».

وفي السنة ١٨٩٨ انتقل فيتّو الى بيروت وسمّي فيها قنصلاً عاماً لدولته . فاشترى منزلا فسيحاً تحدق به الجنائن وانشأ فيه مطبعة جعل ينشر فيها مؤلفاته

---

(١) المشرق : مجلد ٣٩ سنة ١٩٤١ صفحة ٥١ ـ ٥٢

وترجماته ومذكراته بكلتا اللغتين العربية والايطالية . وطالما تزاورنا وتبادلنا احاديث ادبية عن الشرق والشرقيين .

ومن آثار فيتو القلمية ترجمته ارجوزة اليازجي والفية ابن مالك الى اللغة الايطالية (١) ونشر كتاباً عام ١٨٩٩ بالايطالية ضمنه اخبار مذابح الارمن عام ١٨٩٥ في « جبل زيتون » شمال سوريا . وقد اشرف القنصل فيتو بذاته على تلك الوقائع اذ كان عضواً في اللجنة الدولية التي كلفت التحقيق عن تلك المذابح الدامية . ثم اهدى الينا نسخة من الكتاب المشار اليه ومن سائر مؤلفاته وقعها بامضائه .

وتعرف فيتو اثناء اقامته في حلب بالمستشرق الفرنسي الكبير هنري بونيون (١٨٥٣ - ١٩٢١) قنصل الدولة الفرنسية . فكانا كلاهما يتسابقان كفرسي رهان الى اقتناء الكتب العربية والتحف الشرقية ويؤديان الذهب الرنان ثمناً لها . وعرفنا ان اريكو فيتو احرز ذخائر ثمينة انشأ منها خزانة كتب عامرة نقلها الى رومة عندما امسى في سن التقاعد . وعلى اثر وفاته في اوائل القرن العشرين تخلت اسرته عن مكتبته للقس يوسف الخازن الراهب الماروني .

وروى لنا الخوري لويس الخازن انه اطلع على تلك المكتبة اثناء اقامته برومة في منزل نسيبه القس يوسف المشار اليه . وقد سكن حينذاك في ذات الغرفة المحتوية على مخطوطات فيتو . فأكد لنا ان عددها لا يقل عن مائتي مخطوط عربي تصفح اكثرها وصرح بان كل مخطوط منها نفيس بحد ذاته . ثم قال انه كان يلقى صعوبة في قراءة بعضها لخلوها من النقاط والشكلات مما يدل على قدامة عهد نساختها .

٢ ــ خزانة الامير ليوني كايتاني في رومة

ينتمي الامير ليوني كايتاني الى اسرة اقدم الاسر النبيلة في رومة . ويرتقي

---

(١) اطرب الشعر واطيب النثر : قسم ٢ صفحة ١٨٣

تاريخها الى القرن العاشر للميلاد . ومنها قام رجالات اشتهروا في خدمة العلم والوطن والانسانية . فكان منهم بابوات ومطارنة وقواد وولاة وحملة اقلام كثيرون .

سار الامير كايتاني سير كثير من امراء اوروبا فلم يبطره غنى ولم يستهوه جاه او لقب شرف . بل انصرف منذ صباه الى الدرس فاتقن اللغات اللاتينية والايطالية واليونانية والفرنسية والانكليزية والالمانية واحكم معها العربية والفارسية . وبعدما احرز نصيباً وافراً من العلم سمت به همته فالف كتباً شتى عن الاسلام والعرب والشرق وغير ذلك ادرجت عناوينها في صدر المجلد الاول من تأليفه Chronographia Islamica. ومن اهم مصنفاته كتاب Annali dell'Islam الذي ادهش العلماء بدقته وصدق روايته . ونشر منه ستة مجلدات ضخمة لم يتعدّ موضوعها عشرين سنة من تواريخ الاسلام . وقد جعل شعاره قول الشاعر :

كفاف عيش كفاني ذل مسئلة وخدمة العلم حتى ينقضي عمري

ولبلوغ امنيته جمع هذا الامير مكتبة ضخمة عربية وغير عربية . واستنسخ واخذ بالتصوير الشمسي كل ما اتصل به عن تاريخ العرب من المخطوطات مما كان مبعثراً في خزائن اوروبا وغيرها . فاصبحت مكتبته خير مكتبة شرقاً وغرباً في موضوع التاريخ الاسلامي . على ان زائرها يستغني بها عن مطالعة تواريخ العرب في جميع مكاتب الغرب .

ولئن امتازت « الخزانة التيمورية » في مصر باحتوائها على امهات كثيرة من مخطوطات الاسلام في علوم مختلفة . ولئن تفردت « الخزانة الزكية » في القاهرة بجمعها انفس المطبوعات العربية في الغرب فان « الخزانة الكيتانية » في رومة حوت على الغالب اهم كتب التاريخ الاسلامي او ما له علاقة به . وذلك باللغات المختلفة ولاسيما العربية مما هو جدير ان يرحل في طلبه لا من البلدان القريبة فقط بل من اقصى بلاد اليمن . وقد اوصى بخزانة كتبه بعد وفاته لمكتبة الحكومة الايطالية في رومة(١) .

---

(١) المستشرقون : صفحة ١٢٧

وقد طاف الامير كايتاني مدناً شتى في الهند وايران وسوريا وفلسطين ومصر وشمال افريقيا فبحث احوالها وتعمق في درسها وقابل بين ماضيها وحاضرها . ومن جملة ما تعهده من الامصار ناحية اليرموك ليشاهد بعينه المكان الذي جرت فيه تلك المعركة الفاصلة بين الروم والعرب(١) .

٣ ـ خزانة اوجينيو غريفيني في ميلانو

كان الدكتور غريفّيني من اعلام المستعربين الايطاليين الذين خدموا اللغة العربية علما وعملا . ولد في ميلانو ١٨٧٨ وحلت وفاته كهلًا في ٣ ايار ١٩٢٥ بالغاً السابعة والاربعين من سنه . وما كاد ينجز دروسه حتى مالت نفسه الى السياحة في بلاد العرب واحب ان يتقن لغتهم ويتعمق فيها . فارتحل الى صنعاء اليمن حيث اجتمع بتاجر ايطالي يدعى يوسف كبروتي وحل ضيفا في بيته . ثم ساحا معا في تلك الاصقاع النائية وكان يتزيا في اسفاره بازياء العرب تفادياً من الاخطار . وبعد استيلاء دولة ايطاليا على طرابلس الغرب سنة ١٩١١ سوّلت له نفسه ان يتسيّح في انحائها ويتوغل في صحاريها دارساً احوالها وباحثاً عن كل ما يتعلق بسكانها

ولم يغفل في كلتا السياحتين عن ابتياع ما تيسّر له من المخطوطات العربية فجمع منها طائفة غير قليلة . ثم اضاف اليها عدداً من مخطوطات قديمة كانت محفوظة عند صديقه يوسف كبروتي المشار اليه فاشتراها منه ايضاً . وقد انشأ من تلك المجاميع وغيرها خزانة كتب عربية اوصى بها بعد وفاته لجامعة ميلانو مسقط رأسه .

ولما اراد فؤاد الاول ملك مصر ان ينظم مكتبته الخاصة في قصر عابدين استدعى الدكتور غريفيني واقامه ناظراً عليها . غير ان المنية عاجلته بعد زمن

---

(١) كتاب « غرائب الغرب » لمحمد كردعلي : جزء ١ صفحة ١٨٠ ـ ١٨٣

قصير مرّ على تعيينه في هذا المنصب . ومن آثاره القلمية نشره نسخة قديمة من شعر الاخطل عثر عليها اثناء رحلته اليمنية وطبعها في المطبعة الكاثوليكية ببيروت . وطبع ايضاً كتاب « جامع الفقه » لزيد بن علي سنة ١٩١٩ في ميلانو(١) . وقد قدر المجمع العلمي العربي بدمشق قدر هذا المستشرق الكبير فاحصاه بين اعضائه الفخريين .

ومن مخلفات غريفيني العربية نشره « ديوان الاخطل » و « الطبقات » لابي بكر الزبيدي . و « نصوص عربية في صقلية » . وصنّف معجماً في اللغة العامية الطرابلسية والايطالية . ونظّم مكتبة ميلانو الشرقية وانشأ لها فهرساً مطوّلا . وكتب في فلسفة الفارابي وارسطو وفي حريق مكتبة الاسكندرية . ونشر « القول المستظرف في شعر مولانا الملك الاشرف » . ونقل الى اللاتينية « شرح ابن رشد لسياسة ارسطو » (٢) .

٤ ـ خزانة اغناطيوس غويدى في رومة

فُجع علم المشرقيات في ١٨ نيسان ١٩٣٥ بشيخ المستشرقين وعميدهم اغناطيوس غويدي بالغا الحادية والتسعين من سنه . وقد اتيح لي ان اتعرف اليه بالكتابة عام ١٨٨٨ على يد صديقي وصديقه العلامة الطيب الاثر اقليميس يوسف داود (٣) . واستمرت المكاتبة بيننا بعد ذلك ردحا من الزمان نتبادل الآراء في شتى المواضيع التاريخية واللغوية والادبية . وكنت استجمل خطه لانه كان انيقاً صريحاً لا يفرق في قاعدته عن الحروف المطبعية .

---

(١) تاريخ الآداب العربية في الربع الاول من القرن العشرين : صفحة ١٣٢ - ١٣٣

(٢) المستشرقون : صفحة ١٢٧

(٣) بعد وفاة المطران اقليميس يوسف داود سنة ١٨٩٠ نشرت تخليدا لفضله وفضيلته كتاب «القلادة النفيسة في فقيد العلم والكنيسة » . وقد ضمنته ما ورد في رثاء هذا الحبر الجليل نثراً ونظماً باقلام افاضل الشرق والغرب في عشرين لغة . ومن جملتها رثاء كتبه في اللغة الايطالية اغناطيوس غويدي : صفحة ١٦٨ ـ ١٦٩

ولما ارتحلت الى رومة سنة ١٩٠٠ وسنة ١٩٢٢ زرت المستشرق غويدي مراراً في منزله ومتعت النظر بخزائن كتبه التي حوت من كل فاكهة علمية زوجين. وقضيت معه ساعات طوالا بين تلك الخزائن وكانت عامرة بالوف من الاسفار التي جمعها في شتى لغات الشرق قديمها وحديثها. وكان يختلف الى تلك الخزائن لا للشغل فقط بل لتنزيه الخاطر ايضاً. وقد اصبح اختلافه اليها فرضه ونفله لا يفارقها الا عند ذهابه الى غرفة نومه

ويطول الشرح لو شئنا وصف تلك المكتبة وتعداد كل ما فيها من النفائس التي لا اثر لكثير منها في بعض المكتبات العامة. ومن شاء معرفة منزلة هذا المستشرق وخلاصة ترجمة حياته فليراجع مجلة « المشرق » (١).

٥ ــ خزانة كرلو الفونسو نلينو في بالرمو

الاستاذ كرلو الفنسو نلّينو (١٨٧٢ - ١٩٣٨) عَلَم بين علماء الاستشراق في هذا العصر. ومنذ الثامنة عشرة من سنّه ملك ناصية اللغة العربية ملكاً مكنه من نقد نصوص قد تكون استعصت على اوفر المستشرقين خبرة. وتخصّص بالابحاث عن جغرافية العرب وعن علم الفلك العربي. ونشر في ذلك خمسة كتب مستنداً الى تآليف لا تحصى اكثرها غير منشور. فبرّز في اختصاصه حتى اصبح في ذلك حجة قاطعة.

وضع نلّينو مؤلفاً بحث فيه عن تأثير الحضارة الفارسية الساسانية في تكوين الحضارة الاسلامية. وكتب بدقة عجيبة عن نظام القبائل عند العرب البدو الاقدمين(٢). وطبع كتاباً عنوانه « اللغة العربية في مصر ». ونشر جدولاً

---

(١) المشرق : مجلد ٣٣ سنة ١٩٣٥ صفحة ٤٤٥ ـ ٤٤٨

(2) H. Lammens Le Berceau de l'Islam, Rome, 1914, p. 206

للمخطوطات العربية والسريانية والفارسية والتركية المحفوظة في المكتبة الاهلية وفي مكتبة المجمع العلمي بتورينو . واشترك في تجهيز مجلدين ضخمين يبحثان عن تاريخ الحضارة الاسلامية عامة وعن صقلية الاسلامية خاصة(١) . ووضع مؤلفات جمة منها كتاب في التصوف الاسلامي . وتاريخ الشرع الروماني والبوزنطي والفلسفة العربية وفقه اللغة العربية وتاريخ التجارة الاوروبية في الشرق في القرون الوسطى الخ الخ .

وقلد نلينو منذ السنة ١٨٩٤ حتى السنة ١٩٠٢ ادارة منبر اللغة العربية في المعهد الشرقي بنابولي . ودعي في السنة ١٩٠٢ الى بالرمو ليتولى فيها منبر التعليم العربي . فتوسّع هناك في درس كل من حقول الاسلام حتى بلغ منها جميعاً ما لم يبلغه غيره من المستشرقين المعاصرين . وكلفته الجامعة المصرية فالقى فيها دروساً مدة ثلاثة اعوام حول تاريخ علم الفلك العربي وغيره . فكان موضوع اعجاب سامعيه لان لهجته العربية تنزهت عن الغلط في اللفظ والانشاء . ودرّس التاريخ والاوضاع الاسلامية في جامعة رومة الى اواخر ايامه .

ذلك نزر من اعمال هذا المستشرق الذي طبّق صيته الآفاق . ولولا ضيق المقام لسردنا ما عرفناه عنه بنفسنا او قرأناه في الصحف عن رحلاته في البلاد العربية وعن مقامه العلمي ومهماته الرسمية الى غير ذلك من اعماله المجيدة الخالدة . وقد زرناه مراراً في منزله اثناء رحلتنا الى رومة عام ١٩٢٢ فاعجبنا بسعة معارفه وبما احتوته مكتبته من الثروة الشرقية .

ونختتم كلمتنا القصيرة عن العلامة نلّينو بذكر ما بذله طول حياته من الجهود وما انفقه من الاموال لتكوين خزانة كتبه التي عدّت من اغنى الخزائن الخاصة . واليك ما اثبته المستشرق لافي دلافيدا قال :

« لا يستطيع ان يدرك مقدار مطالعة كارلو الفنسو نلينو ودرسه وشروحه اثناء اقامته في بالرمو الا من حظي بالتردد الى زيارته . وتتبع توسّع مكتبته

---

(1) Centenario della nas-cita di Michele Amari, Palermo, 1910

العجيبة التي تكونت رويداً رويداً في هـذه السنوات . وما زالت تزداد غنى وحسن ترتيب بفضل تضحيات مالية كبرى حتى اصبحت اليوم من أنفس المجموعات الخاصة التي اشتملت على كتب جمة تبحث عن الشرق ولا سيما عـلى مطبوعات شرقية(١) » .

خامساً : مكتبات المستشرقين في المانيـا

١ ـ خزانة الدكتور مرتين هرتمان في برلين

عرفت هذا المستشرق العلامة يوم كان كنشليارا في قنصلية المانيا ببيروت في الربع الاخير من القرن التاسع عشر . فكانت بيني وبينه علاقات ادب استمرت الى حين وفاته بتاريخ ٥ كانون الاول سنة ١٩١٩ . ومن الغريب انه اوصى عند وفاته بان تحرق جثته .

ولد الدكتور هرتمان في برسلو سنة ١٨٥١ وقضى معظم حياته في درس اللغات الشرقيه ولا سيما العربية فاحكم معرفة آدابها . والف فيها كتباً عديدة برهنت عن طول باعه . منها : كتاب في « العروض العربي » . وكتاب عربي لتعليم اللغة الالمانية . وكتاب « في السلام » . و « تاريخ الصحافة المصرية » . وانشأ مجلة «عالم الاسلام » واسس « الجمعية الالمانية لمعرفة احوال البلدان الاسلامية » . وكان احد منشئي مدرسة اللغات الشرقية ومن اساتذتها في برلين (٢)

وارتحل الدكتور هرتمان سنة ١٩١٣ الى لبنان وسوريا وبعض انحاء الشرق الادنى . ونشر اخبار تلك الرحلة في كتاب خصني فيه بالذكر فقال رحمه الله تعالى :

---

(١) المستشرقون الراحلون : بقلم لافي دلافيدا (المشرق : مجلد ٣٨ سنة ١٩٤٠ صفحة ٢٠٦ و ٢٢٨

(٢) الآداب العربية في الربع الاول من القرن العشرين بقلم لويس شيخو : صفحة ١٢٨ وتاريخ الصحافة العربية : جزء ٣ صفحة٦

« صادفت في ادارة جريدة لسان الحال » في بيروت رجلا اعتده فريدا بين اعيان هذه المدينة وهو الفيكنت فيليب دي‌طرازي . زرته في منزله فخلّفت فيّ تلك الزيارة تأثيرات بليغة . قد كنت افتكران الفيكنت من المدّعين بالعظمة فاذا هو متناه باللطف انيس المعاشرة . وهو نابغة واسع المعرفة بكل شخص تطرقنا الى ذكره وبكل حادثة بحثنا عنها . وشاهدت في خزائنه ذخائر علمية جمعها بسعيه وجده بل هي تدل على عبقرية اللبناني متى شاء امرا وعلى ذكاء الفيكنت ومقامة العلمي . واذا وصلت تلك النفائس الى اوروبا فيكون لها هناك شأن خطير . ومن ذلك نستدل على النهضة العظيمة التي احرزتها الاقطار العربية منذ السنة ١٨٥٠ حتى الان ....

وانتهز مرتين هرتمان فرصة اقامته الطويلة في قنصلية بيروت فانشأ خزانة خاصة عُدت من اغنى خزائن الكتب العربية . ولبلوغ امنيته تذرع بكل الوسائل لاقتناء اندر المخطوطات وابدعها من ارباب البيوتات العريقة في لبنان وسوريا وفلسطين والعراق والاستانة وغيرها . هكذا استطاع بتوالي الايام والاعوام ان يحرز من تلك الذخائر ما تعجز اليوم عن احراز مثله اعظم دول الارض . وقد اتاح لنا الحظ ان زرنا تلك الخزانة مراراً فدهشنا لما شاهدناه فيها من الكنوز الخطية التي لا نظير لها في المكتبات العربية شرقاً وغرباً .

وقد المع السيد محمد كردعلي الى خزانة الدكتور مرتين هرتمان بقوله :

« حدثني الثقة ان احد سماسرة الكتب في القرن الماضي كان يغشى منازل بعض ارباب العمائم في دمشق . ويختلف الى متولي خزائن الكتب في المدارس والجوامع فيبتاع منها ما طاب له من الكتب المخطوطة باثمان زهيدة . وكان يبيعها على الاغلب واكثرها في غير علوم الفقه والحديث من قنصل بروسيا اذ ذاك بما يساوي ثمن ورقها ابيض . وبقي هذا سنين يبتاع الاسفار المخطوطة من اطراف الشام فاجتمع له منها خزانة مهمة رحل بها الى بلاده . فاخذتها حكومته منه وكافأته عليها . والغالب ان معظم الكتب العربية المحفوظة في خزانة الامة في برلين هي من بلاد

الشام . وفهرس هذه الخزانة من الكتب العربية فقط في عشرة مجلدات ضخمة ما عدا الملحق » .

٢ ـ خزانة البارون اوبنهيم في برلين

نحيل القارىء الى مطالعة اخبار خزانة هـذا البارون في الفصل الرابع من الباب التاسع من هذا الكتاب . وقد خـصّصنا الباب المذكور بالمكتبات الاسرائيلية فنكتفي هنا بالاشارة اليها .

سادساً : مكتبات المستشرقين في البرتوغال واسبانيا

١ ـ خزانة دي كاستل برانكو في لشبونا

كان المستشرق دي كاستل برانكو وجيهاً في قومه ومستشاراً في البـلاط الملكي بمدينة لشبونا عاصمة البرتوغال . لكنه أبعد عن وطنه سنة ١٩١٠ على اثر سقوط اسرة براغنس المالكة واعلان الحكم الجمهوري في تلـك الدولة . فهبط باريس ونصب عضواً في الجمعية الاسيوية وظل يزاول جلساتها حتى توفاه الله تعالى.

واحرز دي كاستل برانكو قسطاً وافراً من المال أتاح له ان يمـد الجمعيات الاستشراقية بمساعدات مادية وافرة . وعكف في منفاه على المطالعـة والتأليف فوضع بعض كتب اهمها بحثه عن « علم الهيئة » عند العرب في القرون الوسطى . لكن اثمن اثر ابقاه هو خزانة مخطوطات عربية قضى حيـاته في جمعها والحرص عليها . وخلف خمسة اولاد يجيد البكر بينهم اللغة العربية ويفهمها الآخرون(١) .

---

(١) المستشرقون : صفحة ١٩٢ و ١٩٣

٢ ـ خزانتا ربيرا وآسين بلاسيوس في مجريط (مدريد)

نهض الاسبان في القرنين التاسع عشر والعشرين يبحثون عن ماضي الاندلس او اسبانيا العربية فصرفوا في ذلك جهوداً كثيرة واموالا عظيمة . وانقطع لهذا العمل طائفة من علماء الاستشراق يدرسون وينقبون ويجمعون شتات ما عثروا عليه من آثار بلادهم وتواريخها في ايام العرب . يؤيد ذلك ما رواه المستشرق الاسباني آسين بلاسيوس مدرّس اللغة العربية في جامعة مجريط وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق عن خزانة كتبه الغالية الثمن قال(١) :

« جمع اكثر هذه الخزانة استاذي ربيرا وفيها كتب كثيرة مطبوعة . واهمها الجذاذات « الفيش » التي رتبها طول حياته وفيها اسماء ثلاثين الف عالم من علماء الاندلس . وقد استنسخها البرنس ليوني كايتاني الايطالي صاحب تاريخ الاسلام الكبير ليطبعها في جملة ما يطبع من آثار العرب . ولما كنت في بلدي وجئت مجريط لاعمل مع استاذي ربيرا حاملاً ما تيسر لطالب ان يجمعه من الكتب ضممت مجموعتي الى مجموعة هذا العلامة . وعندما حانت وفاته وكان عازباً اوصى لي بكتبه على ان اشتغل بها مدة حياتي وافتح ابوابها لطلاب الاستشراق . واوصاني ايضاً ان اتركها كما تركها هو لمن ارى فيه الكفاءة للعمل بعدي او اجعلها في احدى دور الكتب العامة » .

ومن الآثار العلمية التي طبعها آسين بلاسيوس كتابان : احدهما « دانتي والاسلام » وثانيهما « المدخل الى صناعة المنطق » . اما استاذه ربيرا فقد شارك المستشرق الاسباني كوديبر في نشر « المكتبة الاندلسية » وهي « الصلة » لابن بشكوال . وكتاب « بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس » . وكتاب « المعجم » لابن الآبار . وكتاب « التكملة » لكتاب « الصلة » . وكتاب « تاريخ

---

(١) غرائب العرب : جزء ٢ صفحة ١٤٠ ـ ١٤١

علماء الاندلس » لابن الفرضي . وكتاب « فهرس ما رواه عن شيوخه ابو بكر بن خليفة » الاشبيلي(١) .

سابعاً : مكتبات المستشرقين في اسوج

١ ـ خزانة الكنت لندبرغ في اسوج

كان الكنت لندبرغ الاسوجي من كبار المستشرقين الافرنج الذين درسوا اللغة العربية واحكموا اصولها وتعمقوا في آدابها . عاش في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين فطاف انحاء الشرق واطّلع على احوال سكانه وعاداتهم وتواريخهم . ولما عيّن قنصلاً في مصر لدولته اسوج اكب على جمع الكتب العربية لانه كان من المولعين بها . فانشأ في منزله خزانة حوت نفائس المخطوطات الشرقية ونوادرها . نذكر منها طائفة معتبرة اقتناها من مخلفات محمد اكمل المتوفى في القاهرة بتاريخ ٢٢ ذي القعدة ١٣٢١ للهجرة (١٩٠٤) . وقد ورثها محمد اكمل من ابيه عبد الغني فكري(٢) . وسنتكلم عن محاسن مكتبة عبد الغني في الفصل الثالث عشر من الباب العاشر .

نشر الكنت لندبرغ امثال اهل برّ الشام وديوان زُهير بن ابي سلمى للأعلم الشنتري . وترجم كتاب « الفتح القسي في الفتح القدسي » للاصبهاني وغير ذلك(٣) .

---

(١) المستشرقون : صفحة ١٩٤

(٢) تراجم اعيان القرن الثالث عشر واوائل الرابع عشر : لاحمد تيمور باشا : صفحة ١٠٣-١١٦

(٣) المستشرقون : صفحة ١٩٢

الفصل العاشر

عدد المخطوطات العربية في مكتبات اوروبا

١ ـ حصر البحث بالمخطوطات دون المطبوعات

لما كان يهم كل ناطق بالضاد معرفة ما انتقل الى خزائن اوروبا من التراث العلمي الذي خلّفه الاجداد رأينا ان نحصي عدد المطبوعات والمخطوطات العربية المحفوظة في مكاتب الغرب عامة وخاصة . ولزيادة التدقيق والضبط وجّهنا الرسائل الى جميع امناء تلك المكاتب والى اشهر علماء الاستشراق والى ذوي الخبرة بما نحن في صدده نسألهم تحقيق امنيتنا . فلبى اغلبهم طلبنا وتخلّف البعض عن الجواب لدواع نجهلها . وكتب لنا فريق آخر عن المخطوطات لكنه غمّض عن المطبوعات لكثرة عددها وصعوبة احصائها .

ازاء تلك المصاعب عمدنا الى الاكتفاء ببحث الموضوع بحثا عاما دون التعرض لبحث المحتويات العربية في كل مكتبة على حدة كي لا نلام اذا ما فاتنا ذكر واحدة منها . فحصرنا الكلام في المخطوطات وحدها لشديد اهتمام العلماء بها ولتفوق خطورتها على المطبوعات من وجوه شتى . ولم نغفل كذلك عن مراجعة فهارس مكتبات اوروبا وان كان بعضها قديم العهد لا يتضمن اسماء ما دخل حديثاً من المخطوطات في كل مكتبة من تلك المكتبات . وقد تذرّعنا بهذه الوسيلة لانها مهّدت امامنا كثيراً من العقبات وساعدتنا على بلوغ ضالتنا المنشودة .

٢ ـ احصاء المخطوطات العربية في مكتبات اوروبا

بعد التحرّي المستمر تبيّن لنا ان الالمان سبقوا غيرهم من شعوب اوروبا بكثرة

ما احرزوه من المخطوطات العربية . فان عددها يربي على اثني عشر الف مخطوط مصونة في خزائنهم العامة والخاصة . وللانكليز القدح المعلى بعد الالمان في احراز العدد الوافر من المخطوطات العربية فان لديهم ثمانية آلاف وتسعمائة مخطوط . ويليهم الفرنسيس وعدد مخطوطاتهم ثمانية آلاف وستمائة . ويأتي بعدهم الواتكان والايطاليان وعدد مخطوطاتهم اربعة عشر الفاً . ثم الاسبان وعدد مخطوطاتهم يبلغ ثلاثة آلاف ومائتين . ولاتقل مخطوطات النمسيين عن الالفي مخطوط . فيكون مجموع ما استطعنا احصاءه بالضبط من مخطوطات مكاتب الغرب ثمانية واربعين الفاً وسبعمائة مخطوط عربي .

وهناك مكاتب شتى في روسيا وهولندا واسوج ونروج والدانيمرك ورومانيا والمجر وتشكوسلوفاكيا وبلجيكا وسويسرا والبرتغال تشتمل على طائفة جديرة بالاعتبار من المخطوطات العربية التي لم نتوفق الى الوقوف على حقيقة احصائها . ويتبادر الى ظننا ان مخطوطاتها مع المخطوطات التي احصيناها آنفاً يناهز مجموعها الستين الفاً . والله اعلم

الفصل الحادى عشر

فهارس المؤلفات العربية فى مكتبات اوروبا

١ ـ الفهارس العربية في مكتبات اوروبا عامة

يطول بنا الشرح جداً لو شئنا التوسّع في سرد كل ما عرفناه من اخبار الخزائن العربية في العواصم الاوروبية . ومن رام زيادة ايضاح أحلناه الى مطالعة الفهارس التي نشرها عن تلك الخزائن المكنوزة علماء اوروبا والمستشرقون . فان مجلدات فهارسها الضخمة وحدها تفوق حدّ الكثرة . وفيها يعثر القارىء على عناوين الكتب ومؤلفيها ووصف مضامينها وتاريخ نسخها واسماء نسّاخها واماكن كتابتها ومصادرها . الى غير ذلك مما يهم القراء ان يطلعوا عليه فيها . ولسنا نبالغ في القول والتصريح بان فهارس الكتب العربية في انحاء اوروبا اذا جُمعت تألفت من مجموعها خزانة عظيمة من اهم خزائن الكتب واغناها .

ونستطيع ان نضيف الى تلك الفهارس فهارس اخرى انشأها المستشرقون لخزائن كتب عربية غير الخزائن المعروفة في اوروبا . وقد تجند هؤلاء لتلك المهمة الشاقة فادّوا اعظم خدمة للعرب والعربية . نضرب مثالا على ذلك : مكتبات الاستانة ، وبعض مكتبات سوريا ولبنان وما بين النهرين والعراق وايران ، وبعض مكتبات القطر المصري ، واغلب مكتبات شمال افريقيا كتونس والجزائر والمغرب الاقصى . وقس عليها مكتبات بلاد البربر وصحارى افريقيا وهلم جرّا .

ويلاحظ المطالع في تلك الفهارس الدقيقة عناوين كتب ثمينة وافرة العدد مختلفة المواضيع . وقد شرحها ناشروها المستعربون شرحاً وافياً مستكملاً يغني الباحثين عن تجشم الاسفار ويكفيهم مؤونة الوقوف على ما يتحرونه منها .

٢ ـ وصف المستشرق وليم بن الورد مخطوطات برلين العربية في عشرة مجلدات

برهاناً على ما صرفه المستشرقون من الجهود الوافرة في وضع فهارس لِما احتوته مكتبات اوروبا من المخطوطات العربيـة نكتفي بذكر المستعرب وليم بن الورد (١٨٢٨ – ١٩٠٩) البروسيوي W. Ahlvoardt الطائر الشهرة . فانه قضى حياته الطويلة في درس المشرقيات ولاسيما آداب اللغة العربية . ثم قام برحلات عديـدة ونسخ من المكتبات التي تعهدها مخطوطات نادرة طبعها وعلّق عليها وترجمها الى لغة بلاده . واليه وحده يعود الفضل في وصف اكثر المخطوطات العربية التي كانت تملكها دار الكتب البرلينية في زمانه . وقد تناول عمله هذا المضني عشرة مجلدات ضخمة ضمّنها وصف عشرة آلاف وثلاثمائة وسبعين كتاباً عربياً مع فهارس ممتعة(١)

٣ ـ تخصيص المستشرق دي غويه جوائز سنويه بناشري مخطوطات عربية

في ذات السنة التي توفي فيها وليم بن الورد البروسيوي الموما اليه توفي كذلك المستشرق دي غويه (M. J. de Goeie) الهولندي الذي شرّف مدينة ليدن بآثار علمه . وهيهات ان يبلغ شأوه احد من الشرقيين . فانه ما عدا المؤلفات العربية التي نشرها بضبط واتقان اشتغل ايضاً مع فريق من اساتذة ليدن في وصف مخطوطات مكتبتها الشرقية وتنظيم فهارسها الوافرة . ولفرط كلفه باللغة العربية خصّص مبلغاً من المال يُنفق ريعه السنوي على بعض ناشري المؤلفات الشرقية تنشيطاً لهم ومكافاةً لجهودهم . وشرط ان تحكم في ذلك لجنة مخصوصة . وكان دي غويه من اكبر المساعدين لمن يسأله خدمة في سبيل الشرق عامة والعرب خاصة(٢) .

---

(١) المستشرقون : تاليف نجيب عقيقي : صفحة ١٣٧ والآداب العربية في الربع الاول من القرن العشرين : تأليف لويس شيخو : صفحة ٨١ ـ ٨٢

(٢) الآداب العربية في الربع الاول من القرن العشرين : تاليف لويس شيخو : صفحة ٨٤

الباب الثامن

المكتبات العربية في اميركا

الفصل الاول

الثقافة العربية في اميركا

١ ـ انتشار المطابع والجرائد العربية في العالم الجديد

عُرفت اللغة العربية في العالم الجديد منذ بدأت هجرة اللبنانيين اليه في منتصف القرن التاسع عشر. ثم اخذت تلك الهجرة تمتد الى اقطار سوريا وسائر البلدان التي يتكلم سكانها بالضاد حتى اربى عدد الناطقين بهذه اللغة على مليون نسمة في انحاء اميركا الشمالية والوسطى والجنوبية. وعلى يد اولئك المهاجرين تأسّست المطابع العربية فنشروا كثيراً من المؤلفات النفيسة وانشأوا من المجلات والجرائد ما يُحصى بالمئات(١). ولم يكتفِ اولئك المهاجرون بالمحافظة على لغة اجدادهم واعلاء شأنها في كل بلد احتلوه بل حبّبوا درسها ايضاً الى المستشرقين من علماء اميركا الذين اخذوا يبارون علماء الاستشراق في ديار اوروبا بآثارهم القلمية.

٢ ـ علم المشرقيات في جامعات اميركا

بفضل التعاون الفكري نشطت حركة علم الاستشراق في اهم مدن اميركا

---

(١) طالع تاريخ الصحافة العربية: مجلد ٤ صفحة ٤٩٤

وجامعاتها الشهيرة . واكب الاميركيون ولاسيما اهل الشمال منهم على درس اللغات الشرقية قديمها وحديثها وفي طليعتها اللغة العربية . ثم اتضح لهم ان الحاجة تدعو الى انشاء فروع عربية في مكاتبهم العامة والخاصة يكتنزون بين جدرانها ما لا غنى عنه للباحثين من مؤلفات العرب في كل علم وفن . فبادروا الى تحقيق تلك الامنية وأنفقوا في سبيل ذلك اموالا طائلة . وقد اثبت لنا شاهد ثقة ان بعض المكتبات العربية في الولايات المتحدة الاميركية بلغت من الرقي والنجاح في اعوام قليلة ما لم تبلغه نظيراتها في اوروبا مدة قرون عديدة . وناهيك ان الثروة العلمية العربية في دار الكتب بمدينة نيويرك اصبحت منزلتها كمنزلة اعظم المكتبات العربية في الشرق الادنى . يدلّ ذلك على شدة اهتمام علماء اميركا وحكوماتها وجامعاتها باللغة العربية . فان جامعة برنستون الشهيرة انتخبت عام ١٩٣٨ من طلاب ٢٥ جامعة ثلاثة وثلاثين طالباً تفوقوا في دروسهم ومهدت لهم كل وسيلة لحضور الدروس العالية في اللغة العربيـــة والعلوم الاسلامية . وكلفت الجامعة المذكورة الدكتور فيليب حتي اللبناني ان يلقي تلك الدروس على اولئك الطلاب بشكل محاضرات . وهؤلاء الطلاب يمثلون سبع دول مختلفة وهي : الولايات المتحدة الاميركية وكندا وانكلترا وروسيا وتركيا وسوريا وايران(١) .

٣ ـ خزانة مخطوطات المستعرب سبرنغلنغ وبينها خمس وثلاثون نسخة من كليلة ودمنة

من اجلى الأدلة على اهتمام الاميركيين باللغة العربية ان المستشرق مرتين سبرنغلنغ استاذ هذه اللغة في جامعة شيكاغو يُعد من اشهر القائمين بهذه النهضة في اميركا الشمالية . وقد سمعنا من فمه عندما زار بيروت سنة ١٩٢٦ انه اخذ على عاتقه نشر كتاب « كليلة ودمنة » بشروح وافية لم يسبقه اليها شارح حتى اليوم

---

(١) جريدة لسان الحال في بيروت : عدد ١٣٠٠٧ بتاريخ ١٧ حزيران ١٩٣٨

شرقاً وغرباً . ولتحقيق امنيته جمع من الكتاب المذكور خمسة وثلاثين مخطوطاً قديماً لأجل معارضتها والتدقيق في نصوصها قبل الطبع خدمة للغتنا العزيزة .

واستنسخ مرتين سيرنلغنغ مخطوطات عربية جليلة الفائدة اطلع عليها في المكتبة الشرقية ببيروت ومكتبة دير الشرفة بلبنان ونقلها الى شيكاغو . ونشر كتاب « كنز الأسرار » للمفريان غريغوريوس ابن العبري (١٢٢٦-١٢٨٦) . ويحوي هذا المخطوط الضخم شرح الكتاب المقدس برمته شرحاً لغوياً . وقد ضبط فيه مؤلفه كتابة الكلمات وكيفية لفظها مثلما ضبط المسلمون قراءة القرآن .

الفصل الثاني

مكتبات اميركا الشمالية

١ ـ صعوبة احصاء المكتبات العربية في اميركا الشمالية

لما عقدنا النية على تدوين هـذا الفصل لاقينا ما لا يلاقيه كل مؤرخ مدقق من العقَبات الكؤود اذا ما اراد ان يكتب موضوعاً مبتكراً لم يطرق بابه مؤرخ قبله . فازاء هذه العقبات لم نرَ مندوحة عن مراجعة من له الاطلاع الكافي والخبرة الواسعة في هذا الصدد . وبعد التبصّر اتضح لنا ان الرجل الفذ الذي يوثق بمعرفته ويُركن الى خبرته في تحقيق امنيتنا ليس الا النابغة اللبناني الدكتور فيليب حتّي استاذ التاريخ والآداب الشرقية في جامعة برنستون الشهيرة وقهرمان خزانة مخطوطاتها العربية . فكتبنا اليه نستوضحه المعلومات عن المكاتب العربيـة في الولايات المتحدة . فتكرّم بتلبية طلبنا وبعث الينا بتقرير ننشره بالشكر والافتخار.

٢ ـ تقرير الدكتور فيليب حتي عن الكتب العربية في مكتبات الولايات المتحدة

« ليس من يعرف بدقة تامة عدد الكتب العربية المستودَعة في خزائن الجامعات وفي دور الكتب العمومية بالولايات المتحدة ولا من يحقق مقدار اهميتها . ولكن المعروف ان امّهات الجامعات التي تدرّس اللغات الساميّة بما فيها العربية كجامعة بابل وهرفرد وبرنستون وبنسلفانيا وجان هبكنس وشيكاغو ومشيكان وكليفورنيا يحوي كل من مكاتبها مقداراً لا يستهان به من المطبوعات العربية . واكثرها ممـا

له علاقة بنحو اللغة وآدابها وشعرها وبالاسلام وعقيدته وبتاريخ الخلافة والعرب . اي ان جلّها من الطراز المدرسي (كلاسيك) الصالح للتنقيب والتدريس والفقير بالمؤلفات المصرية والمطالعات الخفيفة المقصود منها لذة القارىء وتسليته . والقسم الأوفر من هذه المطبوعات انما هو مما انشأه ونشره المستعربون من اوروبيين واميركيين .

« وبين مكتبات الجامعات تعتبر مكتبة بابل بلا ريب اغناها بالكتب العربية المطبوعة . ذلك لان دائرة الدروس الشرقية فيها من اقدم الدوائر ولأن مكتبتها مستودع كتب جمعية المستشرقين الاميركيين . ولهذه الجمعية مجلة خاصة بها قد بلغت العام السادس والخمسين من عمرها . والى ادارة هذه المجلة يُرسل المؤلفون نسخاً من مؤلفاتهم للتقريظ والانتقاد فتتسرب هذه النسخ المهداة الى مكتبة جامعة بابل حيث يطلبها اعضاء الجمعية لدى الحاجة . ويظهر من فهرس مكتبة هذه الجمعية المنشور عام ١٩٣٠ (Catalogue of the Library of the Americain Oriental Society, New Haven) ان هنالك حوالي مائتين وعشرين عنواناً عربياً .

« ويأتي بعد مكتبة بابل مكتبة جامعة كولمبيا . ولقد مضى على تأسيس الدائرة الشرقية فيها خمسون عاماً . ويلي مكتبة جامعة كولمبيا على ما ارجحه مكتبة جامعة برنستون . واساس مكتبة برنستون مجموعة كتب المستشرق برونو Brûnnow الالماني الأصل الذي تولى تدريس المشرقيات فيها منذ نحو عشرين عاماً . وفي العقد الاخير نشطت هذه الجامعة لتدريس العلوم الشرقية التي تدور ابحاثها حول اللغة العربية والاسلام . واضافت الى معدات مطبعتها مطبعة عربية من طراز اللينوتب هي الوحيدة من نوعها في مطابع جامعات هذه البلاد . وقلما ظهر كتاب عربي ذو شأن علمي لم تطلبه مكتبة هذه الجامعة من اوروبا او من القاهرة او من بيروت ودمشق وبغداد .

« هذا ما رأينا اثباته بايجاز عن مكاتب الجامعات ومحتوياتها المطبوعة . اما

دور الكتب العامة ففي طليعتها دار كتب مدينة نيويرك New York Public Library وهذه بلا ريب اغنى دار للكتب العربية في العالم الجديد على الاطلاق . ومن راجع فهرسيها المطبوعين (١) وجد مئات العناوين من المؤلفات في هذه اللغة . ولقد كان الاستاذ غوتهيل (Gottheil) المتوفى حديثاً قيّماً على الدائرة الشرقية من هذه المكتبة كما انه استاذ المشرقيات في جامعة كولمبيا . وكنت في بعض الصيوف اتولى ادارتها في غيابه فاعجب بثروتها العربية ولا اظن ان في الشرق مكتبة تضاهيها سوى دار الكتب المصرية في القاهرة ومكتبة الآبا اليسوعيين في بيروت . ومن مميزات هذه الدار انها تضمن فهارسها عناوين المقالات العلمية المنشورة في المجلات . فمن شاء مثلاً درس اليزيدية وطلب فهرسها على الكارتات لا يجد اسماء الكتب فقط في هذا الموضوع بل المقالات التي نشرت عنه في مجلات المستشرقين وفي المجلات العربية الكبرى كالمشرق والهلال والمقتطف .

« وما عدا دار كتب نيويرك ودار الاشتراع في وشنطون العاصمة Library of Congress فليس في دور الكتب العمومية في مدن الولايات المتحدة من المؤلفات العربية ما يستحق الاعتبار . وكثيراً ما يراسلني قيّمو دور الكتب في بعض المدن التي يكثر فيها اللبنانيون والسوريون المهاجرون بشأن الاشتراك في بعض المجلات العربية او ابتياع بعض الكتب « الخفيفة المطالعة » من امثال قصة عنتر والف ليلة وليلة . وبين الذين وجّهوا اليّ اسئلة من هذا النوع في السنين الاخيرة قيّمو دار كتب (اوهايو) ودار كتب ديترويت (مشيغان) .

« وما ذكرناه عن عدم معرفة عدد المطبوعات بدقة وافية وتحقيق مقدار خطورتها يصح في المخطوطات العربية في هذه البلاد . وكان مجلس جمعيات العلماء

---

(1) List of works in the New York Public Library Relating to Muhammadan Law, New York, 1907; List of works Relating to Arabia and the Arabs, New York 1911.

الاميركيين(١) قد عهد الينا منذ عامين امر تنظيم لجنة وتهيئة المجلدات لدرس المخطوطات العربية في الكليات والجامعات ودور الكتب العمومية وفي خزائن الافراد وعند تجّار العاديات . ولكننا حتى الآن لم يتيسر لنا مباشرة العمل .

« على ان المحقق ان خزانة المخطوطات العربية في جامعة برنستون هي الاولى من نوعها في العالم الجديد . فان عدد عناوين مخطوطاتها يناهز الخمسة آلاف . وفي جملتها مجموعة مراد بك بارودي التي ابتعناها منذ عشر سنوات . وقد وضعنا نحن لتلك المخطوطات باجمعها فهرساً مفصلاً هو الآن قيد الطبع في المطبعة الاميركية ببيروت(٢) . وهنالك في جامعة بابل وفي مدرسة هرتفرد اللاهوتية Hartford Seminary وفى جامعتَي شيكاغو ومشيغن عدد يسير من المخطوطات العربية . وقد وضع وليم رندل William M. Randall فهرساً مفصّلاً لنحو مائتي مخطوط محفوظة في كلّية هرتفرد . وهذا الفهرس هو بمثابة اطروحة لأحراز لقب « دكتور » لكنه الى الآن لم ينشره بالطبع » .

٣ ـ مخطوطات عربية ثمينة في جامعة برنستون(٣)

اضيف الى خزائن جامعة برنستون في ولاية نيوجرسي في شرقي الولايات المتحدة مكتبة ثمينة تحتوي على مخطوطات عربية نادرة الوجود . وقد تبرع بهذه المكتبة المستر روبرت غاريت المالي الشهير ، ومن هواة المجموعات الفنية ومن خريجي جامعة برنستون القدماء . وهذه المجموعة النادرة تحتوي على تحف رائعة تمثل الفنون والآداب والدين والعلوم والتاريخ في الحضارات الاسلامية . وقد باتت الآن في متناول الشعب الاميركي الذي اصبح يستطيع ان يتعرف بواسطتها

---

(١) Americain Council of Learned Societies

(٢) Descriptive Catalog of the Garrett Collection of Arabic Manuscripts Deposited in Princeton University Library

(٣) مجلة « الضاد » الحلبية : مجلد ١٣ صفحة ٢١١ ـ ٢١٢

الى النواحي الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية من حياة الشرق الاوسط العامة .

وما عدا اوراق البردي المصرية، التي يعود تاريخها الى ما قبل الميلاد، فان هذه المخطوطات والكتب تتضمن تاريخ حقبة غير يسيرة من الزمن، تمتد من عهد شارلمان في القرن الثامن الميلادي حتى القرن التاسع عشر . وقد دل اكتشاف بعض المخطوطات العربية في السنوات الاخيرة، وترجمتها على وجود حضارة خصبة في الشرق ، كانت مزدهرة منذ الف سنة قبل الميلاد تقريباً . وقد دعا هذا الى دراسة آثار الاشوريين والعهد القديم وسائر الآثار والمخطوطات الكلاسيكية .

وبين هذه المخطوطات العربية والاسلامية المتنوعة ، التي تشمل جميع نواحي الحياة والفكر الشرقي ، من علم الكيمياء الى انساب الخيل ، تعتبر المباحث الطبية والعلمية في الدرجة الاولى من الاهمية . فقد توسع العرب في دراسة هذه العلوم في الوقت الذي كانت اوروبا تجهلها فيه ، واحرزوا نجاحاً وتقدماً في الطب والعلوم الاخرى استفاد الاوربيون منه كثيراً فيما بعد .

وتقسم هذه المكتبة المهداة الى جامعة برنستون الى قسمين رئيسيين : اما اهمها بلا شك فهو المجموعة القيّمة التي تحتوي على ٦٠٠٠ مخطوطة عربية، كانت قبلًا في حوزة مستشرق انكليزي، واشتهرت بانها اكبر مجموعة تحتويها مكتبة خاصة . والى جانب هذه التحف العربية يوجد خمسة آلاف كتاب من آثار اوروبا الغربية واليونان وتركيا وايران والهند والحبشة والشرق الاقصى .

ومن ابرز ما احتوت هدية المستر غاريت النفيسة هذه، ترجمة كتاب جالينوس في علم الطب والترشيح، التي وضعها جوانيتوس النسطوري من ابناء سورية المتوفى سنة ٨٧٣ ميلادية، وهي مكتوبة في سنة ١١٧٦ وتعتبر بذلك اقدم من سائر النسخ اليونانية او اللاتينية المعروفة حتى الآن .

ولعله من دواعي السرور لدى الباحثين ورجال العلم ان نقلت مجموعة هذه المخطوطات العربية الى الولايات المتحدة فاصبحت بعيدة عن تدميرات الحرب ، واضافة الى هذا فهناك دوافع عظيمة لدراسة الحضارة القديمة في هذا الجزء من العالم الذي لا يزال يتشوق الى زيادة في المعارف .

الفصل الثالث

مكتبات اميركا الجنوبية

١ ـ منافسة اللبنانيين والسوريين في تعزيز لغة الضاد باميركا الجنوبية

تناولنا البحث في الفصل السابق عن ارتقاء الثقافة العربية في اميركا الشمالية بعناية ابناء الضاد وعلماء الاستشراق . وروينا بوجيز الكلام ما وصل الينا من اخبار المكاتب العامة ومكاتب الجامعات العلمية في الامصار المذكورة . فوفينا الموضوع حقه ملمعين الى ما تحويه تلك الخزانة العربية الحديثة النشأة من المخطوطات والمطبوعات الوافرة .

واذا انتقلنا بالبحث الى شتى البلدان في اميركا الجنوبية رأينا ان النهضة العربية فيها لا تقل عن مثلها في اميركا الشمالية . ويتجلى هذا الامر خصوصاً في انحاء جمهورية البرازيل والجمهورية الفضية اللتين يقطنهما العدد العظيم من ابناء الجاليتين اللبنانية والسورية . ولنا ادلة راهنة وحجج دامغة على اعتناء اولئك المهاجرين بتعزيز لغة وطنهم السابق في وطنهم الحاضر . وغير خاف ان عددهم في اميركا الجنوبية يبلغ مئات الالوف بل يفوق كثيراً عدد جميع الناطقين بالضاد في اميركا الشالية . وبالتالي فان حملة الاقلام في الاولى يكاد يكون مضاعفاً لعدد زملائهم في الثانية .

يؤيد كلامنا ما انشأه اللبنانيون والسوريون او ترجموه او نشروه من التآليف الكثيرة في اللغة العربية وحدها او في اللغات العربية الاسبانية والعربية البرتوغالية . ذلك فضلاً عما احصيناه من الجرائد والمجلات العربية التي صدرت في القارتين المذكورتين حتى السنة ١٩٢٩ فاثبتناه بكل دقة في كتابنا « تاريخ الصحافة العربية » (١) .

---

(١) جزء ٤ صفحة ٤٩٢

وعلى رغم هذا التفوق فان حكومات اميركا الجنوبية أدركت مناعة رعاياها والنازلين في بلادها من الناطقين باللسان العربي . فاوجدت لهم في مكاتبها الكبرى فرعاً عربياً يرجعون اليه في مباحثهم العلمية ومطالعة جرائدهم ومجلاتهم . انما لا تتناسب تلك المكاتب مع المكاتب العربية الفنية التي انشأتها حكومة الولايات المتحدة وجامعاتها الشهيرة في اميركا الشمالية . لان هذه بلغت شوطاً بعيداً في مضمار التقدم والازدهار كما سلف الكلام في الفصل السابق . اما تلك فانها لم توجه اهتمامها الى هذا الامر الاّ منذ عهد قريب .

٢ ـ الامبراطور دون بدرو الثاني يؤسس اول مكتبة عربية في البرازيل

من المكتبات الرسمية في اميركا الجنوبية نذكر المكتبة الوطنية في ريو دي جانيرو . ويعود الفضل في تأسيسها وتعزيزها الى العلامة دون بدرو الثاني امبراطور البرازيل (١٨٣١ – ١٨٨٩) وكان من اعاظم علماء عصره . ومن اخباره انه حج الاراضي المقدسة في اورشليم عام ١٨٧٧ مع الامبراطورة زوجته . ولما مرّ ببيروت زار مطبعتَي اليسوعيين والاميركيين واحرز من مكتبتيهم طائفة كبيرة من الكتب العربية نقلها معه الى عاصمته . ثم انطلق الى الاستانة فاهدى اليه طائفة من الكتب العربية الشيخ احمد فارس الشدياق صاحب « الجوائب » . فاصبحت تلك الكتب نواة للفرع العربي في المكتبة الوطنية بعاصمة البرازيل .

وكان الامبراطور دون بدرو مغرماً باللغة العربية وآدابها . وقد درسها على الاستاذ فريدريك خريستيان سيبولد المستعرب الالماني (١٨٥٩ – ١٩٢١) الشهير الذي انتدبه الامبراطور دون بدرو ليرافقه حين مغادرته الامصار الشرقية وعودته الى البرازيل(١) .

---

(١) الآداب العربية في الربع الاول من القرن العشرين : صفحة ١٢٨ ـ ١٢٩

ولا تقلّ شأناً عن المكتبة المشار اليها المكتبة الوطنية ومكتبة المجلس البلدي في سان باولو . وكلتاهما تحتويان من الاسفار العربية كمية وافرة لا يستهان بها(١).

٣ ـ المكتبات العربية الفردية في البرازيل والجمهورية الفضية

في جمهوريات اميركا الجنوبية مكتبات فردية جمّة انشأها فريق من العلماء والصحافيين والمولعين بالادب من ابناء لبنان وسوريا في ريو دي جانيرو وفي بونس ايرس عاصمتي الجمهوريتين البرازيلية والفضية . ولا تخلو سائر المدن الكبرى فيهما كسان بالو ومناوس وتوكومان وكوردبا وغيرها من مكتبات خاصة تنطوي على طائفة غير يسيرة من المؤلفات العربية في العلوم اللغوية والتاريخية والادبية والاجتماعية والفنية وغيرها .

واذا حصرنا الكلام في المكتبات الفردية او الخاصة في مدينة سان باولو وحدها فهذه اشهرها : مكتبة النادي الحمصي . ومكتبة الشبان المسيحية . ومكتبة نعمة يافث . ومكتبة رشيد عطية . ومكتبة شكري الخوري . ومكتبة الدكتور سعيد ابي جمرة . ومكتبة موسى كريّم . ومكتبة حبيب البشعلاني . ومكتبة اسطفان غلبوني وغيرها . يضاف اليها مكتبات بعض علماء الاستشراق من جهابذة البرازيل كمكتبة الدكتور سبنسر فامبري . ومكتبة جوزي كارلس دي اسيدو سوارس وزير خارجية البرازيل وغيرهما .

ومن اكبر غلاة الكتب في ريو دي جانيرو الدكتور جان اشقر والاستاذ حنا طعمة وهبه . ومنهم الشيخ فائز السمعاني اللبناني نزيل عاصمة ولاية باهيا في البرازيل . فان لديه خزانة حافلة بالكتب العربية التي جمعها من كل صوب وأنفق عليها مالاً وافراً .

---

(١) اتحفنا بهذه الفوائد المرحوم جورج مسرة نزيل مدينة سان باولو بتاريخ ٣ تموز ١٩٣٧

الباب التاسع

المكتبات الاسرائيلية

الفصل الاول

آثار اليهود في اللغة العربية

١ ـ ابي بن كعب

أقدم كاتب يهودي ورد ذكر اسمه في صدر الاسلام هو أبيّ بن كعب بن قيس بن عُبيد الخزرجي . وكان أبي من مشاهير احبار اليهود ثم اسلم . واليه وجّه امير المؤمنين عثمان بن عفان الأمر بان يجمع القرآن فاشترك أبي معه في جمعه (١) .

ومن آثار أبيّ بن كعب انه خط بيده مصحفاً ظل محفوظاً في جامع اصفهان ببلاد الفرس حتى السنة ٥١٥ للهجرة . فاحترق مع خمسمائة مصحف مكتوبة بخطوط بديعة ومدبجة بصفائح الذهب والفضة (٢) .

٢ ـ مشاهير علماء اليهود واطبائهم

عرفنا في عصور الارتقاء العربي فئة كبيرة من اطباء اليهود وعلمائهم وفلاسفتهم خدموا الخلفاء ووضعوا التآليف الكثيرة . ونقلوا بعض العلوم الدخيلة عن اللغة

---

(١) الاعلام : لخير الدين الزركلي : صفحة ٢٨ (٢) مرآة الزمان : لسبط الجوزي .

العبرانية وغيرها الى اللغتين العربية واللاتينية . وكان لهؤلاء شغف خاص بالكتب يحرصون عليها ويعتنون بجمعها في خزائنهم . نذكر منهم : ماسرجويه الطبيب البصري الذي كلّفه مروان بن الحكم تفسير كنّاش (مجموع) اهرون القس الى العربي(١) . ومنهم « ما شاء الله » اليهودي كان في زمن الخليفة المنصور وعاش الى ايام المأمون . وكان فاضلاً اوحد زمانه له حظ قوي في سهم الغيب(٢) . وخلّف « ما شاءالله » تآليف فلكية جمة نذكر منها : كتاب « صنعة الاسطرلاب والعمل بها » وكتاب « ذات الحلق » وغيرهما .

ومن علماء اليهود السموأل بن يهوذا المغربي الطبيب اليهودي الذي قرأ فنون الحكمة وقام بالعلوم الرياضية واحكم اصولها وفوائدها ونوادرها . وله في ذلك مصنّفات : منها « المثلث النائم الزاوية » وقد احسن في تمثيله وتشكيله وعدة صوره ومبلغ مساحة كل صورة منها . وصنف ايضاً في مساحة اجسام الجواهر المختلطة لاستخراج مقدار مجهولها . ثم توفي في مراغه قريباً من سنة ٥٧٠ للهجرة . وسلك اولاده وغيرهم طريقته في الطب(٣) .

ومن علماء اليهود اشير بن لاوي كان في صدر القرن الحادي عشر للميلاد . وقد تنصر في مصر على يد ابي الفتح منصور بن سهلان طبيب الخليفة الفاطمي الحاكم بامرالله (٩٩٦-١٠٢١م) واشتهر بعد تنصره باسم عبدالمسيح الاسرائيلي(٤).

ومن اطباء اليهود ابو البركات بن ملكا كان اوحد زمانه عاش في وسط المائة السادسة للهجرة وكان موفق المعالجة . وقف على كتب المتقدمين والمتأخرين في هذا الشأن فاعتبرها واختبرها . فلما انتهى امرها اليه صنف فيها كتاباً سماه « المعتبر » اتى فيه بالمنطق والطبيعي والالهي . وهو احسن كتاب صنّف في هذا الموضوع الى ذلك العصر .

---

(١) تاريخ مختصر الدول : صفحة ١٩٢ (٢) تاريخ مختصر الدول : صفحة ٢٣٧
(٣) اعلام العلماء باخبار الحكماء : صفحة ١٤٢ ـ وتاريخ مختصر الدول : صفحة ٣٧٧
(٤) المخطوطات العربية لكتبة النصرانية : صفحة ١٤٥ و ٢٤٠

ومن الادوية المركبة القديمة المنسوبة الى أوحد الزمان ابي البركات شراب « برء الساعة » ويسمى في السريانية « برشعثا » ومعناه الحرفي في تلك اللغة « فوراً » اي انه يشفي اصناف الامراض حالا في اوقات محدودة . فقالوا انه يشفي الاسهال في ساعة . ويشفي الصداع في يوم . ويشفي داء المفاصل في اسبوع . ويشفي البخار في شهر والاستسقاء في سنة(١) وممن الف استعمال علاج « برشعثا » القس ابو قاسم هبة الله بن الفضل البغدادي النسطوري (+ ١١٦٢ م) المعروف بسلطان الحكماء (٢) . فقد ورد في ديوانه بيتان قالهما في العلاج المذكور وهما :

تجرعتُ برشعثا وحالي اشعثٌ فما نزلت بي بعده علّة شَعثا

ولو بعد عيسى جاز إحياء ميتٍ لأصبح يحيا كلّ ميتٍ ببرشعثا(٣)

ومن نوابغ اليهود الذين نالوا القدح المعلى في الطب ابو المنى ابن ابي النصر العطار الاسرائيلي خلّف كتاباً سماه « منهاج الدكان ودستور الاعيان » في الطب (٤) . وفي خزانتنا نسخة من هذا الكتاب مخطوط بيد المؤلف .

ومن ائمة علماء اليهود ابن سيمويه المنجم . له تصانيف جمة منها كتاب « المدخل الى علم النجوم » وكتاب « الامطار » (٥) . ومنهم يوسف بن ميمون الطبيب الاسرائيلي عاش في القرن الثالث عشر للميلاد . وقد اجتمع بموسى بن ميمون الشهير وتوافقا كلاهما على اصلاح هيئة ابن افلح الاندلسي . وتخرج يوسف المذكور على يد علماء جامع القرويين بفاس لانه كان من اهلها وبها درس كما اثبت ابن القفطي في كتابه « اخبار العلماء باخبار الحكماء » ومنهم الشيخ ابو فخر وهبة بن

---

(١) تاريخ الطب عند العرب : بقلم عيسى المعلوف : صفحة ٦٤
(٢) اعلام العلماء باخبار الحكماء : صفحة ٢٢٢
(٣) عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي أُصيبعة : جزء ١ صفحة ٢٨٣ و ٢٨٩
(٤) مآثر العرب في العلوم الطبية : للدكتور سامي حداد : صفحة ٦١
(٥) اخبار العلماء باخبار الحكماء : صفحة ٢٨٤

ابي البشر بن سليمان بن الحكيم بن جميع الاسرائيلي ألف كتاباً في الطب اطّلعنا نسخته في الخزانة المعلوفية .

٣ ــ علماء اليهود في بلاد فارس

روى مفضل بن سعد بن الحسين المافروخي الاصفهاني مؤلف كتاب « محاسن اصفهان » بين فلاسفة هذه المدينة ومهندسيها ومنجميها واطبائها اسماء جماعة من اليهود . وخص بالذكر منهم : يوسف اليهودي ويعقوب اليهودي والفرج بن سهل اليهودي(١) .

وذكر ابو الفرج الملطي المعروف بابن العبري عالماً آخر من اهل فارس يقال له يوسف بن يحيى بن اسحق السبتي المغربي . هذا كان طبيباً وقرأ الحكمة وعلوم الرياضة فاجادها وكان ذكياً حاد الخاطر . ولما ألزم اليهود في تلك البلاد بالاسلام او الجلاء كتم يوسف دينه وارتحل الى مصر بماله . ثم خرج من مصر الى حلب واقام فيها حتى وافته المنية عام ١٢٢٦ للميلاد (٦٢٣ هـ) (٢) . ولعلّ يوسف بن يحيى بن اسحق السبتي المغربي هو نفس يوسف بن ميمون الطبيب الاسرائيلي المذكور آنفاً . لان رواية ابن العبري في « تاريخ مختصر الدول » تتفق ورواية ابن القفطي في « اخبار العلماء باخبار الحكماء » . والله اعلم !

٤ ـ موسى بن ميمون ويوبيل مولده المئوي الثامن

من اكبر جهابذة الاسرائيليين وافضلهم موسى بن ميمون (١١٣٥-١٢٠٨م) العلامة والفيلسوف والطبيب الاندلسي ولد في قرطبة في عهد المرابطين . أحكم الرياضيات وقرأ الطب وله في ذلك تصنيفات حسنة وأكره على الاسلام فاظهره واسرّ اليهودية . ثم خرج من الاندلس الى مصر ونزل مدينة الفسطاط وهناك

---

(١) مجلة « الرسالة » سنة ٣ صفحة ١٦٤٠ (٢) تاريخ مختصر الدول ٤٢٣ ـ ٤٢٤

جاهر بالدين اليهودي. وقد اتصل بالسلطان صلاح الدين الايوبي فعينه طبيبه الخاص.

وصنف ابن ميمون كتاباً في مذهبه سماه « دلالة الحائرين » وافرغه في قالب عربي محكم. وكان من علماء اليهود الذين نقلوا مذاهب العرب الفلسفية الى الغربيين باللغتين العبرية واللاتينية. نبغ هذا العالم الكبير في القرن الثاني عشر واوائل القرن الثالث عشر للميلاد. وقد اقامت جمعية التاريخ الاسرائيلية بالقاهرة حفلة عظيمة في دار الاوبيرا الملكية تذكاراً لمرور ثمانمائة سنة على مولده (١١٣٥ - ١٩٣٥). واشترك في تلك الحفلة رجال العلم والأدب والوجاهة من جميع الملل والنحل. وحذت حذوها سائر الاندية الاسرائيلية في اقطار المسكونة لاحياء ذكرى هذا النابغة الشهير لما كان له من المكانة والاحترام (١).

ومما يجدر بالذكر ان لابن ميمون بين مفكري اليهود وفلاسفتهم المقام الاول حتى لقد اعتبره بعضهم الرجل الثاني في اليهودية بعد موسى الكليم. ولابن ميمون نظريات فلسفية ودينية عويصة وله شرح نفيس لكتاب « التلمود » ما زال هو الحجة في موضوعه (٢). وقد قررت مدينة « تل ابيب اليهودية ان تنشىء » مكتبة خاصة بموسى بن ميمون تودع فيها ما انتهى الى عالم العلم من مؤلفاته سواء بالعربية او بالعبرية او تراجمها اللاتينية. تضم اليها جميع المؤلفات التي كتبت عنه في جميع اللغات وفي جميع العصور (٣).

٥ - نوابغ اليهود في الاندلس ونقلهم علوم العرب الى اوروبا

مثلما اشتغل اليهود بالتأليف والترجمة تحت لواء الخلفاء العباسيين في بغداد والفاطميين في مصر كذلك كانت لهم مكانتهم العلمية عند عرب الاندلس. حيث استمتعوا بحريتهم. فان العرب حموا الاسرائيليين في الغرب واعتمدوا عليهم في

---

(١) طالع ترجمته في « عيون الانباء » مجلد ٢ صفحة ١١٧ وفي تاريخ مختصر الدول صفحة ٤١٧ ٤١٨ وفي مجلة المقتطف : مجلد ٩٢ صفحة ٢٥٥

(٢) مجلة الرسالة : سنة ٤ صفحة ٢٣٧ (٣) مجلة الرسالة : سنة ٣ صفحة ١٣١٨

مصالح الدولة(١) . وكان لليهود الذين اكرمهم عرب الاندلس اكبر تاثير في نقل علوم العرب الى اوروبا(٢) . وعلى رغم كونهم محقّرين مضطهدين يومئذ في اوروبا فقد اشتهر منهم نوابغ تلقنوا المعارف العربية في مدارس الاندلس وبشروا بها في اقطار الغرب . والى اليهود يعود الفضل في ادخال العلوم الطبية والطبيعية منذ القرن الثاني عشر للميلاد الى كلية مونبليه الذائعة الصيت . وهم الذين نقلوا الى فرنسا وايطاليا اكثر الفنون التي برّز فيها عرب الاندلس ايام عزهم . هكذا كانت كلية مونبليه وكلية سالرنو الطبيتان مضماراً رحباً تبارى فيه مشاهير الاطباء من نصارى ويهود(٣) . ولأطباء اليهود يد طولى في ترجمة كلام ابقراط وجالينس فانتشر هذا الكلام عند الفرنج عن طريق العرب وباللغة العربية(٤) .

ومن جهابذة الاسرائيليين الذين اعلوا منار اللغة العربية في الاندلس نذكر : سعديا الفيومي وابن جيرول وابن عزرا وغيرهم(٥) . واعلاهم كعباً ابرهيم بن سهل الاندلسي الاشبيلي (١٢١٢ – ١٢٥١ م) الذي كان من ابلغ شعراء عصره . اسلم وتولى الكتابة عند ابن خلاص صاحب سبتة ومات غريقاً معه(٦) . ولابن سهل ديوان شعر طبع اولا في مصر ثم تجدد طبعه سنة ١٨٨٥ في بيروت .

ولما تطرقت اسباب الضعف والخلاف الى ملوك الطوائف في الاندلس وانهار ملك العرب فيها بعد باذخ مجده انتزح جمهور عظيم من اليهود عن تلك البلاد . فيمّموا القسطنطينية وسلانيك وازمير وغيرها من مدائن السلطنة العثمانية التي كانت في مهد نشأتها . وقد نقل ادباء اولئك اليهود معهم حضارة الاندلس ونشروها في الربوع الجديدة التي احتلّوها(٧) .

---

(١) القديم والحديث : لمحمد كردعلي : صفحة ٢٧ طالع ايضاً Prince Giovanni Borghese : l'italie Moderne

(٢ مآثر العرب في العلوم الطبية : صفحة ٦٨

(٣) L. Bertrand : Hist. d'Espagne, page 130

(٤) غرائب الغرب : لمحمد كردعلي : جزء ٢ صفحة ١٦ و ١٧ (٥) المقتطف : مجلد ٩٢ صفحة ٢٥٥ (٦) فوات الوفيات مجلد : ١ صفحة ٢٣ (٧) الحضارة الاسلامية بقلم احمد زكي باشا : صفحة ٦

الفصل الثاني

اشهر المكتبات الاسرائيلية في سالف الازمنة

المعنا في فصل سبق الى بعض علماء اليهود ومؤلفيهم الذين خدموا اللغة العربية تحت راية الخلفاء والملوك . وكانوا بلا ارتياب من غلاة الكتب وهواة المكتبات كغيرهم من ادباء الامم الاوالي في القرون الخوالي . فقد دوّن التاريخ اسماء فريق من اليهود انصرفوا الى نسخ المخطوطات كما راح فريق آخر منهم يصونون في خزائنهم تصانيف العرب ويضنون بذخائرها . وهاك اسماء بعض من تفوق منهم بجمع الكتب واجادة الخط في تلك الحقبة البعيدة .

١ ـ مكتبة افرائيم بن الزفان

هو ابو كثير افرائيم بن الحسن بن اسحق بن ابرهيم بن يعقوب الزفان اسرئيلي الدين . كان من مشاهير اطباء مصر وذا همة شماء في احراز كتب الطب وغيرها من العلوم . وكان النساخ لا يزايلون داره وهو ينفق عليهم بدل ما يكتبون . وروى عنه ابن ابي اصيبعة في كتابه « طبقات الاطباء » قوله :

« وحدثني ابي ان رجلًا من العراق كان قد اتى الى الديار المصرية ليشتري كتباً ويتوجه بها . وانه اجتمع مع افرائيم واتفق الحال فيما بينهما ان باعه افرائيم من الكتب التي عنده عشرة آلاف مجلد . وكان ذلك في ايام ولاية الافضل ابن امير الجيوش المتوفى سنة ٥١٥ للهجرة . فلما سمع الافضل بذلك اراد ان تبقي تلك الكتب في الديار المصرية ولا تنقل الى موضع آخر . فبعث الى افرئيم من عنده بجملة المال الذي كان قد اتفق تثمينه بين افرائيم والعراقي . ونقلت الكتب الى خزانة الافضل وكتبت عليها القابه . وخلف افرائيم من الكتب ما يزيد على العشرين الف مجلد(١) .

---

(١) طبقات الاطباء : مجلد ٢ صفحة ١٠٥ و ١٠٦

٢ ـ مكتبة الطبيب عمران الاسرائيلي

ليست شهرة الطبيب عمران الاسرائيلي باقل من شهرة افرائيم بن الزفان في اقتناء الكتب والحرص عليها . وقد ذكر غير واحد من المؤرخين ان هذا الطبيب الممتاز بعلمه وادبه انشأ في داره خزانة كتب لا مثيل لها . وجمع فيهـا من المخطوطات الطبية ما لا يكاد يحرزه سواه . ولا غرو ان تلك الخزانة العمرانيـة حدث لها من النكبات ما حدث لغيرها من الخزائن العربية حتى امحى اثرها وانطمس ذكرها على ممر الايام . وحلّت وفاة عمران الطبيب عام ٦٣٧ للهجرة (١٢٣٩م).

٣ ـ مكتبة الخطاط ابو غالب بن كمونة

ذكر المؤرخون اسم رجل يهودي يقال له ابو غالب بن كمّونة اشتهر في زمرة الكتّاب باجادة الخط . وانشأ خزانة كتب جلها من المخطوطات الثمينة . وقـد روى ابن الساعي في تاريخه ان اباغالب المشار اليـه توفي في مطمورة واسط سنة ٦٠١ للهجرة (١٢٠٤ م) . واثبت النويري ان ابن كمونة كان يزوّر على خط ابن مقلة من قوة خطه(١) .

وعُرف من اسرة ابي غالب بن كمونة « سعد بن كمونة » الذي خلّف كتاباً عنوانه « التنقيح عن الديانات الثلاث اليهودية والنصرانية والاسلامية » . وقد ردّ عليه ابو الحسن بن ابرهيم بن محرومة الماوردي من علماء القرن الرابع عشر للميلاد. وكُتب هذا الرد في ماردين سنة ٧٥٣ للهجرة في ١٦٣ صفحة . ونسخته الخطيـة الاصلية محفوظة بمكتبة (Angelica) انجليكا في رومة(٢) .

---

(١) كتاب « نهاية الارب » : مخطوط مكتبة ليدن

(٢) المخطوطات العربية لكتبة النصرانية : صفحة ١٦

الفصل الثالث

دار كتب الامة اليهودية والجامعة العبرية

لما استيقظ اليهود من سباتهم العميق في اواخر القرن الغابر كانوا تائهين شاردين تحت كل كوكب . فاخذوا يفكرون في توحيد كلمتهم وجمع شمل امتهم لبلوغ تلك الامنية التي نشدوها مدة تسعة عشر قرناً . وكانوا يحلمون دائما بمجدهم القديم واعادة عرش ملكهم المفقود وتوطيده على انقاض هيكل سليمان . فنظموا صفوفهم تحت لواء زعيمهم المثري العظيم البارون دي رتشيلد وبدأوا يؤسسون المستعمرات اليهودية في بعض انحاء فلسطين . لعلّهم يتوفقون بتوالي الازمان في تحقيق تلك الاحلام والاماني .

وما كادت تحط الحرب العظمى اوزارها حتى فوجيء العالم بانشاء الوطن القومي الصهيوني في فلسطين . ومذ ذاك التاريخ تدفق اليهود تدفق السيول وتواردوا من جميع ممالك الارض حاملين القناطير المقنطرة من الذهب لتشييد بنيان هذا الوطن الجديد .

ومن افخم ما اتيح لهم تشييده من الابنية « دار كتب الامة اليهودية والجامعة العبرية » في اورشليم لتثقيف ناشئتهم طبقاً لمبادئهم القومية الصهيونية . ظهرت هذه الدار الكتابية للوجود عام ١٨٩٢ كمعهد علمي خاص أُطلق عليه اسم « بيت سفاريم مدراش اباربانيل » وأُنيطت ادارته باحدى جمعياتهم الخيرية .

وبعد ذلك اضيفت الى المعهد المذكور جميع الآثار اليهودية الفنيّة النفيسة التي جمعها الدكتور يوسف شازانوفتش Joseph Chasanowicz حتى تكون نواة لمكتبة وطنية يهودية . فاصبح ذلك وسيلة لتوسيع نطاق هذا المشروع وتعزيزه

منذ السنة ١٩٢٠ بمساعدة الجمعيات الصهيونية واموالها . وعندما ألحقت هذه المكتبة عام ١٩٢٤ بالجامعة العبرية اشتهرت بعنوان « دار كتب الامة اليهودية والجامعة العبرية » . ويبلغ الآن عدد مجلداتها زهاء خمسمائة الف مجلد باللغات الشرقية والغربية ولا سيما العبرية . بينها من الكتب العربية زهاء ستة عشر الف مطبوع ومائتان وثلاثة وخمسون مخطوطاً .

ومن مميزات المكتبة المشار اليها انها تشتمل على نحو اربعين الف مجلد جميع ابحاثها شرقية . وقد اكد لنا ذلك حضرة الاستاذ احمد سامح الخالدي مدير الكلية العربية في القدس الشريف

وللجامعة العبرية عناية خاصة بالدراسة العربيـة وتعميمها في الاوساط اليهودية . وقد اخذت على عاتقها نشر الكتب القديمة التي وضعها مؤلفو العرب ولم تزل نسخها الخطية محفوظة في خزانن المكتبات . ومن انفس ماقامت بنشره كتاب « انساب الاشراف » لاحمد بن يحيى بن جابر البلاذري صاحب كتاب « فتوح البلدان » المتوفى سنة ٢٧٩ للهجرة . وذلك طبقاً للنسخة الوحيـدة المحفوظـة في احدى مكتبات اسطنبول . ويشتمل هذا الكتاب على تاريخ العرب في جاهليتهم واسلامهم الى القرن العباسي الاول . ولكنه لم يرتب على سني الهجرة كغيره من التواريخ بـل اتبع ترتيبه انساب قبائل العرب (١)

---

(١) المجمع العلمي العربي : مجلد ١٦ سنة ١٩٤١ صفحة ١٣٩

الفصل الرابع

المكتبات العربية الاسرائيلية في الازمنة المتأخرة

١ ـ مكتبة سلمون مونك في باريس (١٨٠٣ ـ ١٨٦٧)

وُلد سلمون مونك بباريس وكان ابوه يهودياً فقير الحال من اصل الماني . بدأ يدرس على استاذ ارتحل فيما بعد الى المانيا فلحق به سيراً على الاقدام ولم يكن لديه مال لاكتراء عربة . وقد عاش مُقلاً فكان لاستاذه خادماً وطاهياً معاً .

احب سلمون اللغة العربية فتلقاها في المانيا من الاستاذ فريتاغ واشباهه وفي باريس من سلوستر دي ساسي . وفي السنة ١٨٣٨ عهدت اليه وظيفة في المكتبة الامبراطورية بباريس فخدمها سنتين . ثم توجه الى مصر مع احد وزراء فرنسا فجمع هناك مخطوطات عديدة بينها « تاريخ الهند » للبيروني . وبذر منها نواة لخزانة كتب شرقية انشأها لنفسه في باريس بعدما تبدلت حاله من عسر الى يسر .

ظلّ سلمون مكباً على العمل الفكري حتى كف بصره نحو السنة ١٨٥٠ لكنه لم يفقد نور الأمل . فاتخذ له امين سر وجعل يملي عليه ما كان ينشئه من المؤلفات والمقالات . ومن مخلفاته العلمية : نشره كتاب « اللغة » لابن جنح . وترجمة « الفلسفة العربية اليهودية » الى اللغة الفرنسية في ستمائة صفحة . وترجمة اخرى فرنسية لكتاب « دلالة الحائرين » تأليف موسى بن ميمون (١١٣٥ ـ ١٢٠٨ م) في ثلاثة اجزاء . وترجم كذلك كتاب « معين الحياة » لابن جيرول . و « تاريخ فلسطين » و « آداب الفينيقيين » وبعض مقامات الحريري .

ولسلمون مونك ابحاث جليلة نشرها في المجلات والمعاجم والموسوعات الافرنجية نذكر منها : تأثير اللغة العربية وآدابها في اللغة العبرية بعد التوراة . وعلاقة فلسفة اليونان بالفلسفة الهندية . ونقد كتاب « ديانة الدروز » تأليف استاذه دي ساسي .

٢ ـ دار القراءة والمتحف الوطني في بمباي

يعود الفضل في انشاء هذين المعهدَين البديعَين الى المثري البغـدادي داود ساسون المتوفى سنة ١٨٦٢ للميلاد . وهما من اشهر ابنية بمباي وافخمها تقعان في ساحتها العمومية . واعترافاً بصنيع هذا المحسن الخالد قد نُصب له في وسط تلـك الساحة تمثال من الرخام الابيض يمثله بالزي البغدادي الوطني اعني الطربوش والجبة والرداء والمداس .

وتتألف دار القراءة من غرف عديدة تحتوي على شيء كثير من الكتب باللغات العربية والانكليزية والهندية . اما المتحف الوطني فيشتمل على طبقتين وهو بديع المنظر والهندسة نُقشت جدرانه باجمل الزخارف . ويشاهد الزائر فيـه جميع انواع الحيوانات الهندية داجنة وغير داجنة ومن كواسر وغير كواسر(١) .

٣ ـ مكتبة المدرسة الاسرائيلية في بيروت

تأسست هذه المدرسة الداخلية عام١٨٧٦ بهمة الحاخام زاكي كوهين لتهذيب اولاد ملته الوطنيين . وانفق في سبيل مشروعه هذا مبالغ طائلة من جيبه الخاص ومما حصله من سخاء المحسنين والجمعيات الخيرية الاسرائيلية في مختلف الاصقاع .

وكان الحاخام زاكي من اكبر نصراء اللغة العربية ومروجيها يدرّسها هو وانجاله وينشئون للطلبة محافل ادبية ويلقنونهم محاضرات عصرية وروايات مسرحية .

ولم يكتفِ الحاخام المشار اليه بذلك كله بل جهز مدرسته بخزانة كتب اشتملت على امهات المؤلفات العربية في الادب والتاريخ واللغة . وافادنا الاستاذ انطون بك شحيبر الذي علّم السنين الطوال في تلك المدرسة ان عدد كتب تلك الخزانة اربى على ثلاثة آلاف مجلد في اللغة العربية وحدها بينها عدد غير يسير من المخطوطات .

---

(١) رحلة الى الهند : بقلم المطران اغناطيوس نوري : صفحة ٥٣

غير انه لم يستغرق عمر هذه المدرسة الاسرائيلية اكثر من عشرين سنة لانها رزحت تحت اثقال الديون . فاضطر مؤسسها الى اقفالها وباع خزانة كتبها وانطلق في اسرته الى القطر المصري .

٤ ـ مكتبة البارون مكس فون اوبنهيم في برلين

ولد البارون مكس اوبنهيم في كولونيا بالمانيا . واتقن مع اللغة الالمانية اللغتين الانكليزية والفرنسية وألمّ بالايطالية . وأولع بالسياحة في بلاد المشرق ونُصب معتمداً سياسياً للدولة الالمانية في القاهرة . فانتهز تلك الفرصة واكبّ على العربية فاتقنها . وتفرغ خصوصاً لدرس الآثار القديمة فانفق امواله واوقاته في البحث عن شؤون الامم الشرقية في العصور الغابرة . واغنى بمكتشفاته وحفرياته وابحاثه الدقيقة تواريخ الشرق ودار الآثار في الاستانة . وارتحل في السنين ١٨٩٣ و١٨٩٩ و١٩١١ و١٩١٣ و ١٩١٤ و ١٩٢٥ و ١٩٣٩ الى بادية سوريا وما بين النهرين وتركيا والعراق وخليج العجم وغيرها . فاماط اللثام عن كثير من الحقائق التاريخية الغامضة ونشر فيها تصانيف مدبجة برسوم نادرة وكتابات اثرية وخرائط وصور شمسية تلفت الانظار(١) . وكان يعاونه في مهمته سنة ١٩١٤ نحو ثلاثين المانياً لهم خبرة كافية بعلم العاديات العتيقة . فلما أعلنت الحرب العظمى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) كفوا جميعاً عن اعمال الحفريات وعادوا يوم الاربعاء في ١٩ آب ١٩١٤ الى بلادهم عن طريق حلب .

ونشر البارون مكس في ليبسيك عام ١٩٠٨ كتاباً في الالمانية سماه « تل حلف » (٢) قد ترجم الى الافرنسية منقحا ومضافاً اليه . روى فيه انه اكتشف

---

(١) مجلة « الآثار » في زحلة : مجلد ٣ صفحة ١٩ فما بعد

(٢) تل حلف : رابية مجاورة لراس العين ببلاد ما بين النهرين واقعة جنوبي غربي ماردين فيها آثار قديمة اسست على انقاضها كنائس واديار مسيحية اخنى عليها الزمان . قصد اليها البارون مكس عام ١٩١٣ واستخرج من اراضيها آثارا ثمينة نقلها الى المانيا .

قصراً حشيا حوى تماثيل مبرقعة وكتابات مسمارية تدل على اسم باني ذلك القصر وهو خابار بن حنيان في القرن العاشر قبل الميلاد . وآخر تأليف وضعه عنوانه « Die Beduinem » ضمنه ابحاثاً عن البدو في خمسة مجلدات .

ويعتبر البارون فون اوبنهيم من اكبر عشاق الكتب بين علماء الاستشراق . فانه اقتنى لنفسه وبماله خزانة حوت ما يناهز خمسين الف مجلد (١) في شتى المواضيع الشرقية ولا سيما ما كان منها متعلقا بابحاثه الخاصة . بينها طائفة عظيمة من الكتب الخطية والمطبوعة في اللغة العربية . وقد وقفها باجمعها مع المتحف التابع لها باسم الحكومة الالمانية مشترطا ان يتابع العلماء من بعده مباحثه الاثرية ودروسه عن البدو

٥ ـ المكتبة الاسرائيلية في القاهرة

مركز هذه المكتبة في دار واقعة تحت كنيس اليهود الربانيين في شارع المغربي بالقاهرة . وقد حدثنا عنها الاستاذ توفيق حبيب المصري سنة ١٩٣٩ حين مروره ببيروت . ثم اوعز الينا ان نتحرى اخبارها باوفر دقة من بعض الادباء الاسرائيليين الذين لهم علاقة بها او من حاخام الربانيين نفسه . فكتبنا الى هذا والى اولئك لكننا لم نتلق جواباً . فاكتفينا بالاشارة الى اسم هذه المكتبة خدمة للتاريخ .

٦ ـ مكتبة مكس مايرهوف في القاهرة

الدكتور مكس مايرهوف الماني النحلة اسرائيلي المذهب يتعاطى طب العيون في عاصمة الديار المصرية مركز اقامته وشغله . وهو مستشرق بارع نزع منذ صباه الى اقتباس لغة الضاد فتعلمها وأتقن اصولها . وتمكن من الوقوف على آداب العرب وتواريخهم قبل الاسلام وبعده .

---

(١) مقدمة كتاب « فريدريك الكبير في حداثته » بقلم توفيق مسرة : صفحة ٩

ولهذا الطبيب علاوة على ذلك شغف باقتناء الكتب العربية ولا سيما المخطوطات القديمة . فجمع منها على ما روى لنا بعض معارفه خزانة ثمينة لها شأنها بين الخزائن الخاصة بمدينة القاهرة في هذا الزمن .

ولمكس مايرهوف الطبيب الرمدي آثار علمية تستحق الثناء والاعتبار . منها كتاب عنوانه « منتخب كتاب جامع المفردات » نشره عام ١٩٣٢ بالاشتراك مع الدكتور جرجي صبحي استاذ الجامعة المصرية . فترجماه الى اللغة الانكليزية وعلقا عليه شروحاً وافية . ولا يخفى ان هذا الكتاب المشهور بكتاب « الادوية المفردة » هو تأليف احمد بن محمد بن خليل الغافقي المتوفى نحو السنة ٥٦٠ للهجرة . وقد لخصه المتطبب الشهير ابو الفرج غريغوريوس المعروف بابن العبري (+ ١٢٨٦ م) وسماه « منتخب الغافقي في الادوية المفردة ».

ومن مآثر مايرهوف نقده بعض مخطوطات طبية عربية عثر عليها في مختلف مكتبات اوروبا ومصر . ثم نشر ترجمتها في مجلة « ايزيس » باللغة الانكليزية تعميما لفوائدها بين علماء الغرب (١) .

٧ ـ مكتبة بلدية زمارين

زمّارين مستعمرة يهودية انشأها آل روتشلد لايواء اليهود اللاجئين الى فلسطين وانفقوا على تكوينها وتعزيزها مبالغ طائلة . وقد احرزت بلدية زمّارين مكتبة حوت زهاء اربعة آلاف مجلد مختلفة اللغات والفنون . ولا يقل قسمها العربي عن اربعمائة مجلد تبحث في الزراعة والصناعة وحفظ الصحة وسائر الشؤون العلمية . والغاية من انشاء هذه المكتبة افادة الصهيونيين ومساعدتهم على القيام باشغالهم الحقلية والبيتية طبقاً للفن الحديث .

---

(١) ابن النفيس ونظريته عن دوران الدم : بقلم مايرهوف (مجلة ايزيس : حزيران ١٩٣٥)

٨ ـ مكتبة هارون ارنسون في زمارين

اسرة ارنسون من اقدم الأسر الاسرائيلية التي ارتحلت الى فلسطين في الربع الثالث من القرن التاسع عشر . فصرفت المساعي منذ ذاك العهد لانشاء دولة صهيونية في الاصقاع المذكورة .

كان هارون ارنسون من ارباب الثقافة والهمّة العالية توفق اثناء رحلاته العلمية الى اكتشاف القمح البري في جهات جبال حرمون واللوز البري في جبل قاسيون بضواحي دمشق . وله نظريات واسعة في العلوم الزراعية تُدرّس في اهم معاهد الزراعة باميركا واوروبا . وخلّف هارون بعد وفاته اعظم مجموعة نباتية من نباتات فلسطين وسوريا ولبنان .

ومن متروكات هارون مكتبة ضخمة آهلة بما يقارب سبعة آلاف مجلد في شتى اللغات اذ كان يجيد التكلم والكتابة في لغات عديدة . اما ما حوته تلك الخزانة من الاسفار العربية فقد تجاوز سبعمائة مجلد بينها اربعون مخطوطاً معظمها في علم النبات . ومن اهم تلك المخطوطات كتاب « الفلاحة » تاليف ابن العوّام منسوخ في عهد المؤلف نفسه .

٩ ـ مكتبة موسى بيشوتو في تل ابيب

اسرة بيشوتو من اقدم الأسر الاوروبية الاسرائيلية واوجهها . انتزحت عن ليفورنو بايطاليا عام ١٧٣٠ واقبلت الى حلب فاستوطنتها . وتولى افرادها قنصليات بعض الدول كالنمسا وتوسكانا والدنيمرك وغيرها من دول اوروبا . غير ان نجم سعدها اخذ يأفل منذ مطلع القرن العشرين فتفرّق ابناؤها تحت كل كوكب شرقاً وغرباً .

وممن انتزح منهم عن الشهباء موسى دي بيشوتو الذي وُلد سنة ١٨٦٨ واستقر منذ عام ١٩٣٣ في تل ابيب بفلسطين . وهو شديد الهيام بجمع الكتب اقتنى منها

طائفة كبيرة باللغة العربية واللغات الافرنجية . وقد وجّه الآن عنايته الى الكتب العربية فاحرز عدداً وافراً من تصانيف قدماء المؤلفين ومشاهير المتأخرين . وضم الى خزانته مجموعات من ارقى المجلات العربية كالمقتطف والمشرق والهلال وغيرها.

وتخلى موسى دي بيشوتو عن مكتبته طبقاً لمنطوق وصيته الاخيرة وخصصها بمشروع عمومي . ذلك ليستفيد من مطالعتها ادباء فلسطين ومفكروها على اختلاف النحل والملل . وقد توفي سنة ١٩٤٣ .

١٠ ـ مكتبة اغناطيوس غولدتسيهر في بودابست

(١٨٥٠ ـ ١٩٢١)

كان اغناطيوس غولدتسيهر مجريّ الوطن موسوي المذهب تفرّغ للتحصيل في مدارس الاستشراق ببرلين وليبزيغ وبودابست . ومنذ السنة ١٨٧٠ تولى منبر التعليم في عاصمة المجر فكدّ ذهنه وأسهر جفنه في البحوث الشرقية . وفي السنة ١٨٧٣ انتدبته حكومته ليقوم برحلة الى الشرق . فتعرّف في دمشق بالشيخ العلامة طاهر الجزائري الذي افاده فوائد جمة . ثم استأنف سفره الى فلسطين ثم الى مصر وامتزج بمشايخ الازهر فتضلع من العربية على يدهم .

وكان الاستاذ غولدتسيهر جمّاعة للكتب ولاسيما المخطوطات القديمة . وانتهز فرصة سياحته في الشرق كي يقتني من نوادرها وذخائرها ما استطاع . ثم حملها معه الى وطنه وانشأ منها ومما جمعه من مؤلفات المستشرقين خزانة ذات قيمة كبيرة . الا ان اسرته باعتها بعد وفاته من دار كتب الامة اليهودية والجامعة العبرية في القدس(١) .

---

(١) المستشرقون : صفحة ١٩٠ ـ ١٩١

الباب العاشر

مشاهير خزنة دور الكتب في عصر الارتقاء العربي وبعده

الفصل الاول

منزلة خزنة دور الكتب ومناقبهم

ما كادت تظهر دور الكتب للوجود في عصور النهضة العربية حتى اصبحت بعد زمن يسير عامرة بالاسفار الوافرة وحافلة بالمشتغلين فيها . لانها كانت تُعتبر بمثابة مدارس يختلف اليها الائمة وطلاب الحكمة وارباب البحث للاستفادة او المذاكرة او النقل او التأليف . فمسّت الحاجة حين ذاك الى وضع نظام لكل دار منها يضمن بقاءها ويساعد على انمائها ويزيد ثروتها العلمية . ومن المعلوم ان هذا النظام لا يتحقق الا بتعيين قوّام وخدام يأخذون على عاتقهم ترتيب شؤون تلك المعاهد الكتابية بامانة واجتهاد واختبار .

وقد ادرك الخلفاء خطورة وظائف القائمين بخدمة دور الكتب على اختلاف درجاتهم وثقافتهم . فذهبوا ان لا يتولاها الا اهل الثقة التامة والكفاءة العلمية . وكانوا ينتقون للمناصب العالية خصوصاً فئة من النابغين في علم الكتب والبارعين في وصفها والخبيرين بتنظيم فهارسها . وعيّنوا لكل مكتبة خازناً يسهر على حفظ نظامها ويدير اعمالها ويرتّب محتوياتها ويتعهّد كنوزها الثمينة .

ولما كان مصير خزائن الكتب ونجاحها يتوقفان على جدارة خازنها وامانته

ومبلغ ثقافته واصالة رأيه في تدبير شؤونها اصبح من البديهي ان لا تُعهد وظيفة « خازن » الا لمن توفرت فيه تلك الصفات السامية . وقد اشتهر بين اولئك الخزَنة عدد صالح من افاضل العلماء ونوابغ المؤلفين وصفوة المجتهدين . فرفعوا شأن المكاتب مخلفين فيها من المآثر الطيبة والآثار المجيدة ما خلّد ذكرهم جيلًا فجيلًا . ذلك ما حدا بنا الى تدوين هذا الباب الذي أحصينا فيه مَن عثرنا على اخباره من مشاهير خَزَنة دور الكتب في عصور الارتقاء العربي . وقد توخينا ذلك لشدة علاقة هؤلاء الخزنة بموضوع بحثنا واستكمالاً لجميع مناحيه .

الفصل الثاني

خزنة دور الكتب في سوريا ولبنان

١ ـ اثناس

عاش اثناس في القرن الثامن للميلاد . وتوشح بالاسكيم الرهباني في دير مار مارون بجوار نهر العاصي بين مدينتي حماة وافاميا (١) . ولما كان على جانب عظيم من الثقافة عينه جرجي رئيس الدير خازناً للمكتبة . يؤيد ذلك ما ورد على هامش مخطوطة في المتحف البريطاني نسخت عام ٥٨١ للميلاد . ودخلت الى مكتبة الدير المذكور عام ٧٤٥ من التاريخ نفسه (٢) . وقد ذكرنا خبر تلك المكتبة في الفصل الثاني من الباب السادس .

٢ ـ ابوبكر الصنوبري

كان ابوبكر الصنوبري اول من تولى خزانة كتب سيف الدولة (٣٠٣-٣٥٦هـ) في حلب . وقد اورد ذكره الاستاذ فؤاد افرام البستاني في بحث (٣) له عن هذا الامير الحمداني استناداً الى « يتيمة الدهر » قال :

« هو ابوبكر احمد بن محمد بن الحسين الحلبي الصنوبري المتوفى سنة ٣٣٤ للهجرة . كان من خزنة كتب سيف الدولة في اول عهد الامير . له شعر كثير جمعه الصولي

---

(١) كتاب التنبيه للمسعودي : صفحة ١٦٣

(٢) فهرس مخطوطات المتحف البريطاني : رقم ٥٧٢

(٣) البشير : مجلد ٦٨ عدد ٥٤٥٥ في ٧ اذار ١٩٣٨ . وراجع ايضا ما نشرته عن الصنوبري « مجلة المجمع العلمي العربي » في دمشق (مجلد ١١ صفحة ٤٨٤ ومجلد ١٢ صفحة ٥٢)

ورتبه على الحروف الابجدية . واشتهر خاصة بنوع من الوصف شابه فيه ابن الرومي من التبسط في ذكر الرياض وزهر الربيع والفواكه . وكان له مذهب خاص في المدح يقرب به من مذهب ابن الرومي . وما بقي ففي الخمريات والغزل اللطيف ...

٣ ـ الخالديان

كان الخالديّان خازنين لخزانة كتب سيف الدولة بن حمدان في حلب . وقد برّزا في الشعر فنظما منه الشيء الكثير . واختارا طُرفاً من الكتب والدواوين التي كانت في الخزانة المذكورة وجمعا منها مجاميع ادبية مهمة . توفي اكبرهما ابو بكر محمد بن هاشم بن وعلة بن عثمان الخالدي سنة ٣٨٠ للهجرة . ولحق به اخوه ابو عثمان سعد بن هاشم الخالدي في حدود السنة الاربعمائة .

٤ ـ ثابت بن اسلم

ذكر الحافظ الذهبي في « تاريخ الاسلام » ما يلي : ثابت بن اسلم بن عبد الوهاب ابو الحسن الحلبي المتوفى سنة ٤٦٠ للهجرة . هو احد علماء الشيعة وكان من كبار النحاة . صنّف كتاباً في تعليل قراءة عاصم وانها قراءة قريش . وكان من اشهر تلامذة ابي الصلاح تصدّر للافادة بعده . وتولى خزانة الكتب التي أسسها بحلب سيف الدولة بن حمدان . فقال مَن بحلب من الاسمعيلية ان هذا يُفسد دعوتنا . وكان صنّف كتاباً في كشف عوار الاسمعيلية وابتداء دعوتهم . فحمل الى مصر فامر بصلبه فصُلب في حدود السنة الستين والاربعمائة . واحرقت خزانة الكتب التي بحلب وكان فيها عشرة آلاف مجلد من وقف سيف الدولة المشار اليه .

٥ ـ محمد الجياني الاندلسي

هو محمد بن علي بن ياسر الجياني الاندلسي (٤٩٣ ـ ٥٦٣ هـ) كان من علماء

القرن السادس للهجرة وزميلاً لابن عساكر (٤٩٩ – ٥٧١ هـ) مؤرخ دمشق المشهور . جعله نور الدين محمود بن زنكي خازناً للمكتبة التي وقفها في حلب على المدرسة المعروفة باسمه وأجرى عليه جراية . وكانت هذه المكتبة من اشهر خزائن الملوك والامراء(١) .

٦ ـ علي اللواتي الابياري

هو عليّ بن سيف بن عليّ سليمان اللواتي الابياري . ولد بمصر سنة خمسين بعد السبعمائة . ثم ارتحل الى دمشق حيث تفوق في حفظ اللغة وجودة الخط . وثابر على مطالعة كتب الادب . فصار يستحضر كثيراً واصبح عارفاً بايام الناس وعُين خازناً لخزانة الكتب بالمدرسة السميساطية . وكان موقع هذه المدرسة في الخانقاه السميساطية في جوار الجامع الاموي بدمشق . ويقال ان مكانها كان داراً لعمر بن عبد العزيز فابتاعها ابو القاسم علي بن محمد السلمي السميساطي سنة ٣٤٠ للهجرة . وفيها توفي ودفن . وكانت في كل عصره مسكناً لكثيرين من الأيمة الاعلام الذين درسوا فيها اصناف الآداب والعلوم . ووقفوا عليها كتبهم وبينها كل نادر ونفيس .

وكانت لعليّ اللواتي خزانة خاصة آهلة بالمخطوطات الشتى فنهبت في فتنة تيمورلنك . وحلت وفاته بدمشق في شهر ذي الحجة سنة ٨١٤

٧ ـ محمد بن عبد السلام التونسي

كان محمد بن عبد السلام تونسي الاصل عاش في القرن العاشر للهجرة فلما جاء دمشق تولى فيها منصب الافتاء على المذهب المالكي . ثم وجهت الى عهدته امانة خزانة الكتب الخاصة بالمالكية في الجامع الاموي (٢) .

---

(١) نفح الطيب : مجلد ١ صفحة ٣٩٦ (٢) خطط الشام : مجلد ٦ صفحة ١٩٤

٨ ـ الشيخ عبد الرحمن المنيني

اشتهر بدمشق الشيخ الزاهد مراد الحسيني البخاري النقشبندي. واليه انتسبت المدرسة المرادية الواقعة بين باب البريد والظاهرية في السوق المعروفة قديماً بالمرادية. وقد انشأ النقشبندي في تلك المدرسة خزانة كتب اقام اميناً عليها احد اخصائه الفضلاء الشيخ عبد الرحمن المنيني المتوفى سنة ١١٣٢ هـ. وظلت الوظيفة المذكورة تتسلسل في اولاد هذا الخازن من بعده(١). واثبت ذلك مؤلف كتاب « سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر ».

٩ ـ عبد الرحمن الصناديقي

كان عبد الرحمن الصناديقي من جـلّة علماء دمشق في عصره. تولى الخطابة في المدرسة التي شيدهـا الحاج اسمعيل باشا العظم سنة ١١٤٣ للهجرة وهو اول من أسندت اليه ولاية دمشق من تلك الآسرة النبيلة. وذكر المؤرخون ان ابنه اسعد باشا العظم وقف على تلك المدرسة خزانة كتب ضُمت اليها فيما بعد مكتبة السيد احمد القلاقنسي ومكتبة ابن عمه السيد عاصم(٢). واقيم عبد الرحمن الصناديقي اميناً على تلك الخزانة حتى سافر الى القسطنطينية وفيهـا أدركه الأجل المحتوم سنة ١١٦٤ للهجرة(٣). ومن مآثره انه نسخ بخطه كتباً كثيرة عـلّق عليها حواشي وتقاريظ مشايخه على طريقة المصريين في كتابة جميع ما يقرأون. وله تآليف جمـة منها شرح على « البردة » للبوصيري.

---

(١) خزائن الكتب في دمشق وضواحيها : صفحة ١٠ ـ ١١

(٢) سلك الدرر : مجلد ١ صفحة ١٦٣

(٣) خزائن الكتب في دمشق وضواحيها : صفحة ١٠

١٠ ـ ابو الفتح العجلوني

هو ابو الفتح بن محمد بن خليل بن عبد الغني الشافعي العجلوني . ولد بدمشق وفيها توفي (١١٢٨ ـ ١١٩٤ هـ) . وكان عالماً فقيهاً رضي الاخلاق حسن المطارحة طلب العلم على والده وعلى جماعة من اعلام الشيوخ . وارتحل في السنة ١١٥٧ هـ الى مصر حيث اشتغل بالتحصيل على قايتباي وعلى عشرة غيره من افاضل جهابذتها . ولما عاد الى دمشق لازم التدريس في الجامع الاموي وفي مجالس خاصة وعامة فانتفع به جمّ غفيرٌ . ثم تولى تدريس البخاري في مدرسة الوزير اسمعيل باشا العظم وكان قبل ذلك بوظيفة حافظ لكتبها (١) .

١١ ـ سلوان ابو نحول

وُلد سلوان ابو نحول بقصبة دير القمر في اواخر القرن الثامن عشر . وانصرف منذ حداثته الى تحصيل الادب واجادة الخط فاحرز منهما نصيباً وافراً . وتعاطى مهنة النسخ لدى الامير حيدر الشهابي (١٧٦١ ـ ١٨٣٥) مؤلف كتاب « الغرر الحسان في اخبار ابناء الزمان(٢) » . ولما وقف الامير بشير الكبير (١٧٨٨ ـ ١٨٤٠) على امر سلوان استدعاه الى الاشتغال ككاتب في ديوانه . ثم نصبه خازناً لمكتبة قصر بتدين . وهناك نسخ كتباً وافرة باشراف المعلم نقولا الترك والمعلم بطرس كرامة(٣) . وقد شاهدنا بعض مخطوطات بخط يده في مكتبة الكنت رشيد الدحداح بباريس نذكر منها : كتاب « اخلاق الملوك » للجاحظ .

---

(١) سلك الدرر : مجلد ١ صفحة ٦٦

(٢) لبنان في عهد الامراء الشهابيين : للامير حيدر الشهابي : مقدمة الناشرين اسد رستم وفؤاد البستاني : صفحة ١٢

(٣) تلقينا هذه الرواية من فم الصيدلي داود ابي نحول نسيب صاحب الترجمة

وكتاب « حياة الحيوان » للدميري . وكتاب « خزانة الادب » للبغدادي . وكتاب « خريدة العجائب » لابن الوردي الخ . وكانت تلك المخطوطات في مكتبة قصر بتدين ثم اقتناها الكنت رشيد على اثر نفي الامير بشير الكبير سنة ١٨٤٠ الى مالطة فالاستانة .

ويروى عن سلوان انه كان شديد الحرص على انماء المكتبة وزيادة محتوياتها ويصرف الساعات الطوال فيها منقطعاً الى تنظيمها وتنسيقها . وكان كلما ورد على مسمعيه اسم كتاب مفيد سعى الى اقتنائه ولو في ابعد الاماكن . ذلك ما جعل مولاه الامير ان يعطف عليه ويشمله برضاه . وحلت وفاة سلوان ابي نحول سنة ١٨٦٨

١٢ - الاب لويس شيخو (١٨٥٩ - ١٩٢٧)

سبق لنا التحدث بالتفصيل عن هذا الخازن النشيط . فاتينا على ذكر مآتيه المشكورة في تعزيز اللغة العربية وانماء المكتبة الشرقية التي تولاها زهاء خمسين سنة في بيروت . فكان مثال الامانة في ادارتها والتفاني في خدمة روّادها .

الفصل الثالث

خزنة دور الكتب في العراق

١ ـ سهل بن هرون الكاتب

هو ابو عمر سهل بن هرون بن راهبون(١) بن رامنوي الدستميساني فارسيّ الاصل انتقل الى البصرة . ثم ارتحل الى بغداد حيث ولاه الخليفة العباسي عبدالله المأمون خزانة كتب « بيت الحكمة » . ولعله اقدم من ذكرهم التاريخ من خزنة دور الكتب العربية . وسمّي الكاتب لانه كان حكيماً فصيحاً وخلّف مؤلفات كثيرة شعرية ونثرية وصفها ابن النديم(٢) . ومن جملتها « رسالة في البخل » بالغ فيها بمدح البخل وارسلها الى الحسن بن سهل وزير المأمون (١٩٨ – ٢١٨ هـ) يستمنحه . فاجابه هذا الوزير بما يأتي : « لقد مدحت ما ذمّ الله وحسّنت ما قبّح . وما يقوم لفساد معناك صلاح لفظك . وقد جعلنا ثوابك قبول قولك فما نعطيك شيئاً » .

٢ ـ سعيد بن هرون الكاتب

هو اخو سهل بن هرون الكاتب المذكور آنفاً . وكان مثل اخيه خازناً لكتب « بيت الحكمة » كما ورد في « فهرست » ابن النديم . ومن مصنفاته كتاب « الحكمة ومنافعها » .

---

(١) معجم الادباء : جزء ١٦ صفحة ٢٦٦

(٢) الفهرست : صفحة ١٢٠ - والدميري : مجلد ١ صفحة ١٢٠

٣ ـ سلم صاحب بيت الحكمة

عاش سلم في اوائل القرن الثالث للهجرة . وقد اطلق عليه ابن النديم في الفهرست لقب « صاحب بيت الحكمة » اي خازنه . وقرن اسمه باسم سهل بن هرون المذكور في مطلع هذا الفصل . وخلف سلم نقولاً من الفارسي الى العربي(١)

٤ ـ محمد بن موسى الخوارزمي المنجم (توفي سنة ٢٣٢ للهجرة)

اصله من خوارزم وكان منقطعاً الى خزانة الحكمة للمأمون وهو من اصحاب علوم الهيئة . وكان الناس قبل الرصد وبعده يعوّلون على زيجيه الاول والثاني ويُعرفان بالسند هند . وله من الكتب ما عدا الزيجين كتاب الرخامة وكتاب العمل بالاسطرلاب وكتاب التاريخ . ومختصر في حساب الجبر والمقابلة . وقد ورد ذكر صاحب الترجمة في الصفحة ٢٧٤ من الفهرست لابن النديم . وله ايضاً كتاب صورة الارض طُبع مع الخرائط والملحوظات باللغة الالمانية عام ١٩١٦ في فيانا(٢)

٥ ـ يحيى الموصلي المنجم

هو يحيى بن ابي منصور الموصلي عُرف في زمانه بالمنجم . وهو احد اصحاب الارصاد عاش في اوائل القرن الثالث للهجرة . وقد اثبت التاريخ ان يحيى كان مع محمد بن موسى الخوارزمي المذكور آنفاً من خزنة « بيت الحكمة » في عصر الخليفة العباسي السابع عبدالله المأمون (١٩٨ – ٢١٨ هـ) (٣)

---

(١) فهرست ابن النديم : المطبعة الرحمانية بمصر : صفحة ١٧٤
(٢) معجم المطبوعات العربية والمعربة : صفحة ٨٤١
(٣) الدكتور احمد فريد الرفاعي : عصر المأمون : صفحة ٣٧٥

٦ ـ عبد السلام البصري

هو ابو احمد عبد السلام بن الحسين بن محمد البصري (٣٢٩ – ٤٠٥ هـ) تولى خزائن دار الكتب في « بيت الحكمة » ببغداد(١) . وعُهد اليه حفظها والاشراف عليها لكفائته وسعة معارفه . كان لغوياً كبيراً ومن احسن الناس انشاداً للشعر . وقد اشتهر بسماحته وسخائه ومما يروى عنه انه كان اذا جاءه فقير وليس لديه شيء يرضخه له عمد الى بعض كتبه الثمينة فدفعها اليه .

٧ ـ ابو منصور محمد بن علي الخازن

عاش في القرن الرابع للهجرة وتولى خزانة كتب دار العلم في بغداد عاصمة العباسيين . وقد جاء في « رسالة الغفران » على لسان جارية انصرفت الى خدمة الدار المذكورة ما يلي : « اتدري مَن انا يا عليّ بن منصور ؟ انا توفيق السوداء التي كانت تخدم دار العلم ببغداد على زمان ابي منصور محمد بن علي الخازن وكنت اخرج الكتب الى النسّاخ(٢) هذا كل ما اطلعنا عليه من اخبار ابي منصور الخازن الذي لم نعثر له على ذكر الاّ في الرسالة المشار اليها .

٨ ـ الحافظ ابو صالح المؤذن

هو الامام الحافظ ابو صالح احمد بن عبد الملك بن عليّ بن احمد عبد الصمد بن بكر ولد سنة ٣٨٨ وتوفي سنة ٤٧٠ للهجرة كان خازناً لكتب الحديث الموقوفة على اصحاب الحديث (٣) وكان عليه الاعتماد (٤) في الودائع من تلك الكتب

---

(١) ابن خلكان : مجلد ٢ صفحة ٣٥٠

(٢) رسالة الغفران : صفحة ٧٣ (٣) معجم الادباء : مجلد ١ صفحة ٢١٩

(٤) ذيل تاريخ بغداد : للحافظ ابي سعد السمعاني

المجموعة في الخزائن الموروثة عن المشايخ . فكان يصونها ويتعهد اوقاف المحدثين ويتولى بنفسه توزيع الحبر والكاغد والاقلام عليهم واطلقت عليه كنية « المؤذن » لانه كان يؤذن على منارة جامع البيهقية اعواماً طوالا . وكان حافظاً ثقة واسع الرواية جمع بين الحفظ والافادة وكتب الكثير بخطه . وقد سمع عليه كثيرون بجرجان والريّ والعراق والحجاز والشام (١) كما تدل عليه تآليفه وتخريجاته . ووضع بعض التواريخ اهمها « تاريخ مرو » .

٩ - يعقوب الاسفراييني (توفي سنة ٤٩٨ للهجرة)

هو ابو يوسف يعقوب بن سليمان بن داود الاسفراييني نسبة الى اسفرائين قرية بخراسان . كان قاضياً ببغداد وهو من بيت علم أنجب كثيراً من الفقهاء والائمة كعربشاه المحدّث العلامة وابنه محمد قاضي اسفرائين في ايام اولاد تيمور . ومنهم عصام الدين حفيد عربشاه كان بحراً في المعارف وخلّف التصانيف الحسنة النافعة في كل فن(٢)

١٠ - ابو زكريا الخطيب التبريزي (٤٢١ - ٥٠٢ للهجرة)

هو ابو زكريا يحيى بن علي بن الحسن بن بسطام الشيباني المعروف بالخطيب التبريزي . كان حجة في النحو واللغة والادب . وتتلمذ له خلق كثير . وقد ذكره ياقوت الحموي في معجمه قال : « وكان يُدمن شرب الخمر ويلبس الحرير والعمامة المذهّبة . وكان الناس يقرأون عليه تصانيفه وهو سكران » .

وتولى ابو زكريا تدريس الادب وخزانة الكتب في المدرسة النظامية ببغداد . وانتهت اليه الرئاسة في فنّه(٣) . والف كتباً وافرة نذكر اهمها : « شرح كتاب

---

(١) ذيل تاريخ بغداد للحافظ ابي سعد السمعاني (٢) معجم المطبوعات العربية والمعربة : صفحة ١٣٣٠ (٣) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : صفحة ٤١٤

الحماسة » لابي تمّام وهي ثلاثة : كبير ووسط وصغير . وكتاب « تهذيب غريب الحديث » و « تهذيب اصلاح المنطق » و « شرح شعر المتنبي » و « شرح شعر ابي تمام » و « شرح سقط الزند » و « شرح المعلقات العشر » و « شرح المفضليات » و « شرح اللمع » و « شرح مقصورة ابن دريد » و « مقاتل الفرسان » وغيرها من كتب الادب والدين . ونظم كثيراً من الشعر الجيّد وتوفي سنة ٥٠٢ هجرية .

١١ ـ ابو منصور الكرخي (٤١٧ ـ ٥١٠ للهجرة)

كان ابو منصور محمد بن احمد بن طاهر بن حمد الكرخي نحوياً فاضلاً ذا خط يرغب فيه ويُعتمد عليه . وقد تولى خزانة الكتب التي بناها سابور بن ازدشير المهلبي في كرخ بغداد ووقفها على افادة الناس(١) . وكان سابور شاعراً فذاً استوزره بهاء الدولة بن عضد الدولة (٣٧٩ ـ ٤٠٣ هـ) في العراق والاهواز . قال ياقوت الحموي في خزائن كتب سابور ما نصه : « لم يكن في الدنيا احسن كتب منها . كانت كلها بخطوط الائمة المعتبرة واصولهم المحرّرة »

١٢ ـ ابو مظفر الابيوردي (توفي سنة ٥٥٧ للهجرة)

على اثر وفاة ابي يوسف الاسفراييني المار ذكره تولى خزانة كتب المدرسة النظامية ابو مظفر محمد بن ابي العباس الابيوردي . ويتسلسل نسبه الى بني امية .

وابو مظفر الابيوردي نابغة عصره في معرفة الأنساب واللغة خلّف مؤلفات شهيرة نذكر منها : كتاب « المختلف والمؤتلف » وكتاب « قبة العجلان في نسب آل ابي سفيان » وكتاب « طبقات العلم » وكتاب « انساب العرب » وكتاب « الانساب » وكتاب « صهلة القارح » رد فيه على ابي العلاء المعري . وله ايضاً كتاب « زاد الرفاق » في المحاضرات وبينها مناظرات مع اصحاب النجوم ونقض

---

(١) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : للسيوطي : صفحة ١١ ـ ١٢

حججهم . وخلّف الابيوردي ديوان شعر ظريف قسمه ثلاثة اقسام سماها « العراقيات » و « النجديات » و « الوجديات » .

وكان الابيوردي عارفاً بتاريخ العرب فصيح الكلام وافر العقل . وكان فيه تيهٌ وكبر وعزة نفس . وتولى في آخر ايامه الاشراف على مملكة السلطان محمد بن ملكشاه في اصفهان . ومات في ٢٠ ربيع الاول سنة ٥٥٧ للهجرة .

١٣ ــ علي بكري (توفي سنة ٥٧٥ للهجرة)

هو ابو الحسن عليّ بن احمد بن بكري النحوي كان من اهل باب الازج له اطلاع واسع على كتب اللغة والادب . وقد وصفه السيوطي في كتاب « بغية الوعاة » بقوله : انه حسن الاثر مليح الخط جيد الضبط كتب من الادب الكثير الذي يفوت الحصر . وكان خازناً لدار الكتب بالمدرسة النظامية (١) . ومات في في ١٨ رمضان سنة ٥٧٥ للهجرة ودفن في الوردية .

١٤ ــ مبشر بن احمد (٥٣٠ ــ ٥٨٩ للهجرة)

هو ابو الرشيد الحاسب الملقب بالبرهان ولد وعاش في بغداد واشتهر بعلم الحساب والجبر والمقابلة والهندسة والهيئة وقسم التركات . وتميز في ايام الناصر لدين الله ابي العباس احمد . فقربه الناصر واعتمد عليه باختيار الكتب التي وقفها بالرباط الحاتوني السلجوقي وبالمدرسة النظامية وبداره المسناة . وقد ولاّه الناصر على خزائن الكتب في « الدار الخليفية » وكلفه ايضاً ان يختار له الكتب . ولم يزل مبشر بن

---

(١) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : للسيوطي : صفحة ٣٢٦

احمد على حاله في الاقراء والافادة الى ان سيره الخليفة عينه برسالة الى الملك العادل لدى مجيئه الى الموصل . فلقيه عند نصيبين او دُنيسر وهناك ادركته المنون (١) .

١٥ ــ ابو جعفر عمر الدباس

كان ابو جعفر عمر بن ابي بكر بن عبيدالله الدباس من افضل ادباء زمانه وأنبغهم . ونظراً الى ثقافته العالية وجدارته العلمية أقيم خازناً لدار الكتب العتيقة في المدرسة النظامية الواقعة على شاطىء دجلة ببغداد . وقد انشأها سنة ٤٥٧ للهجرة نظام الملك حسن بن اسحق وزير السلطان ملكشاه بن ألب ارسلان السلجوقي . وتوفي ابو جعفر الدباس سنة ٦٠١ للهجرة ودفن في مقبرة باب حرب(٢)

١٦ ـ المحب الواسطي

هو عبد القادر بن داود بن ابي نصر محمد بن النقّار ابي محمد من اهل واسط المعروف بالمحب . كانت له يد باسطة في الفرائض والحساب ومعرفة الادب . وكان من الورع والمروءة والتواضع والزهادة في الدنيا على طريقة عُرف بها واشتهرت عنه . وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة ٦١٩ بعد ما لبث خازناً لدار كتب المدرسة النظامية ببغداد مدة غير يسيرة(٣) .

١٧ ـ الشيخ عبد العزيز وابنه ضياء الدين احمد

بعدما اتم المستنصر بالله سنة ٦٣١ للهجرة بناء المدرسة المستنصرية في بغداد

---

(١) اخبار العلماء باخبار الحكماء : صفحة ١٧٧

(٢) الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير : لابن الساعي الخازن : جزء ٩ صفحة ١٦٠

(٣) شرح « نهج البلاغة » لابن ابي الحديد : جزء ٣ صفحة ٣٨٢

عيّن الشيخ عبد العزيز لاثبات الكتب في مكتبتها . وجعل ولده ضياء الدين احمد الخازن بخزانة الكتب في قصر المستنصر خازناً لمكتبة هذه المدرسة . فقام الوالد وابنه بمهمتها خير قيام . ورتباها احسن ترتيب فنّي يسهل تناول الكتب ولا يتعب متناولها . اما المعيّنون للخدمة بخزانة كتب المدرسة المستنصرية في ذاك العهد فهم : الشمس علي بن الكتبي الخازن . والعماد علي بن الدباس المشرّف . والجمّال ابرهيم بن حذيفة المناول(١)

١٨ ـ ابن الساعي البغدادي (٥٩٣ ـ ٦٧٤ للهجرة)

هو تاج الدين عليّ بن أنجب بن عثمان بن عبد الله الرحمان بن عبد الرحيم ابو طالب البغدادي المعروف بابن الساعي . تولى خزانة كتب المدرسة المستنصرية في بغداد فساعده ذلك على الاستكثار من التأليف واكثره في التاريخ والتراجم .

قرأ ابن الساعي القراآت على العكبري وصحب ابن النجار وأخذ عنه وسمع الحديث من جماعة . وكان فقيهاً محدثاً مؤرخاً شاعراً اديباً . صنف تاريخاً كبيراً في ستة وعشرين مجلداً عنوانه « الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير » بلغ فيه الى آخر السنة ٦٥٦ للهجرة . وله ايضاً « مختصر اخبار الخلفاء » ويُعرف بتاريخ ابن الساعي ويتضمن تاريخ الخلفاء العباسيين فقط . وقد طبع بمطبعة بولاق في مصر (٢) .

١٩ ـ ابن الفوطي الصابوني (٦٤٢ ـ ٧٢٣ للهجرة)

هو عبد الرزاق بن احمد الصابوني المشهور بابن الفوطي اشتغل بالشعر والنثر . ونبغ في التاريخ والمنطق وفنون الحكمة والتراجم . فكان له ذهن سيّال وقلم

---

(١) المشرق : مجلد ٥ سنة ١٩٠٢ صفحة ١٦٤ ـ ١٦٥

(٢) معجم المطبوعات العربية والمعربة : ليوسف اليان سركيس : صفحة ١١٥

سريع وخط بديع : قيل انه كان يكتب من ذلك الخط الرائع اربعة كراريس وهو نائم على ظهره . تولى خزانة الرصد في « شماسيّة » اكثر من عشرة اعوام . ثم تحول الى بغداد وعهدت اليه وظيفة خازن كتب في المدرسة المستنصرية حتى وفاته. وقد اكب على التاريخ وصنف كتباً جديرة بالاعتبار (١) اتينا على ذكر بعضها في كلامنا عن المستنصر العباسي في فصل من فصول « غلاة الكتب وهواة المكتبات » .

٢٠ ـ يحيى بن عليان الخازن

كان يحيى بن عليان من علماء الشيعة ومن اكبر فقهائهم في عصره . وقد تولى خزانة الكتب بالقبر الكريم في جامع النجف الاشرف ولبث في هذه الوظيفة حتى وفاته . وجاء في « فرحة الغري » عن يحيى بن عليان انه وجد بخط ابن البرسي المجاور بمشهد الغري على ظهر كتاب بخطه قال : توجه ملك الفرس عضد الدولة بن بويه عام ٣٧١ هـ الى المشهد الشريف الغروي وزار الحرم المقدس . فكان مما فرقه الف درهم على الناحة (الذين ينوحون على الحسين) وثلاثة آلاف درهم على الفقراء والفقهاء (٢)

٢١ ـ ابو الحسن علي بن الصائغ

رُوي عن الفصيح ابي الحسن علي بن ابي الغنائم بن صالح العامري الكوفي المعروف بابن الصائغ انه اشتهر بادبه وتآليفه . وقد سافر الى بلاد الشام واجتمع هناك بعلمائها . وكان خازناً لخزانة كتب النقيب قطمير بن الحسين في مدينة الكوفة . فنهض بهذه المهمّة خير نهوض .

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مجلد ١٦ صفحة ٨٠ ـ ٨١

(٢) مجلة (الرسالة) بالقاهرة : سنة ٦ صفحة ١٥٤٨

٢٢ ـ جعفر الكيشوان وحسين الكتابدار

حدّث مؤلف كتاب « ماضي النجف » ان خزانة كتب الحضرة العلوية في النجف كانت محفوظة في غرفتين احداهما كبيرة والاخرى صغيرة . وكان عليهما قيّم في يده اعارة الكتب واصلاحها وتنظيفها . وذكر اسمين ممن تولوا هذه الوظيفة وهما : جعفر الكيشوان وحسين الكتابدار بن محمد علي الخادم . وخص الثاني بانه استفاد من خزانة الكتب(١) .

٢٣ ـ محمد الرفيعي

آخر مَن اتصل بنا خبره من خزنة مكتبات العراق السيد محمد الرفيعي الذي أقيم نائباً لخازن مكتبة جامع النجف . ومن آثاره المشكورة ان بعض العلماء الاعلام لما كلفوه الاشراف على غرفة الكتب في الصحن الشريف استصنع قفصاً لصيانتها . ثم نـضّد المخطوطات وأصلح ما كاد يتلف منها . وجعلها لائقة بالمقام العلوي(٢) .

---

(١) ماضي النجف : تاليف جعفر ابن الشيخ باقر آل محبوبة النجفي : صفحة ١٠٠ ـ ١٠٢

(٢) ماضي النجف : صفحة ١٠٠ ـ ١٠٢

الفصل الرابع

خزنة دور الكتب في بلاد فارس

١ ـ ابو منصور الشيرازي

هو ابو منصور بن احمد بن محمد الشيرازي عاش في القرن الرابع للهجرة وكان من جلة العلماء . وصار قاضياً في بلاد فارس في ايام عضد الدولة بن بويه . وقد وّلاه هذا الملك خزائن الكتب التي انشأها في شيراز عاصمة بلاده . وعهد اليه بالوقت نفسه تثقيف ابنه صمصام الدولة .

٢ ـ ابو محمد خازن الكتب

عاش ابو محمد في القرن الرابع للهجرة وكان خازناً لبيت الكتب في الري . وقد اثبت ياقوت الرومي اسم هذا الخازن في سياق كلامه عن الصاحب بن عباد (٣٢٦ – ٣٨٥ هـ) قال : « فلما كان وقت غروب الشمس من ليلة الجمعة المذكورة قضى (الصاحب بن عباد) نحبه . وكان ابو محمد خازن الكتب ملازماً دار الصاحب على سبيل الخدمة له . لان فخر الدولة اقامه عيناً اي رقيباً لتلك الدار وما فيها(١) » .

٣ ـ ابو الحسن علي ابن البواب

اسهبنا الكلام عن ابن البوّاب المتوفى سنة ٤١٣ للهجرة في فصل سابق

---

(١) معجم الادباء : جزء ١ صفحة ٧٠

وعن تفوقه في اجادة الخط. ونشير ههنا الى توليه ادارة خزانة الكتب في شيراز كما روى هو عن نفسه قال: «كنت اتصرّف في خزانة الكتب لبهاء الدولة بن عضد الدولة بشيراز على اختياري. وكنت اراعيها له وامرها مردود الي(١).

٤ ـ مسكويه (توفي سنة ٤٢١ للهجرة)

هو ابو علي الخازن احمد بن محمد بن يعقوب الملقب مسكويه كان مجوسياً فأسلم. وهو من نوابغ الكتّاب البارعين والمفكرين العاملين الذين يندر ظهور مثلهم في الامم. وكان له معرفة دقيقة بتواريخ الاقدمين وعلومهم والّف فيها بعض الكتب. وظل يخدم ابن العميد وزير ركن الدولة الحسن بن بويه في خوارزم حتى تولى خزانة كتبه التي كانت حافلة بشتى التصانيف. ثم صار خازناً للملك عضد الدولة بن بويه مأموناً لديه اثيراً عنده(٢).

واشتغل مسكويه بالفلسفة والمنطق فضلاً عن الادب والفقه والتاريخ. وكان له ولع خاص بالكيمياء فانفق ماله في طلب الذهب بالطبخ. ثم ندم على ذلك وتنقلت به حاله الى خدمة بني بويه فعظم شانه لديهم حتى ترفع عن خدمة الصاحب بن عباد ولم يرَ نفسه دونه. وكان شاعراً بليغاً مدح ابن العميد وعميد الملك. وصنف كتباً وافرة في التاريخ والفلسفة والادب ذكرها ياقوت الحموي في «معجم الادباء» لم يبلغنا منها الا ما يلي: كتاب «تجارب الامم» وكتاب «تهذيب الاخلاق» وكتاب «آداب العرب والفرس» وغيرها(٣)

٥ ـ ابو صالح النيسابوري (٣٨٨ ـ ٤٧٠ للهجرة)

هو احمد بن عبد الملك بن علي بن احمد بن عبد الصمد بن بكر المؤذن ابو

---

(١) معجم الادباء: جزء ١٥ صفحة ١٢٢

(٢) تاريخ مختصر الدول: صفحة ٣٠٦ (٣) معجم الادباء: جزء ٢ صفحة ٨٨

صالح النيسابوري . كان عليه الاعتماد في الودائع من كتب الحديث المجموعة في الخزائن والموروثة عن المشايخ والموقوفة على اصحاب الحديث . فكان يصونها ويتعهد حفظها ويتولى اوقاف المحدثين ويأخذ صدقات الرؤساء والتجار ويوصلها الى ذوي الحاجات وكان يؤذن على منارة المدرسة البيهقية ويقيم مجالس الحديث . وكان اذا فرغ جمع وصنف وافاد وكتب الكثير بخطه(١) .

٦ ـ عزيز الدين المستوفى الاصبهاني (٤٧٢ ـ ٥٢٥ هـ)

هو ابو نصر احمد بن حامد بن محمد بن عبدالله بن علي بن محمود بن هبة الله الاصبهاني الملقب عزيز الدين المستوفى . ذكر ابن اخيه العماد الكاتب في كتاب « الخريدة » ان عمه عزيز الدين ولد في اصبهان وتولى المناصب العالية في الدولة السلجوقية . قصده بنو الحاجات ومدحه الشعراء فاحسن مكافأتهم . وكان في آخر امره متولياً خزانة الكتب والتحف عند السلطان محمود (٥١١ ـ ٥٢٥ هـ) بن محمد بن ملكشاه بن الب ارسلان السلجوقي . وكان السلطان محمود زوج بنت عمه السلطان سنجر بن ملكشاه . ماتت عنده فطالبه عمه بما خرج معها في جهازها من انواع التحف والغرائب التي لا توجد الا في خزائن الملوك . فجحدها محمود وخاف من عزيز الدين ان يشهد بما وصل صحبتها من التحف لانه كان مطلعاً على كل ما كانت تحويه الخزانة السلطانية . فقبض السلطان عليه وسيره الى قلعة تكريت فحبسه بها ثم قتله . وحل ذلك في سنة ٥٢٥ للهجرة(٢) .

٧ ـ ابو الفتح الديباجي المروزي (٥١٧ ـ ٦٠٩ للهجرة)

كان ابو الفتح محمد بن سعد بن محمد الديباجي المروزي اماماً عالماً جليلاً

---

(١) معجم الادباء : جزء ١ صفحة ٢١٩

(٢) ابن خلكان : مجلد ١ صفحة ٧٥ ومعجم البلدان : مجلد ٨ صفحة ٢٨٩

حسن العشرة قرأ على ابيه وعلى البقالي تلميذ الزمخشري . وله من المصنفات ما يلي : « تهذيب مقدمة الادب » و « شرح المفصل » و « فلك الادب » و « شرح الانموذج » و « منافع اعضاء الحيوان » و « القانون الصلاحي في ادوية النواحي ». ولد في محرم سنة ٥١٧ وكان ناظراً لخزانة كتب الجامع الاكبر في مرو(١) وهي اشهر مدن خراسان . ولما بلغ السنة الثانية والتسعين من عمره عثر بباب منزله فسقط على وجهه ووهن عظمه وهناً اودى به الى المنية في ١٨ صفر سنة ٦٠٩ للهجرة (١٢١٢ م)

٨ ـ ابو الفضل النشوي

هو ابو الفضل حداد بن عاصم بن بكران النشوي . كان خازناً لدار الكتب في جنزة وهي من اهم مدن بلاد فارس تقع بين شروان واذربيجان . وقد ورد اسمه في معجم البلدان لشهاب الدين ياقوت الرومي الحموي عندما اتى على ذكر نشوي (٢) .

---

(١) بغية الوعاة : صفحة ٤٥

(٢) البصائر لجميل بك العظم : مجلد ١ سنة ١٩١٢ صفحة ٢٢٠

الفصل الخامس

خزنة دور الكتب في مصر

١ ـ ابو الحسن علي بن محمد الشابشتي الكاتب

(توفي سنة ٣٨٨ للهجرة)

روى ابن خلكان عن الشابشتي انه كان اديباً فاضلاً تعلق بخدمة الخليفة العزيز بالله (٣٦٥ – ٣٨٦ هـ) بن المعزّ العبيدي في القاهرة . فولاه هذا الخليفة امر « خزانة الكتب » التي انشأها بتشويق وزيره يعقوب بن كلس . ثم اتخذه نديماً وسميراً يقرأ له الكتب .

وللشابشتي ديوان شعر ومصنفات شتى اهمها كتاب « الديارات » اورد فيه اسم كل دير بالعراق وما بين النهرين والجزيرة وسوريا وفلسطين ووادي النيل . واضاف الى ذلك ما نظم من الاشعار في كل دير وما جرى فيه من الحوادث الشهيرة . ومن مؤلفاته ايضاً : كتاب « اليسر بعد العسر » وكتاب « مراتب الفقهاء » . وتوفي بمصر سنة ٣٨٨ للهجرة .

٢ ـ ابن عبد القوي

عاش ابن عبد القوي في القرن الخامس للهجرة . وكان خازناً لكتب قصر الخليفة الفاطمي في القاهرة . وقد اورد اسمه ابن الطوير قال : « خزانة الكتب كانت في احد مجالس المارستان اليوم يعني المارستان العتيق . فيجيء الخليفة راكباً ويترجّل على الدكة المنصوبة ويجلس عليها ويحضر اليه من يتولاها . وكان

الجليس في ذلك الوقت ابن عبد القوي . فيُحضر اليه المصاحف بالخطوط المنسوبة وغير ذلك مما يقترحه من الكتب . فان عنّ له اخذ شيء منها اخذه ثم يعيده(١) »

٣ ـ ابو عبدالله الطائي

هو محمد بن الحسن بن زرارة ابو عبدالله الطائي المشرف عاش في القرن السادس للهجرة وكان خازناً لمكتبة جامع الاسكندرية . وقد وصفه الحافظ ابو طاهر السِلفي قال : « هو من اهل الادب والتصرف في علوم العرب . وكان شعره قويا وهو على سرعة الاجابة جريئاً وربما غلط وهو نحوي لغوي . وكان على الاطلاق رضي الاخلاق ووجدت به أنساً مدة حياته الى حين وفاته . وحين مات انا صليت عليه وحضر في جنازته خلق عظيم . وكان مشرف البيمارستان بالثغر ومتولي الكتب المحبّسة في الجامع وله فيه حلقة لاقراء الادب . ذكره المقريزي في المقفى(٢)

٤ ـ ابو محمد حسن بن آدم

عاش في القرن السادس للهجرة . وكان على جانب عظيم من العلم والاخلاق الطيبة . وحدث انه في ايام الخليفة الآمر باحكام الله (٤٩٥ – ٥٢٤ هـ) طرأت فتن بين العلماء في « دار العلم » بسبب رجل يسمى ابن القصار كان يختلف الى الدار المشار اليها . وكان هذا يدّعي الالوهية وتبعه في مذهبه خلق كثير . فخشي الافضل امير الجيوش من غوغائهم وقتل ابن القصار واتباعه . وعلى اثر ذلك اقفل دار العلم التي كانت تشغل جانباً من قصر الخلافة . ثم اعاد الآمر باحكام الله هذه الدار سنة ٥١٧ هـ (١١٢٣ م) فشيّد لها بناية خاصة بعيدة عن قصره . ولم يرَ بين

---

(١) مجلة البصائر : مجلد ١ سنة ١٩١٢ صفحة ٢٢٢ (٢) بغية الوعاة : صفحة ٣٣

علماء مصر افضل من ابي محمد حسن بن آدم فعيّنه خازناً لخزائن الكتب في « دار العلم » الجديدة .

٥ ـ شرف الدين الميدومي

ذكر السيوطي في كتابه « بغية الوعاة » ابا عبدالله شرف الدين محمد بن ابرهيم بن ابي القاسم بن عنان الميدومي الذي كان من اشهر نحاة عصره . وقد وُلي شرف الدين خزانة كتب المدرسة الكاملية التي انشأها في القاهرة الملك الكامل ناصر الدين محمد سنة اثنتين وعشرين وستمائة للهجرة . ولم يزل متولياً عليها حتى ادركته المنية عام ٦٨٣ للهجرة(١) .

٦ ــ محي الدين الشبلي

هو محيي الدين احمد بن الحسين بن علي بن سابق بن بشارة الشبلي من افاضل علماء عصره . وقد أنيطت به عن جدارة ادارة خزانة كتب دار الحديث الاشرفية المنسوبة الى الملك الاشرف (٦٨٩ – ٦٩٣ هـ) خليل بن قلاوون في عاصمة الديار المصرية . فظل في هذه الوظيفة حتى ادركته الوفاة سنة ٧٤٤ للهجرة (٢) .

٧ ـ سعد الدين الرومي المرزباني

هو سعد الدين بن خليل بن سليمان الرومي المرزباني برع في الفقه وعلوم اللغة . ثم خلّف تصانيف جمة اهمها « شرح القصارى » في التصريف . وكان خازناً لخزائن الكتب الشيخونية في الجامع المنسوب الى الامير شيخو في الصليبة غربي

---

(١) البصائر : مجلد ١ سنة ١٩١٢ صفحة ٢٢٦

(٢) مجلة « الكشاف » في بيروت : مجلد ٢ سنة ١٩٢٨ صفحة ٥١١

الرميلة بالقاهرة . وسنة ٨١٤ للهجرة ذهب سعد الدين المرزباني قتيلاً بمدرسة وسلان بالمنشيئة . طعنه اللصوص بسكين في بطنه .

٨ ـ ناصر الدين محمد البارزي (توفي سنة ٨٢٣ للهجرة)

كان ناصر الدين محمد البارزي كاتب السر عند السلطان الملك المؤيد ابي النصر الشيخ المحمودي (٨١٥ – ٨٢٤ هـ) الذي بنى الجامع المؤيدي في القاهرة . وجعل السلطان في هذا الجامع خزانة كتب حمل اليها كتباً كثيرة في شتى العلوم كانت بقلعة الجبل . وتبرع ناصر الدين محمد البارزي بخمسمائة مجلد قيمتها الف دينار فأقرها السلطان بخزانة الكتب المشار اليها . ثم انعم على ابن البارزي بان يكون خطيب هذا الجامع وخازن الكتب هو وذريته من بعده(١)

٩ ـ شمس الدين المرزباني

هو شمس الدين ابن سعد الدين الرومي المرزباني المار ذكره ولي خزانة الكتب بالشيخونية بعد والده فحفظها احسن حفظ . وكان رجلاً صالحاً عالماً بالفقه والنحو واشتهر بكتابة الخط المنسوب . وقد قرأ عليه جماعة من العلماء كجلال الدين السيوطي (٨٤٩ – ٩١١ هـ) ومات سنة ٨٦٧ للهجرة(٢)

١٠ ـ الشيخ موسى الشيخوني (توفي سنة ١١٩٦ للهجرة)

هو ابن داود الشيخوني عاش في القرن الثاني عشر للهجرة وتفرد بالفقه ولين الجانب وطيب الاخلاق . كان اماماً لجامع شيخون في القاهرة وخطيبه وخازن

---

(١) خطط المقريزي : جزء ٤ صفحة ١٣٦ و ١٤٠ (٢) بغية الوعاة : صفحة ٢٥٢ – ٢٥٣ وكتاب « نظم العقيان في اعيان الاعيان » لجلال الدين السيوطي : صفحة ١٤٩

كتبه(١) . ولاجل ذلك تغلّب على كنيته اسم الجامع فصار يُعرف بالشيخوني . واشتهر في عصره الامير احمد باشجاويش الذي جمع في حياته كتباً جمة وضعها في خزانة كتب الوقف وحبسها على طلاب العلم . ثم ولى عليها الشيخ موسى لاعتقاده فيه الامانة والزهد والفضل .

١١ ـ خليل بن محمد المغربي (توفي سنة ١١٧٣ هـ)

هو ابو الصفا خليل بن محمد المغربي الفقيه المالكي قدم مصر وأخذ عن المتصدرين بها كالشهاب احمد بن عبد الفتاح الملوي . قرأ عليه عدة فنون وروى عنه اشهر شيوخه ودرس وبرع وافاد . وقد تولى خزانة الكتب في المؤيدية بالقاهرة فأزهرت في ايامه . وحج سنة ١١٧٣ فلما قضى حجه ورجع ادركته الوفاة في منزلة من منازل الحج المصري يقال لها اكرى ودفن بها (٢) .

١٢ ـ محمد حافظ

هو اول من تولى خزانة الكتب في المسجد الذي عمّره محمد ابو الذهب بمدينة القاهرة (٣) في الربع الاخير من القرن الثاني عشر للهجرة . وكان مركز هذا المسجد قريباً من الأزهر . ومن مساعيه المشكورة انه حسّن لمحمد بك ابي الذهب ان يقتني معجم « تاج العروس في شرح جواهر القاموس » في اربعة عشر مجلداً بخط المؤلف . فاشتراه ابو الذهب بمائة الف درهم (٤) واضافه الى خزانة كتب مسجده .

١٣ ـ الشيخ محمد الجناجني الشافعي

كان الشيخ محمد بن موسى الجناجنيّ من جهابذة عصره المعدودين وامتاز

---

(١) الجبرتي : مجلد ٢ صفحة ٧٣ (٢) سلك الدرر : جزء ٢ صفحة ١٠١
(٣) مجلة « الكشاف » البيروتية : مجلد ٢ سنة ١٩٢٨ صفحة ٥١٤
(٤) تاريخ آداب اللغة العربية : جزء ٣ صفحة ٢٨٨

خصوصاً بعلم الحساب والجبر والمقابلة . وله رسالة في تحويل النقود بعضها الى بعض تدل على براعته ورسوخ قدمه في هذا العلم . وكانت له معرفة تامة في استخراج المجهولات وقسمة المواريث والحل والموازين مما انفرد به عن نظرائه . وله تآليف في فنون شتى ونسخ بخطه كتباً عديدة . وعاش حياته كلها لا يعرف العظمة ولا التصنع ولا التأنق بلباسه . وكان يذهب بحماره الى جهة بولاق حيث يشتري البرسيم ويضعه على ظهر الحمار ثم يركب فوقه . ومن عادته ايضاً انه كان يحمل طبق العجين الى الفرن على رأسه ويذهب في قضاء حاجات اصدقائه .

ولما ابتنى محمد ابو الذهب مسجداً باسمه في القاهرة كما ذكرنا آنفاً استدعى صاحب الترجمة وكلفه القيام بوظيفة خزن الكتب والتدريس في المسجد المذكور(١) . فتقيد الشيخ الجناجني بواجبات هذه الوظيفة حتى توفي مصاباً بالطاعون في اواخر القرن الثاني عشر للهجرة وصلي عليه بالازهر في مشهد حافل ودفن بتربة المجاورين .

---

(١) الجبرتي : مجلد ٢ صفحة ١٢٦

الفصل السادس

خزانة دور الكتب في شمال افريقيا

١ ـ ابرهيم الشيباني (٢٢٣ ـ ٢٩٨ هـ)

هو ابو اليسر ابرهيم بن احمد الشيباني وفد من بغداد وسكن القيروان ويعرف بالرياضي . عاصر من العلماء الجاحظ والمبرد وثعلباً وابن قتيبة . ولقيهم كما لقي من الشعراء ابا تمام والبحتري ودعبلاً وابن الجهم ومن الكتّاب سعيد بن حميد وسليمان بن وهب واحمد بن ابي طاهر وغيرهم . وكان كاتبا بليغاً ضاربا في كل علم وادب . كتب اكثر كتبه بخط يده مع براعة خطه وحسن وراقته . ويروى عنه انه كتب على كبره كتاب سيبويه كله بقلم واحد ما زال يبريه حتى قصر . فادخله في قلم آخر وكتب به حتى فني بتمام الكتاب . وله تآليف منها « لقط المرجان » و كتاب « سراج الهدى » . وجال في البلاد من خراسان الى الاندلس وقد ذكر ذلك في اشعار له . وكان رضي الاخلاق نزيه النفس استكتبه امير افريقيا ابرهيم بن احمد بن الاغلب ثم ابنه ابو العباس عبدالله . وتوفي ابرهيم الشيباني بعد ما تولى خزانة كتب « بيت الحكمة » في ايام زيادة الله بن عبدالله آخر ملوك الاغالبة (١)

٢ ـ ابو العباس الانصاري الخزرجي

وُلد ابو العباس احمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الصقر الانصاري الخزرجي سنة ٤٩٢ هـ بالمرية . روى عنه ابو محمد بن وهد القفاعي انه كان محدثاً مجوّداً

---

(١) نفح الطيب : جزء ٢ صفحة ١١٥

حافظاً للغة شاعراً محسناً آنق اهل عصره خطاً . كتب من دواوين العلم ودفاتره ما لا يحصى كثرةً . وتولى احكام مراكش ثم احكام بلنسية فكان بها قاضياً .

ولما صار الامر في المغرب الاقصى الى السلطان ابي يعقوب عبد المؤمن ألزم ابا العباس خدمة خزائن الكتب السلطانية . وهي وظيفة لا يعيّن لها الا عليّة اهل العلم واعاظمهم . وكانت عطايا عبد المؤمن له وافرة . وربما بلغت في المرة الواحدة خمسمائة دينار فلا يبقي لديه منها شيء بل ينفقه على المحتاجين والمساكين . ولم تكن همته منصرفة الا الى العلم فاقتنى من الكتب طائفة وافرة سوى ما نسخه بخطه الانيق . وقد نُكب مرّات شتى بكتبه غرقاً ونهباً وحرقاً عندما كان مقيماً في غرناطة بالاندلس واثناء اقامته بمراكش . ولدى سفره الى مراكش استصحب خمسة احمال من الكتب ما خلا الشيء العظيم الذي جمعه منها في تلك المدينة . وله شعر لطيف وتصانيف مفيدة تدل على سعة معارفه كشرحه على الشهاب للقضائي وغيره . وتوفي بمراكش سنة ٥٦٩ للهجرة(١)

٣ ـ فخر الدين سليمان بن نقاذة

ورد في كتاب « مجمع الآداب » ان فخر الدين بن نقاذة الدمشقي نزل ببغداد ودرس فيها الخط واتقنه . ثم فوّضت اليه عن جدارة تامة خزانة الكتب في رباط المسجد فخدمها بعلمه وامانته واصالة رأيه .

٤ ـ ابو البركات بن عصفور

كان ابو البركات بن عصفور اماماً للجامع الاعظم المعروف بجامع الزيتونة في تونس . ولما أسس ابو عبدالله محمد بن الحسن الحفصي « المكتبة العبدلية » في

---

(١) كتاب (المعجب) للمراكشي طبع مصر

فجر القرن العاشر للهجرة أفرز لها الرواق الشرقي من الجامع المذكور وزيّنها بنفائس المخطوطات . وحبس عليها اوقافاً كافية واقام نظاراً يتولون شؤونها ويسهّلون سبل الانتفاع بها . وبعد هذا فوّض امرها الى ابي البركات بن عصفور فجعله خازناً عليها لِما اختبره به من سعة المعارف وحسن التدبير(١)

٥ ـ الشريف الحسين بن ثابت

هو ناظر خزانة كتب القرويين بحاضرة فاس ومسجل الكتب العديدة النادرة التي حبستها على الخزانة المنوه بها السيدة الشريفة فاطمة بنت السلطان مولاي الحسن (١٢٩٠ – ١٣١١ هـ) عمة مولاي السلطان محمد بن يوسف . واليك نص التحبيس المذكور :

« الحمد لله لما ان كانت الشريفة الجليلة عمة مولانا المنصور بالله حبست كتباً علمية على خزانة القرويين وعددها مائتا جزء بالتثنية وثلاثة وسبعون جزءاً لاجل الانتفاع بها . وجهتها الوزارة الوقفية ادام الله عزها لناظر القرويين حينه الشريف الاجل سيدي الحسين بن ثابت . وامرته بالكتب على كل جزء منها تحبيسه على الخزانة المذكورة عدلياً وبدفعها للقيم بالخزانة المذكورة بعد الاشهاد عليه (٢) . فنهض الشريف بن ثابت نهوضاً مشكوراً بتلك المهمة طبقاً لنية صاحب التحبيس ووفقاً لتفويض وزارة الوقف

---

(١) المجلة الزيتونية : مجلد ١ سنة ١٩٣٧ صفحة ٢٠٤

(٢) الدرر الفاخرة : صفحة ١٦٨ ـ ١٦٩

الفصل السابع

خزنة دور الكتب في الاندلس

١ ـ تليد الخصي

ولاّه الخليفة الاموي المستنصر بالله الحكَم الثاني (٣٥٠ – ٣٦٦ هـ) امر خزانة الكتب التي انشأها في قرطبة عاصمة ملكه . لانه وجد فيه الحصافة والعلم والامانة للنهوض بهذه الوظيفة الخطيرة . قال الحافظ ابو محمد بن حزم : « اخبرني تليد الخصي فتى المستنصر وكان على خزانة العلوم والكتب بدار بني مروان ان عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب اربع واربعون فهرست . في كل فهرست عشرون ورقة ليس فيها الا ذكر الدواوين(١) » . وقد ذكر ابن خلدون هذه الرواية عينها انما اطلق على تليد الخصي صاحب الترجمة اسم « بكية الخصي »(٢).

٢ ـ ابن شقرال الطرسوني

وُلد ابن شقرال في طرسونة من اعمال اسبانيا وهي تبعد اثنين وخمسين ميلاً عن مدينة سرقوسة الى غربي شمالها الغربي . واستولى عليها العرب في السنة ٩٤ للهجرة فكانت من حصونهم يسكنها العمال والمقاتلة منهم . وظلت في حوزتهم حتى تغلّب عليها الافرنج سنة ٥١١ للهجرة و ١١١٨ م . كان ابن شقرال الطرَسوني من مشاهير علماء الاندلس في عصره وخلّف مؤلفات شتى . وقد تولى عن جدارة تامة خزانة الكتب السلطانية في غرناطة الى ان ادركته المنية(٣) .

---

(١) نفح الطيب: جزء ١ صفحة ١٨٤

(٢) ابن خلدون : جزء ٤ صفحة ١٤٦

(٣) الاحاطة في اخبار غرناطة : تاليف لسان الدين الخطيب

الفصل الثامن

خزانة دور الكتب في اليمن والحجاز

١ ـ احمد بن لطف الله جحاف (١١٦٩ ـ ١٢٢٣)

وُلد صاحب الترجمة بصنعاء اليمن ونهض بوظيفة الأذان ردحاً من الزمان وأحيا لياليه بالعبادة . وكان عفيف اللسان محباً للخير ذا حافظة واسعة متضلعاً من التاريخ . ونسخ بخطه لنفسه ما اناف على ستين مجلداً ضخماً من كتب الحديث وتواريخ الامم . وخلف آثاراً ادبية من جملتها ديوان شعر افرغه في قالب منسجم .

وأفضل ما يؤثر عن احمد جحاف ان المنصور عليّ امام اليمن اناط به ادارة خزانة الكتب في جامع مدينة صنعاء . فاحرز في تلك المهمة مكانة عالية وأثنى الجميع على علمه وعلى سجاياه الرضية . وقد جاور ربهُ في ٣ ذي الحجة سنة ١٢٢٣ للهجرة (١٨٠٨ م (١) .

٢ ـ قطب الدين الحنفي

عاش قطب الدين الحنفي في القرن العاشر للهجرة . ومن مخلفاته العلمية « تاريخ مكة » الموسوم بعنوان « الاعلام باعلام بيت الله الحرام » وقد تولى قطب الدين خزانة الكتب الجليلة التي وقفها الملك الاشرف قايت باي (٨٧٢ ـ ٩٠١ هـ) سلطان مصر على طلبة العلم في مكة المكرمة . فاحسن ادارتها وجلّد منها ما كان محتاجاً الى التجليد . واستعاد بعض ما عثر عليه من الكتب المفقودة في عهد خازنها السابق ورتبها في رفوفها ترتيباً محكماً(٢) .

---

(١) نيل الوطر من تراجم اليمن في القرن الثالث عشر : تأليف جمعة محمد زباره الحسني اليماني : جزء ١ صفحة ١٨٠

(٢) الاعلام باعلام بيت الله الحرام : صفحة ١٠٤

الفصل التاسع

خزانة دور الكتب في الهند

١ ـ الشهاب احمد الهندي (توفي سنة ٩٣٨ هـ)

اشتغل الشهاب احمد بالعلوم العقلية والنقلية وبرع فيها . ثم انخرط في سلك المقرّبين لدى داود وزير اسكندر شاه سلطان دلهي . فلازمه مدة سبع سنوات افرغ خلالها كل جهد في تثقيف اولاده . فلم يرَ الوزير الا ان يكافىء هذا الاستاذ النشيط على اتعابه وامانته . فسلمه خزانة كتبه النفيسة وولاه ادارة شؤونها وقد تقلب عنده في عيش رغد حتى لاقى منيّته سنة ٩٣٨ للهجرة(١) .

يروى عن هذا الوزير انه كان شديد الولع بجمع الكتب فخصص مبالغ وافرة من امواله لجمعها وشرائها . فكان يرسل اتباعه الى البلدان المجاورة والبعيدة لأحرازها وضمها الى ما لديه من النفائس الكتابية . هكذا تجمع لديه منها ما لا يحصى عده ثم اوعز الى الشهاب احمد ان ينظمها طبقاً لمواضيعها في جناح خاص من قصره . فقام هذا بمهمته خير قيام حتى اصبحت تلك الخزانة من اغنى المكتبات في الاصقاع الهندية .

---

(١) اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء : جزء ٥ صفحة ٤٩٦

الباب الحادي عشر

خزنة مكتبات اوروبا واميركا الشرقيون

الفصل الاول

تفوق ابناء الشرق في مكتبات الغرب

أثبتنا في ما سبق اسماء خزنة دور الكتب في عصر الارتقاء العربي واضفنا اليها موجزاً من مآثرهم العلمية . والآن لا نرى مندوحة عن ان نردف ذلك الباب بباب آخر يتضمن تراجم الخزنة الشرقيين الذين تولوا عن جدارة تامة ادارة بعض المكاتب الشهيرة في عواصم اوروبا واميركا . لان هؤلاء الجهابذة عزّزوا مقام الشرق في الغرب حيث تجلت مواهبهم العقلية واهتدى الباحثون بمشكاة ثقافتهم اللامعة . فكانوا سبب مباهاة لبني وطنهم بل موضوع ثقة واعجاب لروّاد العلم في الاقطار الغربية . وحسبهم فخراً انهم برهنوا للعالم اجمع على ان الشرقي لا يقلّ كفاءة عن الغربي لا في اقتباس العلوم وضبطها فقط بل في تولي اهمّ المناصب واشرفها . ولاسيما تلك التي يسترشد بها الخاصة والعامة في تغذية عقولهم بالبان العلوم والآداب .

ذلك ما دعانا الى التنويه بذكر الخزَنة الشرقيين لدور الكتب في اوروبا واميركا والاشادة بفضلهم الخالد الذي يقدسه الخلف حقباً بعد حقب . واليك تراجم من اتصلت بنا اسماؤهم نرويها اعترافاً بخدمهم الشريفة للعلم والعلماء وهم :

الفصل الثاني

خزنة المكتبة الواتكانية

١ - يوسف شمعون السمعاني (١٦٨٧ - ١٧٦٨)

للسمعاني اللبناني مقام رفيع وذكر مجيد لدى الشرقيين والغربيين يجلونه ويرددونه منذ اكثر من قرنين حتى الآن . وهم قاطبة يعجبون من اعماله ومشاريعه ويستفيدون من نقوله وتصانيفه البالغة حدّ الكثرة . وهو فيما نعهد اول مستشرق تحرّى كشف النقاب عن التواريخ الشرقية والف فيها كتباً جمة عربية وسريانية ولاتينية ويونانية .

وُلد السمعاني في طرابلس الشام (لبنان) وتوجه الى رومية في التاسعة من سنّه وتلقى العلوم في المدرسة المارونية هناك . وكان اول ما اشتهر به هذا العلامة ان البابا اقليميس الحادي عشر (١٧٠٠ - ١٧٢١) اقترح عليه ان ينشىء فهرساً شاملاً لكتب خطيّة قديمة العهد بعث بها الى رومية نسيبه الخوري الياس السمعاني . فنهض يوسف بالعمل خير نهوض وهو لم يتجاوز ثلاثاً وعشرين سنة .

وفي السنة ١٧١٥ زار لبنان وسوريا ومصر وجمع ما تقادم عهده من المخطوطات العربية والقبطية والسريانية وعاد بها الى رومة . فنصبه البابا اقليميس الثاني عشر (١٧٣٠ - ١٧٤٠) في ٢١ تشرين الاول ١٧٣٠ اميناً ثانياً للمكتبة الواتكانية التي تعدّ اليوم اقدم مكاتب الدنيا . وما عتم ان قلده عام ١٧٣٩ منصب امين اول فيها . فابدى السمعاني في منصبه هذا من الهمة والخبرة والكفاءة ما سجل له في بطون الصحف تذكاراً خالداً . هكذا ظل السمعاني يزاول اعمال منصبه الشريف ثماني وثلاثين سنة حتى حضرته الوفاة في ١٣ كانون الثاني ١٧٦٨ بالغاً الحادية والثمانين .

واهم مؤلفات السمعاني «المكتبة الشرقية» في اربعة مجلدات ضخمة . أحصى فيها تصانيف كتبة العرب واليونان . وسرد نتفاً من اخبارهم مما كان مجهولاً حتى ذاك العهد . وتُحسب هذه المجموعة النفيسة مرجعاً لكل باحث في الآداب الشرقية . ومن تصانيف السمعاني الوافرة نذكر خصوصاً تأليفه في سوريا القديمة والحديثة في تسعة كتب . والتاريخ الشرقي في تسعة كتب ايضاً . الى غير ذلك من التآليف العربية الدينية والتاريخية والقانونية التي ما برحت تتداولها الايدي الى اليوم . كما ان الالسن تتناقل ذكرى السمعاني الكبير لِما اداه من الخدم المشكورة للعلم والعلماء شرقاً وغرباً (١) .

وقد شُيّد للسمعاني في احدى ساحات حصرون وطن اسرته تمثال جميل تنويهاً بفضله وتخليداً لذكره . وجرى لذلك في ٢١ تشرين الاول سنة ١٩٢٨ مهرجان عظيم شهده خلق كثير في مقدمتهم رئيس الجمهورية اللبنانية وسائر رؤساء الدنيا والدين .

٢ ـ اسطفان عواد السمعاني (١٧٠٩ ـ ١٧٨٤)

هو ابن اخت العلامة يوسف شمعون السمعاني اللبناني ابصر النور عام ١٧٠٩ في حصرون . ولما بلغ الحادية عشرة توجه الى رومة واكب على اقتباس العلوم في المدرسة المارونية فنبغ فيها واحرز شهادة الملفنة . ثم عيّن مسجلاً في المكتبة الواتيكانية تحت ادارة خاله . وما مرّ على ذلك زمان يسير حتى اقبل الى لبنان وساح في بلاد سوريا وما بين النهرين والقطر المصري يبحث عن الآثار والمخطوطات الشرقية . ثم توجه الى اوروبا وطاف بلاد فرنسا وانكلترا وبعد رحلته هذه عاد الى رومية .

---

(١) لخصنا هذه الترجمة نقلا عن سجل خزانة مار بطرس الكبرى صندوق ٢٢ اضمامة ٢٧٧ كما ورد ذلك في (برنامج اخوية القديس مارون) لمولفه يوسف خطار غانم : صفحة ١٠٥ و ١١٣

وفي السنة ١٧٣٦ ارتقى الاب اسطفان عواد الى الرتبة الاسقفية على حماة . وعلى اثر وفاة يوسف السمعاني عام ١٧٦٨ نُصب السيد عواد خلفاً له وسمي اميناً للمكتبة الواتيكانية . فنهج نهج خاله في خدمتها وتنظيمها واكمال ما كان ينقصها . وافرغ الجهود الطيّبة في تأليف كتب دينية وطقسية وتاريخية . وعُني بترجمة فهرس مخطوطات الكردينال شيجي ونشرها بالطبع عام ١٧٦٤ . واشتغل السيد اسطفان ايضاً في فهرست الكتب الشرقية المحفوظة في المكتبة المديسية بفلورنسا . وقد عدّد المطران يوسف الدبس في كتابه « تاريخ سوريا » تآليف صاحب الترجمة فنحيل القارىء الى مطالعتها في الكتاب المذكور (١) وظل السيد عواد اميناً للمكتبة الواتكانية نحو سبع عشرة سنة حتى وافاه الاجل في ٢٤ تشرين الثاني ١٧٨٤

٣ ـ نعمة‌الله عواد (١٨٧١ ـ ١٩٣٣)

هو ابن الشيخ راجي عواد ولد سنة ١٨٧١ في حصرون بلبنان وتلقى العلوم العالية في عاصمة الكثلكة . ونظراً الى خبرته ببعض اللغات الشرقية والغربية عينه الحبر الاعظم خازناً في جملة خزنة المكتبة الواتيكانية . فخدم هذا المنصب بنشاط وامانة نحو ثلاثين سنة . وقد خلف صاحب الترجمة في هذه المكتبة آثاراً مشكورة ولاسيما في القسم الشرقي منها . وفي السنة ١٩٣١ نصبه البطريرك الماروني وكيلاً عنه في رومة فقام باعباء الوظيفتين خير قيام حتى وافته المنية عام ١٩٣٣ في العاصمة المذكورة . اما مؤلفاته فلم تزل غير مطبوعة وقد اوصى بها لمكتبة كرسي البطريركية المارونية في بكركي بجبل لبنان .

---

(١) تاريخ سوريا : مجلد ٨ عدد ١٠٧٨ صفحة ٥٦٨ ـ ٥٧٠

الفصل الثالث

خزنة مكاتب اسبانيا

١ – ميخائيل الغزيري (١٧١٠ – ١٧٩١)

ولد ميخائيل الغزيري سنة ١٧١٠ في طرابلس الفيحاء وتلقى العلوم في المدرسة المارونية برومة . ولما جاء العلامة يوسف سمعان السمعاني الى لبنان عام ١٧٣٦ لعقد المجمع اللبناني استصحبه معه وقلده وظيفة « لاهوتي » في ذلك المجمع . وفي السنة ١٧٣٨ عاد ميخائيل الى مركزه في رومة حيث تولى تدريس اللغتين العربية والسريانية والعلوم العالية .

وفي السنة ١٧٤٨ شخص الى اسبانيا بدعوة من ملكها فرديننـد السادس (١٧٤٦ – ١٧٥٩) فعينه في مكتبة مدريد الملكية . فقام ميخائيـل بهذه المهمة خير قيام . ثم سمي عضوا في الجمعية الملكية التاريخية (١) في عاصمة اسبانيا . ونظرا لسعة معارفـه وفرط امانتـه نال سنة ١٧٥٦ لقب « امين مكتبة الاسكوريال » فخدمها خدما جُلى . واستدعى اليه اثناء ذلك صديقه بولس خضر من رومة فرتب معـه مخطوطات الاسكوريال العربية ووصفها وصفـاً مستوفى . ثم نشر الفهرس المذكور بين السنة ١٧٦٠ و ١٧٧٠ في مجلدين يحتوي اولهما على ٥٩٢ صفحة وثانيهما على ٥٦١ صفحة وسمي هذا الكتاب Bibliotheca Arabico-Hispana Escu-rialensis (٢) وقد ادركته المنون في ١٢ اذار ١٧٩١ بالغا السنة الحادية والثمانين

---

(١) Academie Royale d'Histoire

(٢) راجع ترجمة ميخائيل الغزيري في مجلة « المنارة » المطبوعة في جونية : مجلد ٧ صفحة ٢٦ و٢٧ سنة ١٩٣٦

٢ ـ الياس شدياق دب (١٧٥١ ـ ١٨١٨)

هو الياس بن فرج‌الله بن ابرهيمشاه بن موسى شدياق دب . وُلد عام ١٧٥١ وفي السنة ١٧٦٦ سافر الى رومة ليتلقى العلوم في مدرسة بروبغندا الشهيرة فكان من نوابغ تلامذتها . وبعد فراغه من تحصيل المعارف آثر الاقامة في اوروبا ليتسع له مضمار العمل في خدمة الشرق والآداب الشرقية . فاكب على التدريس وانشأ لنفسه مكتبة حافلة بنفائس المخطوطات والمطبوعات يستعين بها على المطالعة والتأليف . لانه كان بارعاً بالالسنة العربية والسريانية واللاتينية واليونانية والايطالية والاسبانية .

واول مرحلة اجتازها الشدياق في حقل التعليم كانت عام ١٧٨١ في قصر سفارة دولة النمسا بالقسطنطينية . وقد لبث هناك اعواماً يدرّس بعض المستشرقين آداب اللغة العربية نذكر منهم السنيور شترمو(١) .

وما نمي خبر تفوقه في العلوم واللغات الى كرلوس الرابع (١٧٨٨ ـ ١٨٠٨) ملك اسبانيا حتى استدعاه اليه ونصبه ترجماناً لدولته . ثم اقامه خازناً لمكتبة مدريد الملكية التي خدمها الشدياق الى تاريخ وفاته بامانة واجتهاد . فنال ثقة اولياء الامور واحترام جميع الذين عرفوه . وقد سهّل له ذلك سبيل التردد الى البلاطين الملكيين في اسبانيا ونابولي والتعرّف الى الاسرتين المالكتين اللتين كانتا توقران فيه الفضيلة والعلم(٢) .

والى الشدياق يرجع الفضل في ما احرزه دير الشرفة بلبنان على اثر تأسيسه من المساعدات المالية والتحف الثمينة من سخاء كرلوس الرابع وزوجته الملكة ماري لويز . وتقديراً لفضله نصب له الدير المذكور في قاعة مكتبته رسماً زيتياً نقش عليه باللغة اللاتينية ما تعريبه : « الياس شدياق تلميذ مدرسة بروبغندا وخازن مكتبة مدريد الملكية . توفي سنة ١٨١٨ »

---

(١) مجموعة رسائل الياس شدياق في محفوظات دير الشرفة بلبنان .

(٢) محفوظات دير الشرفة : جزء ١٣ ،

الفصل الرابع

خزانة مكتبة الامبروزيانا ومكتبات انكلترا

١ ـ المطران اسحق الشدراوي ١٥٨٩ ـ ١٦٦٥

طالعنا في المكتبة الشرقية(١) ترجمة هذا العلامة الذي ينتسب الى شدرا وهي قرية في قضاء عكار . وبعد تحصيله العلوم في المدرسة المارونية (١٦٠٣ — ١٦١٨) رقاه المطران جرجس عُميرة سنة ١٦٢٠ الى درجة الكهنوت وجعله رئيس كهنة ببيروت . وفي ٢٥ اذار ١٦٢٥ اقيم مطراناً على طرابلس التي خدمها حتى وفاته.

وفي السنة ١٦٦٠ ارتحل الى فرنسا ليطلب من ملكها لويس الرابع عشر رتبة قنصل للشيخ ابي نوفل الخازن . ولهذا الاسقف آثار كتابية عددها بعض المؤرخين(٢)

وبلغ مسمعي الكردينال بورومأوس ما تحلى به اسحق الشدراوي من المزايا العلمية . وكان هذا الكردينال قد انشأ سنة ١٦٠٩ مكتبة عظيمة في مدينة ميلانو سمّاها المكتبة الامبروزيانية . وضم اليها طائفة كبيرة من المخطوطات العربية النفيسة التي التقطها من بلاد فارس وجزيرة العرب ومصر وطرابلس الغرب والجزائر والمغرب الاقصى وغيرها من الاقطار الاسلامية . وروى دي لاروك الرّحالة الفرنسي ان الكردينال المشار اليه استدعى الشدراوي وكلفه بتنظيم تلك المكتبة الشهيرة(٣) وهو منصب لا يتقلده الا من كان ذا ثقافة عالية ومزايا فريدة .

٢ ـ حبيب سلموني (١٨٦٠ ـ ١٩٠٤)

ينتمي حبيب بن انطون بن حبيب بن لطف الله سلموني الى اسرة نشأت في جزيرة

---

(١) المكتبة الشرقية : للسمعاني : مجلد ١ صفحة ٥٥٢

(٢) الجامع المفصل : للمطران يوسف الدبس : صفحة ٣٧٣ ـ ٣٧٤

(٣) تاريخ سوريا : مجلد ٧ عدد ١٠٢٤ صفحة ٣٢٠

اقريطش (كريت) ثم نزحت الى لبنان في اواخر القرن السابع عشر . وُلد حبيب سنة ١٨٦٠ في بيروت وتلقى العلوم في المدرسة البطريركية على عهد كبير اساتذتها الشيخ ابرهيم اليازجي . وسافر سنة ١٨٧٨ الى لندن وتعرف باللورد روزبري وغيره من نبلاء الانكليز . واصدر هناك سنة ١٨٩٢ جريدة « ضياء الخافقين » التي لعبت دوراً مهماً في عالم الادب والسياسة . وانتظم بين اعضاء الجمعية الملكية الشرقية بلندن . وساعد السر ريشار برتون في ترجمة كتاب « مجنون ليلى » ووضع معجمين كبيرين احدهما عربي انكليزي والاخر انكليزي عربي . ونشر كتباً شتى نذكر منها كتاب Resurrection of Turkey روى فيه احوال الدولة العثمانية واسباب هبوطها . واشتهر بمقالاته في صحف انكلترا المعتبرة اخصها مجلة « القرن التاسع عشر » التي ندر ان تفرغ مجالا على صفحاتها الا لكاتب اشتهر بفضله وصدقه (١)

وكان حبيب سلموني يتردد مرارا على خزائن كتب المتحف البريطاني يطالع ويبحث وينسخ بيده بعض المخطوطات العربية . فلفت اجتهاده انظار اولياء ذلك المعهد الكتابي فأعجبوا بادبه وسعة معارفه . واقاموه خازناً بين خزنة القسم الشرقي من تلك الخزائن لتضلعه من الالسنة الشرقية فضلا عن اتقانه اللغات الانكليزية والفرنسية والايطالية . وظلّ يشغل هذه الوظيفة منذ السنة ١٨٩٣ حتى السنة ١٩٠٤ وفيها لاقى منيته . وما برح ذلك المتحف البريطاني يحفظ للاستاذ حبيب سلموني تذكاراً طيباً .

٣ ـ الدكتور الفنس منكنا (١٨٧٩ ـ ١٩٣٧)

هو هرمز منكنا من الطائفة الكلدانية . ولد سنة ١٨٧٩ في قرية شرانش بجوار الموصل . وفي الثانية عشرة من سنه دخل مدرسة الآباء الدومنكيين في

---

(١) تاريخ الصحافة العربية : جزء ٤ صفحة ٣٨٢ و٣٨٣

المدينة المذكورة فكان مثال الجد والاجتهاد بين اقرانه . وقد واصل دروسه حتى انجز الفلسفة واللاهوت واحكم اللغات العربية والسريانية والفرنسية واللاتينية والانكليزية . وفي السنة ١٩٠٢ صار كاهناً كلدانياً باسم « القسيس الفونس منكنا » وتولى التعليم ستة اعوام في اكليريكية الدومنكيين المشار اليها .

وكان القسيس الفونس لا يفتر اثناء ذلك من البحث عن المخطوطات القديمة وينشر ما يراه منها مفيداً . فنشر سنة ١٩٠٥ في مجلدين ميامر نرساي البالغة ٤٧ ميمراً الحقها بعشر قصائد . ثم نشر عام ١٩٠٧ تاريخ « مشيحا زخا » مع ترجمة افرنسية واشترت منه الجمعية العلمية ببرلين نسخة المخطوط الاصلي بمبلغ مائة وخمسين ليرة عثمانية ذهبية . ثم نشر ميمراً في تقريظ سبريشوع ضم اليه عام ١٩٠٨ تاريخ يوحنا بن فنكايا . ونشر غراماطيقاً سريانياً باللغة الفرنسية

وفي السنة ١٩١٣ زايل وطنه متوجهاً الى اوروبا . فاستقر في انكلترا حيث لقي حظوة كبيرة لدى علماء الاستشراق الذين قدروا منزلته الادبية . وما عتّم ان عُين اميناً لمكتبة ريلاند في منشستر ثم اميناً للقسم الشرقي من مكتبة جامعة برمنجهام التي تشتمل على الفي مخطوطة عربية . وقد سافر الفنس الى بلدان الشرق الادنى والشرق الاوسط على نفقة المستر كدبوري لجمع المخطوطات النادرة . وبتاريخ ٢٥ نيسان ١٩٣٢ اجري الاحتفال رسمياً بافتتاح الخزانة الجديدة لتلك النفائس الشرقية برئاسة الأرل كروفرد بكاريس .

ونظراً الى شهرة الفنس العلمية دُعي ليرئس الدائرة الشرقية في جامعة شيكاغو فاعتذر لدواعٍ خصوصية . واخر منصب علمي تولاه كان مدير دائرة اللغات الشرقية في خزانة كتب جان راينولدز في منشستر . ومكتبة راينولدز هذه عظيمة الشأن تحتوي على مليون من الكتب المطبوعة والمخطوطة . وامتلك الدكتور منكنا خزانة خاصة به حوت الفين وستمائة مخطوطة كان يباهي بها افخم مكتبات اوروبا .

الفصل الخامس

خزائن مكتبات القسطنطينية

١ - نيقيطا

انصرف قياصرة الروم في القسطنطينية منـــذ قديم الزمان الى انشاء المكتبات والمتاحف في عاصمة سلطنتهم . وضموا اليها الشيء الكثير من الصكوك والمخطوطات والوثائق الشرقية اذ كانت المواصلات مستمرة بينهم وبين دولة العباسيين وغيرها من دول المشرق . وقد المحنا الى بعض ذلك في غير هذا الفصل .

ومن دواعي الافتخار ان اولئك القياصرة عهدوا الى نفر من العلمـاء ذوي الاطلاع الواسع باللغات الشرقية في تنظيم مكتباتهم وصيانتها وادارة شؤونهـا . يؤيد ذلك ما رواه التاريخ عن جهبذ لبناني تولى مكتبة تلك العاصمة في القرن الثالث عشر كما اثبت البطريرك اسطفان الدويهي الماروني قال (١) :

« في عهد البابا غريغوريوس العاشر (١٢٧١ - ١٢٧٦) ... اشتهر نيقيطـــا الماروني وكان حافظاً رستاق (٢) المكتبة في القسطنطينية . وصنف خمسة كتب في تثبيت انبثـاق الروح القدس من الآب والابن » . ثم روى الدويهي نفسه ان نيقيطا ارتقى الى اسقفية تسالونيقي وان ميخائيل فاليولوغ الثامن ملـك الروم (١٢٥٩ - ١٢٨٢) درس كتبه وكتب غيره من علماء الدين درسا مدققا . فاذعن الملـك لرأي البيعة ثم جمع شهادات اضافها الى ما جمعه من كتب نيقيطا . وقد ضمّنها كلها براهين سديدة تأييدا لتصانيف نيقيطا المشار اليها .

---

(١) منارة الاقداس : للبطريرك الدويهي : جزء ٢ صفحة ٨٧ و٨٨

(٢) يراد بالرستاق في اصطلاح العامة : التنظيم والترتيب

وروى بعض المؤرخين ان نيقيطا تولى رئاسة اسقفية نيقومدية (١) . فنرجح انه انتقل الى رئاسة اسقفية هذه المدينة من اسقفية سالونيقي نظراً الى كفاءته ووافر علمه .

٢ ـ ملا لطفي

هو لطف‌الله الطوقاتي نسبة الى طوقات مدينة في آسيا الصغرى وُلد فيها ودرس على استاذيه القوشجي وسنان باشا السرعسكر العثماني . فتولى خزانة الكتب السلطانية بعاصمة الخلافة في عهد السلطان محمد الثالث (١٠٠٣ـ١٠١٢هـ) (٢) ونُصب بعد ذلك استاذاً لمدرسة بروسة ومنها تنقل الى مدينة ادرنة فالاستانة . وفي آخر ايامه عاد الى بروسة وفيها قضى نحبه في اوائل القرن الحادي عشر للهجرة .

وخلّف مُلّا لطفي من التصانيف كتاب « المطالب الالهية » في موضوعات العلوم قدمه هدية الى السلطان المشار اليه . ولهذا المخطوط نسختان احداهما في المتحف البريطاني والثانية في خزانة كتب فينّا . ومن تآليفه ايضاً رسائل وكتب عديدة مختلفة المواضيع نذكر منها : رسالة « تضعيف المذبح » في تاريخ افلاطون طبعت عام ١٨٢٧ في ليدن . وكتاب « شرح المواقف » في علم الكلام للايجي طبع في الاستانة سنة ١٢٣٩ للهجرة (٣).

---

(١) تاريخ الانشقاق للاطران جراسيموس مسرة : جزء ٢ صفحة ١٨٠

(٢) ابدع ماكان في صور سلاطين آل عثمان لناشره سليم فارس الشدياق : صفحة ١٣

(٣) الشقائق النعمانية : صفحة ٣١٣ و وكتاب « آداب اللغة العربية » مجلد ٣ صفحة ٢٣٨

الفصل السادس

خزنة مكاتب اميركا

١ ـ الدكتور فيليب حتي

هو احد النوابغ اللبنانيين في القرن العشرين ولد في شملان احدى قرى الشوف بلبنان . وتلقى العلوم منذ حداثته في الجامعة الاميركية في بيروت . ثم عُيّن فيها استاذاً لعلم التاريخ فنهض بهذه المهمة نهضة مشكورة . وكافأته جامعة كولمبيا فمنحته عام ١٩١٦ لقب دكتور في الفلسفة تقديراً لنبوغه .

وفي السنة ١٩٣٦ استدعته جامعة برنستون في الولايات المتحدة ليتولى فيها تدريس آداب اللغات السامية . وفي الوقت ذاته نصبته قيّماً على مكتبتها العربية التي جهزها بانفس الكتب المطبوعة في اوروبا ومصر ولبنان وسوريا . وهي تعدّ بكل يقين اعظم المكاتب العربية في العالم الجديد بمطبوعاتها العربية التي عني هو بجمعها وترتيبها . ويربو عددها الآن على خمسة آلاف مخطوط كما روينا ذلك في فصل سابق . وبياناً لفضل الدكتور فيليب حتي نثبت فقرة من مقالة نشرتها جريدة « الهدى » في نيويرك قالت : « ابرز شخصية بيننا في حقل العلم والتهذيب هو الاستاذ فيليب حتي استاذ التاريخ والآداب الشرقية في جامعة برنستون الشهيرة . ويسرنا ان شهرته تزداد ونفوذه يتسع في الدوائر العلمية والتهذيبية وان العلماء في شتى الفروع اصبحوا يرجعون اليه كثقة ويأخذون عنه .

« لا نستبعد ان يكون لمواطننا الدكتور حتي في مجال التنقيب في العلوم

الشرقية وترقيتها في هذه البلاد ما كان قبله لمواطننا الآخر العلامة السمعاني الذي يسلم المستشرقون جميعاً بانه كان واضع اساس ومنظم هذا الفرع من العلم . ومنزلته في ذلك منزلة الرئيس ابن سينا في الطب . ويسرنا ان يكون الدكتور حتي قد اقيم قهرماناً على مكتبة المخطوطات العربية النادرة في جامعة برنستون . وهو دائب في استخراج كنوز هذه المخطوطات وقد حرّر بعضها وابرزه مطبوعاً ولا يزال بين يديه الكثير مما هو معد للظهور » .

وقد وضع الدكتور فيليب حتي سنة ١٩٣٩ بالاشتراك مع الاستاذين نبيه امين فارس وبطرس عبدالملك فهرساً علمياً لمخطوطات جامعة برنستون المشار اليها . فوصفوا فيه اربعة آلاف وخمسمائة مخطوط عربي بينها ما هو مكتوب بيد المؤلفين او عليه اجازة بخطهم . وبينها ما يرتقي عهد نسخه الى المؤلف نفسه . ومنها ما هو مدبج بحواش وتعاليق وهوامش اثبتها كبار العلماء وائمة اللغة . ومنها ما هو وحيد من نوعه بل ليس له نظير في جميع خزائن الكتب شرقاً وغرباً .

وبلغ عدد صفحات هذا الفهرس سبعمائة واربعين صفحة مطبوعة طبعاً متقناً باللغتين العربية والانكليزية . ومن تصفحه بامعان اتضحت له الجهود الجبارة التي صرفها الدكتور فيليب حتي ومعاوناه في اخراج هذا السفر النفيس اعلاء لشأن العلوم العربية في العالم الجديد . وهي خدمة جُلى يشكره عليها علماء المشرقيات وكل من نطق بالضاد .

الباب الثاني عشر

غلاة الكتب وهواة المكتبات المسلمون

الفصل الاول

مشاهير هواة الكتب في القرن الثاني للهجرة

لم يكن الافراد اقل اهتماماً من الملوك والامراء بجمع الكتب وانشاء المكتبات للمفاخرة بها او لجعلها وقفاً على المطالعة والمراجعة . فانه قام في كل عصر اعلام من العلماء والوزراء واهل الوجاهة والثراء رفعوا لواء المعارف عالياً بما كنزوه من الاسفار وانفقوه من المال لاجل اقتنائها .

وبلغ الشغف من غلاة الكتب انهم يحرصون عليها من التلف حرصهم على الدرر الغوالي . ولسنا نبالغ اذا قلنا انهم كانوا يتباهون بها ويجعلونها من احاسن الزينة في قصورهم واندیتهم . وهذا الشغف بجمع الكتب قديماً وحديثاً يشبه شغف جمّاعي الصور النفيسة والعاديات الاثرية والرياش الفاخر والطوابع البريدية والاسلحة القديمة وسائر التحف النادرة في عصرنا الحاضر . وقد روى لنا التاريخ اخبار طائفة صالحة من غلاة الكتب وهواة المكاتب بحيث لو شاء المرء احصاءهم ووصف شيء من احوالهم لاقتضى ذلك مجلدات برأسها . انما لا نرى مندوحة عن سرد اسماء مشاهيرهم في عصر الارتقاء العربي وبعده تخليداً لفضلهم واعترافاً بجهودهم وحثاً لكل اديب على اقتفاء آثارهم .

١ ـ ابو عمرو زبان بن العلاء

هو ابو عمرو زبان بن العلاء بن عبدالله بن الحسين التميمي المازني احد القراء السبعة وكان اعلم الناس بايام العرب وعلومهم واشعارهم وجاهليتهم . وكانت كتبه تملأ البيت الى السقف ثم تنسّك فاحرقها(١) . توفي سنة ١٥٤ هجرية وهو الذي قال : « ما انتهى اليكم مما قاله العرب الا اقله(٢) » . وهو القائل ايضاً : « علم العربية هو الدين بعينه(٣) » . وعنه اخذ اكثر النحاة في تلك الحقبة فضلاً عن ادبائها ورواتها .

٢ ـ البرامكة

البرامكة اسرة فارسية اصلها من خراسان اتصلت بالدولة العباسية . وتولى بعض افرادها منصب الوزارة ولم يزالوا في عزّ وسؤدد الى ان نكبهم الرشيد تلك النكبة العظمى المعروفة في التاريخ . وآثارهم في الكرم اشهر من ان تذكر حتى ضُرب بهم المثل في الآفاق وجعل اسمهم صفة لكل كريم جوّاد .

ولم تكن شهرة البرامكة في الادب باقل من شهرتهم في السياسة والكرم . فانهم كانوا يعطفون على العلماء ويقرّبونهم اليهم ويجيزونهم باسنى الصّلات . وكانوا يتنافسون في اقتناء الكتب واستنساخها حتى تكوّنت لديهم خزانة مخطوطات عزّ نظيرها في ذلك العهد . ولما نظم أبان بن عبد الحميد الرقاشي كتاب « كليلة ودمنة » باقتراحهم اجازه يحيى البرمكي بعشرة آلاف دينار . واجزل له الفضل البرمكي خمسة آلاف دينار . اما جعفر البرمكي فاجازه بقوله : ألا يكفيك ان احفظه فاكون راويتك ؟ » وقد روى المؤرخون كثيراً من امثال هذه المِلح

---

(١) كشف الظنون : مجلد ١ صفحة ٤٠ (٢) طبقات الادباء : ٣٣
(٣) تاريخ آداب اللغة العربية : مجلد ٢ صفحة ١٤

المبرهنة على آداب البرامكة وتعزيزهم للتأليف والترجمة وشغفهم بجمع الكتب في خزائنهم .

وكان البرامكة في عهد الرشيد غرّة في جبين دولته . جمعوا من الصفات المحمودة ما استحقوا به ثناء معاصريهم من الكتّاب والشعراء والقصّاد . وقد كانوا فرسان البلاغة وملوك الكلام كما كانوا مبرّزين في حلبة الجود والسخاء . تهزهم الاريحية عند سماع المديح فيجودون بما ضنّ به الكرام حتى انسوا الناس ذكر الاولين(١) .

ولما افتتح هرون الرشيد مدينة انقرة وجد بهـا كثيراً من الكتب كانت محفوظة في خزائنها . فاحضرها الى بغداد وأمر بنقلها الى اللغة العربية . وممن اعتنى بترجمتها اعتناء جزيلاً جعفر البرمكي وجماعة من اهل بيته . فقال فيهم بعض الشعراء(٢) :

اولاد يحيى اربعة ... كاربع الطبائعِ
فهم اذا اختبرتهم ... طبائعُ الصنائعِ

---

(١) محاضرات تاريخ الامم الاسلامية : صفحة ١٦٠ و١٦١
(٢) صناجة الطرب في تقدمات العرب : تاليف نوفل نوفل : صفحة ٣٨٥

الفصل الثانى

مشاهير هواة الكتب فى القرن الثالث للهجرة

١ ـ الواقدي (١٣٠ ـ ٢٠٧ للهجرة)

هو ابو عبدالله بن عمر بن واقد الاسلمي من اعظم مؤرخي الاسلام واقدمهم ولد في المدينة وانتقل الى العراق . فولاّه الخليفة المامون منصب القضاء بالرصافة فظل فيه اربع سنين . ثم رحل الى الرقة فاتصل بيحيى بن خالد البرمكي فافاض عليه عطاياه . وسعى له ان يكون قاضياً ببغداد فخدم هذه الوظيفة حتى توفاه الله تعالى . وكان الواقدي من اكبر غلاة الكتب في ايامه . قيل ان كتبه كانت تملأ ستمائة صندوق ويقتضي حملها مائة وعشرين جملاً .

ومن اشهر مؤلفات الواقدي ما يلي : كتاب « المغازي النبوية » وكتاب « فتح افريقية » في جزئين . وكتاب « فتح العجم » . وكتاب « فتح مصر والاسكندرية » وكتاب « تفسير القرآن » لم يزل مخطوطاً غير مطبوع . وكتاب « فتوح الشام(١) » .

وكان الواقدي على سعة علمه لا يحفظ القرآن . واعتاد ان يقول متفاخراً : « ما من احد الا وكتبه اكثر من حفظه . اما انا فحفظي اكثر من كتبي(٢) ».

٢ ـ الاصمعي (١٢٢ ـ ٢١٤ للهجرة)

هو عبد الملك بن قريب بن قيس ولد سنة ١٢٢ هجرية وقد اشتهر بكنيته

---

(١) تذكرة الحفاظ : مجلد ١ صفحة ٣١٧

(٢) تاريخ بغداد : لابي بكر الخطيب البغدادي : جزء ٣ صفحة ٥ ـ ٧

« الاصمعي » . قدم بغداد من البصرة في ايام الرشيد مع ابي عبيدة فقيل لابي نواس ذلك فقال : « اما ابو عبيدة فاذا امكنوه قرأ عليهم اخبار الاولين والآخرين . واما الأصمعي فبلبل يطربهم بنغماته » .

وكان الأصمعي شديد الحفظ يحفظ اثنتي عشرة الف ارجوزة . واذا انتقل من بلد الى بلد حمل كتبه في ثمانية عشر صندوقاً(١) . وله مؤلفات جديرة بالاعتبار يزيد عددها على الاربعين في مواضيع مختلفة ضاع معظمها . اما مؤلفاته الباقية فمنها شعرية ومنها لغوية الالفاظ .

٣ ـ اسحق ابن ابرهيم النديم (١٥٥ ـ ٢٣٥ للهجرة)

اسحق بن ابرهيم بن ميمون بن النديم التميمي الموصلي برع في اللغة والتاريخ والموسيقى وتفرد بصناعة الغناء . وكان غنياً بخزائن الكتب النادرة حتى روى عنه ابو العباس ثعلب قال : « رأيت لاسحق الموصلي الف جزء من لغات العرب كلها سماعة . وما رأيت اللغة في منزل احد قط اكثر منها في منزل اسحق ثم منزل ابن الاعرابي » . ومن تصانيفه « كتاب اغانيه » التي غنى بها وكتاب « اخبار عزة الميلاء » وكتاب « اغاني معبد » و « اخبار حماد عجرد » وكتاب « اخبار ذي الرّمة » وكتاب « الندماء » وكتاب « النغم والايقاع » وكتاب « قيان الحجاز » وكتاب « النوادر المتخيرة » وغير ذلك(٢) .

٤ ـ الفتح بن خاقان القيسي (قتل سنة ٢٤٧ للهجرة)

الفتح بن خاقان بن احمد بن غرطوج : « اديب شاعر كان في نهاية الفطنة

---

(١) الاغاني : مجلد ٥ صفحة ٦٨

(٢) وفيات الاعيان لابن خلكان : جزء ١ صفحة ٩٣ وكتاب « حضارة الاسلام في دار السلام » لجميل مدور : صفحة ١٤٦

والذكاء فارسي الاصل من ابناء الملوك . اتخذه المتوكل الخليفة العباسي (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ) أخاً له واستوزره وجعل له امارة الشام على ان ينيب عنه . وكان يقدمه على جميع اهله واولاده » .

اقتنى الفتح بن خاقان خزانة كتب حافلة من اعظم الخزائن كان قد جمعها علي بن يحيى لم يشاهد أوفر منها عدداً واعظم حسناً . وكان علماء الكوفة والبصرة وفصحاء العرب يرتادون داره للمطالعة والمناظرة والاستفادة . قال ابو همّام : « ثلاثة لم أرَ قط ولا سمعت باكثر محبة للكتب والعلوم منهم : الجاحظ والفتح بن خاقان واسمعيل بن اسحق القاضي » . وقال ابن الكتبي في « فوات الوفيات » : « وكان الفتح يحضر لمجالسة المتوكل فاذا اراد الخليفة القيام بحاجة اخرج الفتح كتاباً من كمه او جيبه وقرأ فيه الى حين عودة المتوكل » .

وتوفي الفتح بن خاقان القيسي يوم وفاة الخليفة المتوكل سنة ٢٤٧ للهجرة . قال ابو الفرج ابن العبري : « في سنة سبع واربعين ومائتين قُتل المتوكل وهو ثمِل ليلة الاربعاء ثالث يوم من شوال . قتله غلام تركي اسمه باغر وكانت خلافته اربع عشرة سنة وتسعة اشهر وعمره اربعين سنة . وقتل معه الفتح بن خاقان لانه رمى بنفسه على المتوكل وقال : ويلكم تقتلون امير المؤمنين ! فبعجوه بسيوفهم فقتلوه (١) » .

٥ ـ الجاحظ (١٦٥ ـ ٢٥٥ للهجرة)

الامام ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الكناني البصري المعروف بالجاحظ ولد سنة ١٦٥ بالبصرة ونشأ بها . وادرك الاصمعي وابا عبيدة وابا زيد واخذ عنهم وخالط كثيراً من مشهوري الكتّاب ومترجمي الفرس . واقام اكثر عمره بالبصرة يعيش معيشة الادباء والعلماء وكان كثير الانتجاع لبغداد . ثم انقطع

---

(١) تاريخ مختصر الدول : لابن العبري : صفحة ٢٤٨

الى محمد بن زيّات في عهد وزارته وكان يقيم اثناء هذه المدة كثيراً بمدينة سامرّا(١) واستدعاه الخليفة المتوكل لتعليم ولده . فلما مثل الجاحظ بين يديه استبشع منظره فامر له بعشرة آلاف درهم وصرفه .

وصنّف الجاحظ تآليف عديدة نذكر منها : كتاب « الاصنام » وكتاب « البيان والتبيين » وكتاب « التاج في اخلاق الملوك » وكتاب « الحيوان » وكتاب « المحاسن والاضداد » وغيرها . وكان للجاحظ في البصرة خزانة كتب جديرة بالاعتبار يأوي اليها للمطالعة والبحث والتأليف . وكان يعتني بتنظيم مجلداتها ويقيمها صفوفاً صفوفاً تحيط به كالحائط وهو جالس اليها . فسقطت يوماً عليه وهو مفلوج وأودت بحياته عام ٢٥٥ للهجرة وقد جاوز التسعين كما قلنا(٢) .

٦ ـ جعفر المروزي (توفي سنة ٢٧٤ للهجرة)

هو ابو العباس جعفر بن احمد المروزي ذكره محمد بن اسحق النديم قال : هو احد جمّاعي الكتب ومؤلفيها في شتى انواع العلم . كتبه كثيرة جداً وهو اوّل من ألف كتاباً في « المسالك والممالك » ولم يتمه . مات في الاهواز وحُملت كتبه الى بغداد وبيعت في طاق الحرّاني وهي محلة ببغداد سنة ٢٧٤ للهجرة . ومن مؤلفاته غير كتاب « المسالك والممالك » المذكور آنفاً كتاب « الآداب الكبير » و « كتاب الآداب الصغير » الخ (٣)

٧ ـ ابرهيم بن اسحق الحربي

حدّث ياقوت الرومي عن ابرهيم بن اسحق الحربي قال : وُلد ابرهيم سنة

---

(١) معجم المطبوعات العربية والمعربة : ليوسف اليان سركيس : صفحة ٦٦٦ ـ ٦٦٨

(٢) تاريخ ابي الفداء : جزء ٢ صفحة ٤٧

(٣) معجم الادباء : لياقوت الرومي : جزء ٧ صفحة ١٥١

١٩٨ للهجرة ومات ببغداد سنة ٢٨٥ ودفن في بيته بشارع باب الانبار . وسُمع عن كثيرين انه كان اماماً في العلم زاهداً عارفاً بالفقه بصيراً بالاحكام صنّف كتباً كثيرة . اصله من مرو وكان يقول : امي تغلبية واخوالي نصارى . حدّث عن نفسه قال : اني اضقت مرة حتى انتهى امري في الاضاقة الى اعدام عيالي القوت . فقالت لي الزوجة : هَب اني واياك نصبر فكيف تصنع بهاتين الصبيتين ؟ فهاتِ شيئاً من كتبك نبيعه او نرهنه . فضننت بذلك وقلت : اقترضي لهما وانظريني بقية اليوم والليلة . وكان لي بيت في دهليز داري فيه كتبي . فكنت اجلس فيه للنسخ والنظر . فلما كان في تلك الليلة اذ داقّ يدق الباب فقلت : مَن هذا ؟ فقال : رجل من الجيران . فقلت ادخل . فقال اطفء السراج . فكببت على السراج شيئاً وقلت : ادخل . فدخل وترك الى جانبي شيئاً وانصرف . فكشفت عن السراج فاذا منديل له قيمة وفيه انواع من الطعام وكاغدٌ فيه خمسمائة درهم . فدعوت الزوجة وقلت : أنبهي الصبيان حتى يأكلوا

ولما كان الغد قضينا ديناً علينا من تلك الدراهم . ثم جلست على بابي في غد تلك الليلة واذا جمّال يقود جملين عليهما حملان ورقاً وهو يسأل عن منزل ابرهيم الحربي . فانتهى الي فقلت : انا ابرهيم الحربي . فحط الحملين وقال : هذان الحملان انفذهما لك رجل من اهل خراسان . فقلت من هو ؟ فقال قد استحلفني ألا اقول لك مَن هو .

وحدث ابو عثمان الرازي قال : جاء رجل الى ابرهيم الحربي بعشرة آلاف درهم من عند المعتضد يسأله ان يفرّقها . فرده ابرهيم وانصرف الرسول ثم عاد فقال له : ان امير المؤمنين يسألك ان تفرقها في جيرانك . فقال له ابرهيم : عافاك الله . مال لم نشغل انفسنا بجمعه فلا نشغلها بتفرقته . قل لامير المؤمنين : ان تركتنا والا تحولنا عن جوارك .

وحدّث ابو القاسم الجيلي قال : اعتلّ ابرهيم بن اسحق الحربي حتى اشرف على الموت . فدخلت عليه يوماً فقال : يا ابا القاسم انا في امر عظيم مع ابنتي ثم

قال لها : قومي واخرجي الى عمك . فخرجت وألقت على وجهها خمارها . فقال ابرهيم : هذا عمك كلميه . فقالت لي : يا عم نحن في امر عظيم ما لنا طعام الا كسر يابسة وملح وربما عدمنا الملح . وبالامس قد وجّه الينا المعتضد مع بدر بألف دينار فلم يأخذها ابي . ووجّه اليه فلان وفلان اموالاً فلم يأخذ منها شيئاً على رغم علته .

التفت الحربي الى الابنة متبسماً وقال : يا بنية انما خفتِ الفقر فقالت : نعم . فقال لها ابوها : انظري الى تلك الزاوية ! فنظرت فاذا هناك كتب . فقال لها : هناك اثنا عشر الف جزء في اللغة والغريب كتبتها بخطي فاذا متّ وجّهي كل يوم بجزء تبيعينه بدرهم . فمن كان عنده اثنا عشر الف درهم لا يُعدّ فقيراً(١) .

٨ ـ بنو موسى بن شاكر

هو ابو جعفر محمد واحمد والحسن الذين اليهم يُنسب جبل بني موسى . ولم يكن والدهم موسى من اهل العلم بل كان حرامياً يقطع الطرق ثم تاب . فأشفق الخليفة المأمون على ابناء موسى واثبتهم في « بيت الحكمة » وكانت حالهم رثة رقيقة . فخرجوا من « بيت الحكمة » نهاية في علومهم(٢) . قال ابن خلكان : « وكانت لبني موسى همم عالية في تحصيل العلوم القديمة وكتب الاوائل . واتعبوا انفسهم في شأنها وانفقوا الى بلاد الروم مَن اخرجها لهم . واحضروا النقَلة من الاصقاع الشاسعة بالبذل السخي فاظهروا عجائب الحكمة

---

(١) معجم الادباء : لياقوت الرومي : جزء ١ صفحة ٣٧ ـ ٣٩

(٢) تاريخ مختصر الدول لابن العبري : صفحة ٢٦٤

الفصل الثالث

مشاهير هواة الكتب في القرن الرابع للهجرة

١ - ابو بكر الصولي (توفي سنة ٣٣٥ هـ)

هو محمد بن يحيى ابو بكر الصولي احد العلماء بفنون الادب . صنّف كتباً ونادم الخلفاء ودوّن اخبار الشعراء والوزراء والكتّاب والرؤساء . واحرز شهرة واسعة في جمع الكتب وحسن تنضيدها والحرص عليها . حدّث الازهري عن لسان ابي بكر بن شازان قال : « رأيت للصولي بيتاً عظيماً مملوءاً بالكتب . وهي مصفوفة وجلودها مختلفة الالوان وكل صف منها بلون : فصف احمر وآخر اخضر وآخر اصفر . وكان الصولي يقول : هذه الكتب كلها سماعي(١) »

٢ - الوزير المهلبي (٢٩١ - ٣٥٢ للهجرة)

ابو محمد الحسن بن محمد بن عبدالله بن هرون من ولد المهلب ابن ابي صفرة وزير من الادباء الشعراء . اتصل بمعز الدولة بن بويه فجعله كاتباً في ديوانه ثم استوزره . وكانت الخلافة للمطيع العباسي (٩٤٦ - ٩٧٤ م) فقربه المطيع وخلع عليه ثم لقبه بالوزارة . فاجتمعت له وزارة الخليفة ووزارة السلطان . وكان يردد قوله : « لقد اشتملت خزانتي على مائة الف وسبعة عشر الف مجلد ما فيها سميري غير الاغاني للاصبهاني » .

---

(١) تاريخ بغداد : للخطيب البغدادي : جزء ٣ صفحة ٤٢٧

وكان المهلبي شاعراً بليغاً ومن جيّد شعره قصيدته المشهورة التي افتتحها بقوله:

ألا موت يباع فاشتريهِ فهذا العيش ما لا خير فيهِ

٣ ـ محمد بن يحيى (٣٢٣ ـ ٣٦٠ للهجرة)

ولد محمد بن يحيى بن مالك بن عائن والد ابن زكريا الراوية في طرطوشة بالاندلس . وتأدب في قرطبة وسمع بها فكان حافظاً للغة والنحو محكماً للشعر حتى اصبح شاعراً مفلقاً بليغاً . رحل مع ابيه الى بلاد المشرق فسمع بمصر والبصرة وبغداد ثم خرج الى ارض فارس فسمع هنالك على شيوخها . وقد جمع منها ومن سائر البلدان التي هبطها كتباً عظيمة . واقام في فارس بقية حياته وتوفي بمدينة اصبهان سنة ٣٦٠ للهجرة . وقد روى اخباره ابن حيّان الاندلسي(١)

٤ ـ يعقوب بن يوسف

كان يعقوب بن يوسف وزيراً للعزيز بالله ثاني الخلفاء الفاطميين في مصر . انشأ خزانة كتب عظيمة وبذل الأموال بسخاء في الاستكثار من التآليف المفيدة . لانه كان يجمع فيها عشرات النسخ للكتاب الواحد كي يتمكن من مطالعته غير واحد من مرتادي مكتبته الكثيري العدد . ولقد غالى في وصفها من اتى على ذكرها من المؤرخين كالمقريزي وغيره . وكان هذا الخليفة يشرف عليها ويتعهدها بنفسه حيناً بعد حين . وحلّت وفاة يعقوب بن يوسف في ٥ ذي الحجة سنة ٣٨٠ للهجرة وهو اول وزراء الدولة الفاطمية .

٥ ـ ابن الفرات (٣٢٢ ـ ٣٨٤ هـ)

هو ابو الحسن محمد بن العباس بن احمد بن محمد بن الفرات البغدادي كان من

---

(١) نفح الطيب : جزء ١ صفحة ٣٩٣

الحفاظ الائمة في عصره . قال عنه الخطيب انه كتب مائة تفسير ومائة تاريخ . وقد خلف ابن الفرات ثمانية عشر صندوقاً مملوءة كتباً اكثرها بخطه سرق ما سرق منها(١) . وبالجملة فقد كان حجة في صحة النقل وجودة الضبط(٢)

٦ ـ الصاحب بن عباد (٣٢٦ ـ ٣٨٥ هـ)

ينتسب الصاحب بن عباد الى اسرة فارسية معروفة بالعلم والوجاهة . هو كافي الكفاة ابو القاسم اسمعيل ابن ابي الحسن عباد بن العباس بن عباد بن احمد بن ادريس الطالقاني والصاحب لقبه . كان شاعرا عالماً كاتباً ثم وزيراً عند مؤيد الدولة بن بويه . وخلف مؤلفات شتى مذكورة في ترجمته المطولة التي نشرها البحاثة خليل مردم بك الدمشقي سنة ١٩٣٢ في الحلقة الرابعة من كتابه : « ائمة الادب » وكان له عشرات من اهل العلم والادب يقيمون عنده وعشرات يفدون عليه . وحلت وفاته سنة ٣٨٥ للهجرة فكان يردد قبل وفاته هذين البيتين :

اناخ الشيب ضيفاً لم أرده ولكن لا اطيق له مردّا

رداء للردى فيه دليل تردى من به يوماً تردى

بعث الامير نوح بن منصور الساماني سلطان بخارا الى الصاحب بن عباد يستدعيه اليه ليسلمه مقاليد الوزارة وتدبير المملكة . فكان من جملة اعذار الصاحب في عدم الاجابة انه يحتاج لنقل كتبه الى تلك البلاد النائية الى الاربعمائة جمل(٣) . وذهب ياقوت الى اكثر من ذلك فذكر ان مكتبة الصاحب اشتملت على ٢٠٦٠٠٠ مجلد(٤) فاذا كان هذا الفرد الواحد اجتمع عنده هذا القدر من الكتب

---

(١) تاريخ بغداد : لابي بكر الخطيب البغدادي : جزء ٣ صفحة ١٢٢

(٢) تذكرة الحفاظ : جزء ٣ صفحة ٢٠٦ (٣) دائرة معارف القرن العشرين : مجلد ٨ صفحة ٧٠ (٤) ارشاد الاديب : مجلد ٥ صفحة ١٥٠

فما ظنك بما اجتمع في مكاتب الخلفاء وخزائن السلاطين وزوايا المساجد فضلاً عن المكاتب الموقوفة للعامة ؟

٧ ـ ابو الفتح برجوان

كان ابو الفتح برجوان من اركان دولة الخليفة العزيز بن المعز (٣٦٥-٣٨٦ هـ) سلطان مصر . اشتهر بتعزيز العلم وتكريم العلماء . وكان مولعاً بالكتب ولعه بالتحف والرياش والاسلحة والآلات النادرة . ويقال انه خلف من ذلك ما لا يُحصى ولا يحصر . وكان ابو الفتح اسود اللون امر الخليفة الحاكم بامرالله بقتله فقتل سنة ٣٩٠ هـ في القصر بالقاهرة . ضربه ابو الفضل زيدان الصقلي صاحب المظلة في جوفه بسكين فمات على الاثر . وروى ابن الصيرفي الكاتب في اخبار وزراء مصر ان برجوان لما قتل وجد عنده من نوع السراويل الف سروال والف تكة من حرير . ومن الملابس والفرش والآلات والكتب والطرائف ما لا يحصى كثرة(١)

٨ ـ المهذب بن الزبير

كان المهذب بن الزبير من نوابغ ادباء زمانه انفذه بعض ملوك مصر في رسالة الى انحاء اليمن . فامتثل الامر وارتحل الى تلك البلاد وافرغ الجهود هناك في تحصيل كتب النسب . هكذا استطاع ان يجمع عنده من تلك المخطوطات ما لم يجتمع عند احد(٢) .

٩ ـ محمد ابن ابي بعرة

قال ابو الفرج محمد الوراق البغدادي الشهير بابن النديم في كتاب الفهرست :

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي : مجلد ٢ صفحة ١٠٣
(٢) معجم الادباء : جزء ٩ صفحة ٤٩

« قال محمد بن اسحق كان بمدينة الحديثة (مما يلي الموصل) رجل يقال له محمد بن الحسين ويعرف بابن ابي بعرة . جمّاعة للكتب له خزانة لم أرَ لاحد مثلها كثرة . تحتوي على قطعة من الكتب العربية في النحو واللغة والادب والكتب القديمة . فلقيت هذا الرجل دفعات فأنس بي وكان نفوراً ضنيناً بما عنده خائفاً من بني حمدان . فاخرج لي قمطراً كبيراً فيه نحو ثلثمائة رطل جلود فلجان وصكاك وقرطاس مصري وورق تهامي وجلود آدم وورق خراساني فيها تعليقات عن العرب وقصائد مفردات من اشعارهم . وشيء من النحو والحكايات والاخبار والاسماء والانساب وغير ذلك من عاوم العرب وغيرهم . وذكر ان رجلا من اهل الكوفة ذهب عني اسمه كان مشتهراً بجمع الخطوط القديمة . وانه لما حضرته الوفاة خصه بذلك لصداقة كانت بينهما وافضال من محمد بن الحسين عليه ومجانسة المذهب فانه كان شيعياً . فرأيتها وقلّبتها فرأيت عجباً . الا ان الزمان قد اخلقها وعمل فيها عملاً ادرسها واحرقها . وكان على كل جزء او ورقة او مدرج توقيع بخطوط العلماء واحداً اثر واحد . فذكر فيه خط من هو . وتحت كل توقيع آخر خمسة وستة من شهادات العلماء على خطوط بعض لبعض . ورأيت في جملتها مصحفاً بخط خالد ابن ابي الهياج صاحب علي رضي الله عنه . ثم وصل هذا المصحف الى عبدالله بن حسان رحمه الله . ورأيت فيه بخطوط الامامين الحسن والحسين . ورأيت عنده امانات وعهوداً بخط امير المؤمنين عليه السلام وبخط غيره من كتّاب النبي صلى الله عليه وسلّم . ومن خط العلماء في النحو واللغة مثل ابي عمرو اسحق بن العلاء وابي عمرو الشيباني الاصمعي وابن الاعرابي وسيبويه والفرّاء والكسائي . ومن خطوط اصحاب الحديث مثل سفيان بن عُيينة وسفيان الثوري والاوزاعي وغيرهم. ورأيت مما يدل على ان النحو عن ابي الاسود ما هذه حكايته . وهي اربعة اوراق احسبها من ورق الصين ترجمتها هذه فيها كلام من الفاعل والمفعول من ابي الاسود رحمة الله عليه بخط يحيى بن يعمر . وتحت هذا الخط بخط عتيق : هذا خط علان النحوي . وتحته : هذا خط النضر بن شميل . ثم لما مات هذا الرجل (يعني ابن ابي بعرة) فقدنا القمطر وما كان فيه . فما سمعنا له خبراً ولا رأيت منه غير المصحف هذا على كثرة بحثي عنه » .

١٠ ـ ابو بكر الخوارزمي (٣١٦ ـ ٣٨٣ هـ)

حدّث ابو بكر الخطيب عن الحافظ الامام ابي بكر الخوارزمي قال : «كان ثقةً ورعاً متقناً مثبتاً لم يُرَ في شيوخنا اثبت منه . وصنّف تصانيف كثيرة وكان له كتب كثيرة وكان عدد اسفاط (١) كتبه ثلاثة وستين سفطاً وصندوقين(٢) .

واقام الخوارزمي مدة بالشام وسكن بنواحي حلب وكان يشار اليه في عصره . ويحكى انه قصد حضرة الصاحب بن عباد وهو بارّجان فلما وصل الى بابه قال لاحد حجابه : قل للصاحب : على الباب احد الادباء وهو يستأذن في الدخول. فدخل الحاجب واعلمه فقال الصاحب : قل له : قد الزمت نفسي ان لا يدخل عليّ من الادباء الا من يحفظ عشرين الف بيت من شعر العرب . فخرج اليه الحاجب واعلمه بذلك . فقال له ابو بكر : ارجع اليه وقل له : هذا القدر من شعر الرجال ام من شعر النساء ؟ فدخل الحاجب فاعاد عليه ما قال . فقال الصاحب : هذا يكون ابو بكر الخوارزمي فأذن له في الدخول . فدخل عليه فعرفه وانبسط له . وكان ابو بكر قليل الوفاء فهجاه ابو سعيد احمد بن شهيب الخوارزمي بقوله (٣) :

ابو بكر له ادب وفضلٌ ولكن لا يدوم على البقاء
مودته اذا دامت لخلٍّ فمن وقت الصباح الى المساء

---

(١) اسفاط جمع سفط : وعاء كالجوالق او القفة
(٢) معجم البلدان : لياقوت الحموي : جزء ٢ صفحة ١٣١
(٣) مجاني الادب في حدائق العرب : للاب لويس شيخو : جزء ٦ صفحة ٣٠٨ ـ ٣٠٩ نقلا عن ابن خلكان

الفصل الرابع

مشاهير هواة الكتب في القرن الخامس للهجرة

١ ـ ابن فطيس القرطبي (٣٤٨ ـ ٤٠٢ للهجرة)

هو قاضي الجماعة ابو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس بن أصبغ القرطبي . كان من جهابذة الحديث عارفاً بالرجال يملي على الطلاب من حفظه . وقد كلف باقتناء الكتب فجمع منها ما لم يجمعه احد في عصره . قيل ان خزائن كتبه بيعت بعد وفاته باربعين الف دينار . ومن مؤلفاته نذكر : كتاب « اسباب النزول » في مائة جزء وكتاب « فضائل الصحابة » في مائة جزء . وكتاب « معرفة التابعين » في مائة وخمسين جزءاً . وكتاب « الناسخ والمنسوخ » في ثلاثين جزءاً وكتاب « الاخوّة » في اربعين جزءاً وكتاب « دلائل الرسالة » في عشرة اسفار وغير ذلك مما يطول ذكره(١)

٢ ـ المظفر بن الافطس

عاش المظفّر بن الافطس في القرن الخامس للهجرة . واليك ما كتبه عنه ابو مروان بن حيّان المتوفى سنة ٤٦٩ للهجرة وهو من خيرة مؤرخي الاندلس قال : « كان المظفر بن الافطس صاحب بطليوس كثير الادب جمّ المعرفة محباً لاهل العلم . وكان جمّاعة للكتب ذا خزانة عظيمة لم يكن في ملوك الاندلس من يفوقه في ادب ومعرفة » .

---

(١) تذكرة الحفاظ : جزء ٣ صفحة ٢٤٨

وقال عنه ابن بسام الشنتمري المتوفى سنة ٥٤٢ للهجرة في كتابه « الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة » ما نصه : « كان المظفر اديب ملوك عصره غير مدافع ولا منازع . وله التصنيف الرائق والتأليف الفائق المترجم بالتذكرة والمشتهر ايضاً اسمه بالكتاب المظفري في خمسين مجلداً . يشتمل على فنون وعلوم من مغازي وسِيَر ومُثل وخير وجميع ما يختص به علم الادب » . وحلت وفاة ابن الافطس سنة ٤٦٠ للهجرة(١).

٣ ـ ابو الحسن علي الفالي

اشتهر ابو الحسن علي بن احمد بن علي بن سلك الفالي بعلوم الادب . وأولع خصوصاً باقتناء الكتب الثمينة فجمع منها خزانة ضُربت الامثال بنفاستها . وكانت لديه نسخة من كتاب « الجمهرة » لابن دريد في غاية الجودة ظرفاً وخطاً . فدعته الحاجة الى بيعها فاشتراها منه الشريف المرتضي ابو القاسم بستين ديناراً . ولما تصفحها وجد ضمنها ابياتاً بخط بائعها ابي الحسن الفالي هذا نصها :

أنست بها عشرين حولاً وبعتها لقد طال وجدي بعدها وحنيني
وما كان ظني انني سأبيعها ولو خلدتني في السجون ديوني

فما كان من الشريف المرتضي بعد ما تصفح هذه الابيات الا ان اعاد كتاب « الجمهرة » الى البائع تاركاً له الدنانير(٢)

٤ ـ ابو عثمان سعيد الحداد

كان سعيد بن محمد الحداد فقير الحال انما اثرى بعد العسر وتموّل بعد الشيخوخة والزمانة . مات له نسيب في جزيرة صقلية خلّف خمسمائة مثقال فاستولى عليها ابو عثمان وجعل يعيش في سعة ورخاء . ولما كان من علماء اللغة جمع كتباً كثيرة وطفق يردد فيها قائلاً : « هو النظر والخبر » . وتكلف ابو عثمان نظم الشعر فاجاده لكنه لم يحفظ من ذلك الا مراثيه في ولد له مات وفي ابن اخ وقع اسيراً . وله تآليف في علم الكلام والجدل والفقه وكتاب رد على الشافعي(٣)

---

(١) نفح الطيب : جزء ٢ صفحة ٢٣٤ (٢) فوات الوفيات : جزء ١ صفحة ٤٢٥
(٣) طبقات علماء افريقية : جزء ٤ صفحة ١٤٨

الفصل الخامس

مشاهير رواة الكتب في القرن السادس للهجرة

١ ـ الوزير الافضل ابن امير الجيوش (٤٨٧ ـ ٥١٥ للهجرة)

هو ابو النجم بدر الجمالي ابن عبدالله امير الجيوش المصرية ووالد الملك الافضل شاهنشاه . اصله من ارمينيا اشتراه جمال الدولة بن عمار غلاماً فتربى عنده ونُسب اليه . وتقدم في الخدمة حتى وُلي امارة دمشق للمستنصر صاحب مصر سنة ٤٥٥ للهجرة . ثم استدعاه الى مصر واستعان به على اطفاء فتنة نشبت فوطّد له اركان الدولة فقلده هذا الخليفة وزارة السيف والقلم حتى اصبح الحاكم في دولة المستنصر والمرجوع اليه .

وكان الافضل ابن امير الجيوش مغرماً بالكتب حتى انه تجمع لديه منها خمسمائة الف مجلد . ولما مات صادر الخليفة الفاطمي الآمر باحكام الله كل ممتلكاته . فكان من ضمنها تلك المخطوطات التي نقلت الى مكتبة القصر(١) وخلف دواة مرصعة بالجواهر قدرت قيمتها باثني عشر الف دينار(٢) .

٢ ـ ابو نعيم عبيدالله بن الحداد (٤٦٣ ـ ٥١٧ للهجرة)

هو الحافظ الامام مفيد اصبهان ابو نعيم عُبيدالله ابن الشيخ ابي علي الحسن بن احمد بن الحسن الاصبهاني المشهور بابن الحداد . روى عنه محمد بن عبد الواحد الدقاق في رسالته انه احد العلماء في فنون كثيرة بلغ مبلغ الامامة بلا مدافعة . وانه جمع

---

(١) الفاطميون في مصر : صفحة ١٤١ (٢) ابن ميسر : صفحة ٥٧

ما لم يجمعه احد اقرانه من الكتب الوافرة العدد والسماعات . وهو صدوق في جمعه وفي كتبه امين في قراءته(١) .

٣ ـ المبشر بن فاتك

هو الأمير محمود الدولة ابو الوفاء المبشر بن فاتك من امراء مصر وافاضل علمائها اشتغل بصناعة الطب وعلم الهيئة والعلوم الرياضية . وللمبشر تصانيف جليلة في المنطق والطب والامثال فضلاً عما نسخ بخط يده من كتب المتقدمين .

اكب المبشّر على تحصيل العلوم وقضى حياته في جمع خزائن الكتب . فكان يصرف بينها اكثر اوقاته ولا يفارقها لشدة شغفه بالمطالعة . وكانت زوجته جليلة القدر تمت بنسبها الى اشرف الأسر المصرية . فلما توفي المبشر نهضت هي وجوارٍ معها الى خزائن كتبه وفي قلبها حرقة ولوعة من تلك الكتب التي كانت تشغله عنها . فجعلت تندبه وتلقي الكتب بعد ذلك في الماء وقد غرق اكثرها (٢) . وروى ابن ابي اصيبعة الذي شاهد طائفة من تلك الكتب ما ياتي قال : « فهذا سبب ان كتب المبشر بن فاتك يوجد كثير منها وهو بهذه الحال ! »

٤ ـ امية بن ابي الصلت (٤٦٨ ـ ٥٢٨ للهجرة)

هو ابو الصلت امية بن عبد العزيز بن ابي الصلت الاشبيلي عاش ستين سنة . فضى منها عشرين سنة في اشبيلية مسقط رأسه وعشرين في افريقيا عند ملوكها الصنهاجيين وعشرين في مصر محبوساً في خزانة الكتب . وكانت تدعى هذه الخزانة دار كتب الحكيم ارسطاطاليس ومركزها في الاسكندرية(٣) . ولا غرابة في

---

(١) تذكرة الحفاظ : جزء ٤ صفحة ٥٩ (٢) طبقات الاطباء : جزء ٢ صفحة ٩٨ ـ ٩٩ (٣) معجم الادباء لياقوت الرومي : جزء ٧ صفحة ٦٧ ـ ٦٨

ذلك لان ابا الصلت كان من اعظم هواة الكتب وغلاة المكتبات . وقد ارسله صاحب المهدية الى ملك مصر الآمر بن المستعلي (٤٩٥ – ٥٢٤ هـ) الخليفة الفاطمي(١) .

وظل ابو الصلت طوال العشرين سنة التي قضاها في وادي النيل ملازماً لخزانة الكتب منقطعاً اليها . ثم خرج منها اماماً في العلم والفلسفة والتلحين(٢) وخلّف في ذلك مؤلفات شهدت بفضله وطول باعه حتى كنّي بالاديب الحكيم .

٥ ـ الملك العاضد لدين الله (٥٥٦ ـ ٥٦٧ للهجرة)

هو آخر الخلفاء العبيديين بمصر توفي يوم عاشوراء سنة ٥٦٧ للهجرة . وكان قصره يشتمل على ذخائر ثمينة استولى عليها الملك الناصر صلاح الدين الايوبي . ومن جملتها خزائن كتب منتخبة بالخطوط الجيدة المنسوبة لا يقل عددها عن مائة الف مجلد .

٦ ـ نور الدين الشهيد

اشتهر نور الدين بن زنكي بشغفه بالكتب فجمع امهاتها ووقف كثيراً منها على الاستفادة (٣) . ولما قتل والده عام ٥٤٢ للهجرة (١١٤٧ م) خلفه في حلب وما بين النهرين وحماة وحمص ودمشق . فهادن الفرنج وزار ملكهم جوسلين وأبرم معه عهد الاتفاق ثم اختلفا . وبعد ذلك احتل نور الدين عزاز وبعلبك وظل يناوش الصليبيين القتال في معارك عنيفة حتى قضى نحبه سنة ٥٧١ للهجرة في دمشق

---

(١) تاريخ مصر الحديث : لجرجي زيدان : جزء ١ صفحة ٢٨٩

(٢) نفح الطيب للمقري : جزء ١ صفحة ٣٧٢

(٣) مجلة المقتبس : مجلد ٢ سنة ١٩٠٧ صفحة ٥٧١

الشام(١) . وقد أطلق على جميع المكتبات التي انشأها نور الدين في بلاد الشام اسم « خزائن نورية » وكانت كتبها كثيرة ذات شأن(٢) .

٧ ــ ابو بكر محمد بن خير الاشبيلي (٥٠٢ ـ ٥٧٥ للهجرة)

هو الامام الحافظ شيخ القرّاء ابو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة اللمتوي الاشبيلي اتقن القراآت حتى ساد اهل بلده . قال ابن الآبار : « لا نعلم احداً من طبقته مثله » فانه تصدّر في اشبيلية للاقراء والاسماع وحمل الناس عنه كثيراً . وكان مقرئاً مجوّداً ومحدثاً متقناً اديباً نحوياً لغوياً واسع المعرفة رضياً مأموناً . فلما مات بيعت كتبه باغلى الاثمان لصحتها ونفاستها ولم يكن له نظير في هذا الشأن(٣) .

٨ ـ عماد الدين السلفي (٤٧٢ ـ ٥٧٦ هـ)

هو شيخ الاسلام ابو طاهر عماد الدين احمد بن محمد السلفي الاصبهاني كان من اعظم اهل عصره علماً وحفظاً . قال ابن نقطة : « كان السلفي جوّالاً في الآفاق حافظاً ثقة متقناً » . وقال عماد الدين الوزير العلامة في خريدة القصر : « طوّف السلفي بالبلاد وشدت اليه الرحال وتبرك به الملوك والاقيال » . وللسلفي شعر ورسائل ومصنفات وكان مغرًى بجمع الكتب ينفق على اثمانها كل ما دخل عليه من المال . وكان عنده خزائن كتب لم يتسنّ له ان يتفرغ للنظر فيها . فاصابها العفن والتصقت اوراقها لنداوة البلد فتلف اكثرها(٤) .

---

(١) الحروب الصليبية في الآثار السريانية : للخوري اسحق ارملة صفحة ١١٤ و١١٥

(٢) جريدة « الاقبال » في بيروت : مجلد ٥ عدد ١٥٩ تاريخ ٦ آب ١٩٠٦

(٣) تذكرة الحفاظ : جزء ٤ صفحة ١٥٤ ـ ١٥٥

(٤) تذكرة الحفاظ : جزء ٤ صفحة ٩٤ و٩٥

٩ ـ عبد الرحمن الملجوم

هو ابو زيد عبد الرحمن بن محمد بن الملجوم المعروف بابن وقتـه عاش في القرن السادس للهجرة على عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن (٥٣٣ ـ ٥٨٠ هـ) سلطان المغرب . وبنو الملجوم من البيوتات القديمة التي اشتهرت في فاس بالمغرب الاقصى . كان عبد الرحمن جمّاعة للدواوين العتيقة والدفاتر النفيسة فاجتمع لديه منها ما لم يجتمع عند احد من اهل المغرب . وكانت خزانة مخطوطاته وحيـدة بيع ما كان منها مخروماً بعد وفاته بستة آلاف دينار(١) .

١٠ ـ ابن الجزار

هو ابو جعفر احمد بن ابرهيم ابن ابي خالد ويعرف بالجزار من اهل القيروان كان طبيباً وابن طبيب . وصنف كتبا كثيرة منها كتاب في علاج الامراض عنوانـه « زاد المسافر » في مجلدين . وكتاب « الاعتماد » في الادوية المفردة وكتـاب « البغية » في الادوية المركبة . وكتاب « العدة لطول المدة » وهو اكبر كتاب وجد له في الطب . وحكى الصاحب جمال الدين بن القفطي انـه راى لابن الجزار في « قفط » كتاباً كبيراً في الطب اسمه « قوت المقيم » وكان عشرين مجلداً . وكتاب « التعريف بصحيح التاريخ » وهو تاريخ مختصر يشتمل على وفيات علماء زمانه . وله غير ذلك من المصنفات التي عددها ابن ابي اصيبعة .

وعاش ابن الجزار نيفاً وثمانين سنة ومات عتيا في القيروان . وقد خلف بعد وفاته اربعة وعشرين الف دينار وخمسة وعشرين قنطاراً من كتب طبية وغيرها (٢)

---

(١) النبوغ المغربي في الادب العربي لعبدالله كنون الحسبني : جزء ١ صفحة ٩٣

(٢) عيون الانباء في طبقات الاطباء : جزء ٢ صفحة ٣٨ ـ ٣٩

١١ ـ فخر الدين المارديني

كان من فلاسفة القرن السادس للهجرة ومن جُلة علمائه . جمع في حياته خزائن كتب معتبرة وقفها سنة ٥٩٤ هـ في مدينة ماردين مسقط راسه على المشهد الذي وقفه حسام الدين بن ارتق الفيلسوف . والكتب التي وقفها فخر الدين هي من اندر الاسفار التي حرر اكثرها بخط يده او قرأها على اساتذته . ومن مزاياها ان جامعها بالغ في تصحيحها واتقانها وحسن تجليدها

١٢ ـ محمد ابو سعيد البندهي (٥٢٢ ـ ٥٨٤ للهجرة)

عاش البندهي في القرن السادس للهجرة وكان من افاضل علماء عصره . ولذلك فوّض اليه السلطان صلاح الدين الايوبي تعليم ولده الافضل . ثم وهبه كتباً كثيرة من خزانة كتب حلب واباح له ان ياخذ منها ما شاء . فجمع ابو سعيد كل ذلك وحصّل من الكتب التي لم تحصل لغيره ثم حبسها على خانقاه السميساطي في دمشق(١)

١٣ ـ الصاحب امين الدولة السامري

عاش كذلك في القرن السادس للهجرة وكان ممن يشار اليه بالبنان في احراز الكتب الثمينة النادرة . واليك ما روى عنه ابن ابي اصيبعة قال : « واقتنى كتباً كثيرة فاخرة في سائر العلوم . وكانت النسّاخ ابداً يكتبون له حتى انه اراد مرة نسخة من « تاريخ الشام » للحافظ بن عساكر وهو بالخط الدقيق ثمانون مجلداً فقال : هذا الكتاب يقصر ان يكتبه ناسخ واحد . ففرقه على عشرة نسّاخ كل واحد منهم ثمانية مجلدات فكتبوه في نحو سنتين » . وقد اجتمع عنده اكثر

---

(١) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : للسيوطي : صفحة ٦٦ ـ ٦٧

من عشرين الف مجلد . وفي رواية النويري وابي المحاسن والمقريزي انها بلغت مئة الف مجلد لا نظير لها في الجودة وبعضها من خط اعظم النساخ (١)

١٤ ـ الحضرمي

هو جابر بن محمد بن نام بن سليمان الحضرمي الاشبيلي(٢) المتوفى سنة ٥٩٦ للهجرة . روى المقري عن الحضرمي ما خلاصته : ان الحضرمي كان يقيم في قرطبة ويحضر سوق الكتب كل يوم عساه يعثر على كتاب كان يتطلبه وظل على ذلك اياماً . واخيراً عثر على الكتاب المطلوب فسامه . فصار كلما زاد الثمن زاده الدلال اكثر حتى بلغ مبلغاً فاحشاً لا يستحقه . فقال للدلال : مَن مناظري في ابتياع هذا الكتاب ؟ فاراه الدلال رجلاً من الكبراء فحياه الحضرمي قائلاً : حيا الله مولانا الاستاذ علامَ تغالي في هذا الكتاب ؟ فقد فاق ثمنه ما يستحقه . فان كنت ترغب فيه فهو لك من غير مزايدة . فقال الرجل : لستُ استاذاً ولا انا عارف موضوع الكتاب . ولكن في بيتي خزانة كتب جمعتها ليعلو شأني بين اقراني . ولم يزل في الخزانة فراغ يسع هذا الكتاب فاريد ان ابتاعه لتتم به . فلما رأيته حسن الخط جيد التجليد استحسنته ولم أبال بما ازيد فيه . والحمدلله على ما انعم به من الرزق فهو كثير . قال الحضرمي فاحرجني وحملني على ان قلت له : نعم لا يكون الرزق كثيراً الا عند مثلك . يُعطى الجوز لمن ليس له اسنان . وانا اعلم ما في هذا الكتاب واطلب الانتفاع به يكون الرزق عندي قليلاً وتحول قلة ما بيدي بيني وبينه .

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي : صفحة ٧٤

(٢) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: لجلال الدين السيوطي : صفحة ٢١١

الفصل السادس

مشاهير هواة الكتب في القرن السابع للهجرة

١ ـ الحسن بن محمد الكاتب (٥٤٠ ـ ٦٠٨)

لُقب الحسن بن محمد بتاج الدين . واليك ما اثبته عنه معاصره ياقوت الروميّ قال (١) : «كان الحسن من الأدباء العلماء حسن الصورة ضخم الجثة كث اللحية طويلها طويل القامة نظيف اللبس ظريف الشكل . وهو ممن صحبته فحمدت صحبته . وُلي عدة ولايات وكان من المحبين للكتب والمبالغين في تحصيلها وشرائها . وحصّل من اصولها المتقنة ما لم يحصلْ للكثير . ثم تقاعد به الدهر وبطل عن العمل فرأيته يخرج الكتب ويبيعها وعيناه تذرفان بالدموع كالمفارق لأهله الاعزّاء والمفجوع بأحبائه الاودّاء . فقلت له . هوّن عليك ادام الله ايامك ! فان الدهر ذو دول وقد يُسعف الزمان ويساعد وترجع دولة العزّ وتعاود . فتستخلف ما هو احسن منها وأجود .

« فقال الحسن بن محمد : حسبك يا بني هذه نتيجة خمسين سنة من العمر انفقتها في تحصيل الكتب . وهبْ ان المال يتيسر والأجل يتأخر وهيهات ! فحينئذ لا أحصل من جمعها بعد ذلك الا على الفراق الذي ليس بعده تلاق .

« ثم ادركت الحسن منيته ولم ينل امنيته . وكان حريصا على العلم والف كتباً لا يجسر على اظهارها . وكان مع اغتباطه بالكتب ومنافسته ومناقشته فيها جواداً باعارتها . ولقد قال لي يوماً وانا معجب من مسارعته الى اعارة كتبه للطلبة : ما

---

(١) معجم الادباء : لياقوت الرومي : جزء ٩ صفحة ١٨٥

بخلت باعارة كتاب قط ولا اخذت عليه رهناً . مات الحسن في المدائن وحُمل الى بغداد ودُفن بمقبرة موسى بن جعفر بباب التين » .

٢ ـ المستنصر العباسي

انشأ المستنصر مكتبة المدرسة المستنصرية على شاطىء دجلة في بغداد سنة ٦٣١ للهجرة . وضم اليها مائتين وتسعين حملاً من الكتب النادرة والاصول المضبوطة سوى ما نقل اليها بعد ذلك حسبما رواه المؤرخ ابن الساعي . وقد عيّن المستنصر العباسي خازناً لمكتبته عبد الرزاق الصابوني المعروف بابن الفوطي (٦٤٢-٧٢٣هـ) صاحب التصانيف النفيسة . نذكر منها كتاب « مجمع الالباب في معجم الاسماء على معجم الالقاب » في خمسين مجلداً . وكتاب « درر الاصداف في غرر الاوصاف » وقدره عشرون مجلداً . وكتاب « الدرر الناصعة في شعر المائة السابعة »

٣ ـ اسامة بن مرشد (٥٢٠ ـ ٦١٥ هـ)

قال ياقوت : أسامة بن مرشد بن منقذ جمّاعة للكتب حضرت داره واشترى مني كتباً . وحدثني ان عنده من الكتب ما لا يُعلم مقداره . الا انه ذكر لي انه باع منها اربعة آلاف مجلد في نكبة لحقته فلم يؤثر فيها هذا البيع . وسألته عن مولده فقال سنة ٥٢٠ فيكون عمره الى هذا الوقت اثنتين وتسعين سنة .

وكان اسامة أقعد لا يقدر على الحركة . وهو صحيح العقل والذهن والبصر يقرأ الخط الدقيق كقراءة الشبان . الا ان سمعه ثقل وكان ذلك يمنعني من مكاثرته ومذاكرته . وكان السلطان صلاح الدين اقطعه ضياعاً وكان الملك الكامل بن العادل يحترمه(١) .

---

(١) معجم الادباء : جزء ٥ صفحة ٢٤٣

ولأسامة بن منقذ تصانيف عديدة في فنون الادب منها ديوان شعر في جزئين بخطه .

٤ ـ جمال الدين القفطي (توفي سنة ٦٤٦ للهجرة)

جمال الدين علي القفطي المعروف بالقاضي الاكرم كان وزيراً بحلب ومعدوداً من اعظم غلاة الكتب . وتروى حكايات غريبة عن غرامه بالكتب وشغفه بمطالعتها . فانه خلّف مكتبة ثمينة وصفها في ترجمته ابن شاكر صاحب كتاب « فوات الوفيات » المطبوع في القاهرة(١) . وقرأنا عنها في « معجم المطبوعات العربية والمعرّبة » لمؤلفه يوسف بن اليان سركيس ما نصه : « جمع من الكتب ما لا يوصف وقصد بها من الآفاق . وكان لا يحب من الدنيا سواها ... واوصى بكتبه للناصر صاحب حلب وكانت تساوي خمسين الف دينار » .

وأثبت ياقوت الرومي عن جمال الدين القفطي ما نصه(٢) : « كان الاكرم القاضي ابن القفطي جمّاعة للكتب حريصاً عليها جداً . لم ارَ مع اشتمالي على الكتب وبيعي لها وتجارتي فيها اشد اهتماماً منه بها ولا اكثر حرصاً منه على اقتنائها . وحصل له منها ما لم يحصل لاحد » .

٥ ـ بهاء الدين زهير

هو ابو الفضل زهير الملقب بهاء الدين الكاتب وُلد في « وادي نخلة » بمكة سنة ٥٨١ للهجرة . واتصل في الديار المصرية بخدمة الملك الصالح نجم الدين ابن الملك الكامل فاخلص له الولاء في السرّاء والضرّاء . وحدث عنه ابن خلكان قال : كان بهاء الدين زهير من فضلاء عصره واكبرهم مروءة ومن احسنهم نظماً ونثراً وخطاً .

---

(١) فوات الوفيات : جزء ٢ صفحة ٩٧ (٢) معجم الادباء : جزء ٥ صفحة ١٨٧ و١٨٨

ولما رقت حال بها الدين زهير في آخر عمره باع موجوده ولاسيما خزانة كتبه التي قضى حياته كلها في جمعها وفي نسخ بعضها بخطه الانيق . وظل مقيماً في القاهرة حتى ادركته الوفاة بتاريخ ٤ ذي القعـــدة سنة ٦٥٦ للهجرة ودفن بالقرافة الصغرى(١)

ومن شعره قوله وقد غرقت به سفينة فسلم بنفسه

لا تعتب الدهر في خطب رماك به ... ان استردّ فقدماً طالما وهبا
حاسب زمانك في حاليَ تصرفه ... تجده اعطاك اضعاف الذي سلبا
والله قـــد جعـــل الايام دائرة ... فـلا ترى راحة تبقى ولا تعبا
ورأس مالك وهي الروح قد سلمت ... لا تأسفن لشيء بعدهـــا ذهبـــا

٦ ـ ابن العلقمي (توفي سنة ٦٥٦ للهجرة)

اشتغل محمد بن احمد بن العلقمي البغدادي بالادب وأولـع منذ صبـاه بجمع الكتب . وقد رقّاهُ المستعصم العباسي (١٢٤٢-١٢٥٨ م) الى رتبة الوزارة لانه كان حازماً خبيراً بسياسة الملك . وقد نفى عنه بعض ثقات المؤرخين خبر المؤامرة على الخليفة المذكور حين اغار هولاكو على بغداد . واشتملت خزائن ابن العلقمي على عشرة آلاف مجلد من احاسن المؤلفات (٢) .

٧ ـ ابو المظفر بن معروف

قرأنا عنه في كتاب « طبقات الاطباء » لابن ابي اصيبعـة ما يأتي : « ومن اعجب شيء منه انه كان قد ملك الوفاً كثيرة من الكتب في كل فن . وان جميع

---

(١) المختصر في اخبار البشر : لابي الفداء : جزء ٣ صفحة ١٩٧
(٢) شرح مجاني الادب : للاب لويس شيخو : جزء ٥ صفحة ٩٤ .

كتبه لا يوجد شيء منها الا وقد كتب على ظهره ملحاً ونوادر مما يتعلق بالعلم الذي قد صنّف ذلك الكتاب فيه . وقد رأيت كتباً كثيرة من كتب الطب وغيرها من الكتب الحكمية كانت لابي المظفر وعليها اسمه . وما من شيء الا وعليه تعاليق مستحسنة وفوائد متفرقة مما يجانس ذلك الكتاب .

٨ ـ محمد بن حسن القلعي التميمي

كان جدّه ميمون التميميّ قاضياً في قلعة بني حماد بالجزائر . فنشأ الحفيد فيها ثم انتقل الى بجاية مستوطناً وبها قرأ وبرع . وجمع خزانة حفلت بالمخطوطات النحوية والادبية والتاريخية وغيرها . وعُرف بالمروءة والسخاء والفضل فكانت يده وأيدي الطلبة في كتبه سواء لا مزية له عليهم فيها . وكان ينشد في ذلك قائلا :

كتبي لاهل العلم مبذولة ... يدي مثل يدهم فيها

فانها يا محسنٌ كتبهم ... وظيفة الاشياخ نمضيها

وصنف القلعي بعض الكتب منها كتاب « الموضح » في علم العربية . وتفردّ في الخط الجيّد ونظم الشعر الطليّ فقيل عنه انه كان اكثر الناس شعراً . فكان ينشد منه في كل عام ما يوازي ديواناً وحلّت منيته عام ٦٧٣ للهجرة (١) .

---

(١) تعريف الخلف برجال السلف : جزء ٢ صفحة ٢٥٩

الفصل السابع

مشاهير هواة الكتب في القرن الثامن للهجرة

١ - ذو الوزارتين ابن الحكيم الرندي (٦٦٠ - ٧٠٨ هـ)

ولد الشيخ ذو الوزارتين ابو عبدالله بن عبدالرحمن بن ابرهيم بن يحيى الحكيم اللخمي في رنده بالاندلس . وكان كاتباً بليغاً ينتمي الى بيت كبير في اشبيلية .

قدم مدينة غرناطة ايام السلطان ابي عبدالله محمد بن محمد بن نصر لدى رجوعه من الحج فالحقه السلطان بديوان الانشاء . ولما توفي هذا السلطان وتقلد زمام المملكة ولي عهده ابو عبدالله المخلوع قلده الكتابة والوزارة واشرك معه اباسلطان عبد العزيز بن سلطان الداني . وعلى اثر وفاة ابي سلطان انفرد بالوزارة واطلق عليه لقب ذي الوزارتين . فصار صاحب القول والطول الى ان توفي قتيلا في غرناطة يوم خلع سلطانه وتوجيه الخلافة الى اخيه امير المسلمين ابي الجيوش .

واشتهر ذو الوزارتين بالادب والشعر وحسن الخط فكان يكتب خطوطاً متنوعة جميلة . وكانت له صبابة باقتناء الكتب جمع من أمّاتها العتيقة واصولها الرائقة الانيقة ما لم يجمعه في تلك الاعصر احد سواه ولا ظفرت به يداه . وقال لسان الدين انه احيا معالم الادب واكرم العلم والعلماء . ولم تشغله السياسة ولا عاقه تدبير الملك عن المطالعة والسماع . وافرط في اقتناء الكتب حتى ضاقت قصوره عن خزائنها واثرت انديته من ذخائرها . وقد استولت ايدي الغوغاء يوم قتله على تلك الكنوز الثمينة فنهبتها واتلفتها(١)

---

(١) الاحاطة في اخبار غرناطة : تأليف لسان الدين الخطيب : جزء ١ صفحة ٣٠٥ ونفح الطيب : جزء ٣ صفحة ٢٥٨ - ٢٦٣

٢ ـ امير المؤمنين ابو يحيى اللحياني

هو زكريا ابو يحيى ابن الامير ابي العباس احمد ابن الشيخ ابي عبدالله محمد اللحياني ابن المولى عبد الواحد ابن ابي بكر ابن الشيخ ابي حفص عمر اخذ له البيعة بالخلافة شيخ دولته محمد المزدوري . فأقبل هو بعد ذلك الى تونس ونزل المحمدية وجُدّدت له البيعة هناك بحضور الجند وخاصة الشعب وعامتهم . وكانت لابي يحيى اللحياني مشاركة في العلم والادب وعناية كبرى باقتناء الكتب . وقد انشأ منها خزانة جديرة بالاعتبار بيعت في الورّاقين عندما تحركت عليه البلاد . فخرج الى قابس ثم الى طرابلس الغرب بعد ما باع كل ما في القصر . وحمل معه الاموال والذخائر ونحو عشرين قنطاراً من الذهب سوى الفضة والدر وغير ذلك . وطالت مدة خلافته من سنة ٧١١ الى سنة ٧١٧ للهجرة(١)

٣ ـ داود التركماني

كان داود بن يوسف بن عُمر بن رسول التركماني من فقهاء عصره . كلف بالكتب منذ نعومة اظفاره فجمع خزانة عظيمة احتوت على مائة الف مجلد من المخطوطات ووافته المنون في شهر ذي الحجة سنة ٧٢١ للهجرة (٢)

٤ ـ ناصر الدين العسقلاني (٦٤٩ ـ ٧٢٣ للهجرة)

ابتلي ناصر الدين العسقلاني بفقد البصر وبالرغم من ذلك فقد كان من اعاظم جماعي الكتب في عصره . فانه خلف ثماني عشرة خزانة مرصوفة بالكتب الادبية

---

(١) المؤنس في اخبار افريقية وتونس لابن ابي دينار : صفحة ١٣٤

(٢) جريدة «الاقبال» بيروت مجلد ٥ عدد ١٥٤ في ٢ تموز ١٩٠٦

والعلمية المعتبرة . وكان اذا لمس الكتاب او جسه قال : « هـذا الكتاب عنوانه كذا وثمنه كذا وملكته في الوقت الفلاني » . وكان اذا اراد مجلداً قام الى خزانته وتناوله بيده كمن قد وضعه في محله حديثاً مع انـه مر زمان طويل لم يلمسه . وكانت زوجته خبيرة مثله بالكتب واثمانها . ولبثت تبيع منهـا الى السنة ٧٣٩ هـ اي ستة عشر عاماً بعد تاريخ وفاة زوجها(١)

٥ ـ علاء الدين البكرجي (٦٩٠ ـ ٧٦٢ هـ)

هو الحافظ علاء الدين ابو عبدالله بن قليج بن عبدالله البكرجيّ كان محدّثـاً مشهوراً في زمانه . مال منذ نعومة اظفاره الى تحصيل المعارف خلافاً لمشيئة والده الذي كان يرسله ليرمي بالنشّاب . فصار يتردّد على حلقة اهل العلم ويحضرها ولم يكن مَن يُتقن اصول الحديث وفروعه خيراً منه . ومن تصانيفه كتاب « الواضح المبين في ذكر مَن استشهد من المحبين » حصلت له بسببه محنةٌ ومنع تجار سوق الكتب من بيعه .

روى صلاح الصفديّ عن علاء الدين انه كان كثير المطالعة والدأب والكتابة . ولديه خزانة عمرت بكتب كثيرة جداً اقتناها بجهوده وبما خطته يده من الاسفار . وما زال يدأب ويكتب الى ان مات سنة ٧٦٢ للهجرة في المهدية خارج باب زويلة بالقاهرة ودُفن بالريدانية (٢) .

٦ ـ زين الدين القرشي (توفي سنة ٧٩٢ هـ)

كان زين الدين القرشي من فطاحل علماء دمشق في عصره . واشتهر باقتنـــاء

---

(١) فوات الوفيات : مجلد ١ صفحة ١٨٢

(٢) لحظ الالحاظ بذيل طبقات الحفاظ : لتقي الدين الهاشمي المكي : صفحة ١٣٣

الكتب التي امتلك من نفائسها عدداً وافراً . ولما اعتقل هو وابنه في قلعة دمشق بأمر الملك الظاهر برقوق رهن كثيراً من خزائن تلك الكتب تسديداً للمبلغ المفروض عليهما .

٧ - ابو عيسى بن لبون

كان ابو عيسى بن لبّون من قوّاد المأمون بن ذي النون . واشتهر بالعلم وجمع الكتب اشتهاره بالشجاعة وكرم الاخلاق . وخلّف شعراً رقيقاً نثبت منه هذه الأبيات . وقد اتى فيها على وصف مكتبته وعلى شديد كلفه بها(١) .

نفضتُ كفي من الدنيا وقلتُ لها اليكِ عني فما في الحق أغتبنُ
من كسرِ بيتي لي روض ومن كتبي جليس صدقٍ على الأسرار مؤتمن
ادري به ما جرى في الدهر من خبر فعنده الحق مفطور ومختزن
وما مصابي سوى موتي ويدفنني قوم وما لهم علم بمن دفنوا

---

(١) نفح الطيب : جزء ٢ صفحة ٣٣٨

الفصل الثامن

مشاهير هواة الكتب في القرن التاسع للهجرة

١ ـ ابن الملقن

حدّث ابن العماد عن ابن الملقن قال : انه كان جمّاعة للكتب حريصاً عليها ثم احترق غالبها قبل موته . وكان ذهنه سليماً الى حين احتراقها . وقد تغيّر حاله بعد ذلك لشدة كمده على فقدان كتبه . فحجبه ابنه الامام نور الدين علي عن الناس حتى وفاته في ١٦ ربيع الاول سنة ٨٠٤ للهجرة(١)

٢ ـ احمد بن اسماعيل الحسباني

هو الحافظ شهاب الدين ابو العباس ابن الحسباني احمد بن اسمعيل وُلد في دمشق سنة ٧٤٩ للهجرة . واكب على تحصيل الفقه وبرع في علم العربية حتى احرز قصبة السبق على اقرانه في فنون شتى واصبح احد الائمة الاعلام . واشتغل احمد بالتاليف وجمع من الكتب والاصول في مصره ما لم يكن عند احد من علماء عصره . لكن تلك الكتب وتلك الاصول بادت عام ٨٠٣ للهجرة في حريق هائل أسعر تيمورلنك نيرانه مدة ثلاثة ايام متوالية(٢) . فاحترقت حينذاك جميع بيوت دمشق ومعابدها ومدارسها ومكتباتها واسواقها على بكرة ابيها ولم يبقَ فيها حجر على حجر(٣) . ومات الحافظ شهاب الدين سنة ٨١٥ للهجرة ودفن في صالحية دمشق .

---

(١) لحظ الالحاظ بذيل طبقات الحفاظ : لتقي الدين الهاشمي المكي : صفحة ٢٠٢

(٢) لحظ الالحاظ بذيل طبقات الحفاظ : لتقي الدين الهاشمي المكي : صفحة ٢٤٤

(٣) خطط الشام : جزء ٦ صفحة ١٩٨

الفصل التاسع

مشاهير هواة الكتب في القرن العاشر للهجرة

١ - يوسف بن حسن عبد الهادي

كان يوسف من علماء صالحية دمشق وعُرف بابن المبرّد . وادرك اوائل القرن العاشر للهجرة . وقبل وفاته وقف خزائن مخطوطاته التي بلغت الف مجلد ونيّفاً . فكان بعضها من تصنيفه بخط يده . وبعضها بجاميع شتى تشتمل على عدة مؤلفات ورسائل ذات شأن وفائدة . يدل ذلك على شدة عنايته بجمع الكتب والتدقيق فيها(١) ولابن المبرد تأليف مبتكر في بابه عنوانه « نزهة الرفاق عن شرح حال الاسواق » عدّد فيه اسماء مائة وخمسين سوقاً من اسواق دمشق في زمانه(٢) .

٢ - ابن المويد (توفي سنة ٩٢٢ للهجرة)

هو المولى عبد الرحمن بن علي الشهير بابن المؤيد انشأ خزانة جمع فيها غرائب من الكتب . وفيها كتب لم يسمع بها ولم يطلع عليها احد من ابناء الزمان . وكان المؤيد من علماء عصره ألف رسالة عنوانها « الكرة المدحرجة » .

٣ - عبيدالله جلبي (توفي سنة ٩٣٦ للهجرة)

كان قاضياً بحلب واشتهر بالعلم والاخلاق الحميدة . وتجاوز كرمه حد الاسراف

---

(١) حبيب الزيات : خزائن الكتب في دمشق وضواحيها : صفحة ١٤

(٢) المشرق : مجلد ٣٧ سنة ١٩٣٩ صفحة ١٨ - ٢٨

فبذل امواله في الاحسان واقتناء المخطوطات التي ملك منها على ما يروى عشرة الآف مجلد . ووضع لتلك المخطوطات فهرساً في مجلد ضخم ضمنه عنوان كل مخطوط واسم مؤلفه وغير ذلك من الفوائد . واستحضر الى داره أمهر المجلدين في حلب فجددوا جلود بعض المخطوطات ورمموا البعض الآخر . وكان القاضي عبيدالله سخياً وقوراً عارفاً باللسانين العربي والعبراني (١) . ومن مصنفاته شرح القصيدة المسماة بالبردة (٢) .

٤ ـ سعدالله ابن عيسى

وُلد سعدالله في قسطموني ثم ارتحل مع والده الى اسطنبول حيث نشأ على طلب العلم وقرأ على جهابذة عصره . وتولى منصب الافتاء في دار الخلافة حتى وافته المنية عام ٩٤٥ للهجرة . وكان سعدالله ممن صرفوا جميع اوقاتهم في الاشتغال بالعلم . وقد ملك كتباً جمة واطلع على عجائب من الكتب . وله الفضل في تشييد « دار القراء » قريباً من منزله في اسطنبول (٣) .

٥ ـ محمد بن قنبر (توفي سنة ٩٦١ للهجرة)

كان محمد بن خليل بن قنبر واعظاً بليغاً مصقعاً ومعاصراً للقاضي عبيدالله جلبي السابق ذكره . وكلف مثله بجمع المخطوطات النفيسة وتحسين جلودها واصلاح ما رثّ منها . ومما يؤثر عنه انه كان حريصاً على كتبه كل الحرص ضنيناً بها لا يعيرها الا لمن يؤمنه عليها . وكان ابن قنبر متموّلاً لطيف المعاشرة عارفاً باللغات العربية والفارسية والتركية (٤)

---

(١) اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء : تأليف محمد راغب الطباخ : جزء ٦ صفحة ٣٢

(٢) الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية (راجع هذا الكتاب مطبوعاً على هامش كتاب « وفيات الاعيان » لابن خلكان : جزء ٢ صفحة ٧٢) .

(٣) الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية جزء ٢ صفحة ٤٣ ـ ٤٥

(٤) اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء جزء ٦ صفحة ١٥

الفصل العاشر

مشاهير هواة الكتب في القرن الحادي عشر للهجرة

١ ـ سنان باشا

كان سنان اشهر مهندس تركي ذكره التاريخ في العصور السالفة وهو يُعرف بلقب الخوجا معمار سنان . وكان سر عسكر السلطان عند فتح طرابلس الغرب على يد السنجقبك طورغود بعد استيلاء فرسان مالطة عليها . وكان سنان باشا وطورغود كلاهما نصرانيي الاصل وقد اسلما ليترقيا في الرتب العسكرية (١) .. وفتح سنان باشا « حلق الوادي » بتونس وكان الفرنج قد استولوا عليها بسبب اختلاف وقع بين سلاطين المغرب من بني حفص في آخر ايامهم . وحارب النمسا ايضاً وولاه السلطان مراد الثالث سنة ٩٨٨ للهجرة (١٥٨٠ م) منصب الوزارة العظمى . وحلّت وفاته سنة ١٠٠٤ للهجرة(٢) بعدما خلّف عشرات من القصور والجوامع والحمامات والاسواق في الاستانة وبروسه وبغداد ودمشق ومكة وغيرها من مدن السلطنة العثمانية .

ولما وقع الاضطراب في اليمن ارسل السلطان مراد الثالث وزيره سنان باشا على راس جحفل عظيم لفتح تلك البلاد واخضاع الثائرين فيها . فنهض الوزير بمهمته طبقاً لأوامر مولاه

ولم تقتصر شهرة سنان باشا على ما أحرزه من المفاخر العسكرية بل تناولت شهرته كلتا الناحيتين العلمية والفنية . وقد ساعدته مواهبه على القيام بتلك

---

(١) de Hammer : Histoire de l'Empire Ottoman, VI, 166-180

(٢) دائرة المعارف للبستاني : مجلد ١٠ صفحة ٩٩

الانشاآت الباهرة التي لم يتسنّ لغيره من رجال السلطنة العثمانية ان يُقدم على مثلها في غابر الازمنة . ذلك ما حدا الجمهورية التركية عام ١٩٣٥ على ان تجمع آثار هذا القائد العظيم لتدونها في كتاب خاص تخليداً لذكره . فطلب الينا قنصلها في بيروت ان نضع تقريراً ضافياً نضمنه جميع ما هو معروف عن سنان باشا من الاخبار والآثار في البلاد الشرقية . فلبينا طلبه وجمعنا الشيء الكثير مما يجدر ان يثبته المؤرخون عن الوزير المشار اليه .

ومن جملة ما اثبتناه في تقريرنا بعد التحقيق والتدقيق ان سنان باشا كان من اكبر غلاة الكتب النفيسة وهواتها . وقد حمله شغفه بها ان وجّه الوفود الى شتى الاصقاع ليجمعوا له ما ندر وغلا من تلك الذخائر الكتابية . هكذا احرز سنان طائفة معتبرة من المخطوطات اقتناها من اليمن وسوريا والعراق ومصر وتونس . ثم نقلها في اواخر ايامه الى الاستانة . ومن بدائع مخلفاته مائة وستون مصحفاً مرصعة بالدرر والجواهر وخمسة وثلاثون صندوقاً مملوءة بكتب لا تقدّر بثمن . وكانت تلك الصناديق مرصعة باليواقيت والمعدن(١)

٢ ـ القشاش المغربي (٩٨١ ـ ١٠٣١ للهجرة)

هو الشيخ ابو الغيث المعروف بالقشاش المغربي وُلد بتونس وساح لتحصيل العلم والادب فاحرز منهما قسطاً وافراً . ثم تغيرت اطواره وظهرت منه حركات متباينة وكلمات متنافية . فكان تارة يقول انه المهدي وطوراً يدّعي معرفة الغيب فيخرج في ذلك عن طور العقل . فتبعه خلق كثير وقاموا بنصرته وترويج مدعاه . وبقي متلون الاحوال يتنقل من طور الى طور : فتارة يلبس عمامة العلماء الكبار

---

(١) خطط الشام : لمحمد كردعلي : مجلد ٦ صفحة ١٩٤ وكتاب « الاسلام والحضارة العربية» للمؤلف نفسه : جزء ٢ صفحة ٣٢٣

ويرتدي اثوابهم ويعقد حلقة درس يفيد بها الطلاب . وتارة يطوف الجبال عرياناً في زي المجانين الى ان ترك التلوّن واختار السكون والتمكن .

واشتهر بالسخاء والاحسان للمشاريع المبرورة فابتنى اثنين وثلاثين مسجداً وزاوية وجامعاً . وشيّد ما لا يُعد من المدارس الرفيعة والقناطر المنيعة وحبس على كل منها اوقافاً عظيمة . وكان يبذل في فك اسرى المسلمين اموالاً كثيرة . وجمع من نفائس الكتب ما لا يُعد ولا يحصى ومن جملة ما وُجد في خزانة كتبه الف نسخة من البخاري وقس عليه الباقي(١)

٣ ـ عبد القادر العيدروس (٩٧٨ ـ ١٠٣٨ هـ)

هو عبد القادر بن شيخ بن عبدالله العيدروس الحضرموتي الهندي احد اكابر علماء الحضارمة ترجم نفسه هو في تاريخه « النور السافر عن اخبار القرن العاشر » فقال ما ملخصه : ولدت بمدينة احمد آباد من بلاد الهند... الى ان قال : قرأت عدة متون على جماعة من العلماء وتصديت لنشر المعارف وشاركت في كثير من الفنون . واعملت الهمة في اقتناء الكتب المفيدة وبالغت في طلبها من اقطار البلاد مع ما صار اليّ من كتب والدي فاجتمع عندي جملة . ولما بلغني ان سيدي الشيخ عبدالله العيدروس قال : من حصّل كتاب « احياء علوم الدين » وجعله في اربعين جلداً ضمنت له على الله بالجنة، حصّلت ذلك الكتاب بهذه النية . وطالعت كثيراً من الكتب ووقفت على اشياء غريبة . ولعبد القادر عيدروس مؤلفات جمة لم يسبقه احد الى مثلها(٢).

٤ ـ حاجي خليفة (١٠٠٤ ـ ١٠٦٧ هـ)

حاجي خليفة ويعرف ايضاً باسم الحاج خليفة او مُلا كاتب جلبي او شلبي .

---

(١) خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر لمحمد المحبي : مجلد ١ صفحة ١٤٠ و ١٤٢
(٢) خلاصة الاثر : جزء ٢ صفحة ٤٤٠ و ٤٤٢

كان رئيس كتبة اسرار السلطان مراد الرابع ووزير المالية في ايام سلطنته . ولد في القسطنطينية وفيها توفي . وارتحل الى بغداد وهمذان وصحب الصدر الاعظم محمد باشا الى حلب ومنها الى مكة حيث قضى فريضة الحج . ومن ذلك الحين سمّي حاجي وتفرغ للعلم .

وكان في اثناء اقامته في حلب يختلف الى حوانيت باعة الكتب ويتصفح ما فيها وما يرد اليها من المخطوطات والرسائل . فكلف بالكتب وعقد النية على تأليف كتاب يضمنه اسماء الكتب والمؤلفين . ولما عاد الى وطنه ارتاشت احواله بمال ورثه . فابتاع به طائفة من المصنفات وازدادت رغبته في انجاز ما شرع به . وفي السنة ١٠٤٨ مات تاجر غني من اقاربه وخلّف له مالاً وافراً استعان به على اصلاح حاله والانقطاع الى طلب العلم والتصنيف . فانفق الحاج خليفة جانباً عظيماً من تلك الثروة في اقتناء الكتب حتى تجمّع لديه خزانة عدّت من اغنى الخزائن . وهكذا تسنى له ان يضع كتابه « كشف الظنون » الذي كشف النقاب عن كثير من الكتّاب وتآليفهم التي لولاه لطمس عليها الزمان ودخلت في عالم النسيان . فأدى بذلك خدمة جليلة استحق لاجلها الثناء المخلد من جميع الباحثين عن علوم العرب وادبائهم .

٥ ـ الشيخ احمد العجمي المصري (١٠١٤ ـ ١٠٨٦ هـ)

كان من اجلاء علماء مصر واليه النهاية في معرفة التاريخ وايام العرب وانسابهم . وكان مرجعاً لأفاضل عصره في القضايا المشكلة لطول باعه وسعة اطلاعه وكثرة الكتب التي جمعها في داره . وله من التاليف : « شرح ثلاثيات البخاري » و « رسالة في الآثار النبوية » . وجمع لنفسه مشيخة وعليها خطه وعنها نقل المحبي كثيراً من وفيات علماء مصر في كتاب « خلاصة الاثر »

وقد اثنى الخياري (١٠٣٧ ـ ١٠٨٣ هـ) على احمد العجمي في رحلته « تحفة الادباء وسلوة الغرباء » وقال في آخر ترجمته « انه مستجمع للعلم والحلم والظرف ،

ومستكمل في الفضل : الاسم والفعل والحرف . تفنن في العلوم العقلية والنقلية، الفرعية والاصلية، فاخذها عن اهلها واوصل الامانة الى محلها . وقد جمع من الكتب المؤلفة في سائر العلوم والفنون فأوعى . وحصلها بسائر اقسامها فصلاً وجنساً ونوعاً . بحيث اصبح بمصر خزانة العلم الذي عليه في النقل يعوّل واليه في ذلك يُشار . وعمدة الفضلاء الذين يرِدون من معين كتبه البحّار »(١)

٦ ـ شرف الدين زكريا الانصاري السنيكي (١٠٣٠ - ١٠٩٢ هـ)

هو شرف الدين بن زين العابدين بن محيي الدين بن ولي الدين بن جمال الدين ابن القاضي زكريا بن محمد بن زكريا الانصاري السنيكي المصري الشافعي كان صدراً من صدور زمانه معظماً عند العلماء . وقد صنف مؤلفات عديدة منها «الطبقات» ذكر فيها شيوخه وعلماء عصره . وكان له اعتناء تام بالاسانيد ومعرفة الشيوخ ومواليدهم ووفياتهم . وكانت خزائن كتبه عامرة بحيث اجتمعت لديه مخطوطات جده شيخ الاسلام وسائر اسلافه على كثرتها . ثم اضاف اليها ما يوازيها عدداً بالشراء والاستنساخ . فكان اذا اتاه احد بكتاب بليغ لا يخرجه من بيته ولو بزيادة على ثمن مثله . وكان حريصا على خطوط العلماء ضنينا بها يجمعها ويتباهى بها . وقد احصى بعضهم في خزائنه ثمانية عشر نسخة من «طبقات السبكي الكبرى» وثمانية وعشرين شرحا على « البخاري » واربعين تفسيراً الى غير ذلك . ولما مات تفرقت كتبه شذَر مذر وكانت تباع بالزنبيل بعد ان كان يشح بورقة منها (٢)

---

(١) خلاصة الاثر : جزء ١ صفحة ١٧٦

(٢) خلاصة الاثر : جزء ٢ صفحة ٢٢٢ ـ ٢٢٣

الفصل الحادى عشر

مشاهير هواة الكتب فى القرن الثانى عشر للهجرة

١ ـ الامير امين بن محمد القسطنطيني

وُلد هذا الامير بدمشق سنة ١١٣٦ للهجرة واخذ الخط المنسوب عن عبد الرحمن بن محمد العُمري . وشرع يتردد منذ حداثته على الادباء ويصاحب الشعراء والنبلاء . واشترى مخطوطات نفيسة على اختلاف العلوم والفنون واستكتب اكثرها وجمع الوفاً منها . لانه كان ولعاً بمطالعة الكتب القديمة التي تبحث عن الادب والتاريخ واللغة . ولذلك حفظ اشعار العرب ووقائعهم والشيء الكثير من نكتهم ونوادرهم يوردها في مجالس الانس والادب . ولما توفي والده واخوته توالت عليه المحن واثقلته الديون وساءت احواله .

وعلى رغم تلك الخطوب ما انفك الامير امين عن تحصيل الكتب واقتنائها ومطالعتها وحضور الدروس وزيارة الاعيان والاختلاف الى دور الوزراء . ومما يؤثر عنه انه ما طلب احد منه كتاباً على سبيل العارية الا ارسله اليه هدية في جملة كتب اخرى(١) . واثبت صاحب الترجمة انه ما نظم من الشعر في حياته الا بيتين وهما :

كن ليناً في الناس واحذر ان ترى فظّ الطبيعة انه لم يُحسنِ
انظر الى الاكحال وهي حجارة لانت فصار مقرّها في الاعينِ

---

(١) سلك الدرر : جزء ١ صفحة ٢٧٥

٢ ـ أبو العباس التنبكتي

كان ابو العباس احمد بابا التنبكتي من جلة علماء زمانه واشتهر بجمع المخطوطات النفيسة والمحافظة عليها في خزائنه . وعلى وفرة عددها في ذلك العهد فان ابا العباس كان شديد الحرص عليها وطالما قال لمن حوله : « انا اقل عشيرتي كتباً وذهبت لي ست عشرة مائة مجلد (١) » . ولا نعلم السنة التي حلت فيها وفاته

٣ ـ احمد الشريف الورتيلاني

يروى عن الشريف الورتيلاني انه جمع في داره خزانة كتب ثمينة قل وجود نظيرها عند غيره في عصره . ولما تفشى الوباء في بلدته وجرف مَن جرف مِن سكانها لم يبق للشريف الا طفلان صغيران لأنه نكب بجميع اهل بيته وجيرانه . فتبعثرت كتبهُ على بكرة ابيها بعد وفاته وتبددت ثروته وضاعت املاكه (٢) . ولم نعثر على سنتى ولادته ووفاته .

---

(١) تعريف الخلف برجال السلف : تأليف ابي القاسم محمد الحفناوي : مجلد ١ صفحة ١٣

(٢) تعريف الخلف برجال السلف : مجلد ٢ صفحة ٥٨

الفصل الثاني عشر

مشاهير هواة الكتب في القرن الثالث عشر للهجرة

١ - احمد بن طه الاشرفي (توفي سنة ١٢٢٩ للهجرة)

عُرف الشيخ احمد بن طه الاشرفي بعلمه وادبه وورعه وتولى الخطابة بالجامع الكبير في حلب . وكان من مشاهير الكتبيين في عصره مغرماً بجمع الكتب والحرص عليها . ويؤثر عنه انه رمّم مسجداً قديماً في خان قباد فاصلحه وجعله لائقاً بالصلاة والعبادة(١) . وقرأنا اسم هذا الخطيب الحلبي في منظومة الشيخ وفاء قال(٢) :

والاشرفيّ من شمال التربَه منفرداً جاور فيه ربّه
كان خطيباً حسن الشمائل وفاضلا يعد في الافاضل
عن الحرام والرشا منكفا وقصة المسجد ليس تخفى

٢ - محمود قبادو التونسي (توفي سنة ١٢٨٨ للهجرة)

كان ابو الثناء محمود قبّادو في طليعة اركان النهضة الادبية بتونس في منتصف القرن التاسع عشر . واشتهر بجودة الانشاء وسرعة الخاطر في ارتجال الشعر دون حبسة ولا تلعثم . وكان كلفاً بجمع الكتب ولاسيما المخطوطات ينتقي انفسها وينفق عليها بسخاء ويسعى في احرازها بكل الوسائل . وكانت زوجته تعترضه في ذلك ولها عليه نفوذ كلمة . فاذا اراد ان يشتري كتاباً دخل البيت بحجة استنشاق السعوط فيضع الدراهم خلسة في المسعط خيفة من زوجته ويعود الى البائع ناشداً ضالته . هكذا تجمعت لديه مكتبة كبيرة بيعت من بعده لانه توفي

---

(١) المشرق : مجلد ٣٨ سنة ١١٤٠ صفحة ٣٧٩ (٢) منظومة الشيخ وفاء في اولياء حلب : مخطوطة المكتبة الشرقية : رقم ١٥٩٨ اسطر ٣٧٠ - ٣٧٢ .

عقيما (١) . ومن بديع شعره قوله ملغزا في الكتاب :

يا ايها الشيخ الذي لم يزل تزدحم الناس على بابـهِ
ما ذو وجوه كلما سودّت كان وجيها عند اربابـهِ

وحدث الاب لويس شيخو عن ابي الثناء محمود قبادو انه كان ذا ذاكرة عجيبة لا ينسى شيئاً مما سمعه . قيل انه سمع يوماً رسالة افرنسية العبارة وهو يجهل تلك اللغة فأعادها بحرفها (٢) .

٣ ـ علي باشا ابرهيم المصري

وُلد علي سنة ١٢٤٢ للهجرة في القاهرة وحصّل العلوم في مدارس مصر وباريس واتمها في مدرسة « متس » العسكرية . وبعد رجوعه الى وطنه عيّنه عباس باشا الاول استاذاً خاصاً لنجله الهامي باشا واول معاون في نظارة الحربية . ثم أنيطت به رئاسة المدرسة التجهيزية في عهد الخديو اسمعيل ونظارة المعارف في عهد توفيق الاول . ومن آثاره انشاؤه مدارس عديدة وتاسيسه شعبة في مدرسة العميان لتعليم الصم والبكم فن الكتابة والعلوم القرآنية . وهو اول من شرع في منح الشهادات الدراسية لطلبة الصفوف الثانوية والعالية في المدارس الاميرية .

وأولع علي باشا ابرهيم بالمطالعة والتأليف وخصوصاً باقتناء الكتب مخطوطة ومطبوعة . فجمع منها في قصره مكتبة نادرة المثال حوت الشيء الكثير من تالد الكتب وطارفها في شتى المواضيع العقلية والنقلية (٣)

٤ ـ العباس بن امير المؤمنين المغربي

هو العباس ابن امير المؤمنين مولاي عبد الرحمن اشتهر في المغرب الاقصى بعلو كعبه في المعارف وشغفه بجمع الكتب . وانتشرت كتبه بعد موته في جميع الانحاء

---

(١) عن مقالة لعيسى المعلوف في جريدة « النهار » البيروتية : سنة ٥ عدد ١٣٦٩ في ٢٣ نيسان ١٩٣٨ (٢) الاداب العربية في القرن التاسع عشر : جزء ١ صفحة ١٠٤

(٣) مرآة العصر في تاريخ ورسوم اكابر رجال مصر : تاليف الياس زخورا : جزء ١ صفحة ٩٥

حتى انك لا تكاد ترى خزانة من الخزائن الاسلامية والاوروبية ذات الشأن خالية منها . زد عليه ان كتبه باجمعها قد علق عليها تعاليق وحواشي وتحابيس بخط يده . ولعلك تعثر في بعضها على ساعة ابتدائه بمطالعة الكتاب وعلى ساعة فراغه منه . وانقضى اجل العباس خارج مراكش في شهر شعبان سنة ١٢٩٦ للهجرة(١)

٥ – عبد الحميد نافع

عاش عبد الحميد بك نافع في القاهرة وكان من أدباء القرن الثالث عشر للهجرة . واشتهر بجمع الكتب ولا سيما المخطوطات يستجلبها من الاقطار القريبة والبعيدة . واستخدم عدة نسّاخ جاد عليهم بالمرتبات فاختصوا بالنسخ له لا يشتغلون لغيره . وكان يفاخر بعض ادباء عصره في ذلك وينافسهم .

ويروى ان تاجراً من الورّاقين قدم من سفرٍ في كتب اوصاه عبد الحميد نافع بشرائها له وبينها ديوان البحتري . ولم يكن قد طبع الديوان لذلك العهد بل لم يكن يعرف في مصر الا بالاسم فقط . واتفق ان احد المنافسين لعبد الحميد في جمع المخطوطات شعر بخبر هذا الديوان . فأسرع الى الورّاق وبذل له مالا فوق قيمة الديوان على ان يعيره اياه يوماً وليلة فقط . فرضي الورّاق وأعاره اياه . فلما اتى به الى داره دفعه الى المجلد ففك له تجليده . ثم استحضر من فوره عدة نسّاخ فرق عليهم كراريس الديوان فنسخوه وضبطوه وقابلوه . ولم يمض اليوم والليلة الا وقد نجز نسخ الديوان وردت النسخة الاصلية مجلدة الى الورّاق طبقاً للاتفاق .

وبعد حين ذهب عبد الحميد الى زيارة صديقه متأبطاً ديوان البحتري وجعل يفاخره باحرازه له واختصاصه به . فما كان من الصديق الا ان قال له : « خفّض من غلوائك يا أخي . هذا شيء أكلنا عليه وشربنا حتى مججناه ! » قال هذا ثم نهض الى خزانته فاخرج منها نسخة الديوان ... (٢)

---

(١) اتحاف اعلام الناس : تاليف عبد الرحمان بن زيدان : جزء ٤ صفحة ٤١٢

(٢) تراجم اعيان القرن الثالث عشر واوائل الرابع عشر : بقلم احمد تيمور باشا : صفحة ١٠٦ و ١٠٧

الفصل الثالث عشر

مشاهير هواة الكتب في القرن الرابع عشر للهجرة

١ – عبد الغني فكري

هو عبد الغني بك فكري بن لطف الله بن حُسين . ولد بالقاهرة ونشأ بها وتعاطى وظائف الحكومة المصرية مدة حياته حتى تولى القضاء في المحاكم الاهلية على عهد الخديو توفيق الاول (١٨٧٩ – ١٨٩٢) . وكان عبد الغني جمّاعة للكتب مغالياً في اقتنائها شراء واستنساخاً . وانفق عليها جل ما كان يصل الى يده . واحيا الليالي في مقابلة ما استنسخه منها او صححه او ضبطه .

وحلّت وفاة عبد الغني سنة ١٣٠٧ للهجرة (١٨٨٩ م) وخلف خزانة كبيرة قلما ضارعتها خزانة في نفائس كتبها ونوادر اسفارها . وقد افنى عمره في جمعها واتعب نفسه في تصحيحها وضبطها . وتولى صقل الورق لنسخ ما كان يستنسخه منها واتخذ في داره مصنعاً لتجليدها وتجديدها . زد على ذلك ما تكلفه من السعي للبحث عن المخطوطات عند الورّاقين وفي الخزائن المهجورة .

وكان لعبد الغني فكري نجل اسمه محمد اكمل عاش في البذخ والاسراف فبدد جميع ما خلفه والده من اطيان ونقود وكتب . واقتنى طائفة مهمة من ذخائرها احمد تيمور باشا والكونت لندبرج قنصل اسوج بمصر . وبينها مخطوطات نسخها عبد الغني وعلق على حواشيها بخط يده(١)

---

(١) تراجم اعيان القرن الثالث عشر واوائل الرابع عشر : لاحمد تيمور باشا : صفحة ١٠٣ و١٠٧

٢ ـ الشيخ ميرزا حسين النوري الطبرسي

كان الشيخ ميرزا ولعاً بجمع المخطوطات وله في هذا السبيل نوادر غريبة تدل على شديد افتتانه وعظيم بلائه بالكتب . من ذلك انه وجد يوماً في سوق كربلا كتاباً عند امرأة كان ينشده فاستامها عليه فارضاها . ولما اراد دفع ثمن الكتاب كان جيبه خالياً خاوياً . فعمد الى حلته الثمينة فخلعها وباعها في سوق كاسدة بثمن تافه . هكذا ابتاع المخطوط من تلك المرأة بلجاجة غريبة . وبالجملة فان خزانة كتبه كانت من احفل خزائن الكتب الكبيرة . ويحكى انه كان بين مخطوطاتها الف مجلد عليها خطوط مؤلفيها وهذا مما لم يتفق وجوده في خزائن كتب الملوك في القرون الاخيرة(١) وحلت وفاته سنة ١٣١٩ للهجرة .

٣ ـ الملا باقر التستري

كان الملا باقر مفتوناً بجمع الكتب فتنة قل ان تُعهد في غيره . وكان اذا قدم الى (معرض الكتب) في النجف كتاب مخطوط بذل الملا باقر النفس والنفيس في سبيله على قلة ذات يده . وربما تملق لمن ينافسه في الكتاب تملقاً لا مزيد عليه حين « المناداة » على بيعه . وقد يقبّل المنافس ويتعلق به ليترك له طلبته . قال بعضهم : نافسته يوماً في كتاب و « المنادي » ينادي عليه فسألني تركه . فما كان منه الا ان امسكني بيده قائلاً وقد تغيّر : أما تخشى الله ؟

وللملا باقر نوادر جمة في باب اقتناء الكتب . وقد جاور زماناً بمكة واتصل بالشريف هناك واقتنى قسماً من كتبه المخطوطة فيها . وله الى ايران رحلات كان اهم ما يحمله عليها جمع الآثار . وقد حصل باجتهاده على امهات الكتب النفيسة

---

(١) مجلة « لغة العرب » البغدادية : مجلد ٢ صفحة ٣٧١ و ٣٧٢ سنة ١٩١٣ وكتاب « ماضي النجف » : صفحة ١٠٨

القديمة على اختلاف موضوعاتها . ولما حضرته الوفاة سنة ١٣٢٩ للهجرة عُرضت كتبه للبيع . وكان فيها اكثر من الف مجلد مخطوط نودي عليها عدة اسابيع . وبينها مخطوطات تدهش المتأمل ويندر وجود نظائرها في دور الكتب الكبيرة في العالم . وخلاصة القول ان كتب الملا باقر بيعت بثمن بخس . ولو نودي عليها في اسواق الغرب لبيعت بوزنها ذهباً وعدّ مشتريها غير مغبون(١)

٤ ـ حامد عجان الحديد

نشأ حامد عجّان الحديد في بيت توارث ادباؤه بيع الكتب في حلب منذ اواخر القرن الثالث عشر للهجرة . وقد سافر حامد منذ حداثته الى الهند وطاف في اكثر بلاد الشرق . فزار اليمن وزار الحجاز وزار العراق وتعهد جميع الاقطار التي كان يلتمس فيها تحقيق امنيته في العثور على مخطوطات نفيسة . فالتقط منها مئات بل الوفاً حتى اصبح اكبر مقتنٍ لها .

وازدادت قيمة مكتبة حامد خصوصاً حين اتيح له سنة ١٩٢١ ان يسافر الى اسطنبول ويبتاع اكثر مكتبات الامراء والوزراء فيها . وعلى اثر انهيار السلطنة العثمانية وهجرة الأسرة المالكة عام ١٩٢٤ بيعت خزائن كتب ثمينة ظفر بها حامد عجان الحديد . فانتقى منها أهم كتب الخط وباعها في مصر من طلعت بك واحمد تيمور باشا واحمد زكي باشا وغيرهم وغيرهم من مشاهير هواة الكتب . ويروى ان طلعت بك المشار اليه اشترى من حامد مخطوطات بلغ ثمنها زهاء اربعة آلاف جنيه ذهباً .

---

(١) مجلة « لغة العرب » البغدادية : مجلد ٢ صفحة ٣٧٠ و ٣٧١ سنة ١٩١٣

الفصل الرابع عشر

هواة الكتب المسلمون في ازمنة مختلفة

١ – ابو جعفر احمد بن عباس

كان الكاتب ابو جعفر احمد بن عباس وزيراً لزهير الصقلي ملك المرية من بلاد الاندلس . اشتهر في عصره ومصره بجمع الكتب والدفاتر المخطوطة حتى بلغ ما لديه منها اربعمائة الف دفتر . اما الدفاتر المحزومة فلم يوقف على عددها لكثرتها .

٢ – احمد بن عباس الانصاري

قال عنه لسان الدين الخطيب : انه كان من جمّاعي الكتب والدواوين الشعرية في الاندلس . فكان معتنياً بها مغالياً بها نـفّاعاً بها مَن خصه لا يستخرج منها شيئاً لفرط بخله بها الا لسبيلها . وقد اثرى كثير من الورّاقين والتجار معه في الكتب . وجمع منها ما لم يكن عند ملك .

٣ – عبدالله السلمي المرسي

كان عبدالله هذا من اكبر ائمة العلم في عصره . وكانت له كتب في البلاد التي ينتقل اليها بحيث لا يستصحب كتباً في سفره اكتفاء بما له من الكتب في البلد الذي يسافر اليه (١)

---

(١) نفح الطيب : للمقري : جزء ١ صفحة ٤٣٦

٤ ـ موفق الدين ابو طاهر

كان لموفق الدين مكتبة عامرة وقفها بمدينة ساوة . وكثيراً ما تفاخر باتقان كتبها وتنميق خطوطها واجادة تجليدها وتلوينه . فكان لون كل صف يختلف عن لون الصف الآخر في خزائن كتبه . فصف احمر وصف اخضر وصف اصفر وصف خمري وهلم جرا.

٥ ـ نور الدين علي بن جابر

أحصيت الاسفار التي وُجدت في خزائن نور الدين علي بن جابر فكانت نحو ستة آلاف مجلد .

٦ ـ البوني

البوني نسبة الى « بون » وهي مدينة حديثة بُنيت على انقاض مدينة « هبونة » القديمة التي اسسها الفونيقيون في الجزائر شمال افريقيا . اليها ينتسب العلامة « البوني » الجزائري الشهير الذي انصرف منذ حداثته الى جمع المخطوطات النفيسة وحرص عليها كل الحرص . والف منها خزانة حوت طائفة مهمة من تلك الذخائر لكنها على ما ذكر الشيخ الحفناوي مفتي المالكية في الجزائر تبعثرت بعد وفاته وتفرقت ايدي سباء (١) .

---

(١) تعريف الخلف برجال السلف : تاليف الشيخ الحفناوي

الباب الثالث عشر

غلاة الكتب وهواة المكتبات المسيحيون

١ - آل بختيشوع

ألمعنا في الباب الاول من كتابنا هذا بذكر آل بختيشوع النساطرة وتقربهم من الخلفاء العباسيين زهاء ثلاثة قرون . ونضيف الى ذلك ان الخليفة ابا جعفر المنصور (٧٥٤ - ٧٧٥ م) استقدم جرجيس (+ ٧٦٩ م) جدهم من جنديسابور وطنه عام ٧٦٥ م لاجل معالجته . ثم لحقه ابنه بختيشوع واستوطن بغداد وفيها تناسل اولاده واحفاده فاصبحوا اطباء للخلفاء او تراجمة في دواوينهم .

وفي بغداد انشأ آل بختيشوع مكتبتهم الشهيرة التي جمعوها من مختلف الاقطار وكانت تحوي مخطوطات جمة في اللغات العربية والفارسية واليونانية والسريانية والعبرانية لمشاهير المؤلفين من نصارى ومسلمين ويهود وحرّانيين . فاصبحت خزانتهم قبلة الطلبة ومرجع الباحثين يطالعونها ويستفيدون منها .

ومن تآليف آل بختيشوع نذكر كتاب « التذكرة » و « كنّاش الكافي » في خمسة مجلدات . و « الروضة الطبية في الفنون الادبية » و « تذكرة الحاضر وزاد المسافر » و « كتاب الخاص في علم الخواص » و « مناقب الاطباء » و « طبائع الحيوان » و « منافع الحيوان » وهو مزين بعدّة تصاوير ملونة(١) . وكتاب « الاحداث النفسانية وفي كون العشق مرضاً » و « المطابقة بين قول الانبياء والفلاسفة على صحة الدين المسيحي » و « رد على اليهود » الخ الخ .

---

(١) المخطوطات العربية لكتبة النصرانية : صفحة ٥٦

ويقرأ عن جبرائيل بن عبيدالله بن بختيشوع (+ ١٠٥٨ م) انه عمل كنّاشاً مختصاً بذكر الامراض التي تعرض من الرأس الى القدم اجابة الى امر الصاحب وحمله اليه فوصله بالف دينار . وكان جبرائيل دائماً يقول : صنّفت مائتي ورقة اخذت عنها الف دينار(١) .

٢ ــ يعقوب بن اسحق الكندي (توفي سنة ٨٦١ م)

هو الملقب بفيلسوف العرب كان اصله نصرانياً ومات على دين الاسلام . واشتهر منذ شبابه بالعلوم الكثيرة التي احكم اصولها . وكان يعرف من اللغات العربية والسريانية والفارسية والهندية . فكان اول من نبغ من العرب فأكرمه الخليفتان المأمون (٨١٣ - ٨٣٣ م) والمعتصم (٨٣٣ - ٨٤٢ م) . وقد عهد اليه الخليفة المأمون ترجمة بعض الكتب الفلسفية والهندسية . وفوض اليه المعتصم تربية ابنه احمد وتثقيفه .

وكان ابناء موسى بن شاكر يحسدون الكندي على علمه الغزير ومنزلته الرفيعة في بلاط العباسيين . فوشوا به الى المتوكل على الله (٢٣٣ - ٢٤٧ هـ) الذي ضبط تآليفه الكثيرة ومكتبته النفيسة المسماة « الخزانة الكندية » وسلمها لابناء شاكر خصومة . ثم ادعى هؤلاء حفر ترعة وعجزوا فهدّدهم المهندس المناظر على اشغالهم بفضح امرهم اذا لم يردوا للكندي مكتبته . فستروا خيبتهم باسترضاء الكندي الذي حسدوه وسببوا نكبته . ثم اعادوا له مكتبته سالمة وقد بذل في سبيل جمعها جهوداً عظيمة واموالا وافرة (٢) وحلت وفاته عام ٨٦١ للميلاد .

ويتصل نسبه بملوك كندة فهو عربي بحت ولذلك سموه فيلسوف العرب . وكان معاصرا للمأمون والمعتصم الى المتوكل وله عندهم منزلة سامية . وقد برع في الطب

---

(١) طبقات الاطباء جزء ١ صفحة ١٤٤ ــ ١٤٦

(٢) تاريخ فلاسفة الاسلام : تاليف محمد لطفي جمعة : صفحة ٥

والفلسفة والحساب والمنطق والالحان والهندسة وطبائع الاعداد وعلم النجوم . نبع وليس في المسلمين فيلسوف غيره . وحذا في تآليفه حذو ارسطو وله ترجمات عديدة نقلها لنفسه . وكان يُعد من حذّاق التراجمة ولم يُذكر بينهم لانه لم يوثق بالترجمة . وقد الف الكندي في معظم العلوم الدخيلة كتبا كثيرة ذكرها صاحب الفهرست واليك عددها باعتبار العلوم :

في الفلسة	٢٢	كتاباً	في الطبيعيات الخ	٣٢	كتاباً
« الحساب	١١	«	« الكريات	٨	كتب
« النجوم	١٩	«	« المنطق	٩	«
« الهندسة	٢٣	«	« الموسيقى	٧	«
« الفلكيات	١٦	«	« الاحكام	١٠	«
« الطب	٢٢	«	« النفس	٥	«
« الجدل	١٧	«	« الابعاد	٨	«
« السياسة	١٢	«	« تقدمة المعرفة	٥	«
« الاحداث	١٤	«	« المجموع كله	٢٤٠	

« يؤخذ من مراجعة اسماء هذه الكتب ان الرجل كان كثير التضلع في العلوم حتى انتقد اصحابها . واكثر هذه الكتب ضاع ولم يبق منها الا ١ : كتاب في « الاهيات ارسطو » ٢ : رسالة في « الموسيقى » وكلاهما موجودان في مكتبة برلين . ٣ : رسالة في « معرفة قوى الادوية المركبة » في مكتبة منشن ولها ترجمة لاتينية مطبوعة . ٤ : في المد والجزر ٥ : علة اللون اللازوردي الذي يرى في الجو في جهة السماء . وكلاهما في اكسفرد . ٦ : ذات الشعبتين وهي آلة فلكية في ليدن . ٧ : اختبارات الايام . في ليدن . ٨ : مقالة تحاويل السنين . في الاسكوريال »

ومن مشاهير تلامذة يعقوب الكندي ابو معشر الفلكي وحسنويه ونفطويه وسلمويه وغيرهم .

٣ ـ حنين بن اسحق (توفي سنة ٨٧٦ م)

كان الربّان حنين بن اسحق النسطوري شيخ تراجمة الاسلام اماماً في العلوم العقلية والنقلية . وخلّف مؤلفات جديرة بالاعتبار لا يتسع المقام لذكرها في هذا الكتاب . وقد جعل داره في بغداد مكتبة يقصدها العلماء والطلاب للاستفادة من كنوزها الثمينة(١) . وكانت آهلة باسفار عربية وسريانية وفارسية ويونانية وهندية وغيرها في كل فن ومطلب مما كان قد ألفه هذا العلامة الذائع الشهرة او ترجمه او جمعه او اقتناه . وكان المأمون يعطيه زنة ما يترجمه من الكتب ذهباً(٢) . وكان يتبرع بمذاكرة العلماء في ما يريدون المذاكرة فيه . وكان لحنين بن اسحق اكثر من تسعين تلميذاً عاونوه في التأليف والنقل . نذكر منهم : حبيش الاعسم ابن اخته . وعيسى بن علي صاحب القاموس السرياني العربي المعروف باسمه . وعلي بن يحيى . وايوب الابرش . والحجاج بن مطر . واسحق بن حنين وغيرهم(٣)

٤ ـ تادري اسقف الكرخ

كانت الكرخ اولاً في وسط بغداد ثم اصبحت محلة وحدها مفردة(٤) وقد اشتهر تادري او تيودور اسقفها في اواسط القرن العاشر للميلاد . ذكره ابن ابي اصيبعة واثنى عليه قال : كان تادري حريصاً على طلب الكتب متقرباً الى قلوب نقلتها فحصّل منها كثيراً . وصنّف له قوم من الاطباء النصارى كتباً لها قدر وجعلوها باسمه(٥) . وبتمادي الايام تكوّنت لدى تادري مكتبة حفلت بمخطوطات ثمينة وافرة ضُربت بها الامثال .

---

(١) مجلة المقتبس : مجلد ٢ سنة ١٩٠٧ صفحة ٥٧٢

(٢) كتاب (عقود الجوهر) لجميل بك العظم : صفحة ٩٤

(٣) ماثر العرب في العلوم الطبية : صفحة ١٧ (٤) معجم البلدان : مجلد ٤ صفحة ٢٥٥ (٥) طبقات الاطباء جزء ١ صفحة ٢٠٦

٥ - ابن التلميذ (١٠٨١ - ١١٦٤ م)

هو موفق الملك ابو الحسن هبة الله بن ابي العلاء صاعد بن ابرهيم ابن التلميذ . كان اوحد زمانه في صناعة الطب ومباشرة اعمالها . وكان يحضر مجلسه خلق كثير يقرأون عليه . ونصب ساعوراً(١) للبيمارستان العضدي ببغداد الى حين وفاته . وكان جيد الكتابة يكتب خطاً منسوباً في نهاية الحسن والصحة . وكان خبيراً باللسان السرياني والفارسي متبحراً في اللغة العربية، وله شعر مستظرف حسن المعاني . وانشأ مجلداً ضخماً يحتوي على انشاء ومراسلات واكثر اهله كتّاب .

وكان ابن التلميذ نسطورياً وتوفي في بغداد عام ١١٦٤ م بالغا الثالثة والثمانين. ودفن في الصحن الداخلاني ببيعة العتيقة . وخلف نعماً كثيرة واموالا جزيلة وكتباً لا نظير لها في الجودة . فورث جميع ذلك ولده رضى الدولة ابو نصر . وبعد وفاة ابن التلميذ نقلت كتبه على اثني عشر جملًا الى دار المجد بن الصاحب(٢)

ولابن التلميذ من الكتب اقرباذين في ٢٠ باباً واقرباذين ثان في ١٣ باباً . وله شروح جالينوس وابقراط وحنين بن اسحق واحاديث نبوية وحواشٍ على كتاب القانون لابن سينا وحواشٍ على كتاب المائة للمسيحي وتعاليق على كتاب المنهاج تأليف يحيى بن عيسى بن علي بن جزلة(٣)

وقد توسع الاب لويس شيخو في ترجمة ابن التلميذ فوصف منزلته العلمية في مقالة ضافية نشرها في مجلة المشرق . وقال ان ابن القفطي في « تاريخ الحكماء » والخزرجي في « خريدة القصر » اطلقا عليه لقب « سلطان الحكماء(٤) .

---

(١) كذا اثبت ابن ابي اصيبعة هذا اللفظ وهو سرياني يراد به « الزائر » وقد اطلقه على « معاين المرضى » (٢) طبقات الاطباء : جزء ١ صفحة ٢٦٤

(٣) طبقات الاطباء : جزء ١ صفحة ٢٥٥

(٤) المشرق : مجلد ٩ سنة ١٩٠٦ صفحة ٧٦٢ - ٧٦٧ و ٧٨١ - ٧٩٤

٦ ـ موفق الدين بن المطران

موفق الدين ابي نصر اسعد بن ابي الفتح الياس بن جرجس المطران طبيب ماهر من اعيان النصارى الملكيين في دمشق اسلم في ايام صلاح الدين الايوبي . وعلت مكانته عنده الى ما يشبه منزلة الوزارة والتكبر حتى على الملوك فضلا عن سعة حاله واطلاعه واتساق اسباب التأليف والتصنيف له .

توفي سنة ١١٩١ ميلادية (٥٨٧ هـ) مخلفا في خزائنه من الكتب الطبية وسواها ما يناهز عشرة آلاف مجلد . وبلغت منه العناية باستنساخ الكتب انه كان في ديوانه ثلاثة نسّاخ يكتبون له ابدا وينفق عليهم بسخاء . نذكر منهم جمال الدين المعروف بابن الجمالة وكان خطه منسوباً . وما عدا الكتب التي نسخها ابن المطران بخطه فانه كان كثير المطالعة يقضي معظم اوقاته بين الكتب التي اقتناها وقد صححها واتقن تنميقها وعليها خطه بذلك . وكان ابدا لا يفارق في كمه مجلدا يطالعه على باب دار السلطان او اين توجه . واعتنى بجمع الكتب الصغيرة والمقالات الطبية المتفرقة فضلا عما كتبه منها لنفسه . فتجمع لديه من هذه الاجزاء الصغيرة مجلدات عديدة ذات فائدة وشأن . وصنف كتباً منها كتاب نادر عنوانه : « بستان الاطباء وروضة الالباء » لم يسلم منه الا الجزء الثاني (١)

٧ ـ مسيحي ابن ابي البقاء

هو الطبيب النصراني النيلي نزيل بغداد ويُعرف بابن البيطار . كان خبيراً بالعلاج بارعاً في الطبابة مقرّباً من قصر الخلافة . فعهد اليه ان يطبب النساء والحواشي ويطأ بساط الخليفة . وتيمن الناس بعلاجه ورفعوا قدره لتخصصه بالعتبات النبوية . وكان الامام الناصر لدين الله ابو العباس احمد يقدمه على امثاله

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق : مجلد ٣ صفحة ٢ ـ ٨

واوعز اليه ان يعالج امير الموصل من آل اتابك زنكي فسار الى هناك ونهض بمهمته خير نهوض .

واشتهر ابن البيطار بمحبته للعلم وشغفه بجمع الكتب فاقتنى خزانة حوت الشيء الكثير من المخطوطات في الحكمة وما يتعلق بها بحيث خرجت في الوفرة عن الحصر . وبعدما عاش عمراً طويلاً واحرز مالا جزيلاً مات في بغداد سنة ٦٠٨ للهجرة (١٢١١ م)

وزاد القفطي : ان المسيحي ابن ابي البقاء كان اذا وقعت في يده نسخة من كتاب وخشي المزايدة فيه خرمه لينقص قيمته ويبتاعه(١) .

٨ ـ ابو الفرج ابن العبري (١٢٢٦ ـ ١٢٨٦ م)

كان ابن العبري علماً بين علماء عصره . خلّف آثاراً جليلة في اغلب العلوم الدينية والبشرية كما يتضح من المؤلفات الثمينة التي وضعها في كل فن ومطلب . وكان متضلعاً من العربية والسريانية واليونانية ملماً بالفارسية والتترية والارمنية . وبلغ عدد مؤلفاته ٣١ كتاباً هي من انفس التصانيف وادقها(٢) . نذكر من تآليفه العربية كتاب « تاريخ مختصر الدول » وكتاب « النفس البشرية » وكتاب « حديث الحكمة » و « شرح فصول بقراط » وكتاب « منافع اعضاء الجسد » ومختصر كتاب « الادوية المفردة » تأليف الغافقي الاندلسي . ونقل عن العربية الى السريانية كتاب « الاشارات والتنبيهات »(٣) لابن سيناء وكتاب « حنين بن اسحق » في الطب(٤) وغير ذلك .

تقلب ابن العبري في المناصب البيعية فتولى اسقفية جوباس عام ١٢٤٦ ثم

---

(١) اخبار العلماء باخبار الحكماء : صفحة ٢١٨ وتاريخ مختصر الدول : صفحة ٤١٩

(٢) خاتمة التاريخ البيعي بقلم المفريان برصوما الصفي : جزء ٢ صفحة ٤٧٥ و ٤٨٠

(٣) تاريخ الدول السرياني : صفحة ٢٢٠ طبع بيجان

(٤) المشرق : مجلد ١ سنة ١٨٩٨ صفحة ٥٥٦ و ٥٥٧

اسقفية لقبين ثم اسقفية حلب عام ١٢٥٣ حتى ارتقى الى الكرامة المفريانية عام ١٢٦٤ للميلاد . فخدم تلك الرتبة اثنتين وعشرين سنة ريثما وافاه الاجل المحتوم في مدينة مراغا ببلاد فارس . ثم نُقلت عظامه الى دير مار متى الشيخ بجوار الموصل .

وكان بيت ابن العبري محجّ علم وثقافة فأطلق عليه لقب « بيت الحكيم » لان والده اهرون كان من مشاهير اطباء عصره(١) . وكان لديه خزانة حافلة بالمؤلفات الطبية وغيرها ذهبت فريسة النيران يوم انقض يساور التتري على ملطية في تموز سنة ١٢٥٢(٢) . واضطر الحكيم اهرون بعد تلك الكارثة ان ينتقل في اسرته الى انطاكية ثم الى حلب .

ومذ تولى ابن العبري كرسي حلب انصرف الى تجديد مكتبته حتى اصبحت مكتبة عظيمة ضُربت الامثال بنفاستها وكثرة محتوياتها . وكان صاحبها كلفاً بجمع الكتب حريصاً على تراث الاجداد . وكان تحت يده نسّاخ عديدون يستنسخهم كتب الأسلاف ويستكتبهم ما يؤلفه هو من شتى التصانيف .

ولما ارتقى ابن العبري الى الكرامة المفريانية كما نوهنا نقل تلك المخطوطات الى برطلي بجوار الموصل مركزه الجديد . ولدى احتضاره اوصى بنصفها للكرسي البطريركي وبالنصف الآخر للكرسي المفرياني . هكذا حُفظت مؤلفات ابن العبري من الضياع خلافاً لكثير من العلماء ضاعت تآليفهم فأصبحت أثراً بعد عين . وكفى ابن العبري فخراً انه حاز قصب السبق على جميع الذين ظهروا قبله وبعده حتى دعي « اعجوبة » من اعاجيب الدهر(٣)

وخلاصة القول ان ابا الفرج ابن العبري كان رجل علم وعمل لم يفتر حياته كلها عن المطالعة والبحث والتصنيف . فانه وضع ما ينيف على الثلاثين كتاباً في

---

(١) الاسر العربية المشتهرة بالطب العربي : بقلم عيسى المعلوف : صفحة ١٨
(٢) تاريخ الدول السرياني : صفحة ٤٩٢
(٣) مقدمة اللمعة الشهية للمطران يوسف داود : صفحة ٢٠٣ و ٢٠٥

العربية والسريانية وصفها العلامة يوسف شمعون السمعاني وسرد اسماءها(١) . واشتملت تلك التآليف الرائعة على اهم العلوم كالمنطق والفلسفة واللاهوت وشرح الكتاب المقدس والشرعين الكنسي والمدني والطب والتاريخ وعلم الهيئة وعلم الاخلاق والنحو والشعر والفكاهة . وكان من المنشئين المجيدين في العربية كالسريانية التي عدّ من كبار كتّابها المبرّزين . ولذلك سمّاه العلامة السمعاني « امير الكتبة اليعاقبة »(٢)

٩ ـ الرئيس المرتضي المختار هرمز

كان لهرمز الرئيس النسطوري المشهور في القرن الثالث عشر كلف شديد بالكتب . فأنشأ منها خزانة عامرة في داره حوت طائفة معتبرة من المخطوطات الثمينة كان يحرص عليها حرصه على الدرر الغوالي . وقد طالعنا مخطوطة دير الشرفة الثمينة الموسومة بالرقم ٢ ـ ١ من المخطوطات العربية عبارة تؤيد ما سبق هذا نصها : هذا كتاب الانجيل برسم الخزانة العامرة للرئيس الاجل المحترم السعيد . . . المرتضي المختار المؤمن هرمز من القرية المذكورة(٣) » المجاورة لمدينة نصيبين .

١٠ ـ بولس الزعيم

هو ابن البطريرك مكاريوس (١٦٤٣ ـ ١٦٧٢) الانطاكي . وكان الابن كوالده مولعاً بجمع اخبار الاولين وآثارهم.ينقب عن المؤلفات النادرة والمخطوطات التاريخية . وكان لا يدخر وسعاً في اقتنائها لنفسه واحيائها بنقل بعض النسخ عنها

---

(١) المكتبة الشرقية : ليوسف شمعون السمعاني : مجلد ٢ صفحة ٢٦٨ و ٣٢١

(٢) ترجمة ابن العبري : بقلم الاب انطون صالحاني : في صدر تاريخ مختصر الدول . والمشرق : مجلد ١ سنة ١٨٩٨ صفحة ٢٨٩ فما بعد . (٣) فهرس مخطوطات دير الشرفة : صفحة ٣١٠

واتقان تجليدها . فلم يدع بلداً الا نبش خباياه ولا ديراً الا فتش زواياه كما تشهد بذلك مؤلفاته التي شحنها باقوال وشهادات لغيره اقتطفها عن المخطوطات التي كانت تقع اليه (١) . وقد انشأ منها مكتبة معتبرة عرفت بمكتبة الشماس بولس الزعيم (٢). ويقال انها ضمت بعد وفاته الى مكتبة البطريركية الارثوذكية في دمشق . والله أعلم .

وللشماس بولس آثار محفوظة في بعض خزائن الشرق والغرب : منها تنقيحه لسلسلة بطاركة انطاكية الملكيين . وقد دونها في كتاب « الرحلة » التي قام بها والده البطريرك مكاريوس الثالث من السنة ١٦٥٢ - ١٦٥٥ الى القسطنطينية وبلغاريا والفلاخ والبغدان وروسيا (٣) .

١١ - المطران بطرس مخلوف

وُلد هذا المطران في غوسطا احدى قرى كسروان، وسافر الى رومة عام ١٦٣٩ حيث تلقى العلوم في المدرسة المارونية . وجعل يتردد على مكتبات تلك العاصمة فمالت نفسه الى التاليف وجمع الكتب والمحافظة عليها . ولما عاد الى لبنان عام ١٦٥١ توشح بالاسكيم الرهباني في دير مار عبدا هرهريا . وافرغ كل اهتمامه في التنقيب عن الآثار الخطية المبعثرة في انحاء لبنان .

ارتقى القس بطرس عام ١٦٧٤ الى كرسي مطرانية قبرس وواصل ابحاثه عن الكتب الطقسية وعن المعلومات التاريخية . وكان يحرّر كل ذلك في اوراق ثم يجمعها في كراريس . وكثيراً ما نشط المعتنين بهذه الامور وساعد النسّاخ في نسخ الكتب فكانوا يذكرون اسمه بالثناء . هكذا قضى هذا المطران حياته عاملاً في حقل العلم واقتناء المخطوطات ونسخها والحرص عليها حتى وافته المنية عام ١٧٠٧ (٤)

---

(١) خزائن الكتب في دمشق وضواحيها : تأليف حبيب زيات : ١١٥
(٢) خطط الشام : مجلد ٦ صفحة ١٩٥
(٣) تاريخ سورية : تأليف المطران يوسف الدبس : جزء ٧ صفحة ٢٧٣
(٤) نوابغ المدرسة المارونية الاولى : بقلم الخوري بطرس غالب .

١٢ ـ نعمة ابن الخوري توما الحلبي

وُلد نعمة بمدينة حلب في اواخر القرن السابع عشر . وحلّت وفاته في نواحي السنة ١٧٦٧ للميلاد . وتفرّغ منذ صباه للاشتغـــال بآداب اللغة العربية ففاز بالتحصيل حتى صار يعدّ بين رجال العلم في عصره . ومن متروكاته القلمية كتاب « عجالة راكب الطريق لمن رضي بتقليد التلفيق » يتضمن اثنتين وستين رسالة الى الحبر الاعظم والكرادلة في رومة والى غيرهم دفاعاً عن ملته الملكية الكاثوليكية (١) وألف نبذة في مقدمة وسبعة فصول وخاتمة سماها « خلاصة حب الفؤاد بنصح الآباء للاولاد » لارشاد اولاده . وله ديوان شعر وكتابات عديدة تدل على اقتـداره في فنون الانشاء كما ورد في ترجمته التي نشرهـــا الخوري جرجس منش في مجلة المشرق(٢) .

وكان نعمة كاتباً للاسقفين جرسيمس ومكسيمس الحكيم . وأولع منذ حداثته باقتناء الكتب على اختلاف مواضيعها فنسخ واستنسخ منها طائفة كبرى . هكذا جمع في بيته مكتبة غنية بمخطوطات ثمينة ومصنفات نفيسة(٣) . الا انه اضطر الى بيعها . فرثى حاله متفجعاً على خسارتها ونظم في ذلك قصيدة نقتطف منهـا هذه الابيات :

يا رب قد بعت كتبي ... فحسبي الذلّ حسبي
لا درّ درّ زمـان ... فرق عـــني كتبي
يـا ليتـني لو تقضى ... من قبل ذا البيع نحبي

١٣ ـ المطران جرمانس فرحات (١٦٧٠ ـ ١٧٣٢)

كلف السيد جرمانس فرحات منذ حداثته باللغة العربية فأتقنها غاية الاتقـان

---

(١) المشرق : مجلد ٥ سنة ١٩٠٢ صفحة ١٠٣ (٢) المشرق : مجلد ٥ سنة ١٩٠٢ صفحة ٣٩٦ (٣) اطرب الشعر واطيب النثر : للاب لويس شيخو : قسم ٢ صفحة ١٩٧

وانشأ فيها كتباً جمة لغوية وادبية وشعرية . ونقل اليها كتباً دينية اصبحت اشهر من نار على علم .

واهم ما انصرف اليه مذ تبوأ الكرسي الاسقفي في حلب سنة ١٧٢٥ اعتناؤه بمكتبتها واجتهاده في تعزيزها وحرصه على مخطوطاتها حرصاً شديداً . وحسبنا برهانا على ذلك ختمه الذي يشاهد مطبوعاً على جميع الكتب والمؤلفات التي اقتناها من ماله الخاص ووقفها لابرشيته (١) .

وقد تصدّى الخوري ابرهيم حرفوش لتنضيد هذه المكتبة وكتب عنها مقالة ضافية نشرها عام ١٩١٤ في مجلة المشرق . وصرح بان السيد فرحات هو اول من عني بجمع نفائسها وزينها بمجلدات وافرة اشتراها او ألفها او عرّبها او استنسخها . وأبرم حرماً صارماً على من يسرق منها كتاباً واحدا . وحرر في ذلك انذاراً شديد اللهجة يتلخص بما يلي : « والذي يسرق كتاباً من المكتبة ... يكون بيته مثل صادوم وعامورا ويذهب رزقه ويتهدم بيته وتشحذ اولاده من ابواب الخلائق والويل له ان رضي لنفسه ذلك » (٢) .

ولم تكن تحوي المكتبة يوم تجرد فرحات لتعزيزها سوى ٩٣ مجلداً . فأنفق على مشترى مخطوطات جمة ضمها اليها بمبلغ ١٣٩٤ أسدياً وهو يناهز نحو ثلاثمائة ليرة ذهبية في يومنا . وقد دفعه شغفه بآثار العرب الى الارتحال عام ١٧١٢ الى بلاد الاندلس حيث تعهد حضارتهم ورأى ما رأى من ضخامة ملكهم . وحصّل اثناء رحلته كتباً مخطوطة فاقتناها ثم قفل عائداً بها الى وطنه (٣) .

واثمن مخطوطات مكتبة فرحات : كتاب انجيل بديع الخط ترجمة الشيخ يعقوب الدبسي الماروني . وهو مزدان باطار ذهبي ونقوش بديعة مرسومة على

---

(١) روائع ما قيل نثراً ونظماً عن النابغة فرحات : قسم ٢ صفحة ٨

(٢) المشرق : مجلد ١٧ سنة ١٩١٤ صفحة ٢٤

(٣) المستطرفات المستظرفات في حياة جرمانس فرحات : بقلم جرجس منش (المشرق : مجلد ٧ سنة ١٩٠٤ صفحة ١٠٧

صفحاته بماء الذهب (١) . وكتاب الخلاصة اللاهوتية في ثلاثة مجلدات وكتاب فلسفة ارسطو في مجلد واحد ترجمة المفريان السرياني باسيليوس اسحق بن جبير الموصلي (+ ١٧٢١) . وقد اشترى المطران جرمانس المخطوطات الاربعة بمبلغ ٢٢٢ اسدياً .

هذا كله يبرهن على شغف المطران فرحات بالكتب وعلى وفور اعتنائه بها وحرصه عليها . وما عدا ذلك فانه ادى للمعارف والآداب العربية خدماً جلى ستلهج بها الألسنة جيلاً بعد جيل .

١٤ ـ البطريرك اغناطيوس ميخائيل جروة (١٧٨٢ ـ ١٨٠٠)

كان البطريرك الانطاكي اغناطيوس ميخائيل جروة من اعظم احبار الملل النصرانية في عصره علماً وفضلاً . نشر له ترجمة مفصلة ديونوسيوس افرام نقاشة مطران حلب في كتابه « عناية الرحمان في هداية السريان » في مائتي صفحة (٢) . واثبت الاب لويس شيخو عام ١٩٠٠ خلاصة سيرته في فرصة « التذكار المئوي لوفاته » (٣) .

ومن جملة المحاسن اللامعة التي خلدت لهذا البطريرك اسماً طيباً شغفه منذ حداثته بجمع الكتب النفيسة والمخطوطات القديمة . فاقتنى منها طائفة مهمة وقفنا على تفاصيل اسمائها كتاباً فكتاباً في ثماني لوائح . وقد وجه اليه تلك الكتب تباعاً والده نعمة الله وشقيقه الكافلير جبرائيل في ثماني قوافل قادمة من حلب الى لبنان سنة ١٧٨٧ وبلغ مجموع المجلدات المدونة في تلك اللوائح ١١٤٧ كتاباً جلّها من انفس المخطوطات . وقد اصبحت تلك المخطوطات نواة مكتبة معتبرة

---

(١) المشرق : مجلد ١٧ سنة ١٩١٤ صفحة ٢٩ .

(٢) عناية الرحمان في هداية السريان : صفحة ١٨٦ ـ ٣٨٢

(٣) المشرق مجلد ٣ سنة ١٩٠٠ صفحة ٩١٣ ـ ٩٢٦

تزيّن اليوم خزائن دير الشرفة الذي اسسه هـذا البطريرك عام ١٧٨٦ فوق قمـة درعون بكسروان .

ويستنتج من اللوائح الثماني المشار اليها ان مخطوطات جمة ومهمة قد اخذتها يد الضياع بعد وفاة منشىء المكتبة . ومن المحقق ان اساقفة السريان كانوا يستعيرونها من المكتبة ويبقونها لديهم ولا يردونها الى مركزها الاصلي . نذكر من تلـك المخطوطات المفقودة كتاب « تواريخ ابن الطيب » و « رسالة الفيلسوف يحيى بن عدي » و « ديدسقالية الرسل » وكتاب « المرشد في علم الفقه » وكتاب « اسحق وايوب » و « مجالس ايليا النصيبيني » وكتاب « بهجة المناظر » وكتاب « السيف القاطع » الخ الخ(١)

١٥ ـ القس توما ايوب الحلبي (١٨٦١ ـ ١٩١١)

ولد القس توما في حلب وتخرّج في مدرسة الشرفة بلبنان وفي كلية الآباء اليسوعيين ببيروت . وانفق سبعاً وعشرين سنة (١٨٨٥ ـ ١٩١١) في خدمة العلم والتعليم اذ كان لغوياً مدققاً مطلعاً على اعمق اسرار البلاغة العربية . وكان بيتـه كسوق عكاظ يختلف اليه ابناء الادب ليعرضوا عليه مقـالات نثرهم وقصائد شعرهم . واسس نادياً في وطنه سماه « نادي الادب » ضم اليه نخبة من شبان الشهباء ليشغلهم فيه بالقاء الخطب ودرس العلوم عن الملاهي الشائنة للآداب .

وكان همّ القس توما في جمع الكتب المفيدة وافراً جداً فاصبح يملك مكتبة عامرة جمعت نفائس المخطوطات(٢) والمطبوعات . وكانت مفتوحة لكل مطالع ومستعير . وامتازت خصوصاً بمطبوعات حجرية وبكتب نشرها علماء الاستشراق

---

(١) محفوظات دير الشرفة : جزء ٢٣

(٢) مجلة النعمة في دمشق : مجلد ٢ صفحة ٥٩٤ والآداب العربية في الربع الاول من القرن العشرين : صفحة ٥٧ و ٥٨

في اوروبا . ولعلها كانت اغنى مكتبة من نوعها في جميع الامصار الشرقية . لكن هذه المكتبة الثمينة تفرقت بعد وفاة صاحبها . وقيل ان كثيراً من كتبها بيع بالوزن من البدّالين والبقالين .

وخلّف القس توما تركة علمية نشر بعضها بالطبع . نذكر منها «رواية فابيولا» ورواية « قرّة العين في رواية الى اين » و « البر البنوي » و « المنتخب في امثال حلب(١) » الخ .

١٦ ـ المطران ادي شير (١٨٦٧ ـ ١٩١٥)

ولد هذا المطران في شقلاوا بجوار كركوك في ٣ اذار ١٨٦٧ ونصب سنة ١٩٠٢ مطراناً على الكلدان في سعرت . وأتقن منذ حداثته مع اللغتين العربية والسريانية اللغات الفرنسية واللاتينية والعبرانية واليونانية والفارسية والكردية . وانصرف الى التصنيف فنشر مقالات ونبذاً شتى في مجلات الشرق والغرب .

ومن تآليفه العربية : تاريخ كلدو واثور في مجلدين . وكتاب « الالفاظ الفارسية المعرّبة » و « اخبار شهداء المشرق » في مجلدين . ونشر عام ١٩٠٧ في باريس تاريخاً عربياً قديماً لاحد علماء النساطرة .

ولشدة ولع المطران ادي بالكتب والمكتبات طاف في بلاد العراق وما بين النهرين وتعهد مكتباتها النصرانية وانشأ لبعضها فهارس علمية نذكر منها ١ : فهرس مخطوطات مكتبة سعرت ٢ : فهرس مخطوطات البطريركية الكلدانية في الموصل ٣ : فهرس مخطوطات المطرانية الكلدانية بديار بكر وقد نشرهما سنة ١٩٠٧ ٤ : فهرس مخطوطات المطرانية الكلدانية بماردين عام ١٩٠٨ ٥ : فهرس مخطوطات المتحف البورجياني سنة ١٩٠٩ وقد ضمت المكتبة البورجيانية المذكورة بعد ذلك الى المكتبة الواتكانية .

---

(١) تاريخ الصحافة العربيه : مجلد ٢ صفحة ٢٣٨ و ٢٤٠

وافضل ما يذكر لهذا المطران البحاثة اعتناؤه بتعزيز مكتبة سعرت التي سبق لنا وصفها . وكانت تعد من اثمن مكتبات الشرق . وقد حوت كنوزاً من الرقوق المخطوطة والوثائق الخطيرة التي ورثها عن اسلافه في كرسي مطارنة سعرت . وزاد عليها طائفة كبيرة من مخطوطات نفيسة جمعها من انحاء الشرق . وضم اليها اسفاراً ومجموعات تاريخية استحضرها من بلاد اوروبا وغيرها (١) .

١٧ ـ القس بطرس نصري (١٨٦١ ـ ١٩١٧)

كان للقس بطرس نصري الكلداني كلف بالعلم شديد اقتبسه من استاذه العلامة المطران يوسف داود . وحمله على ان يحشد في خزانة كتبه كراريس ووثائق جديرة بالاعتبار . ولم يبخل بالنفقات الطائلة في سبيل التقاطها ونسخها او استنساخها من خزائن كتب بلاد المشرق(٢) . وكانت مكتبته حافلة بمطبوعات ومخطوطات استعان بها على الانتاج العلمي الذي خلّفته يراعته المثمرة . ومما يستحق الذكر ان ما خطته يده أربى على عشرين الف صفحة كما اثبته لنا عارفو فضله وكما اتضح لنا من مجموع صفحات مؤلفاته المحفوظة الى اليوم .

واهم ما خاض فيه القس بطرس من المواضيع ينحصر في الفلسفة واللاهوت والتاريخ والجغرافية نذكر منها : « خلاصة معجم البلدان » لياقوت الرومي في ٤٧٨ صفحة بحجم كبير . وكتاب « ذخيرة الاذهان في تواريخ السريان » في ١٠٤٨ صفحة . وكتاب « الاصول الفلسفية » في جزئين . وكتاب « خلاصة الخلاصة اللاهوتية » في عشرة اجزاء . ونقل عن اللاتينية الى العربية مجلدين من « المكتبة الشرقية » تاليف يوسف سمعان السمعاني . ومجلداً من تاريخ النساطرة ومؤلفيهم

---

(١) المشرق : مجلد ٢٣ سنه ١٩٢٥ صفحه ٣٦ ـ ٤٤ وراجع هذا الكتاب : صفحة ٥٠٦ ـ ٥٠٨

(٢) ذخيرة الاذهان في تواريخ السريان : المقدمة : صفحة ١٩

تاليف لويس السمعاني . وترجم عن السريانية الى العربية كتاب « تاريخ ابن العبري » في جزئين الى غير ذلك من المصنّفات التي عدّدتها مجلة المشرق(١)

١٨ ـ مراد بك بارودي (١٨٥٥ ـ ١٩١٨)

ولد مراد بك بارودي في « سوق الغرب » بلبنان وكان من بواكير الصيادلة الذين تخرجوا في الجامعة الاميركية ببيروت ونبغوا في مهنتهم . وعلى اشتغاله بالصيدلة لم ينقطع عن الاشتغال بالعلم ومجالسة العلماء حتى آخر حياته . وقد اصبح منزله بفضل اجتهاده متحفاً للعاديات والمسكوكات القديمة والمخطوطات النادرة التي التقطها من شتى الانحاء . ثم درسها ونظّمها تنظيماً فنياً نمّ عن اطلاع واسع وذوق سليم .

ولفرط ولع مراد بك بارودي بالكتب جمع في خزائنه الوفاً من اغلى المطبوعات وانفس المخطوطات . وكتب عنها البحاثة عيسى المعلوف وصفاً ضافياً في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق تبسط في ذكر مزاياها وفرائدها . ونشر منشىء الخزانة البارودية عينه مقالات عن بعض مخطوطاته في مجلات « المقتطف » بمصر و « المشرق » و « الكلية » ببيروت و « الآثار » بزحلة(٢)

وقد اشترت دار الآثار اللبنانية عام ١٩٢٥ مجموعة مسكوكات قديمة من ورثة مراد بك بارودي، ودفعت لهم قيمتها نحو ألفي ليرة عثمانية ذهبية . ثم اشترت دار الكتب اللبنانية نيّفاً والف مجلد في اللغات العربية والفرنسية والانكليزية .

اما مخطوطات البارودي العربية وقد اناف عددها على سبعمائة مجلد فقد باع بعضها في حياته من المستشرقين وهواة الكتب في اوروبا . وباع ورثته بقيتها وهي اربعمائة وثلاثون مجلداً من جامعة برنستون في الولايات المتحدة الاميركية .

---

(١) المشرق : مجلد ٢١ سنة ١٩٢٣ صفحة ٦٥٧ ـ ٦٦٠

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي : مجلد ٥ سنة ١٩٢٥ صفحة ٣٢ فما بعد

وجرى ذلك بتشويق العلامة اللبناني الدكتور فيليب حتي امين القسم الشرقي في مكتبة جامعة برنستون المشار اليها .

ومن اهم ما حوت عليه الخزانة البارودية من المخطوطات نذكر : « كتاب الزاهر » لأبي بكر الانباري نسخ منذ اكثر من ثمانية قرون . وعليه خطوط وتواقيع من اقتناه من العلماء . وكتاب « تقويم الادوية المفردة والاغذية » لكمال الدين التفليسي . وفيه اسم كل دواء باللغات العربية والفارسية والسريانية واليونانية واللاتينية . وكتاب « الاحكام السلطانية » للماوردي نسخ سنة ٥٦٧ للهجرة . وكتاب « الطيّب » لابي الحسن الخازن نسخ سنة ٥٩٠ للهجرة عن نسخة المؤلف .

١٩ - الاب لويس شيخو (١٨٥٩ - ١٩٢٧)

لا نرى في وصف اعمال الاب شيخو الا ان نستعير قلمه للتعبير عن فرط شغفه بالمكتبات والكتب العربية . فقد شرق وغرب وحصل ما شاء الله ان يحصله من المخطوطات الثمينة التي زين بها المكتبة الشرقية ببيروت فاصبح لذلك من اعظم غلاة الكتب والمكتبات في العالم العربي . والى القارىء ما خطته يراعته من هذا القبيل قال :

« اخذنا منذ السنة ١٨٨٠ نطوف انحاء لبنان لعلنا نعثر على شيء من المخطوطات وكنا اثناء العطلة المدرسية في كل سنة نتنقل في مدن الشام رجاء التقاط هذه الدرر الغالية التمن . فكنا نعود بعد كل رحلة بعدد وافر من تلك الجواهر الفريدة ... وقد اقتنينا مخطوطات نصرانية واسلامية وافرة خصوصاً في حلب . ولعل ثلث المكتبة الشرقية اقتنيناه منها (١) » .

وشهد الاب لامنس للاب شيخو استاذه في حقيقة ذلك فكتب يقول : « كان

---

(١) المشرق جزء ١٥ سنة ١٩١٢ صفحة ٨٢ ـ ٨٥

الاب شيخو اذا ابتعد بضع ساعات عن محله المعتاد في المكتبة الشرقية قصد مكاتب المدينة (بيروت) فبحث فيها وعاد مثقل اليدين بكتب جديدة . وكان اذا سافر انصرف الى ملهاته الوحيدة وهي الجد وراء المخطوطات(١) » .

واول رحلة قام بها الاب شيخو طلباً للمخطوطات تمت عام ١٨٩٥ فتطوع متنقلاً مع القوافل في بلاد ما بين النهرين والعراق . لان السكك الحديدية والعربات والسيارات كانت مجهولة لذلك العهد في الاقطار المذكورة . هكذا تعهد مكتبات الرها وماردين ودير الزعفران . وشاهد في دياربكر المكتبة الكلدانية تشتمل على زهاء خمسة آلاف كتاب بين مخطوط ومطبوع . ومن هناك طاف اديار طورعبدين وتفقد مكتباتها . واستأنف سيره الى جزيرة ابن عمر والقوش ودير الربّان هرمز حتى وصل الى الموصل . فحصّل فيها قسماً صالحاً من التآليف الخطية(٢)

ثم ركب الكَلك او الطّوف في دجلة ومرّ باربيل وتكريت وسامرّا حتى انتهى الى بغداد وزار دار الكتب العمومية وشاهد فيها كتباً عزيزة ونسخ شيئاً من نفائسها . وعثر عند الورّاقين على كمية من المخطوطات فاشتراها . واقتنى بعض مطبوعات العجم والهند النادرة(٣)

ومن بغداد انحدر الى البصرة واتجه الى الهند بحراً وحل في بمباي حيث تعرف الى علماء المسلمين . نذكر منهم الشيخ الشيرازي فابتاع منه طائفة من المخطوطات كما ذكرنا في فصل سبق .

ومن بمباي اقلع الى عدن فجدة فتهامة فالنوبة فشبه جزيرة سينا حتى انتهى الى بورت سعيد فبيروت . فوصل اليها صباح الجمعة ١٠ كانون الثاني ١٨٩٦.

ولم يكتفِ الاب شيخو بما التقطه في هذه الرحلة من ذخائر المخطوطات العربية لكنه زار مصر لتلك الغاية اربع مرات عام ١٨٧٧ و ١٨٨٥ و ١٩٠٧ و ١٩٢٧

---

(١) المشرق جزء ٢٦ سنة ١٩٢٨ صفحة ٢٠٦ (٢) المشرق جزء ١٥ سنة ١٩١٢ صفحة ٩٤٤ (٣) المشرق جزء ١٦ سنة ١٩١٣ صفحة ١٥٠

وفي السنة ١٩٠٢ جال في اطراف حمص وحماة واشترى بعض مخطوطات ذات شأن

ثم زار القسطنطينية عام ١٩٠٤ ووصف مكتباتها الموقوفة على نيّف واربعين جامعاً . وذكر ان مخطوطاتها اذا جُمعت بلغت ثلاثين الفاً(١) . ثم انطلق الى بودابست وقضى اربعة ايام في مكتبتها المحتوية على سبعمائة الف مخطوط ومطبوع(٢) واستأنف المسير الى فينا فزار مكتبتها ومتاحفها وروى ان فيها ثلاثين الف كتاب مخطوط ربعها باللغات الشرقية . وفيها متحف لآثار عربية مخطوطة وجدت في الفيّوم . وهي عبارة عن مدارج من البردي والنسيج والرق يرتقي بعضها الى ظهور الاسلام . ثم تعهد مكتبة مونيخ وفيها اكثر من ثلاثين الف مخطوط . وزار في كلية سترسبورغ مكتبتها العامرة الغنية بالمخطوطات العربية والسريانية والعبرانية(٣) .

واشتغل الاب شيخو ثمانية اشهر في المكتبة العمومية بباريس وذكر ان فيها زهاء سبعة آلاف مخطوط عربي(٤) وتعهد غير مرة مكتبة المتحف البريطاني ومكتبة بروكسل الخ الخ .

وفي السنة ١٩٠٥ استأنف الاب شيخو رحلاته العلمية فزار حلب واشترى مخطوطات نصرانية نسخت في القرون الثلاثة الاخيرة(٥) . وارتحل عام ١٩٠٦ الى بادية تدمر فاطلع على مخطوطات صدد والقريتين وقارة والنبك ويبرود ومعلولا وصيدنايا وغيرها .

ولم يكتفِ الاب شيخو بما جمعه من المخطوطات من اطراف البلاد العربية بل استنسخ عدة كتب ثمينة ازدادت بها ثروة المكتبة الشرقية . ومما استكتبه

---

(١) المشرق جزء ٧ سنة ١٩٠٤ صفحة ١٠٦٤ - ١٠٦٥ (٢) المشرق جزء ٧ سنة ١٩٠٤ صفحة ١١١٥ (٣) المشرق جزء ٧ سنة ١٩٠٤ صفحة ١١١٥

(٤) المشرق جزء ٧ سنة ١٩٠٤ صفحة ١١٥٤ و ١١٥٦

(٥) المشرق جزء ٨ سنة ١٩٠٥ صفحة ٩٢٦

من مخطوطات دير الشرفة كتاب « المرشد » ليحيى بن جرير . ثم كتاب « منارة الاقداس » وكتاب « الايثيقون » وكلاهما من تاليف ابي الفرج ابن العبري .

تلك شذرات تبرهن على كلف الاب شيخو بجمع المخطوطات وعلى جهوده الجبارة في تعزيز الآداب العربية .

وكان الاب شيخو شديد الحافظة غريب الذاكرة لكل كتاب ومكانه ومحتوياته حتى يعين الصفحة منه لمن يسأله . وكان لا يضنّ على من يريد مطالعة شيء منها . وذلك من عجيب ما يعرف عن غلاة الكتب ومحبيها وجامعيها . فلا غرو اذا عد « شيخ المؤلفين والعاملين(١) »

ويعتبر الاب شيخو من ارسخ مؤرخي الشرق العربي وانصار اللغة العربية ومن اخصب كتّابها . فانه ألف وترجم ونشر كتباً جمة حملت جميع الادباء على احترامه وعلى الاعجاب بعبقريته .

ونختم المقال بنص المرسوم الذي تُلي يوم دفن شيخو بحضور كبار العاصمة بيروت واعيانها وعلمائها . ويتضمن المرسوم منح الاب شيخو مدالية الاستحقاق اللبناني التي وضعها على نعشه رئيس الوزارة اللبنانية وهذا نصه :

« منحت مدالية الاستحقاق اللبناني الفضية ذات السعف للاب شيخو اكراماً له بعد الوفاة للاسباب الآتية : بقي نحو خمسين سنة يخدم اللغة العربية بنشر كنوزها المدفونة وتاليف الكتب العديدة فيها . وخدم لبنان خاصة وبلاد المشرق عامة بما نشره من التآليف عن تاريخها وآثارها وعلومها حتى بلغت مطبوعاته مائة وعشرين مجلداً فاستحق شكر لبنان » .

٢٠ ـ الخوري جرجس منش (١٨٧٣ ـ ١٩٣١)

عرف المجمع العلمي العربي بدمشق ما للخوري جرجس منش من الشغف باللغة

---

(١) مجلة الآثار سنة ١٩٢٨ صفحة ٨٣ ـ ٨٧

العربية وآدابها وما امتاز به من البحث والتدقيق عن الكتب العربية قديمها وحديثها مخطوطها ومطبوعها . فاحصاه في ٢٣ اذار ١٩٢٣ بين اعضائه العاملين وراسله غير مرة في مسائل علمية وتاريخية وادبية .

احب الخوري جرجس الدرس والتدريس والتنقيب عن الكتب وعن مؤلفيها . وقام برحلات علمية في النيرب وارفاد وقورش وجرابلس وقنسرين والرقة وجبل سمعان للوقوف على آثارها . فكتب عن جغرافيتها وتواريخها ووقائعها ومشاهيرها فصولاً ضافية نشر بعضها وبقي بعضها مطوياً غير مطبوع .

وفي ٣ حزيران ١٩١٧ انضم الخوري جرجس الى لجنة انشأها عبد الخالق والي حلب العثماني . غايتها تأليف كتاب مفصّل عن تواريخ سوريا الشمالية وعن جغرافيتها وشعوبها واديانها الخ . وفوّض الى الخوري جرجس البحث عن نصرانيتها . فقام الخوري بالمهمة الموكولة اليه . لكنه لم يتيسر طبع ذلك التاريخ لارتحال الاتراك عن هذه البلاد .

ونشر الخوري جرجس على صفحات المجلات العلمية والصحف السيارة مقالات مفيدة قدّرت بنحو ثلاثة مجلدات . اما مصنفاته المطبوعة فلا تكاد تتجاوز عدد الاصابع .

ومما برهن على كَلف الخوري جرجس بالكتب والمكتبات انه تولى ادارة المكتبة المارونية بحلب ست عشرة سنة . وجمع في خزائنه كتباً نفيسة بذل في اقتنائها المال بسخاء(١) وعلى اثر وفاته في ١٣ كانون الثاني ١٩٣١ اشترى المطران ميخائيل اخرس طائفة من كتبه المخطوطة والمطبوعة وضمها الى المكتبة المارونية بالشهباء فكانت المخطوطات زهاء ثلاثمائة مجلد والمطبوعات الفاً وخمسمائة مجلد .

٢١ ـ يوسف اليان سركيس (١٨٥٦ ـ ١٩٣٣)

وُلد يوسف بن اليان سركيس في دمشق من اسرة محترمة وانتقل مع والديهِ

---

(١) ترجمة الخوري الاسقفي جرجس منش (١ و ١٧) .

عام ١٨٦٣ الى بيروت وتلقى العلوم في مدارسها . وخدم المصرف السلطاني العثماني خمساً وثلاثين سنة . وترقى في وظائف ذلك المصرف حتى اصبح مديراً له في انقرة عاصمة تركيا في يومنا .

وما عدا ما انصرف اليه يوسف اليان من الاعمال الخيرية مدة حياته فانه تفرغ للمطالعة والتأليف والترجمة والنشر . ومما خلفه من الآثار المطبوعة نذكر . كتاب « الرحلة الجوية » . وكتاب « أنفس الآثار في اشهر الأمصار » . وكتاب « الدرّ المنتخب في تاريخ محلكة حلب » تأليف ابن الشحنة . وكتاب « جامع التصانيف العربية الحديثة » التي طبعت في البلاد الشرقيّة والغربيّة . وكتاب « الحجج الراهنة في ابطال دعاوى الموارنة » تأليف المطران يوسف داود . وآخر كتاب صنفه هو « معجم المطبوعات العربية والمعربة » في ٢٠٢٤ صفحة . فرغ من طبعه سنة ١٩٣٠ في القاهرة . وأصبح هذا المعجم الفريد مرجعاً لاهل البحث في موضوعه .

وكان يوسف اليان من اعظم هواة الكتب يسعى جهده للتنقيب عنها والتدقيق في محتوياتها والحصول عليها مهما كلفه ذلك من بذل المال وعناء الاسفار والاسهار . وكان محبّو المخطوطات القديمة يعتمدون عليه نظراً الى خبرته الواسعة بمكتبات الشرق وما انطوت عليه من كنوز ثمينة . هكذا تمكن من تأدية الخدم المتواصلة لعدة مكتبات شرقاً وغرباً كالمكتبة الواتكانية برومة والمتحف البريطاني بلندن والمكتبة الاهلية بباريس ومكتبة جامعة شيكاغو باميركا الشمالية ومكتبة احمد تيمور باشا بالقاهرة الخ الخ . وحلت وفاته عام ١٩٣٣ بالقاهرة .

٢٢ ـ عيسى اسكندر المعلوف

الشيخ عيسى اسكندر المعلوف عَلَمٌ من اعلام التاريخ الشرقي في سوريا ولبنان . والمشهور عنه انه لا يكل نهاره وليله ولا يمل البحث والمطالعة والتأليف . فهو مثال الاجتهاد والجَلَد والاخلاق الرضية والتفاني في خدمة العلم والعلماء . ذلك

ما حدا المجمع اللغوي المصري والمجامع العلمية في دمشق ولبنان والبرازيل على الاعتراف بفضله وعلى تسجيل اسمه بين اعضائها اللامعين .

وقد كلف الشيخ عيسى(١) منذ صباه بجمع الكتب والحرص عليها . فاقتنى منها عدداً وافراً قلّ ما أتيح لسواه في عصره ومصره ان يجمع مثله . وندر ان تباع مكتبة من مكتبات الشرق قبل عرضها عليه . فوقف على نفائس ونوادر ذات شأن من مخطوطات ومطبوعات على اختلاف مواضيعها .

اطّلعنا في مجلة « الضاد » الحلبية(٢) على مقالة موجزة كتبها عيسى المعلوف في وصف خزانة كتبه التي انشأها في مدينة زحلة . فتبين لنا انها اشتملت على سبعة آلاف مجلد بينها زهاء الف وتسعمائة مخطوط علّق عليها بخطه الحواشي المفيدة والملحوظات السديدة . غير انه باع ربع مخطوطاته عام ١٩٢٥ من خزانة الجامعة الاميركية في بيروت . ذلك لا طمعاً بالربح والاتجار بل لحفظها بين ايدي مَن يعرف قيمتها ويحرص عليها ويستفيد من التعاليق الخاصة التي دوّنها جامعها البحاثة في اكثر تلك المخطوطات . وقد نشر في هذا الصدد رسالة عنوانها « المخطوطات المعلوفية في خزانة الجامعة الاميركية » .

ولعيسى المعلوف مؤلفات جمة نذكر منها : « دواني القطوف في اخبار بني المعلوف » و « تاريخ فخر الدين المعني » و « تاريخ زحلة » وكتاب « الاخبار المرويّة في تاريخ الاسر الشرقية » وديوان شعر سماه « بنات الافكار » الخ . وله خطب ومقالات غزيرة المادة مبتكرة المواضيع عن لبنان وسوريا خصوصاً . نشرها في زهاء خمسين مجلة وجريدة ولا سيما في مجلته « الآثار » التي اصدر منها خمسة مجلدات .

ومما يبرهن على كلف الاستاذ عيسى المعلوف بجمع الكتب والضنانة بنوادرها

---

(١) راجع ترجمته في تاريخ الصحافة العربية : مجلد ٢ صفحة ٢٣٤ ـ ٢٣٨

(٢) مجلة الضاد في حلب : مجلد ٦ صفحة ٩ ـ ١٤ سنة ١٩٣٦

بيتان نظمهما هو في هذا الصدد . وقد جريا على الالسنة مجرى الامثال قال :

اجعلوا ان متّ يوماً كفَني ورق الكتب وقبري المكتبهْ

وادفنوني وادفنوا الكتب معي وانثروا الاوراق حول المرتبهْ (١)

٢٣ ـ القس بولس سباط

لهذا الكاهن الفاضل ولع غريب بالمخطوطات القديمة التي اخذ يجمعها منذ السنة ١٩٠٩ على اثر خروجه من مدرسة الشرفة . وقد وضع نواة هذه المكتبة في حلب مسقط راسه قبل انتقاله الى القاهرة حيث قضى بقية حياته . ويعد القس بولس سباط من ذوي الهمة الشماء اذ بلغ ما احرزه من تلك الذخائر الغالية ما لم يجمعه غيره من كهنة هذا العصر في بلاد الشرق .

ولما نشبت الحرب العظمى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) بويلاتها شمر هذا القس الفاضل عن ساعد الجد لينقذ من براثنها ما تبقى مبعثرا في حلب من المخطوطات العربية . وقد عثر على طائفة من الكتب لا توجد الا في خزانته (٢)

ولم يقتصر القس بولس على جمع ما جمع من المخطوطات بل وضع لها فهارس منظمة ثم نشرها تعميماً لفوائدها . وقرأنا وصفاً لبعض مخطوطات الخزانة السباطية بقلم عيسى اسكندر المعلوف في مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق(٣). وقد اناف عدد مخطوطات هذه الخزانة على الف وخمسمائة مجلد(٤) وتوفي منشئها بالقاهرة في شهر تشرين الاول ١٩٤٥

---

(١) مجلة الدبور في بيروت : مجلد ١٩ سنة ١٩٤١ عدد ٨٦٣

(٢) المجلة السورية : مجلد ٣ سنة ١٩٢٨ صفحة ١٤٧

(٣) مجلة المجمع العلمي بدمشق : مجلد ٥ سنة ١٩٢٥ صفحة ٣١٩

(٤) مجلة المسرة : مجلد ٢٢ سنة ١٩٣٦ صفحة ٥٠٥

ونشر القس سباط بعض كتب نذكر منها كتاب « المشرع » وكتاب « الروضة الطبية » تأليف عُبيدالله بن جبرائيل بختيشوع طبعه سنة ١٩٢٧ في القاهرة .

ومن نفائس الخزانة السباطيّة : « المقدمة الكافية في الجبر والمقابلة » لابي الحسن السلميّ نسخ سنة ٦٠٨ للهجرة (١٢١١ م) . و « قسطاس الافكار في تحقيق الاسرار » في المنطق نُسخ سنة ٧١٤ للهجرة (١٣١٤ م) . ورحلة رجل حلبي رافق سائحاً فرنسياً اسمه « بول لوكا » سنة ١٧٠٧ م الى طرابلس الشام ومصر ومراكش واوروبا وغيرها .

خاتمة المجلد الثاني

الى هنا انتهى المجلد الثاني من كتاب « خزائن الكتب العربية في الخافقين » الذي لا يقلّ عن المجلد الاول مادة ودقة وترتيباً . وهو يتضمن الشيء الكثير مما يصبو الى اقتباسه والاطلاع عليه اهل النقد والعرفان . ويسدّ بلا ريب فراغاً كبيراً في المكتبة العربية من الناحيتين التاريخية والادبية . وقد اودعناه تسعة ابواب مختلفة المواضيع متماسكة الاصول والفروع يصح ان يكون كل باب منها كتاباً مستقلاً برأسه .

وسنختتمه بالمجد الثالث والأخير الذي ينطوي على خمسة ابواب : اولها المخطوطات العربية والعاملون فيها ، ثانيها المخطوطات العربية المصوّرة والمزوّقة ، ثالثها رزايا الكتب والمكتبات ، رابعها النوازل الادبية بالمكتبات والكتب ، خامسها دار الكتب اللبنانية في بيروت . وكل من هذه الابواب ذو طابع خاص تتجلى فيه غرائب الكتب ومزاياها وطرائف المكتبات ورزاياها .

فهرس

خزائن الكتب العربية في الخافقين

المجلد الثاني

صفحة

الباب الخامس المكتبات النصرانية ٤١٣

الفصل الاول خزائن الكتب في بلاد الجمهورية اللبنانية ٤١٤

اولا : مكتبات بيروت ٤١٤

١ ـ مكتبة مطرانية الروم الارثذكس ٤١٤
٢ ـ مكتبة الجمعية السورية ٤١٥
٣ ـ مكتبة الجمعية المشرقية ٤١٥
٤ ـ الخزانة اليازجية ٤١٦
٥ ـ المكتبة الشرقية وسائر مكتبات اليسوعيين ٤١٧
٦ ـ مكتبة الجامعة الاميركية ٤١٩
٧ ـ مكتبة البطريركية السريانية ٤٢٠
٨ ـ مكتبة مطرانية الروم الكاثوليك ٤٢١

صفحة

٩ ـ مكتبة معهد الحكمة المارونية ٤٢٢
١٠ ـ الخزانة البستانية ٤٢٣
١١ ـ خزانة آل مدوّر ٤٢٣
١٢ ـ الخزانة الطرّازية ٤٢٤
١٣ ـ مكتبة خليل سركيس ٤٢٥
١٤ ـ مكتبة مدرسة اللاهوت الاميركية ٤٢٥
١٥ ـ مكتبة الدكتور سامي حداد ٤٢٦
١٦ ـ مكتبة الجمعية الخيرية الارثوذكسية ٤٢٧
١٧ ـ المكتبة النخلية ٤٢٧
١٨ ـ مكتبة جرجي نقولا باز ٤٢٨
١٩ ـ مكتبة المدرسة البطريركية ٤٢٨
٢٠ ـ سائر المكتبات النصرانية في بيروت ٤٢٩

ثانياً : مكتبات الموارنة في جبل لبنان ٤٣٠

١ ـ نقل مخطوطات من اديار الموارنة الى مكتبات اوروبا ٤٣١
٢ ـ مكتبة الكرسي البطريركي في بكركي ٤٣١
٣ ـ مكتبة البطريرك الدويهي في دير مار شليطا مقبس ٤٣٢
٤ ـ مكتبة المرسلين اللبنانيين في دير الكريم ٤٣٢
٥ ـ خزائن كتب الأسرة الخازنية ٤٣٣
٦ ـ مكتبة الامير حيدر الشهابي في شملان ٤٣٤
٧ ـ مكتبة الاميرَين فارس وعباس الشهابيين ٤٣٤
٨ ـ مكتبة ميشال حائك في بيت شباب ٤٣٥
٩ ـ مكتبة القس برنردس غبيرا في غزير ٤٣٥

صفحة

١٠ ـ سائر مكتبات الموارنة في جبل لبنان ٤٣٦
١١ ـ مخطوطات المكتبات المارونية ومؤرخوها ٤٣٦

ثالثاً : مكتبات الروم الكاثوليك في جبل لبنان ٤٣٧

١ ـ حرص الروم الكاثوليك على ذخائر مكتباتهم ٤٣٧
٢ ـ غوائل مكتبات الروم الكاثوليك في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ٤٣٨
٣ ـ نشاطهم الى تنظيم خزائنهم الكتابية وتعزيزها ٤٣٩
٤ ـ مكتبات اديار الروم الكاثوليك الرئاسية ٤٣٩
٥ ـ مكتبة مدرسة عين تراز ٤٣٩
٦ ـ مكتبة القس انطون بولاد ٤٤٠
٧ ـ مكتبة نقولا بك سيوفي في بعبدا ٤٤١
٨ ـ مكتبة الخوري فيلبس نمير في زحلة ٤٤٢

رابعاً : مكتبات السريان الكاثوليك في جبل لبنان ٤٤٣

١ ـ مكتبة دير الشرفة ٤٤٣
٢ ـ جهود مؤلف هذا الكتاب في تعزيز مكتبة الشرفة ٤٤٣
٣ ـ مكتبة دير الرغم ٤٤٤

خامساً : مكتبتا الارمن في بزّمار وخشبو بجبل لبنان ٤٤٥

سادساً : مكتبات الرهبنات اللاتينية في جبل لبنان ٤٤٥

١ ـ مكتبة دير الفرنسيسيين في حريصا ٤٤٥
٢ ـ مكتبات اديار الاباء اليسوعيين ٤٤٦

صفحة

٣ ـ خزانة كتب مدرسة عينطورا ٤٤٦

سابعاً : مكتبات الروم الارثذكس في جبل لبنان ٤٤٧

١ ـ مكتبة دير البلمند ٤٤٧

٢ ـ سائر مكتبات الروم الارثذكس في لبنان ٤٤٨

ثامناً : مكتبات السريان الارثوذكس في جبل لبنان ٤٤٨

تاسعاً : مكتبات جبل لبنان العامة ومتاحفه ٤٤٩

١ ـ مكتبة الامير بشير الكبير ومتحفه في قصر بتدين ٤٤٩

٢ ـ مكتبة جبران خليل جبران ومتحفه في بشراي ٤٥١

عاشراً : مكتبات طرابلس ٤٥٢

١ ـ مكتبة الآباء اللعازريين ٤٥٢

٢ ـ مكتبة نوفل نوفل ٤٥٢

٣ ـ مكتبة نقولا منصور ٤٥٣

٤ ـ مكتبة اسكندر كاتسفليس ٤٥٣

٥ ـ مكتبة جرجي يني ٤٥٤

حادي عشر : مكتبات صيدا ٤٥٤

١ ـ مكتبة مدرسة الفنون الاميركية ٤٥٤

٢ ـ غرف القراءة ٤٥٥

الفصل الثاني خزائن كتب سوريا ٤٥٦

اولا : مكتبات دمشق ٤٥٦

صفحة

١ ـ مكتبة البطريركية الارثذكسية ٤٥٦
٢ ـ مكتبة البطريركية الكاثوليكية ٤٥٨
٣ ـ مكتبة المطرانية السريانية ٤٥٩

ثانياً : مكتبات ضواحي دمشق ٤٦٠

١ ـ مكتبة صيدنايا ٤٦٠
٢ ـ مكتبات اديار معلولا ٤٦١
٣ ـ مكتبة مطرانية الروم الكاثوليك في يبرود ٤٦٣

ثالثاً : مكتبات حمص ٤٦٤

١ ـ مكتبة بطريركية السريان الارثوذكس ٤٦٤
٢ ـ مكتبة مطرانية الروم الارثذكس ٤٦٥
٣ ـ مكتبة الآباء اليسوعيين ٤٦٥
٤ ـ مكتبة السريان الكاثوليك ٤٦٥

رابعاً : مكتبة دير ما مارون بناحية افاميا ٤٦٦

خامساً : مكتبات حلب ٤٦٧

١ ـ المكتبة المارونية ٤٦٧
٢ ـ مكتبتا الروم الارثذكس والروم الكاثوليك ٤٦٨
٣ ـ مكتبة السريان الكاثوليك ٤٦٨
٤ ـ خزانة المقدسي نصرالله طرّازي ٤٧٠
٥ ـ خزانة الخورفسقفوس جرجس شلحت ٤٧٠
٦ ـ خزانة بني الانطاكي ٤٧١

صفحة

٧ ـ خزانة ميخائيـــل جدّ ٤٧١
٨ ـ خزانة قسطاكي بك حمصي ٤٧١
٩ ـ خزانة آل بيطار ٤٧٢
١٠ ـ مخطوطات الموسيقى والغناء في حلب ٤٧٢

سادساً : مكتبات اديار انطاكية ٤٧٣

١ ـ مكتبة دير مار ايليـــا ٤٧٣
٢ ـ مكتبة دير مار سمعان ٤٧٣

الفصل الثالث خزائن كتب فلسطين ٤٧٥

اولا : مكتبات القدس ٤٧٥

١ ـ مكتبة القبر المقدس ودير مار سابا واديار الاردن للروم الارثذكس ٤٧٥
٢ ـ مكتبة الرهبان الفرنسيسيين ومكتبات الرهبانيات اللاتينية ٤٧٦
٣ ـ مكتبة دير مار يعقوب للارمن ٤٧٨
٤ ـ مكتبة دير مار مرقس للسريان ٤٧٨
٥ ـ مكتبات الارساليات البروتستانية ٤٧٩
٦ ـ مكتبة جمعية الشبان المسيحية ٤٨٠

ثانياً : مكتبات عكا وحيفا ٤٨٠

١ ـ مكتبة دير الكرمل ٤٨٠
٢ ـ مكتبة مطرانية الروم الكاثوليك ٤٨٢

الفصل الرابع خزائن كتب ما بين النهرين ٤٨٣

صفحة

اولا : مكتبات الرها ٤٨٣

١ ـ المكتبة الملكية ٤٨٣
٢ ـ نساخة الكتب ومعامل الرقوق في الرها ٤٨٤
٣ ـ فواجع مكتبات الرها ٤٨٥
٤ ـ شيوع اللغة العربية في الرها ٤٨٦
٥ ـ استنقاذ قرآن مكتوب بحروف سريانية في نكبة زنكي ٤٨٧
٦ ـ مكتبة السريان ٤٨٧

ثانياً : مكتبات آمد (ديار بكر) ٤٨٨

١ ـ المكتبة البطريركية ٤٨٨
٢ ـ مكتبتا دير مار يوحنا ودير ابي غالب ٤٨٩
٣ ـ مكتبات الملل المسيحية بديار بكر في العصور الاخيرة ٤٩٠

ثالثاً : مكتبة ملطية ٤٩١

رابعاً : مكتبات اديار زابار ٤٩٢

خامساً : مكتبات ماردين ٤٩٣

١ ـ مكتبة الكلدان ٤٩٣
٢ ـ مكتبة السريان الكاثوليك ٤٩٤
٣ ـ مكتبة الارمن الكاثوليك ٤٩٤

سادساً : مكتبة دير الزعفران ٤٩٤

١ ـ ثروة مكتبة دير الزعفران ٤٩٤

صفحة

٢ ـ رواية المستشرق ساخو عن مكتبة دير الزعفران ٤٩٦
٣ ـ نكبات مكتبة دير الزعفران ٤٩٦
٤ ـ وصف الراهب افرام برصوم لمكتبة دير الزعفران ٤٩٧

سابعاً : مكتبة دارا ٤٩٧

ثامناً : مكتبات نصيبين ٤٩٨

١ ـ مكتبة مدرسة نصيبين ٤٩٨
٢ ـ مكتبة كنيسة مار يعقوب الكبرى ٤٩٩
٣ ـ مكتبة مطرانية نصيبين ٥٠٠

تاسعاً : مكتبات طور عبدين ٥٠٢

١ ـ ازدهار المكتبات وتعدّدها في اديار طور عبدين ٥٠٢
٢ ـ وصف دير قرتمين المعروف بدير العمر ٥٠٣
٣ ـ اطلاق العرب لفظة « عُمُر » على مقام الرهبان ٥٠٣
٤ ـ مكتبة دير قرتمين او دير العمُر ٥٠٤
٥ ـ نكبات مكتبة دير العُمر ٥٠٤
٦ ـ بعض مكتبات طورعبدين ٥٠٥
٧ ـ انجيل فريد ثمين في مذيات بطورعبدين ٥٠٦

عاشراً : مكتبة سعرت ٥٠٦

١ ـ اصل مكتبة سعرت وثروتها وفواجعها ٥٠٦

صفحة

٢ ـ تجديد مكتبة سعرت واتلافها واتخاذ الاكراد رقوق مخطوطاتها نعالا لارجلهم ٥٠٧

الفصل الخامس خزائن كتب النصارى في العراقَين العربي والفارسي ٥٠٩

اولا : مكتبات النساطرة ٥٠٩

١ ـ فضل علماء النساطرة على اللغة العربية ٥٠٩
٢ ـ مكتبة فطاركة النساطرة في المدائن وبغداد ٥١٠
٣ ـ مكتبة دير قنّى ٥١٢
٤ ـ مكتبة النساطرة في اورمية ٥١٣
٥ ـ مكتبة فطاركة النساطرة في قودشانيس ٥١٤

ثانياً : مكتبات الكلدان ٥١٥

١ ـ الخزانة البطريركية في الموصل ٥١٥
٢ ـ مكتبة دير الربّان هرمزد ومكتبة دير السيدة ٥١٦
٣ ـ مكتبات الكلدان في ضواحي الموصل ٥١٨
٤ ـ مكتبة اسكندر مسيّح في بغداد ٥١٨

ثالثاً : مكتبات السريان الارثوذكس ٥١٨

١ ـ مكتبة مفارنة المشرق في تكريت ٥١٨
٢ ـ نقل مخطوطات من تكريت الى مصر ٥١٩
٣ ـ وصف دير الشيخ متى ٥٢٠
٤ ـ مكتبة دير الشيخ متى ونفائسها ٥٢١

صفحة

٥ ـ تبعثر مكتبة الشيخ متى واضمحلالها ٥٢١

رابعاً : مكتبات السريان الكاثوليك ٥٢٢

١ ـ مكتبة كرسي مطرانية الموصل ٥٢٢
٢ ـ مكتبة رزوق عيسى في بغداد ٥٢٣

خامساً : مكتبات اللاتين ٥٢٤

١ ـ الخزانة الشرقية للرهبان الكرمليين في بغداد ٥٢٤
٢ ـ مكتبة الرهبان الدومنكيين بالموصل ٥٢٥
٣ ـ مكتبة القصادة الرسولية بالموصل ٥٢٦

سادساً : مكتبة يعقوب سركيس في بغداد ٥٢٦

سابعاً : مكتبة المبشرين الانكليز في الكويت ٥٢٧

الفصل السادس خزائن كتب القطر المصري ٥٢٨

اولا : مكتبات الاسكندرية ٥٢٨

١ ـ المكتبة البطريركية في سالف العصور ٥٢٨
٢ ـ مكتبة بطريركية الاقباط ٥٢٩
٣ ـ مكتبة بطريركية الملكيين ٥٣٠
٤ ـ مكتبة جبرائيل مخلّع ٥٣١
٥ ـ مكتبة نقولا نجيب سرسق ٥٣٢
٦ ـ مكتبة جبران نحاس ٥٣٢

صفحة

٧ ـ سائر المكتبات النصرانية في الاسكندرية ٥٣٣

ثانياً : مكتبات القاهرة ٥٣٤

١ ـ مكتبات الاقباط عموماً ٥٣٤
٢ ـ مكتبة المتحف القبطي ٥٣٥
٣ ـ مكتبة المعهد العلمي المصري ٥٣٦
٤ ـ مكتبة غلياردو بك ٥٣٨
٥ ـ مكتبات الاهرام والمقتطف والهلال ٥٣٩
٦ ـ مكتبة توفيق اسكاروس ٥٤٠
٧ ـ مكتبة توفيق حبيب ٥٤١
٨ ـ مكتبة الكلية الاميركية ٥٤١
٩ ـ مكتبة بشر فارس ٥٤١
١٠ ـ سائر المكتبات النصرانية في القاهرة ٥٤٢

ثالثاً : مكتبة جرجس فيلوثاوس عوض في طنطا ٥٤٣

رابعاً : مكتبات اديار مصر ٥٤٣

١ ـ لمحة عن مكتبات اديار مصر ٥٤٣
٢ ـ مكتبة دير السيدة والدة الله ٥٤٤
٣ ـ بيع رقوق بما يعادل وزنها ذهباً ٥٤٥

خامساً : مكتبة دير طور سيناء ٥٤٩

١ ـ موقع الدير وخطورة مكتبته وقدامة عهدها ٥٤٩
٢ ـ وصف احمد شفيق باشا المصري لمكتبة دير طور سيناء ٥٥٠

صفحة

٣ ـ اقدم انجيل سرياني في مكتبة طور سيناء ٥٥١
٤ ـ اقدم انجيل يوناني نقل من مكتبة طور سيناء ثم بيع بمائة الف جنيه انكليزي ذهب ٥٥١
٥ ـ ذخائر مكتبة الدير وغرائب مخطوطاتها ٥٥٢
٦ ـ طريقة طريفة لصيانة الكتب النادرة في مكتبة طورسيناء ٥٥٣
٧ ـ وصف مكتبة طورسيناء للرحالة خليل صباغ ٥٥٤

الفصل السابع خزائن كتب شمال افريقيا ٥٥٥

اولا : مكاتب المملكة التونسية ٥٥٥

١ ـ مكتبة نادي الآداب العربية بتونس ٥٥٥
٢ ـ مكتبة البارون ذي لانجي في جبل المنار ٥٥٥
٣ ـ مكتبة موناهن في قرطاجنة ٥٥٦

ثانياً : مكتبات الجزائر او المغرب الاوسط ٥٥٧

١ ـ دار الكتب الاهلية ٥٥٧
٢ ـ مكتبة جامعة الجزائر ٥٥٨

ثالثاً : مكتبات المغرب الأقصى ٥٥٩

١ ـ مكتبة معهد الدروس العليا في الرباط ٥٥٩
٢ ـ سائر المكتبات النصرانية بالمغرب الاقصى ٥٦٠

رابعاً : مكتبات طرابلس الغرب ٥٦٠

١ ـ مكتبة الحكومة الايطالية ٥٦٠

صفحة

٢ ـ مكتبة جرجس صقال ٥٦١

الفصل الثامن خزائن كتب الهند ٥٦٢

١ ـ المكتبة العمومية في كلكتا ٥٦٢

الباب السادس مكتبات بيروت العامة ٥٦٣

الفصل الاول مكتبة مار منصور ٥٦٣

الفصل الثاني مكتبة غرف القراءة ٥٦٤

الفصل الثالث مكتبتا الاتحاد والترقي والحرب العظمى ٥٦٥

١ ـ مكتبة الاتحاد والترقي ٥٦٥

٢ ـ مكتبة الحرب العظمى ٥٦٥

الفصل الرابع مكتبة المجلس البلدي ٥٦٦

١ ـ مكتبات المجالس البلدية في انحاء المشرق ٥٦٦

٢ ـ نشأة مكتبة بلدية بيروت ٥٦٦

الفصل الخامس مكتبة القضاة ٥٦٨

الفصل السادس مكتبتا نقابتي المحامين والصحافة ٥٦٩

١ ـ مكتبة نقابة المحامين ٥٦٩

٢ ـ مكتبة نقابة الصحافة ٥٦٩

صفحة

الباب السابع المكتبات العربية في اوروبا ٥٧٠

الفصل الاول اعتناء الاوروبيين باذدخار الكتب العربية ٥٧٠

١ ـ ظهور اللغة العربية في اوروبا منذ القرون الوسطى ٥٧٠
٢ ـ ترجمة كتب الفلسفة والطب وتدريسها في جامعات اوروبا ٥٧١
٣ ـ حديث الرّحالة ابن جبير عن العروبة في بلاط ملوك صقلية ٥٧٢
٤ ـ اندماج الفاظ عربية في لغات الافرنج وفي معاجمهم ٥٧٤
٥ ـ انصراف علماء الاستشراق الى نشر اهم الكتب العربية ٥٧٥

الفصل الثاني تعزيز البابوات للغة العربية ٥٧٦

١ ـ تضلع البابا سلوستر الثاني من لغة العرب وفلسفتهم ٥٧٦
٢ ـ تنشيط البابوات الى اقتباس العربية ٥٧٧
٣ ـ عصر البابا لاون العاشر وافتتاحه اول مطبعة عربية في العالم ٥٧٨
٤ ـ لاون العاشر والرّحالة لاون الافريقي ٥٧٨
٥ ـ انشاء البابوات مطبعة عربية في رومة ٥٧٩
٦ ـ بعثات بابوية الى مشترى مخطوطات شرقية ٥٧٩
٧ ـ قِدَم المكتبة الواتكانية وثروتها ٥٨١
٨ ـ شغف رجالات البلاط البابوي بالكتب العربية ٥٨٢
٩ ـ فضل آل مديسيس على اللغة العربية ٥٨٣

الفصل الثالث جهود ملوك فرنسا في جمع المخطوطات العربية ٥٨٥

١ ـ الثروة العربية في مكتبة الامة بباريس ٥٨٥
٢ ـ مخطوطات الطبابة العربية في كلية الطب بباريس ٥٨٥

صفحة

٣ ـ تفويض ملك فرنسا الى سفيره في المغرب الاقصى ابتيـــاع مخطوطات عربية ٥٨٦

٤ ـ وثيقة بمشترى مخطوطات لحساب لويس الرابع عشر محفوظة في دير الشير بلبنان ٥٨٧

٥ ـ بعثة ثالثة وجّهها لويس الرابع عشر الى فاس للتنقيب عن مخطوطات عربية ٥٨٨

الفصل الرابع نشاط الانكليز الى تجهيز مكتباتهم بمخطوطات عربية ٥٨٩

١ ـ ابتياع المستر تاتام مخطوطات بما يعادل ثقلها ذهباً ٥٨٩

٢ ـ الثروة العربية في مكتبات الانكليز وبدائع مجاميعهـــا في المتحف البريطاني ٥٨٩

الفصل الخامس نقل مخطوطات وافرة من بلاد الشام الى اوروبا ٥٩٠

١ ـ تأسف العلامة محمد كردعلي على مخطوطات دمشق ٥٩٠

٢ ـ سماسرة الافرنج والمخطوطات العربية ٥٩١

٣ ـ غليوم الثاني عاهل المانيا ومخطوطات الجامع الاموي ٥٩١

الفصل السادس خزانة كتب الاسكوريال في اسبانيا ٥٩٣

١ ـ دير الاسكوريال ومكتبته ٥٩٣

٢ ـ مصدر مخطوطات الاسكوريال ٥٩٤

٣ ـ وصف مكتبة الاسكوريال واحتراق قسم منها ٥٩٤

٤ ـ تعاقب عالمين شرقيين في ادارة مكتبة الاسكوريال ٥٩٥

صفحة

٥ ـ فهارس المخطوطات العربية في الاسكوريال ٥٩٦
٦ ـ تحف مكتبة الاسكوريال ٥٩٧

الفصل السابع المكتبة الامبروزيانية في ميلانو ٥٩٨

١ ـ وصف رتاج المكتبة ٥٩٨
٢ ـ اهتمام الكردينال بوروميو بالمخطوطات القديمة ٥٩٨
٣ ـ ثروة المكتبة الامبروزيانية ومشاهير مديريها ٦٠١

الفصل الثامن مكتبات اللبنانيين والسوريين العربية في اوروبا ٦٠٢

١ ـ مكتبة المدرسة المارونية ومكتبة الرهبان الموارنة في رومة ٦٠٢
٢ ـ مكتبة دير السريان في رومة ٦٠٣
٣ ـ مكتبة الخوري روفائيل جروة في البندقية ٦٠٣
٤ ـ مكتبة الكنت رشيد الدحداح في باريس ٦٠٤
٥ ـ مكتبة خليل وشكري غانم في باريس ٦٠٤
٦ ـ مكتبة خيرالله خيرالله في باريس ٦٠٥
٧ ـ مكتبة السيدة جان دي طرّازي في باريس ٦٠٦
٨ ـ مكتبة عبدالله مرّاش في مرسيليا ٦٠٦
٩ ـ مكتبة حبيب زيات في نيس ٦٠٧
١٠ ـ مكتبة رزقالله حسون في لندن ٦٠٨
١١ ـ مكتبة الدكتور لويس صابونجي في لندن والاستانة ٦٠٩

الفصل التاسع خزائن كتب علماء المشرقيات ٦١١

اولا : تعريف علم المشرقيات ٦١١

صفحة

ثانياً : مكتبات المستشرقين في فرنسا ٦١٢

١ ـ خزانة غليلم بوستل في باريس ٦١٢
٢ ـ خزانة برتليمي هربلو في باريس ٦١٣
٣ ـ خزانة دي كوروا في « أو » بفرنسا ٦١٤
٤ ـ خزانة سلوستر دي ساسي في باريس ٦١٤
٥ ـ خزانة دي لابورت في باريس ٦١٥
٦ ـ خزانة هنري بونيون ٦١٦
٧ ـ خزانة لويس ماسينيون في باريس ٦١٧

ثالثاً : مكتبات المستشرقين في انكلترا ٦١٨

١ ـ خزانة ادوار بوكوك في اكسفرد ٦١٨
٢ ـ سائر مكتبات المستشرقين الانكليز ٦١٩

رابعاً : مكتبات المستشرقين في ايطاليا ٦١٩

١ ـ خزانة اريكو فيتو في رومة ٦١٩
٢ ـ خزانة الامير ليوني كايتاني في رومة ٦٢٠
٣ ـ خزانة اوجينيو غريفيني في ميلانو ٦٢٢
٤ ـ خزانة اغناطيوس غويدي في رومة ٦٢٣
٥ ـ خزانة كارلو الفنسو نلّينو في بالرمو ٦٢٤

خامساً : مكتبات المستشرقين في المانيا ٦٢٦

١ ـ خزانة الدكتور مرتين هرتمان في برلين ٦٢٦
٢ ـ خزانة البارون اوبنهيم في برلين ٦٢٨

صفحة

سادساً : مكتبات المستشرقين في البرتوغال واسبانيا ٦٢٨

١ ـ خزانة دي كاستل برانكو في لشبونا ٦٢٨
٢ ـ خزانتا ربيرا وآسين بلاسيوس في مجريط (مدريد) ٦٢٩

سابعاً : مكتبات المستشرقين في اسوج ٦٣٠

١ ـ خزانة الكنت لندبرغ في اسوج ٦٣٠

الفصل العاشر عدد المخطوطات العربية في مكتبات اوروبا ٦٣١

١ ـ حصر البحث بالمخطوطات دون المطبوعات ٦٣١
٢ ـ احصاء المخطوطات العربية في مكتبات اوروبا ٦٣١

الفصل الحادي عشر فهارس المؤلفات العربية في مكتبات اوروبا ٦٣٣

١ ـ الفهارس العربية في مكتبات اوروبا عامة ٦٣٣
٢ ـ وصف المستشرق وليم بن الورد مخطوطات برلين العربية في عشرة مجلدات ٦٣٤
٣ ـ تخصيص المستشرق دي غويه جوائز سنوية بناشري مخطوطات عربية ٦٣٤

الباب الثامن المكتبات العربية في اميركا ٦٣٥

الفصل الأول الثقافة العربية في اميركا ٦٣٥

١ ـ انتشار المطابع والجرائد العربية في العالم الجديد ٦٣٥
٢ ـ علم المشرقيات في جامعات اميركا ٦٣٥

صفحة

٣ ـ خزانة مخطوطات المستعرب سبرنغلنغ وبينها ٣٥ نسخة من كتاب كليلة ودمنة ٦٣٦

الفصل الثاني مكتبات اميركا الشمالية ٦٣٨

١ ـ صعوبة احصاء المكتبات العربية في اميركا الشمالية ٦٣٨
٢ ـ تقرير الدكتور فيليب حتي عن الكتب العربية في مكتبات الولايات المتحدة ٦٣٨
٣ ـ مخطوطات عربية ثمينة في جامعة برنستون ٦٤١

الفصل الثالث مكتبات اميركا الجنوبية ٦٤٣

١ ـ منافسة اللبنانيين والسوريين في تعزيز لغة الضاد باميركا الجنوبية ٦٤٣
٢ ـ الامبراطور دون بدرو الثاني يؤسس اول مكتبة عربية بالبرازيل ٦٤٤
٣ ـ المكتبات العربية الفردية في البرازيل والجمهورية الفضية ٦٤٥

الباب التاسع المكتبات الاسرائيلية ٦٤٦

الفصل الاول آثار اليهود في اللغة العربية ٦٤٦

١ ـ أبيّ بن كعب ٦٤٦
٢ ـ مشاهير علماء اليهود واطبائهم ٦٤٦
٣ ـ علماء اليهود في بلاد فارس ٦٤٩
٤ ـ موسى بن ميمون ويوبيل مولده المئوي الثامن ٦٤٩
٥ ـ نوابغ اليهود في الاندلس ونقلهم علوم العرب الى اوروبا ٦٥٠

الفصل الثاني اشهر مكتبات الاسرائيليين في سالف الازمنة ٦٥٢

صفحة

١ ـ مكتبة افرائيم بن الزّفان ٦٥٢
٢ ـ مكتبة الطبيب عمران الاسرائيلي ٦٥٣
٣ ـ مكتبة الخطاط ابو غالب بن كمونه ٦٥٣

الفصل الثالث دار كتب الامة اليهودية والجامعة العبرية ٦٥٤

الفصل الرابع المكتبات العربية الاسرائيلية في الازمنة المتأخرة ٦٥٦

١ ـ مكتبة سلمون مونك في باريس ٦٥٦
٢ ـ دار القراءة والمتحف الوطني في بمباي ٦٥٧
٣ ـ مكتبة المدرسة الاسرائيلية في بيروت ٦٥٧
٤ ـ مكتبة البارون مكس فون اوبنهيم في برلين ٦٥٨
٥ ـ المكتبة الاسرائيلية في القاهرة ٦٥٩
٦ ـ مكتبة مكس مايرهوف في القاهرة ٦٥٩
٧ ـ مكتبة بلدية زمّارين ٦٦٠
٨ ـ مكتبة هارون ارنسون في زمّارين ٦٦١
٩ ـ مكتبة موسى بيشوتو في تل ابيب ٦٦١
١٠ ـ مكتبة اغناطيوس غولدتسهير في بودابست ٦٦٢

الباب العاشر مشاهير خزنة دور الكتب في عصر الارتقاء العربي وبعده ٦٦٣

الفصل الاول منزلة خزنة دور الكتب ومناقبهم ٦٦٣

الفصل الثاني خزنة دور الكتب في سوريا ولبنان ٦٦٥

١ ـ اثناس ٦٦٥

صفحة

٢ ـ ابو بكر الصنوبري ٦٦٥
٣ ـ الخالديان ٦٦٦
٤ ـ ثابت بن أسلم ٦٦٦
٥ ـ محمد الجياني الاندلسي ٦٦٦
٦ ـ علي اللواتي الابياري ٦٦٧
٧ ـ محمد بن عبد السلام التونسي ٦٦٧
٨ ـ الشيخ عبد الرحمن المنيني ٦٦٨
٩ ـ عبد الرحمن الصناديقي ٦٦٨
١٠ ـ ابو الفتح العجلوني ٦٦٩
١١ ـ سلوان ابو نحول ٦٦٩
١٢ ـ الاب لويس شيخو ٦٧٠

الفصل الثالث خزنة دور الكتب في العراق ٦٧١

١ ـ سهل بن هرون الكاتب ٦٧١
٢ ـ سعيد بن هرون الكاتب ٦٧١
٣ ـ سلم صاحب بيت الحكمة ٦٧٢
٤ ـ محمد بن موسى الخوارزمي المنجم ٦٧٢
٥ ـ يحيى الموصلي المنجم ٦٧٢
٦ ـ عبد السلام البصري ٦٧٣
٧ ـ ابو منصور محمد بن علي الخازن ٦٧٣
٨ ـ الحافظ ابو صالح المؤذّن ٦٧٣
٩ ـ يعقوب الاسفراييني ٦٧٤
١٠ ـ ابو زكريا الخطيب التبريزي ٦٧٤

صفحة

١١ - ابو منصور الكرخي ٦٧٥
١٢ - ابو مظفر الابيوردي ٦٧٥
١٣ - علي بكري ٦٧٦
١٤ - مبشّر بن احمد ٦٧٦
١٥ - ابو جعفر عمر الدباس ٦٧٧
١٦ - المحب الواسطي ٦٧٧
١٧ - الشيخ عبد العزيز وابنه ضياء الدين احمد ٦٧٧
١٨ - ابن الساعي البغدادي ٦٧٨
١٩ - ابن الفوطي الصابوني ٦٧٨
٢٠ - يحيى بن عليان الخازن ٦٧٩
٢١ - ابو الحسن عليّ بن الصائغ ٦٧٩
٢٢ - جعفر الكيشوان وحسين الكتابدار ٦٨٠
٢٣ - محمد الرفيعيّ ٦٨٠

الفصل الرابع خزنة دور الكتب في بلاد فارس ٦٨١

١ - ابو منصور الشيرازي ٦٨١
٢ - ابو محمد خازن الكتب ٦٨١
٣ - ابو الحسن عليّ بن البواب ٦٨١
٤ - مسكويه ٦٨٢
٥ - ابو صالح النيسابوري ٦٨٢
٦ - عزيز الدين المستوفي الاصبهاني ٦٨٣
٧ - ابو الفتح المروزي ٦٨٣
٨ - ابو الفضل النشوي ٦٨٤

صفحة

الفصل الخامس خزنة دور الكتب في مصر ٦٨٥

١ ـ ابو الحسن علي بن محمد الشابشتي الكاتب ٦٨٥
٢ ـ ابن عبد القوي ٦٨٥
٣ ـ ابو عبدالله الطائي ٦٨٦
٤ ـ ابو محمد حسن بن آدم ٦٨٦
٥ ـ شرف الدين الميدومي ٦٨٧
٦ ـ محيي الدين الشبلي ٦٨٧
٧ ـ سعد الدين الرومي المرزباني ٦٨٧
٨ ـ ناصر الدين محمد البارزي ٦٨٨
٩ ـ شمس الدين المرزباني ٦٨٨
١٠ ـ الشيخ موسى الشيخوني ٦٨٨
١١ ـ خليل بن محمد المغربي ٦٨٩
١٢ ـ محمد حافظ ٦٨٩
١٣ ـ الشيخ محمد الجناجني الشافعي ٦٨٩

الفصل السادس خزنة دور الكتب في شمال افريقيا ٦٩١

١ ـ ابرهيم الشيباني ٦٩١
٢ ـ ابو العباس الانصاري الخزرجي ٦٩١
٣ ـ فخر الدين سليمان بن نقادة ٦٩٢
٤ ـ ابو البركات بن عصفور ٦٩٢
٥ ـ الشريف الحسين بن ثابت ٦٩٣

الفصل السابع خزنة دور الكتب في الاندلس ٦٩٤

صفحة

١ ـ تليد الحصى ٦٩٤
٢ ـ ابن شقرال الطرسوني ٦٩٤

الفصل الثامن خزنة دور الكتب في اليمن والحجاز ٦٩٥

١ ـ احمد بن لطف الله جحاف ٦٩٥
٢ ـ قطب الدين الحنفي ٦٩٥

الفصل التاسع خزنة دور الكتب في الهند ٦٩٦

١ ـ الشهاب احمد الهندي ٦٩٦

الباب الحادي عشر خزنة مكتبات اوروبا واميركا الشرقيون ٦٩٧

الفصل الاول تفوّق ابناء الشرق في مكتبات الغرب ٦٩٧

الفصل الثاني خزنة المكتبة الواتكانية ٦٩٨

١ ـ يوسف شمعون السمعاني ٦٩٨
٢ ـ اسطفان عوّاد السمعاني ٦٩٩
٣ ـ نعمة الله عواد ٧٠٠

الفصل الثالث خزنة مكاتب اسبانيا ٧٠١

١ ـ ميخائيل الغزيري ٧٠١
٢ ـ الياس شدياق دب ٧٠٢

الفصل الرابع خزنة مكتبة الامبروزيانا ومكتبات انكلترا ٧٠٣

صفحة

١ ـ المطران اسحق الشدراوي ٧٠٣
٢ ـ حبيب سلموني ٧٠٣
٣ ـ الدكتور الفنس منكنا ٧٠٤
الفصل الخامس خزنة مكتبات القسطنطينية ٧٠٦
١ ـ نيقيطا ٧٠٦
٢ ـ ملا لطفي ٧٠٧
الفصل السادس خزنة مكاتب اميركا ٧٠٨
١ ـ الدكتور فيليب حتي اللبناني ٧٠٨
الباب الثاني عشر غلاة الكتب وهواة المكتبات المسلمون ٧١٠
الفصل الأول مشاهير هواة الكتب في القرن الثاني للهجرة ٧١٠
١ ـ ابو عمرو زبان بن العلاء ٧١١
٢ ـ البرامكة ٧١١
الفصل الثاني مشاهير هواة الكتب في القرن الثالث للهجرة ٧١٣
١ ـ الواقديّ ٧١٣
٢ ـ الاصمعيّ ٧١٣
٣ ـ اسحق بن ابرهيم النديم ٧١٤
٤ ـ الفتح بن خاقان القيسيّ ٧١٤
٥ ـ الجاحظ ٧١٥
٦ ـ جعفر المروزيّ ٧١٦
٧ ـ ابرهيم بن اسحق الحربي ٧١٦
٨ ـ بنو موسى بن شاكر ٧١٧

صفحة

الفصل الثالث مشاهير هواة الكتب في القرن الرابع للهجرة ٧١٨

١ ـ ابو بكر الصوليّ ٧١٩
٢ ـ الوزير المهلبي ٧١٩
٣ ـ محمد بن يحيى ٧٢٠
٤ ـ يعقوب بن يوسف ٧٢٠
٥ ـ ابن الفرات ٧٢٠
٦ ـ الصاحب بن عبّاد ٧٢١
٧ ـ ابو الفتح برجوان ٧٢٢
٨ ـ المهذب بن الزبير ٧٢٢
٩ ـ محمد بن ابي بعرة ٧٢٢
١٠ ـ ابو بكر الخوارزميّ ٧٢٤

الفصل الرابع مشاهير هواة الكتب في القرن الخامس للهجرة ٧٢٥

١ ـ ابن فطيس القرطبي ٧٢٥
٢ ـ المظفرّ بن الافطس ٧٢٥
٣ ـ ابو الحسن عليّ الفاليّ ٧٢٦
٤ ـ ابو عثمان سعيد الحدّاد ٧٢٦

الفصل الخامس مشاهير هواة الكتب في القرن السادس للهجرة ٧٢٧

١ ـ الوزير الافضل ابن امير الجيوش ٧٢٧
٢ ـ ابو نعيم عبيدالله بن الحداد ٧٢٧
٣ ـ المبشر بن فاتك ٧٢٨

صفحة

٤ ـ امية بن ابي الصلت ٧٢٨
٥ ـ الملك العاضد لدين الله ٧٢٩
٦ ـ نور الدين الشهيد ٧٢٩
٧ ـ ابو بكر محمد بن خير الاشبيلي ٧٣٠
٨ ـ عماد الدين السلفي ٧٣٠
٩ ـ عبد الرحمن الملجوم ٧٣١
١٠ ـ ابن الجزار ٧٣١
١١ ـ فخر الدين المارديني ٧٣٢
١٢ ـ محمد ابو سعيد البندهي ٧٣٢
١٣ ـ الصاحب امين الدولة السامري ٧٣٢
١٤ ـ الحضرمي ٧٣٣

الفصل السادس مشاهير هواة الكتب في القرن السابع للهجرة ٧٣٤

١ ـ الحسن بن محمد الكاتب ٧٣٤
٢ ـ المستنصر العباسي ٧٣٥
٣ ـ أسامة بن مرشد ٧٣٥
٤ ـ جمال الدين القفطي ٧٣٦
٥ ـ بهاء الدين زُهير ٧٣٦
٦ ـ ابن العلقمي ٧٣٧
٧ ـ ابو المظفرّ بن معروف ٧٣٧
٨ ـ محمد بن حسن القلعيّ التميمي ٧٣٨

الفصل السابع مشاهير هواة الكتب في القرن الثامن للهجرة ٧٣٩

صفحة

١ ـ ذو الوزارتين ابن الحكيم الرندي ٧٣٩
٢ ـ امير المؤمنين ابو يحيى اللحياني ٧٤٠
٣ ـ داود التركماني ٧٤٠
٤ ـ ناصر الدين العسقلاني ٧٤٠
٥ ـ علاء الدين البكرجي ٧٤١
٦ ـ زين الدين القرشي ٧٤١
٧ ـ ابو عيسى بن لبّون ٧٤٢

الفصل الثامن مشاهير هواة الكتب في القرن التاسع للهجرة ٧٤٣

١ ـ ابن الملقّن ٧٤٣
٢ ـ احمد بن اسمعيل الحسباني ٧٤٣

الفصل التاسع مشاهير هواة الكتب في القرن العاشر للهجرة ٧٤٤

١ ـ يوسف بن حسن عبد الهادي ٧٤٤
٢ ـ ابن المؤيد ٧٤٤
٣ ـ عبيدالله جلبي ٧٤٤
٤ ـ سعدالله بن عيسى ٧٤٥
٥ ـ محمد بن قنبر ٧٤٥

الفصل العاشر مشاهير هواة الكتب في القرن الحادي عشر للهجرة ٧٤٦

١ ـ سنان باشا ٧٤٦
٢ ـ القشاش المغربي ٧٤٧
٣ ـ عبد القادر العيدروس ٧٤٨

صفحة

٤ ـ حاجي خليفة ٧٤٨
٥ ـ الشيخ احمد العجمي المصري ٧٤٩
٦ ـ شرف الدين زكريا الانصاري السنيكي ٧٥٠

الفصل الحادي عشر مشاهير هواة الكتب في القرن الثاني عشر للهجرة ٧٥١

١ ـ الامير امين بن محمد القسطنطيني ٧٥١
٢ ـ ابو العباس التنبكتي ٧٥٢
٣ ـ احمد الشريف الورتيلاني ٧٥٢

الفصل الثاني عشر مشاهير هواة الكتب في القرن الثالث عشر للهجرة ٧٥٣

١ ـ احمد بن طه الاشرفي ٧٥٣
٢ ـ محمود قبّادو التونسي ٧٥٣
٣ ـ علي باشا ابرهيم المصري ٧٥٤
٤ ـ العباس بن امير المؤمنين المغربي ٧٥٤
٥ ـ عبد الحميد نافع ٧٥٥

الفصل الثالث عشر مشاهير هواة الكتب في القرن الرابع عشر للهجرة ٧٥٦

١ ـ عبد الغني فكري ٧٥٦
٢ ـ الشيخ ميرزا حُسين النوري الطبرسي ٧٥٧
٣ ـ الملا باقر التستري ٧٥٧
٤ ـ حامد عجّان الحديد ٧٥٨

الفصل الرابع عشر هواة الكتب المسلمون في ازمنة مختلفة ٧٥٩

صفحة

١ ـ ابو جعفر احمد بن عباس ٧٥٩
٢ ـ احمد بن عباس الانصاري ٧٥٩
٣ ـ عبدالله السلمي المرسي ٧٥٩
٤ ـ موفق الدين ابو طاهر ٧٦٠
٥ ـ نور الدين علي بن جابر ٧٦٠
٦ ـ البوني ٧٦٠

الباب الثالث عشر غلاة الكتب وهواة المكتبات المسيحيون ٧٦١

١ ـ آل بختيشوع ٧٦١
٢ ـ يعقوب بن اسحق الكندي ٧٦٢
٣ ـ حنين بن اسحق ٧٦٤
٤ ـ تادري اسقف الكرخ ٧٦٤
٥ ـ ابن التلميذ ٧٦٥
٦ ـ موفق الدين بن المطران ٧٦٦
٧ ـ مسيحي ابن ابي البقاء ٧٦٦
٨ ـ ابو الفرج ابن العبري ٧٦٧
٩ ـ الرئيس المرتضي المختار هرمز ٧٦٩
١٠ ـ بولس الزعيم ٧٦٩
١١ ـ المطران بطرس مخلوف ٧٧٠
١٢ ـ نعمة ابن الخوري توما الحلبي ٧٧١
١٣ ـ المطران جرمانس فرحات ٧٧١
١٤ ـ البطريرك اغناطيوس ميخائيل جروة ٧٧٣
١٥ ـ القس توما ايوب الحلبي ٧٧٤

صفحة

١٦ ـ المطران ادّي شير ٧٧٥
١٧ ـ القس بطرس نصري ٧٧٦
١٨ ـ مراد بك البارودي ٧٧٧
١٩ ـ الاب لويس شيخو ٧٧٨
٢٠ ـ الخوري جرجس منش ٧٨١
٢١ ـ يوسف اليان سركيس ٧٨٢
٢٢ ـ عيسى اسكندر المعلوف ٧٨٣
٢٣ ـ القس بولس سباط ٧٨٥

خاتمة المجلد الثاني ٧٨٦

فهرس المجلد الثاني من خزائن الكتب العربية في الخافقين ٧٨٧

وقف على طبعه
منير الياس وهيبه
القائم باعمال دائرة الدرس والتنبيه بدار الكتب

طبع من هذا الكتاب خمسمائة نسخة
في «مطابع جوزف سليم صيقلي»
بيروت
سنة ١٩٤٧

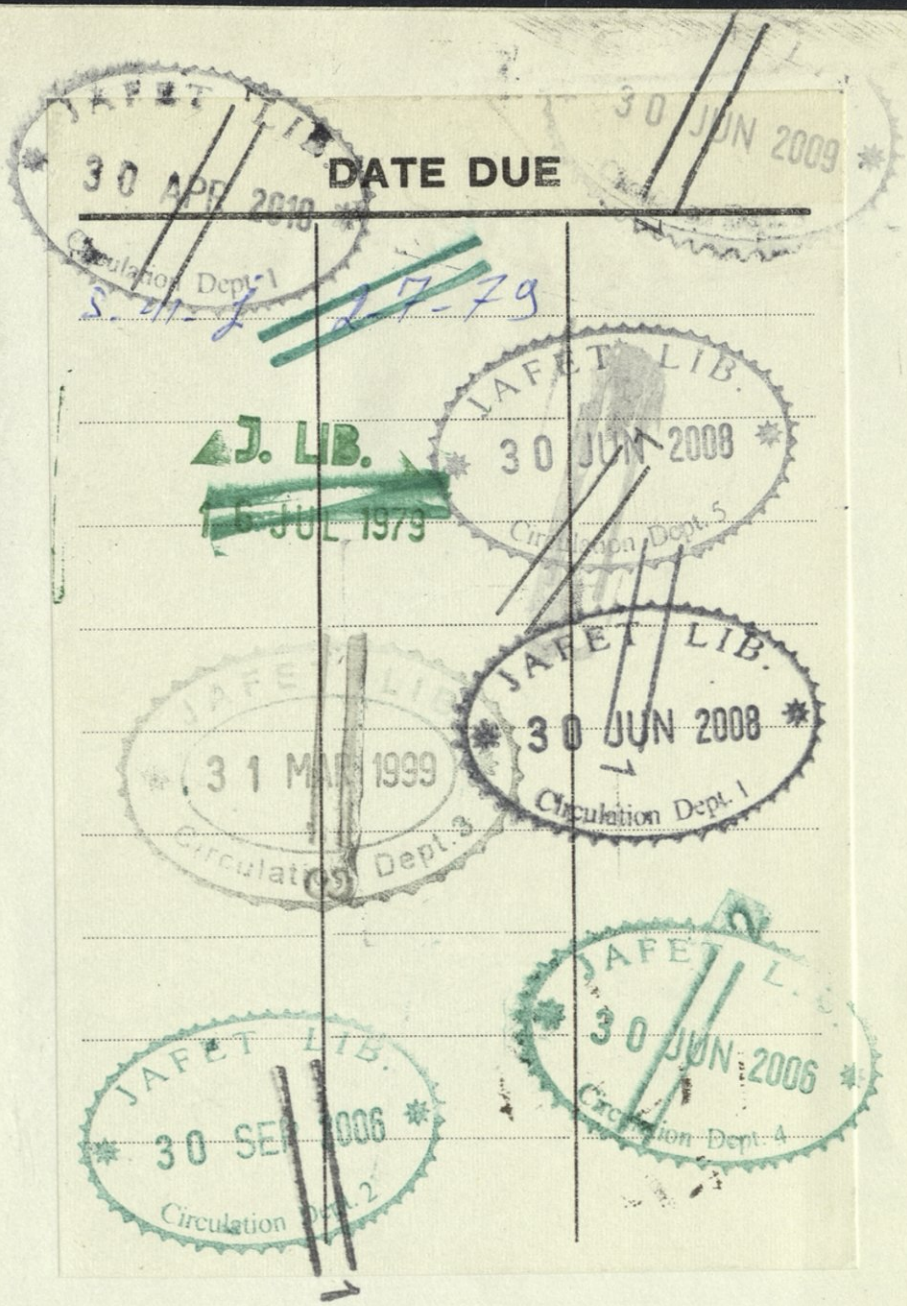

DATE DUE

JAFET LIB.
30 APR 2010
Circulation Dept. 1

30 JUN 2009

5-21-2 27-79

J. LIB.
15 JUL 1979

JAFET LIB.
30 JUN 2008
Circulation Dept. 5

JAFET LIB.
31 MAR 1999
Circulation Dept. 3

JAFET LIB.
30 JUN 2008
Circulation Dept. 1

JAFET LIB.
30 SEP 2006
Circulation Dept. 2

JAFET LIB.
30 JUN 2006
Circulation Dept. 4

027:T19kA:v.2:c.1
طرازى ،فيليب دى (الفيكونت)
خزائن الكتب العربية فى الخافقين
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01000313
A.U.B. LIBRARY
027
T19kA
v.2